
د. خالد أبو العمرين
حماس
حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين
الحضارة العربية
Bibliotheca Alexandrina
0161439



حماس

حركة المقاومة الإسلامية

جذورها - نشأتها - فكرها السياسي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلىٰ التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، فاكس : ٣١٤٨٠٤٢

خالد نمر أبو العمرين

حماس

حركة المقاومة الإسلامية

جذورها - نشأتها - فكرها السياسى



الكتاب : حركة المقاومة الإسلامية
«حماس»

الكاتب : خالد نمر أبو العمرين

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة الأولى :
٢٠٠٠

رقم الإيداع : ١٤٧٧٦/ ٢٠٠٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N.977-291-232-5

الغلاف : محمود الهندى
جرافيك : آرت سمارت

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
سيد مكاوى
شريف على
مراجعة وتصحيح : زكريا منتصر
كمال عبد الرسول

الإهداء

- إلى روح والدي الذي توفي وهو يحلم بالرجـــوع إلى قــريتنا «حمامة» التي احتلت عام ١٩٤٨ .
- إلى أبناء شـعـبي في الوطن وفي الشـتـات بمخـتلف تيـاراتـهم يحلمون بالدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس .
- إلى أبناء أمـتنا العـربيـة والإسلاميـة الذين يعـملون كي تـخرج الأمة من مأزقها وتجد مكانها اللائق بها بين الأمم .
- إلى أرواح شهداء فلسطين جميعًا من الأمة العربية وعلى رأسهم عز الدين القسام السوري وأحمد عبد العزيز المصري وعبد القادر الحسيني الفلسطيني.
- إلى أرواح خليل الوزير وكمال عدوان ويحيى عياش وعماد عقل وكل الشهداء .



مقدمة

برزت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بعد اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ، ولم تمض سنة واحدة من عمرها وعمر الانتفاضة حتى ازدادت قوتها وظهر تأثيرها واكتسبت شعبية واسعة بين الفلسطينيين في الأرض المحتلة وفي المنافي والمهاجر، وكذلك بين العرب والمسلمين . وكان لنضالها الإسلامي ضد الاحتلال الصهيوني ودفاعًا عن الأرض والمقدسات أثره البالغ في إعطاء صورة متميزة للعمل الإسلامي الذي يحظى بالقبول والإجماع ، بخلاف العمل الإسلامي المنتشر في كثير من البلاد العربية الإسلامية، كما أبرزت هذه المواجهة للعدوان الصهيوني قادة ورموزًا يحظون بالاحترام والتقدير حتى عند منْ يختلف معهم في الرأي ، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين الذي يتمتع بصفات قلما يجتمع بعضها لكثير من القادة الإسلاميين أو غيرهم ، فهو إلى جانب وعيه العميق وحنكته السياسية يتصف بالإصرار والتجرد وبالحس الوطني الذي يعلو على كل انتماء ،شديد على الأعداء، رحيم بأبناء شعبه وأمته، وأبرزت هذه المواجهة أيضًا الشهيد يحيى عياش الذي خرجت فلسطين كلها في جنازته.

وكان لإبعاد المئات من قادة حماس وعناصرها إلى جنوب لبنان ، وصمودهم وإصرارهم على البقاء والعودة ، أثر كبير في وصول حماس إلى كل بيت في المشرق والمغرب ، وفي التدليل على قوة الحركة واستمرارها وعدم إمكانية اقتلاعها من الجذور ، كما أظهرت تجربة الإبعاد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي قائدًا قويًا استطاع بصموده وعناده وقدرته على القيادة أن ينتصر على الغطرسة الصهيونية ويحقق ومن معه حلم العودة ، مما جعل الحكومة الإسرائيلية تلفق له محاكمة عسكرية لتحجبه خلف أسوار السجن إلى جانب الشيخ ياسين ، لتحرم الحركة من قياداتها الناضجة والقوية في مرحلة حساسة ومفترق طرق خطير لتفسح المجال أمام محاولات شق الحركة ، وتضخيم الاختلاف بين تياراتها ، ومن ثم إضعافها في غياب قيادتها ومرجعيتها المتفق عليها .

وكان للعمليات العسكرية التي نفذتها «كتائب عز الدين القسام» الجناح العسكري

لحماس من خطف للجنود أو تفجيرات في القدس وتل أبيب ، أثرها الحاسم في ازدياد أهمية الحركة وتأثيرها حتى على الانتخابات الإسرائيلية ، وتوتير علاقتها بالسلطة الوطنية الفلسطينية ، وتأثيرها على تطبيق الاتفاقات بين السلطة وإسرائيل .

وإذا كانت دراسة الصحوة الإسلامية السياسية في العقدين الماضيين قد ازدادت أهميتها في كل مكان ، فإن دراسة حركة حماس تأخذ أهميتها القصوى من حيث إنها تعالج الظاهرة في أكثر مواقعها سخونة ، ففي فلسطين يبدو الصراع صريحًا بين الشرق كله والغرب كله ، صراعًا حضاريًا وثقافيًا واقتصاديًا وعسكريًا شاملاً .

ولعل هذا الدور المتعاظم لحركة حماس على جميع الأصعدة الفكرية والسياسية والشعبية والعسكرية ، يصبح مفهومًا ومنطقيًا إذا عرفنا أن هذه الحركة التي تأسست في ديسمبر ١٩٨٧ ما هي إلا امتداد حقيقي وطبيعي لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين بتاريخها وتطورها وبرامجها ورجالها وهياكلها ، تلك الحركة التي وجدت على أرض فلسطين قبل أن توجد الدولة اليهودية بعدة سنوات ، كما شاركت في قتال هذه الدولة عند تأسيسها عام ١٩٤٨ ، وقدمت الشهداء من الفلسطينيين والمصريين والسوريين والعراقيين والأردنيين والسودانيين واليمنيين والمغاربة وغيرهم .

وتأتي أهمية هذا الكتاب لكونه أول دراسة شاملة للإخوان الفلسطينيين في مختلف المراحل التاريخية والأماكن الجغرافية التي تواجد فيها الفلسطينيون ، كما يسلط الضوء على جوانب كثيرة ظلت خافية وغير منشورة ، معتمداً على التوثيق العلمي وعلى مقابلات مع صناع الحدث ، كما يبرز الكتاب ولأول مرة نشاط الإخوان في الخارج وتأسيس «الجهاز العام لفلسطين» الذي أصبح يعرف باسم قيادات حماس في الخارج ، عمومًا فإن الكتاب يزخر بالمعلومات الجديدة والموثقة .

لقد قام المؤلف بالاطلاع على كل ما يمكن الوصول إليه من مؤلفات أو دراسات تناولت أحد الجوانب المتعلقة بالموضوع ، كما أتيح له الاطلاع على الكثير من أوراق ومحاضر التحقيق مع قيادات حماس بالإضافة إلى كثير من الوثائق الداخلية السرية ، كما أنه ومنذ أوائل الثمانينيات بدأ يسجل المقابلات الشخصية مع قيادات الإخوان وحماس التي شاركت في العمل التنظيمي خلال الفترة (١٩٤٧ - ١٩٩٤) ، وقد سجلت أكثر من خمسين مقابلة في كل من الكويت والأردن والسودان واليمن والولايات المتحدة وبريطانيا ، وكانت أهم هذه المقابلات تلك التي أجريت في مخيم المبعدين في جنوب لبنان عام ١٩٩٣ مع معظم قيادات

الضفة الغربية وقطاع غزة وعلى رأسهم أربعة قادة من المؤسسين السبعة لحركة حماس .

وكان أكثر ما ساعد المؤلف على إعطاء الصورة الشاملة والمتكاملة والموضوعية هو تجربته الشخصية في صفوف الإخوان المسلمين ابتداء من عام ١٩٨٠ ، وتدرجه في مختلف المستويات التنظيمية إلى عضوية المكتب التنفيذى - القيادة العليا المنتخبة - لأكثر التنظيمات الإخوانية أهمية وهو التنظيم في الكويت ، الذى أعطى لتشكيلات حماس فى الخارج أكثر من ثلثى أعضائها ، كما شارك المؤلف فى عمل الجهاز العام لفلسطين وقسم فلسطين (قيادة حماس فى الخارج) منذ بدايته الفعلية فى مطلع ١٩٨٦ وحتى مطلع ١٩٩٥ .

وأتيحت للمؤلف أيضًا ظروف استثنائية جعلته على اطلاع على كثير من المساحات الإخوانية فى الخارج ، حيث كان يتلقى الدعوات كمحاضر وشاعر وخطيب من كثير من المؤسسات الإسلامية فى كل من الولايات المتحدة وأوربا إلى تركيا والهند وجنوب أفريقيا .

وربما ساعد المؤلف أيضًا على توخي النظرة الموضوعية والتحرر من وجهة النظر الآحادية المتعصبة أنه قضى سنوات شبابه الأولى فى المعسكر الوطنى حيث تعرف على تجارب اليساريين والقوميين ، يضاف إلى ذلك تجربة اعتقالية غنية فى بداية الاحتلال حيث أكمل المؤلف حكمًا بالسجن عامًا ونصف العام فى السجون الإسرائيلية بتهمة الانتماء لحركة فتح (١٩٦٨ - ١٩٧٠).

انقسم البحث إلى تمهيد وثلاثة أبواب ، وقد عالج التمهيد موضوعات أساسية فى دراسة الظاهرة الإسلامية وتعريفها وأسبابها وأهمية فلسطين فى نظر الإسلاميين .

أما الباب الأول فقد تتبع جذور الإخوان المسلمين فى فلسطين منذ الثلاثينيات وحتى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وعالج الباب الثانى تجربة الإخوان الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها فى العشرين سنة التى أعقبت الحرب .

أما الباب الثالث فإنه يتناول مرحلة الانتفاضة وانطلاقة حماس وعلاقاتها بالأطراف الأخرى.

بقى أن أقول إن هذا الكتاب فى الأصل رسالة علمية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير فى العلوم السياسية من جامعة الخرطوم ، والمؤلف هنا يعبر عن شكره وتقديره للدكتور التيجانى عبد القادر الذى أشرف على البحث بعقلية الباحث المتمكن ، والذى أظهر

من التعاون والتعاطف والود كل ما يتميز به السودان الشقيق ، كما يقدم الشكر الجزيل إلى البروفيسور محمود حسن خليل والبروفيسور حسن سيد سليمان اللذين ناقشا هذا البحث وعبرا عن تقديرهما المتميز .

كما أقدم شكرى وامتنانى لكل من تعاون وساعد فى إنجاز هذا البحث وخصوصاً لمن رحبوا بالمقابلات الشخصية، والشكر كله لأفراد أسرتى السبعة الذين كانوا دائماً نعم التشجيع والمعين.

خالد محمد أبو العمرين

صنعاء - ديسمبر ١٩٩٧

تمهيد

مراجعة نقدية لأدب الصحوة الإسلامية



حينما يضطلع الباحث بمهمة دراسة «حركة المقاومة الإسلامية» على أرض فلسطين – تلك الحركة التي تنخرط بقوة في النضال السياسي والعسكرى – فإنه يجد ضرورة أساسية لدراسة ظاهرة المد الإسلامى المعاصرة ، ومراجعة الأدبيات التى تناولت هذه الظاهرة ، بالإضافة إلى التعرف على موقف الإسلاميين من القضايا الفكرية والسياسية الراهنة . ويفيد فى موضوع بحثنا محاولة تعريف هذه الظاهرة والتعرف على الأسباب التى أدت إلى انبثاقها بهذه القوة والتصاعد والانتشار .

وحتىّ تكتمل الصورة يحسن بنا دراسة وجهة النظر الإسلامية فى قضايا مهمة أثرت ولا تزال على الواقعين الفكرى والسياسي فى منطقتنا العربية ، وعلى الأخص قضايا الحداثة والعلمانية والديمقراطية . ولا شك أن النظر فى أقوال خصوم الصحوة الإسلامية أو المتحفظين عليها ، وفحص هذه الأقوال يساعد فى إثراء هذه المراجعة النقدية كمدخل ضرورى للدراسة ، وكذلك فإن متابعة موقف السلطات الحاكمة من هذه الظاهرة وطريقة تعاملها معها تخدم هذا المدخل .

ويهمنا هنا التعرف على موقف «الإخوان المسلمين» من القضايا موضوع البحث ، وذلك لاعتبارين مهمين : الأول أن جماعة الإخوان المسلمين هى أقدم الحركات الإسلامية المعاصرة وأكبرها وأكثرها انتشاراً ، والاعتبار الثانى أن حركة «حماس» تنتمى إلى حركة الإخوان المسلمين، ولذلك فإن التعرف على موقف الإخوان من العمل السياسي ورؤيتهم لمعنى الوطنية، والدولة والجهاد ، يفيد كثيراً فى موضوع البحث . و«يكاد يجمع الباحثون المختصون في شئون محور نواكشوط – جاكرتا ، أن كل حديث عن المستقبل السياسي والاجتماعى لهذه الرقعة الجغراسياسية يخلو من الأخذ بالاعتبار دور الحركات الإسلامية ، هو حديث غير علمي ولا يعتمد» [1]

(١) صلاح الدين الجورشى، «الحركة الإسلامية مستقبلها رهن التغييرات الجوهرية» فى (الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية) ، تحرير عبدالله النفيسى: مكتبة مدبولى، ١٩٨٩م. ص١١٩ .

المبحث الأول
مدخل لدراسة الظاهرة

موضوعية البحث :

لقد حظيت «الصحوة الإسلامية المعاصرة» باهتمام بالغ لدى مختلف الأوساط الإعلامية والسياسية والأكاديمية في منطقتنا وفي العالم أجمع ، وخصوصًا في الولايات المتحدة وأوربا وقد ساهمت الأحداث الكبرى في كل من إيران وأفغانستان في توجيه النظر إلى هذه الظاهرة، بالإضافة إلى الصراع المرير الذي وقع بين السلطة والإخوان في سوريا ، ونجاح الحركة الإسلامية في السودان ، وملاحقتها وضربها في تونس ، ومكاسبها البرلمانية في الأردن، وذلك الصراع الدموي المحتدم على أرض مصر وأرض الجزائر ، ومشاركة الحركة الإسلامية في السلطة في اليمن ، ودورها الكبير في الانتفاضة الفلسطينية ، وبروز حركة «حماس» كعامل مهم ومؤثر في أحداث القضية الفلسطينية ، بالإضافة إلى ما يموج هنا وهناك تحت السطح أو فوقه من عمل إسلامي في دول الخليج والجزيرة ، وجنوب شرقي آسيا ، ومساحات أخرى في القارة الأفريقية ، ناهيك عن النشاط البارز للجاليات الإسلامية ومؤسساتها في قارتي أوربا وأمريكا .

اتسم التناول الإعلامي للظاهرة الإسلامية بالسرعة والإثارة والسطحية وبدأت الآلة الإعلامية الضخمة التي تملكها السلطات والنخب السياسية في منطقتنا تشن حملة شعواء على هذه الظاهرة في لهجة عدائية تفتقر إلى المنطق والموضوعية . أما تلك الأدبيات التي أنتجها الإسلاميون ، فإنها اتسمت بالعاطفية والإنشائية .

وكانت أكثر الكتب والدراسات في المنطقة العربية تشبه إلى حد بعيد المنشورات الحزبية المتعصبة ، والتي تعاملت مع المد الإسلامي وكأنه لا يمتلك إيجابية واحدة [1] ، وهناك الدراسات الأكاديمية القليلة والتي أعطت الحركة الإسلامية بعضًا مما لها[2]، أما من جانب

---

(١) كمثال انظر: فؤاد زكريا، (الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة)، القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٩٨٦م. وعبدالقادر ياسين، (حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٠م.

(٢) كمثال انظر: زياد أبو عمرو، (أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧ ، (والحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار ١٩٨٩ ، وعلى الجرباوي، (الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة - بحث في النخبة السياسية) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.

الحركة الإسلامية فإن الدراسات القليلة التى ظهرت من رموزها أو المؤيدين لها قد كانت فى معظمها تحمل نفس الميكروب من الدعائية ، وعدم الاكتراث بالمراجعة أو النقد الذاتى ، اللهم إذا استثنينا كتابات الشيخ راشد الغنوشي .

وتبرز هذه الملاحظة بجلاء فى الساحة الفلسطينية حيث أخرجت المطابع بعض الكتب المتسرعة والتى فى غمرة حماسها ودفاعها الذاتى تجاهلت دور الأطراف الأخرى وحتى الإسلامية منها ، كأنه لا يوجد فى ساحة العمل أحد سوى المنظمة التى يدافع عنها الكتاب ، ففى الكتب والنشرات التى صدرت عن حركة حماس أو مؤيديها لا تجد ذكراً للدور المؤكد الذى لعبته المنظمات الوطنية ، ويزداد الاستغراب عند ملاحظة إهمال هذه الكتب والنشرات لدور «حركة الجهاد الإسلامى» ، ولعملياتها المهمة فى الفترة التى سبقت الانتفاضة .

كما أن المتابع لكتابات ملتزمى جماعات الجهاد الإسلامى فى فلسطين ، يظن أن حركة «حماس» لا وجود لها ولا أثر ، مع أنها شقت طريقها ، واحتلت مكانها المهم فى الخريطة السياسية للمنطقة ، شهد بذلك العالم كله . أما كتابات العلمانيين الفلسطينيين والعرب ، ودوريات وأدبيات (م . ت . ف .) فقد تجاهلت تماماً وجود الحركة الإسلامية وفعالياتها وتضحياتها ، إلى أن فرضت الحركة الإسلامية نفسها .

وظهرت فى الغرب دراسات وأبحاث ومتابعات صحفية أو تليفزيونية تناولت الظاهرة الإسلامية عموماً ، أو اختصت بتجربة معينة فى بلد ما . إلا أنها تميزت فى غالبها بنظرتها إلى الظاهرة بالمنظار الغربى ، محاولة أن تقيس هذه الظاهرة بمعايير مستمدة من الفكر الغربى نفسه ، «فظاهرة الحركة الإسلامية كعنصر هام فى سياسات الشرق الأوسط كانت تعالج دوماً فى الغرب بإحدى طريقتين : أولهما طريقة عاطفية تتسم بالإثارة ، وثانيهما طريقة أكاديمية تعالج المشاكل فى سياق نظريات التحديث» .[1]

ولما كان البحث فى الأساس يتناول حركة الإخوان المسلمين ، بتجربتها الطويلة وانتشارها فى معظم الساحات العربية وكثرة مناصريها وأعدائها ، ويركز على حركة «حماس» الإخوانية النشأة والفكر والقيادة فى أكثر الساحات حساسية وخطراً ، حيث مواجهة الدولة اليهودية ، فإن الكتابة هنا ، لن تخلو من التحيز مع الحركة وتمجيدها أو ضدها وتشويه دورها .

فهل يمكن للباحث أن يكون موضوعياً ؟ أقول نعم من حيث إن الموضوعية تعنى إعطاء كل

---

(١) أمين حسن عمر ، (الصراع بين العلمانية والإسلام فى الشرق الأوسط) ، ترجمة أسامة حسن عمر ، أم درمان : بيت المعرفة ١٩٩٠ ، ص١٥٢ .

ذى حق حقه ، إقراراً بالإيجابيات والإنجازات والاعتراف بالسلبيات والأخطاء ، وذلك باعتماد الأسلوب العلمى فى الرجوع إلى المصادر وتحليل المعلومات . وينطلق الباحث من مبادئ أساسية ، من منطلق شمول الإسلام لكل نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والجهادية ، فهو بإطاره الحضارى الواسع الذى يشمل غير المسلمين فى المنطقة يكون قادراً على مواجهة الهجمة الغربية والصهيونية كما كان قادراً على ذلك فى مختلف الأدوار التاريخية .

وعلى ذلك تكون حركة المقاومة الإسلامية «حماس» - كفكرة وغايات - محاولة للتعبير عن آمال الأمة الإسلامية فى معركتها المصيرية الشاملة مع الغرب وعدوانه الثقافى والاقتصادى ، عندما تواجه أهم قاعدة له فى المنطقة «إسرائيل» . أما خلاف ذلك وبعده ، فإن كل شىء قابل للدراسة والأخذ والرد والنقد واحتمال الصواب والخطأ والتجاوزات ، فطريقة تنزيل الفكرة الإسلامية فى عالم السياسة والقتال والعلاقات مع الأطراف الأخرى قابل للدراسة الموضوعية المتأنية ، فحركة «حماس» - كأسلوب عمل وهياكل تنظيمية وقيادات وبرامج وسياسات وأعمال ومواقف - قابلة للنقد ومعرضة للخطأ ، والأمة كلها بباحثيها ومفكريها مطالبة بمراقبة ذلك والمشاركة فى نقد التجربة وتقويمها وتصويبها والتأثير عليها .

دراسة المصطلح :

يقع هذا البحث تحت عنوان كبير شغل الصحافة ومراكز البحث ، وجاء تحت مصطلحات متعددة ، لعل أبرزها : الأصولية ، الصحوة الإسلامية ، المد الإسلامى ، الإحياء الإسلامى ، الانبعاث الإسلامى ، التجديد الإسلامى ، وحتى التطرف الإسلامى ، ولعل أكثر هذه المصطلحات شيوعًا : الأصولية والصحوة ، و«الأصولية» وغالبًا ما يستخدمها المعادون لهذه الظاهرة سواء كانوا فى الغرب أو فى الوطن الإسلامى ، وقد كررها البعض دون إدراك لما تحمله من ظلال التشكيك والرفض والازدراء ، ويعطينا المفكر الفرنسى «روجيه جارودى» المكونات الأساسية للأصولية كما استخلصها من قاموس «لاروس» ومعجم «روبير» الكبير والموسوعة العالمية ، وتتلخص فى ثلاثة مكونات هى :

١ - الجمود ، أى «رفض التكيف» جمود معارض لكل نمو أو تطور .

٢ - العودة إلى الماضى .

٣ - عدم التسامح ، الانغلاق ، التحجر المذهبى ، التصلب والكفاح والعناد[١].

وهكذا فإن الإعلام الغربى عند استخدامه لمصطلح «الأصولية الإسلامية» فإنه يكون قد حدد موقفه من الصحوة الإسلامية، كما قام بتوجيه الرأى العام الغربى لمعاداة هذه الظاهرة والتوجس منها.

وقد قامت وسائل الإعلام فى منطقتنا بنقل هذا المصطلح الغريب عن تراث المنطقة بإدراك من البعض أو بدون إدراك من البعض الآخر. أما الكُتاب العلمانيون العرب، فقد استخدموا هذا المصطلح مدركين لمغازيه مجردينه من الصفة الإسلامية، لما لكلمة الإسلام من مفعول وأثر طيب فى نفوس الجماهير فقد كرروا دائماً لفظة الدينية بدلاً من الإسلامية، فهم يقولون «الدولة الدينية»، فى استثارة الرفض مثل كلمات «المتطرفة» و«الظلامية» وغيرها.

أما المصطلح الثانى «الصحوة الإسلامية» فقد استخدم غالباً من المؤيدين للظاهرة، فقد كتب تحت هذا العنوان وعلى سبيل المثال د. يوسف القرضاوى، وهو واحد من أبرز رموز هذه الصحوة المعاصرة[٢]. وقد انتشرالمصطلح حتى أصبح اسماً للعديد من الشركات الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية ودور النشر وغير ذلك. ويعزز هذا الرأى أحد الكتاب العلمانيين حينما يقول: «الصحوة الإسلامية مصطلح حديث أطلقته الجماعات الدينيةِ على ما تقوم به من عمل فى سبيل تحقيق الدولة الإسلامية»[٣]، واعتبر الكاتب أن فى هذا المصطلح تعمية وتغطية، وأن المصطلح المعبر عن الحالة هو «الثورة الإسلامية»[٤]، فى محاولة منه لتأليب الحكومات والاتجاهات السياسية الأخرى على هذه الظاهرة.

ومع ذلك فإن بعض رموز التيار الإسلامى عبروا عن عدم ارتياحهم لهذا المصطلح، فالشيخ محمد الغزالى يقول: «إن كلمة الصحوة الإسلامية جديدة على مسامعنا نحن المشتغلين بالعمل الإسلامى من عشرات السنين»[٥]، ومن الكتاب من رأى فى هذا المصطلح دسيسة أجنبية واردة من خارج المجال الثقافى الإسلامى، وأنها أطلقت للتقليل من شأن هذا التحول الجذرى فى عمق المجتمع العربى[٦].

---

(١) روجيه جارودى، (الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها)، تعريب د. خليل أحمد خليل، باريس: دار عام ألفين، ١٩٩٢، ص١٣.

(٢) يوسف القرضاوى (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف)، الدوحة: كتاب الأمة، بدون تاريخ.

(٣) محمد أحمد خلف الله، (الصحوة الإسلامية فى مصر) فى الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ص٣٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) محمد الغزالى، (تعقيب) فى المرجع السابق، ص١٠٠.

(٦) مصطفى الفيلالى، (الصحوة الدينية الإسلامية: خصائصها - أطوارها - مستقبلها) فى المرجع السابق، ص٣٣٩.

أما المصطلح الثالث والذى وضعه أحد الكتاب الإسلاميين عنوانًا لأحد كتبه فهو: «المد الإسلامى»[1]، ويرى الباحث أن هذا المصطلح هو أقرب المصطلحات لوصف الظاهرة، حيث تقلب تاريخ العمل الإسلامى بين مد وجزر، وقوة وضعف، وانتشار وانحسار، كما أن هذا المصطلح يحمل معنى الحديث النبوى الشريف: «يبعث الله لهذه الأمة كل مائة عام من يجدد لها دينها»[2]

على أية حال، فقد يرد أى مصطلح من تلك المصطلحات منسوبًا لقائله ليدل على ذات الظاهرة، مع أن الباحث سيركز على استخدام مصطلح «المد الإسلامى»، كما سيستخدم مصطلح «الحركة الإسلامية» حيث تدل فى كثير من المواضع على توصيف ما نذهب إليه.

تعريف الظاهرة:

تعددت وتنوعت محاولات تعريف ظاهرة المد الإسلامى، فهى عند البعض تعبير عن الأصالة والتعرف على الهوية مقابل الواقع الإسلامى المتفسخ إزاء الهجمة الثقافية الغربية التى تهدد شخصية الأمة وهويتها، فهى «تعبير عن أصالة ثقافية»، والتى هى ظاهرة إثبات الذات[3]، ويرى البعض أنها «حركة أصولية تعتصم بالكتاب والسنة .. تجديدية تقدر الفجوة الهائلة التى وقعت نتيجة الخمول المتطاول»[4].

وهناك من يرى أنها «جزء من ظاهرة عالمية نعيشها .. فقد حملت الثورة الصناعية بالإضافة إلى بذور الثقة المطلقة بالعقل، بذور قلق لا حدود له أصاب العقول والنفوس، لذلك بدأت تلوح فى الأفق بشائر حنين جديد إلى السكينة الضائعة»[5]، ويتفق مع هذا الرأى باحث أمريكى متخصص فى شئون الشرق الأوسط، حينما يذهب إلى أن «ظاهرة الإحياء الإسلامى هى جزء من عملية إحياء دينى عالمية منتشرة على نطاق المعمورة».[6]

---

(١) أنور الجندى، (المد الإسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر)، القاهرة: دار الاعتصام، دون تاريخ.

(٢) رواه أبو داود فى سننه.

(٣) Haddad, (Contemporary Islam and The Challenge of History) New York : State University Press, 1982, p.20.

(٤) عبدالله النفيسى، «مستقبل الصحوة الإسلامية» فى (الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى)، مرجع سابق، ص٣٢٣.

(٥) أحمد كمال أبو المجد، (حوار لا مواجهة - دراسة حول الإسلام والعصر)، الكويت: كتاب العربى، العدد السابع، ١٩٨٥ ص١٨٣.

(٦) لويس كانتورى، (المحافظة والتقدم فى مصر: الإحياء الإسلامى)، مجلة (قراءات سياسية) (فلوريدا - أمريكا) السنة الثالثة، العدد الثانى، ربيع ١٩٩٣، ص٨.

ويذهب أحد الكتاب الإسلاميين إلى أنها «تجديد وامتداد لسلفية أصولية انبلجت في القرن الماضي ، وتقوم على الربط بين الإصلاح الديني والإصلاح السياسي ، فهي سلفية جديدة ذات مضمون وطني ليبرالي ، امتزجت فيها الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية» [١]، ويذهب بعض الكتاب إلى اعتبارها «ظاهرة إسلام مناضل»[٢] ترتفع إلى مرتبة «الثورة الإسلامية» [٣]، وظاهرة الصحوة الإسلامية «تملك نصيبها من المبادرة في حاضر المجتمع العربي ، بل تقفز إلى المرتبة الأولى في صنع التاريخ ، وتحتل الصدارة من بين العوامل الكبرى، كما حدث في مصر عند مقتل السادات»[٤].

أما الكتاب العلمانيون فإن المد الإسلامي عند بعضهم «مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعي لدى الجماهير» كما أنه «تعبير عن الهزيمة الكاملة في المنطقة» [٥]، وهو عند البعض الآخر «حركة تاريخية نكوصية ، تنشأ في إطار عقيدة معينة ، وترمي إلى تحقيق المشروع الاجتماعي لهذه العقيدة، بالعودة إلى أصولها حلاً لأزمة معينة [٦].

عموماً وبعد استعراضنا لمختلف التعريفات التي وضعها مؤيدون أو معادون أو محايدون ، يحاول الباحث أن يضع تعريفاً للظاهرة باعتبار أنها حركة شمول واقعية تحاول أن تؤمن أهداف الدين في مجال العلم والاقتصاد والسلوك والاجتماع والسياسة ، وهي حركة سلفية من حيث الاستناد إلى الأصول ، وتجديدية في محاولتها لتطبيق الإسلام في واقع عصرنا المتجدد ، وهي حركة نضالية تهدف إلى إقامة الدين في كل نواحي الحياة .

مفاهيم «العلمانية» و«الحداثة» :

يواجه الباحث في ظاهرة الصحوة الإسلامية في المنطقة العربية عدداً من المصطلحات والمفاهيم الأساسية ويجد أن من أهم هذه المصطلحات «العلمانية» و «الحداثة» ولعل النظر في هذه المفاهيم من خلال وجهتي النظر المتعارضتين يساعد في الاقتراب من تجلية هذه المفاهيم وتوضيحها .

---

(١) مصطفى الفيلالي، مرجع سابق، ص٣٣٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محمد أحمد خلف الله، مرجع سابق، ص٤٠.

(٤) مصطفى الفيلالي، مرجع سابق، ص٣٨٠.

(٥) فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص١٥.

(٦) ناصيف نصار، «إشارات تمهيدية في نقد الأصولية» في مجلة (معلومات) : ملف مستقبل الأصولية في العالم العربي، بيروت: المركز العربي للمعلومات، عدد ٣، مايو / آيار ١٩٩٣م، ص١٨

(أ) الكُتّاب العلمانيون :

لقد توافرت عدة عوامل لبروز هذه المفاهيم في منطقتنا ، وظهور دعاتها الذين يطالبون بتبني «العلمانية» و«التحديث» ، ومن أهم هذه العوامل وقوع العالم العربي تحت السيطرة الأوربية ، وتعمق شعور النخبة المثقفة باتساع الهوة بين بلادنا في تخلفها ، وبين أوربا في نهضتها ومدنيتها ، وكان للغزو الثقافي الأجنبي أثره على الكثيرين ، حيث سادت المناهج الغربية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية والنقد الأدبي .

وهكذا برزت في بلادنا العربية الدعوات المتحمسة للتغريب والمطالبة بمواكبة العصر ، والدعوة للحداثة ، وفصل الدين عن الدولة ، وقد لخص تلك المفاهيم الدكتور طه حسين عندما قال : «لنتعلم كما يتعلم الأوربي ، ولنشعر كما يشعر الأوربي ، ثم لنعمل كما يعمل الأوربي ونعرف الحياة كما يعرفها» (١).

وكانت صدمة النكبة وقيام إسرائيل وهزيمة الليبرالية العربية التي كانت سائدة في ذلك الوقت لتنعش بعدها الدعوات القومية واليسارية والماركسية ، وكانت هزيمة ١٩٦٧ هزيمة أخرى ولكنها هذه المرة للدعوات التقدمية والاشتراكية ، فخرجت أصوات معبرة عن اكتمال الهزيمة أمام النموذج الغربي ، يقول ميخائيل نعيمة : «إن على العرب إن أرادوا استعادة الحقوق وصيانة الأوطان أن يتعبدوا للعلم والمال ، لعل العلم والمال لا يخذلانهم حيث خذلهم ربهم»(٢)، ويقرر كاتب ماركسي أن الهزيمة جاءت نتيجة للتقليدية التي تنتمي إلى أطوار البداوة والزراعة والمتعلقة بالغيبيات(٣)، وينسى هؤلاء أن الأنظمة التقدمية هي التي حاربت في عام ١٩٦٧ ، كما ترتفع الأصوات مطالبة بفصل الدين عن الدولة (وكأن الواقع خلاف ذلك) ومجاراة العصر الذى نعيش فيه ، نجاريه في نظم العيش والفكر ونتكلم لغته .. وهذا لن يتحقق إلا بفصل الدولة عن التنظيم الديني فصلاً مطلقًا»(٤).

ولعلنا نكتفي أخيراً بأن نورد نصًا لكاتب علماني كبير هو أشبه بالاعتراف، يقول د. زكي نجيب محمود : «كاتب هذه الصفحات واحد من ألوف المثقفين العرب ، الذين فتحت عيونهم على فكر أوربي - قديم أو جديد - حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذى لا فكر سواه ، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه ، ولبثت هذه الحال

---

(١) طه حسين، (مستقبل الثقافة في مصر)، القاهرة: مطبعة المعارف، ١٨٣، ص ص ٤٩-٥٠.

(٢) ميخائيل نعيمة، (مجلة الآداب) (بيروت) ١ / ٧ / ١٩٦٧م، ص٢٢.

(٣) صادق جلال العظم، (النقد الذاتي بعد الهزيمة)، بيروت: دار الطليعة، بدون تاريخ، ص١١٢.

(٤) قسطنطين زريق، (معنى النكبة مجدداً)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨، ص٢٢.

مع كاتب هذه الصفحات أعوامًا بعد أعوام : الفكر الأوربى دراسته وهو طالب ، والفكر الأوربى تدريسه وهو أستاذ .. وكانت أسماء الأعلام والمذاهب فى التراث العربى لا تجيئه إلا أصداء مفككة متناثرة ، كالأشباح الغامضة يلمحها وهى طافية على أسطر الكاتبين» [١].

(ب) الكتاب الإسلاميون :

أوضح الكتاب الإسلاميون أن الإسلام لا يمانع فى الاستفادة من تجارب الشعوب والثقافات الأخرى ، بل إن هذا سمة الحضارة الإسلامية فى معظم أطوارها ، تؤثر وتتأثر ، والإسلام لا يتناقض مع ما تبدعه الشعوب فى تطورها ، لكنه يشترط أن يستوعبها فى إطاره ، «فلا يمكن لرسالة ما فى عصرنا أن تكون أكثر معاصرة لحاضرنا من الإسلام» ، هذا ما يقرره الفيلسوف الفرنسي المسلم «روجيه جارودى»[٢] ، وهذا ما يذهب إليه أيضًا المفكر رشدى فكار.[٣]

أما المفكر الإسلامي راشد الغنوشي فى دراسته الفذة عن الحداثة ، فيرفض أن تكون للمسلمين مشكلة مع الحداثة ، ولا حتى مع العلمانية بمفهومها الغربى ، ويؤكد «أن اللغة توقعنا فى أخطاء شنيعة ، عندما نقول إن هناك صراعًا فى العالم الإسلامى بين الحداثة والأصولية ، أو بين الديمقراطية والأصولية ، أو بين العلمانية والإسلام ، فالعالم الإسلامى ليس فيه علمانية بالمفهوم الغربى ، ولا حداثة بالمعنى الغربى ، لأن الحداثة والعلمانية فى الغرب ، والديمقراطية فى الغرب ، حررت العقل وحررت الشعب ، وأعطت السلطة للعقل والشعب ، بينما العلمانية المدعاة أو الحداثة .. كانت تسلطًا على إرادة الشعب وابتزاز الأرزاق والإثراء الحرام ، ومنع حرية الصحافة وتزييف الانتخابات» [٤]

ويجمل الغنوشي الخلاف بيننا وبين النخبة المتغربة والغرب فى «أننا نريد أن ندخل الحداثة بما هى حرية مطلقة للعقل ، ونريد أن ندخل الحداثة بما هى علم وصناعة ، وبما هى ديمقراطية وسيادة للشعب ، ولكن نريد أن ندخلها من بابنا الخاص، وليس من باب فرنسا وليس من باب أمريكا»[٥].

---

(١) زكى نجيب محمود ، (تجديد الفكر العربى) ، بيروت : دار الشروق ، ط٧ ، ١٩٨٢ ، ص٥ .

(٢) الإسلام والمستقبل، الكويت : إصدار اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامية الخامس، ١٩٨٧ ، ص١٢٧ .

(٣) رشدى فكار، فى المرجع السابق، ص٢٧٣ .

(٤) راشد الغنوشي ، «أية حداثة ؟ ليس مشكلنا مع الحداثة» ، (قراءات سياسية) ، (فلوريدا) ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، خريف ١٩٩٢ ، ص ص ١٢٨-١٢٩ .

(٥) المرجع السابق .

المبحث الثانى
المد الإسلامى والعمل السياسى

الأسباب العامة للمد الإسلامى :

وهى تلك العوامل العامة والمشتركة التى أثرت فى جميع البلدان الإسلامية، ومنها فلسطين، ولقد تضافرت هذه العوامل لتساهم فى تعزيز المد الإسلامى، وهى وإن تنوعت فى درجة تأثيرها إلا أنها مجتمعة قامت بدورها فى التهيئة والتحضير والإسناد للمد الإسلامى العام .

(أ) فشل المشروع العلمانى :

إن محاولات التغريب الفكرية والثقافية ، بالإضافة إلى محاولات فرض الأيديولوجيات المستوردة ، وما خلفته من أزمات فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية تثقل كاهل إنسان عالمنا العربى والإسلامى، كانت سببًا جوهريًا للبحث عن الذات والهوية والتمسك بالإسلام، فقد جُربت كل الأيديولوجيات فى أكثر من نصف قرن، وانتهت بالفشل التام، «فالصحوة العارمة هى بمثابة رد فعل للأزمة. الصحوة مقياس لفشل المذاهب العلمانية المتعددة، التى حاول دعاة التحديث فرضها» [1] ، لقد أخذت كل التيارات القومية واليسارية والليبرالية والمحافظة فرصتها كاملة ، ولعل هزيمة عام ١٩٦٧ ، كانت الإعلان الصارخ عن هذا الفشل .

(ب) هزيمة يونيو ١٩٦٧ :

وعلى الرغم من أن الهزيمة كانت نتيجة لفشل وأزمة الأيديولوجيات القومية واليسارية ، إلا أنها لأهميتها وما فعلته فى نفسية المواطن العربى ، تستحق أن تكون عاملاً منفصلاً ، لقد اصطلح على أن الإحياء يبدأ بالصدمة المجتمعية ، التى حدثت كنتيجة لهزيمة مصر وسوريا على يد الجيش الإسرائيلى عام ١٩٦٧ .. فقد نُظر للهزيمة نظرة تقليدية على أنها كانت كارثة أرادها الله تذكرة وعقابًا للمصريين لإعراضهم عن واجباتهم الدينية [2]، لقد ولدت

---

(١) أنور الجندى، مرجع سابق، ص٨.

(٢) لويس كانتورى، مرجع سابق، ص١٣.

الهزيمة تساؤلات عديدة في ذهن المواطن العربى ، اضطر فيها أن يراجع كل ما روج على أنه مسلمات فكرية وسياسية لعقود طويلة .

(جـ) أحداث سياسية كبرى :

لقد برزت فى هذه المرحلة أحداث كبرى ساعدت وشجعت المد الإسلامى سواء ببعث الأمل والثقة بالنصر أو بالأسى والخيبة لتكون حافزاً على التصدى . ولقد كان من أهم الأحداث التى بعثت الأمل وحركت الوجدان ، انتصار الثورة الإسلامية فى إيران ، وصمود الأفغان أمام إحدى القوتين العظميين ومن ثم تحقيق الانتصار ، كما كان لانتصار الحركة الإسلامية فى السودان وصمودها فى وجه التحديات أبعد الأثر فى بث الأمل بإمكانية النجاح، ولعل انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية كان له أعمق الأثر فى شحذ الوجدان الإسلامى وبث الثقة فى نفوس العاملين للإسلام .

ومن جهة أخرى فإن اتفاقية «كامب ديفيد» وما مثلته من مرارة وخذلان ، ومن بعدها مؤتمر مدريد ، واتفاقيات الصلح مع إسرائيل ، وتلك المجازر التى راح ضحيتها الآلاف من مسلمى البوسنة ، سيكون لها الأثر الفعال فى تزايد الاقتناع لدى قطاع كبير من الشباب بأنه ليس أمام هذه الأمة سوى التمسك بالإسلام .

(د) المعاناة والجهد الذى بذلته الحركة الإسلامية :

لقد كان لمسيرة الحركة الإسلامية وتمسكها بالراية رغم كل الملاحقات والسجون والتعذيب ، أثر مهم فى بروز الصحوة الإسلامية التى بشر بها كتاب الحركة الإسلامية وقادتها ودفع بعضهم حياتهم ثمناً لذلك ، ويقول المرشد الروحى لجماعة «حزب الله» : «إننى أعتقد بأن الحركة الإسلامية عندما تواجه هذا الصراع فإنها تكتسب قوة أكثر لأنها تتجذر فى وعي الشعب أكثر عندما يعيش الشعب آلامها وجراحها ومشاكلها فيما يعيشه من آلام وجراح»[1] ويضيف : «إننى أتصور أن الإسلاميين فى معاناتهم التى يعيشونها يستطيعون أن يجدوا الكثير من مواقع القوة»[2]

(هـ) الضائقة الاقتصادية وفشل التنمية :

يكاد يجمع خصوم المد الإسلامى على اختلاف توجهاتهم على أن الضائقة الاقتصادية

---

(١) محمد حسين فضل الله، «مقابلة صحفية» فى (مجلة معلومات) ، مرجع سابق، ص٧.

(٢) المرجع السابق، ص٨.

ومشاكل التنمية هي الدافع الأساسي للمد الإسلامي ، ويقول أحدهم : «إن القوة الحقيقية للحركات الإسلامية قد نتجت عن فشل الدولة فى تحقيق وعودها فى مجالات التعليم والتمدن»[1] وعليه فقد شاع لدى خصوم المد الإسلامي والمخططين لمواجهته أن حل المشكلة الاقتصادية ، وإيجاد فرص العمل فى المنطقتين العربية والإسلامية ، هو الكفيل بمحاصرة المد الإسلامي وإضعافه ، وهم كثيراً ما يقررون أن شباب الحركة الإسلامية هم فى معظمهم من الطبقات الكادحة ، ومن النازحين من الريف إلى المدينة ، يقول أحد الكتاب : «مالم يعثر على حل للمشاكل الداخلية (ولاسيما الاجتماعية والاقتصادية) فى كثير من الدول الإسلامية فستظل الاتجاهات الإسلامية ، حتى المتطرفة منها تحظى بتقبل عميق وواسع النطاق لدى جماهير هذه الدول» .. ويسوق الكاتب الأجنبى نفسه عبارة لمسئول جزائرى خلال أزمة ١٩٩١م فى بلاده وهى «إن الطريقة الأفضل التى تستطيع أوربا من خلالها التغلب على «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» فى الجزائر حسب رأيه ، هى طرح خطة لإيجاد فرص عمل للملايين من الشباب العاطلين»[2] ويرى الباحث ضعف الآراء لأسباب مختلفة ، فالكثير من هؤلاء الكتاب كان يرى أن الفقر ، وتعاظم الهوة بين الطبقات المسحوقة والطبقة الغنية هو الحاضن الأساسى لنمو التيارات اليسارية والتقدمية ، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الكتاب سيرهقون أنفسهم فى تفسير ظاهرة المد الإسلامى فى الدول الغنية كدول الخليج العربى وماليزيا وكذلك فى صفوف الجاليات الإسلامية فى دول الغرب .

إلا أن الباحث يوافق على أن الضائقة الاقتصادية وسوء توزيع الثروة يعتبر أحد العوامل فى نمو المد الإسلامى من حيث هى عرض لا مرض ، بمعنى أن المشكلة الاقتصادية ليست فى حد ذاتها سبباً إلا بقدر ما تكشفه من أدلة تؤكد العامل الأساسى وهو فشل الأيديولوجيات والنظم الحاكمة ببرامجها وسياساتها البعيدة عن منهج الإسلام .

(و) تعاظم القوة الاقتصادية فى الدول النفطية :

يعزو بعض الباحثين انتشار المد الإسلامى فى منطقتنا العربية وخاصة فى كل من مصر وفلسطين إلى الازدياد الهائل فى مدخولات الدول النفطية ، وخاصة السعودية ودول الخليج

---

(١) Nazih Ayubi, (Political Islam: Religion and Politics in the Arab World) London: Routeldge,1991. p.162.

(٢) فرد هاليداى، مرجع سابق، ص١٨ .

فـي أعقـاب حـرب أكتـوبر ١٩٧٣ .. حيث يزعـم البـعض أن الدول النفطية قـامت بمسـاعدة الحـركـات الإسـلامـيـة ومـدهـا بالأمـوال ، ويقـرر أحـد الكـتـاب أن «الثـروة النـفطـيـة» أسـهـمت في ازدياد نفـوذ الدول النـفطيـة وخـاصـة دول الخليج والسـعودية ذات التـوجـه الإسلامي ، في مواجهة الدول العربية الأخرى ، وبالتالي طرأ التحسن على وضع الحركات الإسلامية في المنطقة العربية التي تمتعت بدعم وحماية الدول النفطية أو جهات إسلامية في هذه الدول.[١]

ولسنا بحاجة إلى جهد كبير في إبراز ضعف وتهالك هذه المقولة ، خاصة إذا ما عرفنا أنه فـي تـلك الفـترة ، لـم تعد هناك الدولة القومية التقدمية ، حتى تواجهها الدول النفطية ، بـل ظهـرت دولـة الانفـتـاح الاقـتـصـادي ، والعلاقـات الحـمـيـمـة مـع الغـرب ، وتسـارعت عـمـلـيـة الاتفـاقـيـات السـلـمـيـة مـع «إسـرائيل» ، بل إن مـعظـم مـسـاعـدات الدول النفطـيـة ذهـبت إلى الأنظمـة التـي كـانت تـوصـف بالتـقـدمـيـة ، ثم كـيـف يقـحم الكـاتب «التـوجـه الإسلامي للـدول النفطـيـة» وهـو إن كـان فـي حدود وصـور معـينة ، إلا أنه يختـلف جذريًا عن توجهات الحركة الإسلامية والمد الإسلامي العام ، ولعل الكاتب وفي نهاية فقرته وتمشيًا مع الصفة الأكاديمية للبحث يورد عبارة لا نختلف معه فيها ، فإن جـهات إسلامية في هذه الـدول وشـخصـيات إسـلامـيـة مضـافًا إليها الجمهور الإسلامي الذي ازداد غنى ، ساهم فعلاً فـي دعـم العـمـل الإسـلامي الدعـوي والخيري وليس السـيـاسي مما أتاح أرضية طيبة لتصاعد المد الإسلامي .

الأسباب الخاصة بالمد الإسلامي في فلسطين :

(أ) طبيعة الصراع في فلسطين :

على الرغم من كثرة ما قيل عن تأسيس إسرائيل لتكون مخلب قط للاستعمار وقاعدة متقدمة للغرب الإمـبريالي ، تحول دون التقدم والقوة للأمة العربية وتفسح المجال لاستغلال الثروات العربية والإسلامية ، فإن المواطن الفلسطيني والعربي والمسلم يرى في هذه الدولة المصطنعة اعتداء أساسيًا على دينه وتاريخه وهويته ، فقد تسمت هذه الدولة بإسرائيل ذات الدلالة اليهودية وجعلت علمها نجمة داود ، وكان مبرر وجودها الأساسي مقولة «شعب الله المختار» والوعد الإلهي لهم بأرض فلسطين ، وأحيت من الرميم لغة ماتت هي اللغة العبرية ،

---

(١) زياد أبو عمرو ، (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة) ، مرجع سابق ، ص٣٠ .

وبها ترجمت أسماء المدن والشوارع ، وزيفت التاريخ ، فالعامل الدينى هو العامل الواضح فى تأسيس الدولة وسلوكها وغايتها .

من هنا كان على العرب والمسلمين وفى مقدمتهم شعب فلسطين أن يجدوا فى الإسلام بشموله ، وبدرس التاريخ الذى يؤكد قدرة الإسلام على مواجهة الصهيونية ، كما واجه الحملة الصليبية - الحل الحاسم لمشاكلهم ، وكلما وهنت وضعفت التأثيرات الأخرى التى جاءت بها العلمانية والتيارات الأيديولوجية الأخرى كلما برز الإسلام كأيديولوجية وحيدة وسلاح فعّال فى المواجهة .

(ب) موقع فلسطين الجغرافى والروحى والسياسى :

لما كانت فلسطين تقع فى قلب العالمين العربى والإسلامى ، ولما كانت تحتل المكانة الروحية المتميزة فى قلوب المسلمين والمسيحيين العرب ، ولما كانت الهجمة الغربية الصهيونية ضد الأمة تكون فى أكثر حالاتها وضوحًا فى فلسطين ، فإن تأثر فلسطين شعبًا وقضية بالعوامل الخارجية التى ساندت المد الإسلامى فى عموم الأقطار الإسلامية يسبق غيرها من البلدان من حيث السرعة والكثافة ، فمقتل السادات على أيدى الإسلاميين يشكل دعمًا ومددًا للحركات الإسلامية فى كل مكان ، لكنه فى فلسطين يكون أثره أكبر من حيث إن السادات هو رمز « كامب ديفيد » والصلح مع اليهود والتخلى عن آمال الفلسطينيين . كما أن مقتل الحاخام المتطرف مائير كاهانا على يد إسلامى آخر يعطى الفلسطينيين ثقة أعمق بالإسلام والإسلاميين . وإذا كان انتصار الثورة الإسلامية فى إيران وسقوط حكم الشاه يعطى الأمل ويشحذ العزيمة لدى الإسلاميين فى كل مكان فإنه فى فلسطين يكون أعمق أثرًا ، حيث أطاحت الثورة بصديق إسرائيل وأعلنت عن هدفها بتحرير القدس الشريف .

نخلص إلى القول إن العوامل التى ساعدت فى بروز المد الإسلامى فى جميع الأقطار تجد فى فلسطين قابلية زائدة بفعل خصوصية فلسطين وطبيعة الصراع فيها .

(جـ) التعصب الدينى اليهودى :

لعل التعصب الدينى فى إسرائيل هو أكثر أنواع التعصب وضوحًا وتأثيرًا فى المجتمع وفى دوائر صنع القرار السياسى ، فبالإضافة إلى أن الدولة كلها نتيجة وثمرة ودليل على التعصب الدينى والعنصرى ، فإن هناك جماعات متطرفة برزت إلى السطح فى هذه الفترة مثل جماعة

«غوش إيمونيم» وحركة «كاخ» و«موليدت» وغيرها ، وكلها ساعدت فى ازدياد عملية الاستيطان فى أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبرزت دعوات «الترانسفير» أى الترحيل الجماعى للعرب بهدف إبقاء الدولة اليهودية خالصة لليهود . وظهرت جماعة «أمناء الهيكل» الذين دعوا إلى هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه ... ورافق ذلك صعود اليمين المتطرف إلى قمة السلطة عام ١٩٧٧ ممثلاً بالليكود بزعامة مناحيم بيغن الذى ظل فى المعارضة ثلاثين سنة ، مما ساهم فى التأثير المتبادل بين اليمين المتطرف والحركات الدينية المتعصبة وتخلل ذلك كله الاعتداءات على الأماكن المقدسة فى القدس والخليل ومحاولة إحراق المسجد الأقصى .

ولسنا فى حاجة للتدليل على ما فى ذلك كله من أسباب لدفع المواطن الفلسطينى للعودة إلى الإسلام ومناصرته والانضواء تحت حركته.

(د) وحدة الشعب ووحدة الأرض :

منذ نكبة ١٩٤٨ والشعب الفلسطينى يعانى التجزئة المفروضة عليه شعبًا وأرضًا ، ولذلك كان من أهم آثار هزيمة ١٩٦٧ أن وجد الشعب الفلسطينى نفسه لأول مرة موحداً ، على أرض واحدة، فيما يسمى بالضفة الغربية وقطاع غزة وعرب إسرائيل ، وحدث التواصل لأول مرة بين أجزاء الشعب والوطن التى كانت منقسمة إلى ثلاثة أجزاء تحت ظروف وسلطات مختلفة ، مما جعل للشعب ظروفًا فكرية وسياسية واقتصادية ونضالية واحدة ، ومما ساعد على رفع الوصاية العربية المباشرة التى مارستها السلطة العربية على مجتمع فلسطينى واحد ، وكذلك ساعد ذلك فى جعل الأسباب الداخلية الخاصة بفلسطين تعمل عملها فى المجتمع الفلسطينى الموحد تحت الاحتلال.

(هـ) انحسار قوة ونفوذ منظمة التحرير الفلسطينية :

لقد كان للعملية الصهيونية فى ضرب منظمة التحرير وقواتها فى لبنان ، ومن ثم تشتيت قوى منظمة التحرير ومؤسساتها بعيداً عن فلسطين بآلاف الأميال فى تونس وغيرها الأثر الكبير فى وجدان الشعب الفلسطينى فى كل مكان ، وخاصة أولئك المتواجدين تحت الاحتلال . فبينما ظل الفلسطينيون سنوات طويلة فى انتظار المنقذ العربى الثورى الناصرى ، يعيشون على أمل أن تحرر الجيوش الوطنية بلادهم ، ورغم أنهم أصيبوا بالخيبة فى هزيمة ١٩٦٧ ، إلا أنهم عادوا ينتظرون صورة المخلص فى حركة المقاومة الفلسطينية من الأردن

ولبنان ، وكانت عملية بيروت وهزيمة منظمة التحرير العسكرية ، وما تبعها بعد ذلك من هزائم وتنازلات سياسية ، خيبة أمل أكبر ، وكأن البحث بدأ بقوة يتجه إلى القوة الكامنة فى المجتمع الفلسطينى تحت الاحتلال ، مما كان سببًا فى تزايد المد الإسلامى ، وسببًا فى الانتفاضة الكبرى ، «وإن انتشار نفوذ الحركة الإسلامية تناسب عكسيًا مع أنتشار نفوذ حركة المقاومة الفلسطينية فى الداخل والخارج . . لقد كان من أهم عوامل الانتشار تلك الإخفاقات التى مُنيت بها منظمة التحرير الفلسطينية»[1] .

ولعل هذا العامل الخاص يندرج تحت العنوان العام من فشل الأنظمة العربية فى تقديم الحلول لمواطنيها ، وفشل العلمانية فى مواجهة التحديات الأجنبية .

(و) أزمة الاتجاه الوطنى (التنظيمية والسياسية) :

يعزو بعض الكتاب اليساريين نمو الاتجاهات الإسلامية فى الساحة الفلسطينية إلى الأزمة التنظيمية داخل منظمة التحرير ، حيث كثر الحديث فى مرحلة ما بعد بيروت عن البيروقراطية داخل مؤسسات المنظمة ، وغياب الديمقراطية والفساد المالى وغير ذلك ، تقول مجلة الفكر الديمقراطى : «إن المشاكل التنظيمية والسياسية فى الداخل والخارج كانت أحد الأسباب الرئيسية فى نمو التيارات الدينية غير العقلانية ، وقد بدأ نمو هذه التيارات ، بالضبط ، فى اللحظة التى بدأ فيها الجهاز البيروقراطى فى «م . ت . ف .» يتشكل ويكتمل إلى ما بعد منتصف الثمانينيات» [2] ومع أننا لا نختلف كثيراً مع هذا الرأى ، إلا أننا نضيف عاملاً أهم ، ألا وهو الأزمة الفكرية والسياسية التى عصفت بالاتجاه الوطنى كله ممثلاً فى (م . ت . ف .) على وجه الخصوص ، مما أدى إلى تراجعات سياسية ومبدئية فى الثوابت الفلسطينية الوطنية نفسها من اعتراف بقرار ٢٤٢ إلى الاعتراف بإسرائيل إلى مباحثات مدريد إلى اتفاق أوسلو والحكم الذاتى .

(ز) الإسلاميون يخدمون المجتمع :

قامت الحركة الإسلامية فى فلسطين بنشاط اجتماعى واسع انعكست آثاره على أوساط كبيرة من الشعب الفلسطينى، ففى السبعينيات والثمانينيات انتشرت المستوصفات الإسلامية والجمعيات الخيرية ولجان الزكاة، والتى جعلت صورة الإسلاميين فى أذهان الناس

---

(١) المرجع السابق، ص١٢ .

(٢) زكريا محمد، «الانتفاضة والإصلاح التنظيمى فى م . ت . ف»، (مجلة الفكر الديمقراطى) (نيقوسيا) عدد ٥، شتاء ١٩٨٩، ص٣٠ .

قريبة ومحببة، وأعطت المثل على القدوة الحسنة وعدم المحاباة والاستنفاع الذى شاع فى الأوساط الوطنية. انظر ما يقوله أحد الباحثين الوطنيين: «ابتدأ الكثير من الفلسطينيين، ولاسيما من عامة الشعب، يجد فى مؤسسات حماس، متنفسًا للحصول على الخدمة والرعاية غير الممزوجة بالفئوية والتناحر السياسي أو الاستعلاء العقائدى أو التكسب والارتزاق المستشرى فى الظاهرة «الدكاكينية» الملازمة للكثير من المؤسسات الوطنية، وباختصار أعطت حماس بمؤسساتها الخدمية مثالاً حيًا على ترجمة الفكر إلى وعى وعمل ملتزم»(١)

(ح) الدعم الخارجى :

لقد ورد هذا العامل كثيراً فى كتابات خصوم الحركة الإسلامية فى فلسطين، ويقصد به تشويه الحركة، فهم يشيرون إلى الدعم السعودى والأردنى، وقد سبقت الإشارة إلى الدول النفطية ومساعدتها للحركات الإسلامية فى مصر، كما كثر ذلك فى المقالات الصحفية، أما فى الدراسات والبحوث فقد جاءت الإشارات واضحة أحيانًا فى الحديث عن «المساعدات المالية التى تلقتها الحركة من مصادر تمويل عربية محافظة، كانت تهتم بإيجاد توازنات سياسية داخل الساحة العربية والفلسطينية»(٢). وجاءت بعض الإشارات أحيانًا تحمل الصحيح إلى جانب الخطأ، وعلى سبيل المثال ما يقوله كاتب آخر عن «الدعم الذى حظيت به الحركة من شرائح اجتماعية متنفذة ومن جهات عربية، وكذلك من الحركات الإسلامية المتواجدة فى دول أخرى» (٣).

وعند فحص مثل هذه الأقوال، نقول أن حكومة الأردن حينما تعطى الرواتب إلى موظفى الأوقاف فى الضفة الغربية لأسباب أردنية، فإنه لا يمكن تفسير ذلك على أنه دعم للحركة الإسلامية أما بالنسبة للسعودية ودول الخليج العربى فإنه وللحقيقة فإن كثيراً من المشروعات الخيرية قامت بفعل أموال أهل الخير من المسلمين الذين تبرعوا بها إلى المؤسسات، وإلى أموال كثير من المسلمين الفلسطينيين الذين يعملون فى هذه البلدان. وحينما تتهم الحركة

---

(١) على الجرباوى، «حماس - مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية»، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣، ص٧٥.

(٢) إياد برغوثى، (الأسلمة والسياسة فى الأراضى المحتلة)، القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، ١٩٩٠، ص ص٤٢-٤٦.

(٣) على الجرباوى، (الانتفاضة والقيادات السياسية..)، مرجع سابق، ص١٣.

الإسلامية بتلقى الأموال من حكومات الخليج والسعودية فإن هذا يعنى حرمة هذه الأموال ، مع أن مروجي هذه الاتهامات التى لا تستند لدليل يعرفون أن أموال منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح خاصة كانت معظمها من هذه الدول .

(ط) موقف سلطات الاحتلال :

يبرز هذا العامل كثيراً فى كتابات خصوم الحركة الإسلامية ، ويكاد يظهر فى كل بحث كتب عن الظاهرة الإسلامية فى الأرض المحتلة ، بحجة أن السلطات الصهيونية تغاضت عن النشاط الإسلامى لتضعف نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية (نفس المقولة التى رددت فى مصر عن تشجيع السادات للنشاط الإسلامى) ، وتتصاعد وتيرة الاتهام فى المقالات الصحفية والمنشورات الحزبية لتتهم حماس أنها من صناعة الموساد . انظر ما يقوله أحد الكتاب حينما يبدى التحفظ الظاهرى على هذه المقولة بنسبتها إلى الآخرين : «يعتقد البعض أن موقف سلطات الاحتلال الإسرائيلى من الحركة الإسلامية ساعد بدوره على امتداد نفوذ هذه الحركة». لكنه يسرع فيضيف قائلاً : «ولكن الوقائع أثبتت خطأ الحسابات الإسرائيلية بدليل الانتفاضة» [1]، فكأنه فى عبارته الأخيرة والتى تنصف فى ظاهرها الحركة الإسلامية يؤكد عبارته السابقة التى نسبها للآخرين ، وانظر أيضًا ما يقوله كاتب آخر ، فى معرض حديثه عن أسباب انتشار الحركة الإسلامية فى فلسطين ، «كذلك غض الطرف الإسرائيلى عن نشاطاتها (حماس) فى محاولة إسرائيلية مكشوفة لتطبيق نظرية «فَرِّق تَسُد» على الفلسطينيين»[2].

وإذا أردنا أن نفحص هذه الفكرة بموضوعية فإننا نستطيع أن نحورها بصورة عملية غير اتهامية وتكون مقبولة ، نستطيع أن نقول أن الحركة الإسلامية داخل فلسطين استطاعت أن تستفيد من واقع الأرض المحتلة ومن طبيعة السلوك الاحتلالى الصهيونى الذى انشغل بالمسألة الأمنية ، وركز على ملاحقة الجماعات المسلحة ، ولم يكن ينظر بعين الخطر تجاه العمل الاجتماعى والثقافى ، أو أنه على الأصح كان يؤخر ذلك ، ويضع فى سلم أولوياته محاصرة العمل العسكرى والعمل السياسى السرى .. فقد أتاحت هذه المنهجية الإسرائيلية لكثير من المؤسسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية أن تعمل بصورة علنية حتى فى مجال السياسة .

---

(١) زياد أبو عمرو ، مرجع سابق ، ص١٣ .

(٢) إياد برغوثى ، ص٤٤ .

وليس أدل على ذلك من السماح لجريدة «الفجر» بالصدور في القدس مع أنها تعبر عن وجهة نظر المنظمة وتمول منها ، وكذلك وجود وعمل مؤسسة الهلال الأحمر الفلسطيني في غزة ، وكثير من الجامعات الفلسطينية في الداخل التي تشرف عليها منظمة التحرير ، بل إعطاء تصريح رسمي لمنظمة «الشبيبة» وهو الاسم «القانوني» الذي عملت به حركة فتح في الأرض المحتلة . ألا يمكن بذلك تفسير إعطاء تصريح للمجمع الإسلامي بالعمل سنة ١٩٧٩ في المجالات التربوية والاجتماعية وغير السياسية بأنه جزء من هذا الواقع العام الذي استفادت منه الحركة الإسلامية كغيرها ، لكنها تفوقت فقط بما للمد الإسلامي من انتشار عام ، وما للعلمانية والاتجاهات غير الإسلامية من إخفاق عام .

وبنفس الطريقة يمكن الرد على موضوع الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي ، حيث يقول أحد الباحثين : «تشير بعض المصادر إلي أن السلطات الإسرائيلية سمحت بانتشار الأدبيات الإسلامية ، من كتب ودوريات ومجلات ، على الرغم مما احتوته من مواد معادية لإسرائيل»[1] . ومع أن هذا الكلام صحيح ، إلا أنه ليس الحقيقة بكاملها ، فالكتب الوطنية والقومية واليسارية كانت تملأ المكتبات ومنذ زمن بعيد ، وزيادة على ذلك ، فإن معتقلي حركة فتح والجبهة الشعبية أو الجبهة الديمقراطية أو قوات التحرير الشعبية ، كانوا يطالعون الفكر القومي والناصري والماركسي في مكتبة السجن ومنذ بداية الاحتلال[2] .

والواقع أن الحركة الإسلامية في مرحلة الإعداد الفكري والثقافي والنفسي والروحي للمواجهة السياسية والعسكرية ، وجدت إمكانية التحرك التي أتاحتها طبيعة الاحتلال وطريقة تعامله مع الجميع ، كان هذا منهج الاحتلال الذي طبقه على الأرض المحتلة ليخدم أهدافه ، فسلطات الاحتلال كانت تدرك منذ البداية عدم قدرتها على السيطرة على شعب ساخط مكبل ، وكانت تفتح الطريق لمتنفسات اقتصادية أو تعليمية أو سياسية ، وكان همها الأول ملاحقة العمل العسكري ، أو العمل السري بكل أنواعه ، وهل كان يريد خصوم الحركة الإسلامية أن ترخص سلطات الاحتلال بقيام المؤسسات أو تنظيم الندوات أو تداول الكتب العلنية لجميع الاتجاهات ، وتمنع ذلك عن الحركة الإسلامية فقط ؟

---

(١) عبدالقادر ياسين، حماس، حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين، ص٣٧.

(٢) من تجربة المؤلف نفسه في السجن الإسرائيلي في الفترة (١٩٦٨-١٩٧٠).

الحركة الإسلامية والعمل السياسي :

قام بعض الكتاب بإثارة الشكوك حول مقولة «الإسلام دين ودولة» رافضين أن يكون للإسلام نظامه السياسي معتبرينه دينًا يختص بالعبادات والأخلاق الفردية وأنه ما كان في يوم من الأيام ، وما يجب أن يكون أيديولوجية سياسية للأمة في نضالها وكفاحها ولا في نظامها السياسي ، كما أثيرت بعد ذلك الشبهات حول حركة الإخوان المسلمين على أنها حركة تربوية ترمى إلى الإصلاح ولا شأن لها بالسياسة والكفاح ونظام الحكم ، وعلى العكس من ذلك فإننا نجد هناك أصواتًا تقول إن الحركة الإسلامية لا شأن لها بالدين وإنما هي حركة سياسية تتستر بالدين .

(أ) الإسلام والسياسة :

لقد تم إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ ، وكان لصدور كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق سنة ١٩٢٥ صدى واسع ، مما أثار ضجة في الأوساط الثقافية ، وكانت جملة الأفكار الرئيسية للكتاب أن الخلافة ليست من الدين ، ولم ترد مشروعيتها لا في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ، وينفي المؤلف أن يكون للنبي ﷺ أي نوع من الحكم ، ويؤكد أن دوره كان دينيًا فقط ، فالرسول ﷺ لم يكن حاكمًا ، ولم تكن له وظائف سياسية[1] .

ويسير من بعد ذلك أنصار العلمانية على نفس الطريق ، وإن أقر بعضهم بوجود الدولة الإسلامية في فجر الإسلام ، فإنها مرحلة تاريخية لا يجوز ولا يمكن أن تتحقق في عصرنا ، يقول أحد الكتاب : «إن النظام السياسي بعد مرحلة الخلفاء الراشدين وعلى امتداد قرون طويلة هو تراث يحسن بنا إسقاطه في جملته ، لأنه انحاز انحيازًا كاملاً إلى جانب السلطة ضد حقوق الأفراد ، وهو تراث فردي قمعي لا يقر للقانون سيادة ولا يعرف للحقوق حرمة ولا يرعى وجه الله .. فتراثنا في هذا المجال هو في جملته تراث غير مشرف»[2] .

ولعل الحقائق التاريخية وبحوث الكثرة الكاثرة سواء في الغرب أو في الشرق تؤكد

---

(١) محمد الحداد ، «التراث العربي في السياسة» ، (مجلة الوحدة) ، السنة الخامسة ، العدد ٥٢ ، يناير ١٩٨٩م ، ص١١٠ .

(٢) يحيى الجمل ، (النظام السياسي في الحوار القومي الديني) ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٩م . ص٢٤١ .

التجنى الواضح وعدم العلمية فيما سبق من آراء، ولعل بداية التاريخ الهجرى لدى المسلمين ترمز إلى أهمية الدولة والسياسة البالغة لدى الإسلام، يقول كاتب يهودى: «كانت هجرة محمد إلى المدينة هى نقطة البداية للتاريخ الإسلامى، بدأ التقويم الإسلامى بالهجرة لأنه من خلال تعزيز «محمد» لدوره كقائد سياسى فى المدينة ، فقد حقق الإسلام ولأول مرة هدفه بإقامة دولة»[1]، ويورد الكاتب مقالة الأب هوغى Haughey «بالنسبة للمسلم فإن مشيئة الله تتحقق من خلال النظام السياسى»، ويرى الكاتب محمد عمارة أن «موقف الإسلام من المؤسسات موقف أصيل يدل عليه اختيار النقباء الاثنى عشر فى بيعة العقبة»، ويقول: «وإنه على الرغم من بساطة المجتمع وسذاجة البيئة كان انحياز النظام السياسى الإسلامى إلى المؤسسات» [2].

ويورد الشيخ راشد الغنوشى عبارة الإمام الغزالى المشهورة «الدين أس والسلطان حارس، وما لا أساس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع »[3]، ويؤكد أحد الكتاب الإسلاميين على أن «السياسة الشرعية جزء من شريعة الإسلام ، وإقامة الحكم الصالح جزء من رسالته ، وبهذه المقولة ينبغى أن ينتهى الجدل الطويل حول الإسلام والسياسة ، أما ما استدل به البعض أن النبى ﷺ كان نبيًا ورسولاً ، ولم يكن ملكًا ولا رئيس دولة ، فقد فنده العلماء ، ولا تقوم له عند التحقيق العلمى قائمة» [4] .

(ب) الإخوان والسياسة :

لم يحظ هذا الموضوع بإجماع الكتاب ، فهذا يوسف العظم ، المفكر والكاتب الإسلامى وأحد القيادات التاريخية للإخوان المسلمين فى الأردن يقرر: «إن هناك فريقين يهاجمان الإخوان : فريق يقول إن الإخوان لا يعنون إلا بالتربية والأخلاق ولا يعرفون شيئًا عن السياسة، وسلطات مختلفة وأحزاب تقول إن الإخوان لا يفعلون شيئًا إلا أنهم يتدخلون ويعملون فى السياسة»[5]، لعله يقصد بالفريق الأول حزب التحرير

---

(١) رونالد نيتلر، (تجارب ومحن الحاضر - نظرة الإسلام الأصولى لليهود)، ترجمة ماهر عبدالله وجلال جاد الله، لندن: مركز الدراسات المعاصرة، ١٩٩١، ص٧.

(٢) محمد عمارة، الحوار القومى الدينى، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٣) راشد الغنوشى، (محاور إسلامية)، الخرطوم: بيت المعرفة، ١٩٨٩، ص٦٥.

(٤) أحمد كمال أبو المجد، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٥) يوسف العظم، «الإخوان المسلمون» (فى ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر)، البحرين: مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٧، ص٥١٤.

الإسلامى وبعض جماعات الجهاد ، أما الفريق الثانى فهو السلطات الحاكمة والأحزاب العلمانية والثورية .

ولعل قول الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين يكون أبلغ رد يحسم المسألة من البداية ، فهو يقول : «أستطيع أن أجهر في صراحة بأن المسلم لا يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًا بعيد النظر فى شئون أمته مهتمًا بها غيورًا عليها»[1] ، كما أن الواقع التاريخى يؤكد حسم هذه المسألة حيث شارك الإخوان المسلمون فى العمل السياسى فى مصر - قبل ثورة يوليو وبعدها - وفى سوريا والأردن والسودان وتونس وغيرها .

(جـ) الإخوان والوطنية

كانت الحركة الوطنية فى بداية هذا القرن ترتبط بالإسلام ، وكانت الشعوب العربية والإسلامية تخوض معاركها وتكافح الاستعمار تحت راية الإسلام ، وكانت الأمثلة فى حركات عبد القادر الجزائرى فى الجزائر وعبد الكريم الخطابى فى المغرب والإمام المهدى فى السودان وعز الدين القسام بعد ذلك فى فلسطين ، ولم يحدث التعارض الظاهرى إلا عندما ظهرت الحركات الوطنية الحديثة بقيادة من تأثروا بالفكر العلمانى .

ويؤكد الشيخ البنا على وطنية الإخوان المسلمين «على أساس الصورة المشرقة للعمل الوطنى من حب الوطن والحنين إليه والعمل على تحريره وعزته ووحدة أفراده ، بينما يرفض الوطنية التى تؤدى إلى تقسيم الأمة إلى طوائف متناحرة»[2] . ويظهر موقف الإخوان المسلمين واضحًا فى رسالة البنا (دعوتنا فى طور جديد) حينما يقول : «كيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندافع عن مصر بكل ما نستطيع ، وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادى بالإسلام ويهتف بالإسلام !! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون فى سبيل خيره .. معتقدين أنه جزء من الوطن العربى العام ، وأننا حينما نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام»[3] .

---

(١) حسن البنا «الإسلام سياسة وحكم» جريدة (الإخوان المسلمين) ١٩٤٦/٤/١٦ .

(٢) حسن البنا ، «دعوتنا» فى (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا) ، بيروت : المؤسسة الإسلامية للطباعة ، ط٢ ، بدون تاريخ ، ص ص ١٩-٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

المبحث الثالث
الإسلاميون وفلسطين

أهمية فلسطين ومكانتها :

اتفق المسلمون جميعًا وكتابهم وقادتهم على المكانة المتميزة لفلسطين في قلوب المسلمين فهي أرض الإسراء ، وفيها قبور الكثير من الأنبياء ، وبها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وعلى أرضها قامت الحروب التاريخية الضخمة دفاعًا عن الإسلام والمسلمين . فهي عند الإخوان المسلمين «وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الإسلام ، وباعتبارها مهد الأنبياء وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله»[1] . وقد أدرك المسلمون أهمية فلسطين وموقعها في الصراع الدولي وخطر الاستيلاء عليها على جميع بلاد المسلمين .. «فالاستيلاء على العالم فى أية استراتيجية كونية يتطلب الاستيلاء على المنطقة العربية الإسلامية وتقع فلسطين في القلب منها»[2] لذلك يرفض الإسلاميون الاعتراف بإسرائيل والصلح معها ، ويقول الشيخ محمد حسين فضل الله «سنظل نرفض إسرائيل وجودًا ونرفض إسرائيل أمنًا ، ونرفض إسرائيل سياسة ، وسنظل نرفضها حتى لو قبلها العالم كله ، حتى لو لم يبق إلا صوتنا»[3] .

وهكذا فإن انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية ، ومحاولة تفرد أمريكا فى السيطرة على العالم ، وخاصة على منطقتنا ، ما يجعل فلسطين فى المستقبل ساحة الصراع الرئيسية كما يراها الشيخ الغنوشي ، «فقد أصبح واضحًا لنا الآن أن الصراع الدولى يتحرك فى اتجاه استقطاب أكبر حول قضية فلسطين ، حتى أن مناطق الصراع الأخرى أصبحت تبدو صغيرة جدًا بالمقارنة مع منطقة الصراع الحقيقى بين المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى فى القدس .. ففى هذه المنطقة ستجرى معارك مصيرية تشكل مصير العالم والعلاقات الدولية والحضارة الإنسانية»[4] .

---

(١) حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ، مرجع سابق ، ص١٥٠ .

(٢) منير شفيق ، (الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر) ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربى ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص١٠٧ .

(٣) محمد حسين فضل الله ، «مقابلة» مجلة (اليسار العربى) (باريس) عدد ٧١ ، أبريل ١٩٨٥ ، ص٢٠ .

(٤) راشد الغنوشى ، محاور إسلامية ، ص١٧٤ .

التطبيق العملى :

من هذا الفهم لدى الحركة الإسلامية ، سارع الإخوان المسلمون فى تحمل مسئوليتهم تجاه القضية الفلسطينية ، ومنذ البداية من جمع التبرعات ومحاضرات وكلمات ، إلى التعريف بالخطر اليهودى ، حتى توج ذلك بإرسال كتائب المجاهدين إلى أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ من مصر وسوريا والأردن والعراق والسودان وغيرها .. وأصبح معروفًا في التاريخ المعاصر ما بذله الإخوان المسلمون من تضحيات وما قدموه من شهداء وما سطروه من بطولات ، ثم استمرت مجموعات من الإخوان المسلمين فى قطاع غزة بعد النكبة وإلى منتصف الخمسينيات تدخل الأرض المحتلة وتهاجم مواقع اليهود . ولئن كانت الظروف الموضوعية والذاتية قد أبعدت الحركة الإسلامية منذ منتصف الخمسينيات وطول الستينيات عن إسهامها فى مواجهة الصهيونية فإنها سرعان ما حاولت أن تلعب دورها فى الستينيات باشتراكها فى العمل المسلح من أغوار الأردن[1] ، وهكذا وبفعل ظروف الاحتلال ومع إخفاق التيارات المعادية للحركة الإسلامية في المنطقة العربية ، بدأت الحركة الإسلامية فى فلسطين تحضر لمعركتها الدائمة مع الدولة اليهودية ، ومع انخراطها فى الفترة الأولى فى عملية إحياء الأنفس اليائسة وتعميم المفاهيم الأساسية . فلم يغب عن بالها ممارسة العمل المسلح ، فقد اعتقلت السلطات اليهودية سنة ١٩٨٠ أكثر من ستين شابًا فيما عرف بقضية «أسرة الجهاد» الفصيل العسكرى للإخوان المسلمين فى فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨ ، ثم وبعد ذلك فى سنة ١٩٨٤م ألقى القبض على الشيخ أحمد ياسين قائد الإخوان المسلمين فى الأرض المحتلة بتهمة التنظيم العسكرى وجمع السلاح . ولعل أبرز ما قام به التيار الإسلامى فى هذا المجال وفى سنوات ما قبل الانتفاضة هو العمليات العسكرية التى نفذها الشباب المسلم من مجموعات الجهاد الإسلامى ، كعملية «حائط البراق» وشهداء «الشجاعية» بالإضافة إلى عمليات الطعن المتصاعدة . ثم تأتى الانتفاضة الكبرى فى أواخر سنة ١٩٨٧ ، وتبرز مع بدايتها حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ليكونا معًا التتويج العملى لكل ما يحمله الإسلاميون فى قلوبهم من عواطف ، وفى عقولهم من نظريات عن أهمية فلسطين وضرورة الجهاد على أرضها .

مركزية القضية الفلسطينية عند الإسلاميين :

ظلت أهمية فلسطين والتحذير من الخطر اليهودى هى الفكرة السائدة لدى الإسلاميين فى

---

(١) أحمد نوفل ، (الطريق إلى فلسطين) ، عمان : دار الأقصى ، ١٩٨٣ ، ص١٧ .

الخمسينيات والستينيات وردح من السبعينيات ، وظلت خصوصية هذه القضية تنبع من خصوصية القدس ، لكن هذا الفهم لم يتطور إلى جعل القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للمسلمين ، ووجدنا من يرى أنها مثل قضية أفغانستان أو كشمير أو جنوب السودان .

ومع هزيمة ١٩٦٧م وانكشاف الخطر الثقافي والحضارى الشامل الذى تمثله إسرائيل ليس على أرض فلسطين وشعبها فقط ، وإنما على الأمة العربية والأمة الإسلامية جميعًا ، ومع وضوح التحالف الاستراتيجى التام بين الصهيونية والغرب فى هجمتهم على الأمة ، بدأ يتبلور ذلك الفهم الذى يعطى للصراع على فلسطين مكانته الواقعية ، «وأن الوجود اليهودى الصهيونى فى فلسطين يمثل أوج التحدى الغربى السياسى والثقافى للعالم الإسلامى من تخوم الماركسية العربية ليؤكد «أن هذا الكيان أريد له أن يحقق وجودًا أبديًا مضمونًا ، للسيطرة الغربية على الإسلام والمسلمين»[١] ، ومن هنا انتشر هذا الفهم الجديد للصراع الشامل بين الأمة الإسلامية والغرب وما تمثله إسرائيل من حلقة مركزية فيه .

وكان الإسهام الفكرى المتميز للشيخ راشد الغنوشي حول حقيقة الصراع مع الصهيونية ومركزية القضية الفلسطينية ، كما أسهمت كتابات فتحى إبراهيم وخالد صلاح الدين وبشير نافع إسهامًا واضحًا فى هذا المجال . ويقول فتحى إبراهيم[٢] : «إن التحليل التاريخى يرى فى المشروع اليهودى الجزء المركزى فى الهجمة الغربية والتحدى الغربى الحديث .. وهذا تأكيد جديد على تميز وخصوصية ومركزية القضية الفلسطينية»[٣] ، وتأتى مرحلة الثمانينيات لتصبح هذه الفكرة متبناة من عموم الإسلاميين على الأقل فى فلسطين .

بل إن كُتابًا من خارج الحركة الإسلامية كانوا يرون فى الالتفاف حول قضية فلسطين ، واجبًا وضرورة للحركات الإسلامية ، «ولن يجد الإسلاميون قضية أفضل ، تجمع شملهم ، وتوحد صفوفهم ، وتذوّب خلافاتهم ، مثل فلسطين فهى عورة انحطاط المسلمين وجرحهم النازف وكابوسهم المزعج» ويمضى الكاتب نفسه قائلاً : «واليوم يتزامن تنامى حضور الإسلاميين فى أقطار مختلفة مع الانتفاضة المباركة التى أوقدها الشعب الفلسطينى بكل فصائله وأبنائه وانصهر فيها إسلاميو الضفة والقطاع بكل جدية مما يوفر فرصة نادرة لإعادة

---

(١) منير شفيق، مرجع سابق، ص ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) د. فتحى إبراهيم الشقاقى: مؤسس حركة الجهاد الإسلامى وأمينها العام.

(٣) فتحى إبراهيم (الشقاقى)، (مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الإسلامى المعاصر) - المنهج، بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٨٩، ص٣٦.

طرح شعار فلسطين القضية المركزية للحركة الإسلامية .. وسيكتشف الإسلاميون - لو فعلوا هذا - الأهمية التي تحتلها هذه القضية في توازنات العالم المعاصر . وكيف أنها المدخل للقضايا الحيوية الأخرى التي تشكل بمقتضاها السياسية الدولية الراهنة»[1]، ويؤكد الغنوشي مرة أخرى «أن فلسطين محور الصراع الدولي والحضاري فينبغي أن تكون قضيتنا المركزية وخطنا الأول في مواجهة الإمبريالية وعملائها وتكتيل كل القوى الثورية والبوتقة التي تحتقر فيها بقايا ومخلفات انحطاطنا وعجزنا وكسلنا ..»[2]

النظرية الإسلامية لتحرير فلسطين :

لعله يكون من المناسب أن نبدأ من حيث ما انتهى إليه الحوار داخل الأراضي المحتلة وخارجها ، ذلك الحوار الفكري الممزوج بالعمل النضالي ، والمتقد بحرارة المواجهة ، والمطبوع بتجربة السجون والإبعاد ، لنصل إلى النظرية التي تم الاتفاق عليها بين مجمل التيار الإسلامي المجاهد في فلسطين والتي حسمت الآراء المختلفة حول أولوية قيام الدولة الإسلامية التي ستنهض بعملية التحرير أو أولوية الجهاد على أرض فلسطين وتحريرها تمهيداً لقيام الدولة الإسلامية ، فقد أصبح من المتفق عليه أن العمل لقيام الدولة الإسلامية والعمل لتحرير فلسطين هما عمليتان متلازمتان تؤثر كل واحدة منهما في الأخرى ، وأنه من الخطأ وتبديد الجهود تأجيل واحدة منهما في انتظار الأخرى ، فالعدو الصهيوني القوى المتماسك لن يسمح بقيام الدولة الإسلامية بالقرب منه ، وواقع الدول العربية والإسلامية الذى يعاني من الضعف والتجزئة والتبعية لن يسمح بالجهاد تجاه فلسطين ، فلابد من خوض المعركتين في آن واحد لينشغل كل طرف في الدفاع عن نفسه .

كان التيار الأساسي في الحركة الإسلامية أى الإخوان المسلمون على الرغم من ثقل وطأة الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية وقطاع غزة ، والمعاناة التي يقاسيها مجموع الشعب الفلسطيني مشدوداً من الناحية الفكرية إلى خارج الأرض المحتلة بفعل عوامل متعددة ، منها : أن مركز الحركة الإسلامية وقياداتها ومفكريها وتجاربها موجود خارج الأرض المحتلة في مصر والأردن وغيرها .. ومنها أن الأدبيات التي تربى عليها الإخوان المسلمون في الأرض المحتلة تأتي كلها من خارج الحدود : حسن البنا وسيد قطب ويوسف القرضاوى من مصر وسعيد

---

(١) صلاح الدين الجورشي، مرجع سابق، ١٤٥ .

(٢) راشد الغنوشي، مرجع سابق، ص١٣٥ .

حوى من سوريا وفتحى يكن من لبنان وأحمد نوفل وعبد الله عزام من الأردن وغيرهم ، صحيح أن هذه الأدبيات كانت ولا تزال المنهج الفكرى للإخوان المسلمين في كل مكان إلا أنها كانت منهمكة إلى أبعد الحدود فى تربية الأخ المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم ، مشغولة فى صراع الحركة الإسلامية مع أنظمة الحكم الاستبدادية ومع النخب العلمانية وثقافة التغريب ، مهتمة بقضايا تطبيق الشريعة ومحاولة الحصول على الوجود القانونى ، ومتابعة تجارب الإخوان البرلمانية هنا وهناك أو متابعة أخبار الجهاد في أفغانستان ودعمه والمشاركة فيه .

كان هذا المنهج الفكرى والتربوى يمثل حاجة فكرية وعملية للإخوان فى معظم الساحات ، إن لم يكن جميعها ، فربما يثرى تجاربهم المحلية ويثرونه بإضافاتهم النظرية والعلمية .. لكنه فى الأرض المحتلة وحدها لم يستطع أن يقدم إثراء واضحًا لتجربتهم المحلية ، فهم لا يواجهون السلطة العربية المستبدة ، ولا يستطيعون أن يطالبوا بتطبيق الشريعة الإسلامية ، ولا يستطيعون الإفادة من تجربة دخول البرلمانات أو الحكومات إلى آخر ذلك مما يميز ساحتهم المحلية عن جميع الساحات ، صحيح أن هذه الأدبيات قدمت الأساس الفكرى والتربوى لبناء الشخصية الإسلامية الملتزمة ، لكنها لم تقدم للأرض المحتلة استراتيجية عمل .. وهى وإن قدمت النظرية الاستراتيجية حول القضية الفلسطينية فقد قدمتها من منظور تجربتها فى المنطقة العربية .

لقد كانت النكبة فى سنة ١٩٤٨ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ثم الدخول فى عملية السلام مع إسرائيل ابتداء من الموافقة على قرار ٢٤٢ ، والقبول بمبادرة روجرز إلى كامب ديفيد وما تخلل ذلك من حملة ضارية على الحركة الإسلامية تنوعت أشكالها من بلد إلى آخر ، ومن فترة إلى أخرى ، كل ذلك كان له الأثر الحاسم فى بعث فكرة أن تصحيح الوضع فى البلاد العربية بإقامة الدولة الإسلامية هى الطريق إلى تحرير فلسطين ، وأصبحت هذه الفكرة هى النظرية السائدة لدى الإخوان المسلمين فى الأردن : «يجب أن نحدث تغييراً شعبياً عريضاً ، وإن أوجدنا ذلك وأنشأنا صفًا إسلاميًا أو أرضًا إسلامية (دولة) ننطلق منها للعمل كظهير للمسلمين ، تكون المشاركة حينها مجدية ، ونستطيع أن نستقدم أفواج المجاهدين من كل بقاع الأرض» [١]

ظهر فى بداية الثمانينيات اتجاه جديد حول شباب داخل الأرض المحتلة ، أو عاشوا مرحلة

---

(١) أحمد نوفل، مرجع سابق، ص٦٨.

من تجربة الاحتلال ، تأثروا بعوامل إضافية إلى جانب أدبيات الحركة الإسلامية ، تأثروا بالثورة الإسلامية فى إيران ، وتعاطفوا معها ، وحشدوا لها التأييد ، وتأثروا بجماعات الجهاد فى مصر فى مرحلة دراستهم الجامعية هناك ، كما تأثروا بتجربة الثورة الفلسطينية المسلحة درسوها واقتربوا منها ، وعلى الرغم من كل ما يقال من النقد لهذا الاتجاه فى الجانب العملى ، وخاصة فى مجال الصراع مع الإخوان المسلمين داخل قطاع غزة ، حيث نشأ هذا الاتجاه ومعظم قياداته كانوا أعضاء فى جماعة الإخوان المسلمين - خرجوا أو أُخرجوا منها - إلا أن الباحث المنصف يجد لهذا التيار إسهامًا مهمًا وفاعلاً فى الجانب النظرى لا يمكن تجاوزه ، وهذا لا يعنى التقليل من إسهام هذا التيار الجهادى فى الجانب العملى الخاص بمواجهة الاحتلال ، والعمل العسكرى وعمليات الطعن وخاصة فى المرحلة التحضيرية للانتفاضة .

بدأ هذا الاتجاه مساهمته النظرية بانتقاد استراتيجية الإخوان المسلمين فى العمل للقضية الفلسطينية ، ووجه حملته على ما سماه تأجيل الجهاد لحين استكمال أسبابه ، يقول أحدهم «إن استراتيجية الخط الأساسى التاريخى فى الاتجاه الإسلامى (يقصد الإخوان المسلمين) تقوم - فى واقع الحال - على خلق تيار شعبى فكرى وشعورى واسع ، يمكن مع الزمن أن يشكل قوة ضاغطة على الأنظمة الحالية لتبني الإسلام والجهاد»[1] ، وهو يستنتج «أن خط هذه الحركة يتجه دائمًا إلى «الآخرين» الذين يملكون القرار العملى أو أدوات القوة المادية الفاعلة سواء كانوا أنظمة أو منظمات ، وبحكم هذا المنطق لابد أن يقتصر موقف الحركة الإسلامية على اقتراح الإطار النظرى ومحاولة إقناع الآخرين به أو انتقادهم لعدم تبنيه ..» [2]. ثم يأتى الكاتب ليجمل رأيه فى الموضوع بقوله : «أجل الموضوع الجهادى بدعوى أولوية تحقيق مقدمات التغيير الإسلامى الداخلى بأسلوب الدعوة الفردية والتجمع الكمى للتيار الإسلامى، وتقديم الوصفة النظرية الإسلامية للقوى الفاعلة وأصحاب القرار»[3].

أما د . فتحى إبراهيم الشقاقى فإنه يصعد من حدة نقده فيقول : «لقد كان إحجام الحركة الإسلامية عن الجهاد فى فلسطين إضافة إلى كونه تخليًا عن واجب شرعى ، مجلبة للهزال والضعف والبقاء فى الصفوف الخلفية ..لقد خسرت الحركة الإسلامية فى كل يوم كانت تؤجل فيه الموضوع الفلسطينى ، خسرت ذاتيًا وموضوعيًا» - وهو هنا يقصد الإخوان

---

(١) خالد صلاح الدين «الاتجاه الإسلامى: الموقف العام من القضية الفلسطينية» فى (الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية)، مرجع سابق، ص١٠١ .

(٢) المرجع السابق، ص١٠٢ .

(٣) المرجع السابق، ص١١٣ .

المسلمين في الأرض المحتلة في السبعينيات وفي الثمانينيات حتى الانتفاضة - لكنه في صفحة ٥٩ يتراجع مع بعض التحفظ بفعل الانتفاضة ودور الإخوان فيها فيقول : «لاشك أن تطوراً حدث بعد الانتفاضة الشعبية في فلسطين ، تطوراً يحتاج إلى مزيد من الاختبارات لتأكيد مصداقيته»[١] .

وهنا نأتي إلى الإسهام النظري الهام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ، فبعد تحليل الظاهرة الإسرائيلية وارتباطها بالهجمة الغربية على الأمة وإثبات مقولة أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية يحدد د . فتحي إبراهيم استراتيجية ونظرية العمل الإسلامي لفلسطين فيقول : «إن شكل النضال الأمثل سيبدأ بوحدة الحركة الإسلامية في مواجهة المشروع الاستعماري بشقيه (نظام التجزئة وإسرائيل) ، إن علي الحركة الإسلامية أن تواجه هذا النظام وإسرائيل في نفس الوقت . .»[٢] وهكذا فإن «وجود فلسطين بشكل عملي متمثلاً في الجهاد في صلب برنامج الحركة الإسلامية سيعطي الحركة تعاطفًا جماهيريًا وزخمًا هائلاً يمكن اغتنامه في تصعيد نضالها والتعجيل بتحقيق أهدافها ، إن هذا هو شكل النضال الأمثل لأنه يحاصر العدو الحقيقي والشامل من جميع الجهات ، ولا يعطي فريقًا فرصة لنجدة الفريق الآخر ويجعله دائمًا في موقع الدفاع عن النفس»[٣]، ويؤكد كاتب آخر نفس الفكرة بكلمات أخرى فيقول : «الذى تنطق به الحقائق الموضوعية أنه بقدر ما أن العودة الذاتية إلى الإسلام شرط لفاعلية التحرير فإن الجهاد التحريري شرط في الوقت نفسه للعودة الذاتية للإسلام ، أي أن العلاقة بينهما مزدوجة في الوقت نفسه»[٤].

إن الحركة الإسلامية في داخل الأرض المحتلة ممثلة بحركة حماس بدأت تعمل في إطار هذه النظرية لتحرير فلسطين ، وتعمل بمقتضاها حيث تقوم بدورها الجهادي والسياسي والعسكري بصورة مستمرة وثابتة ، لكن السؤال الذى يطفو إلى الأذهان الآن ، ويلح في طلب الإجابة هو : لماذا تأخرت الحركة الإسلامية في الجانبين العملي والنظري؟ أو يمكننا أن نعيد السؤال بصورة أكثر موضوعية : هل تأخرت فعلاً الحركة الإسلامية داخل فلسطين ؟ نعم قال الإخوان المسلمون في العقدين الماضيين أنهم لابد أن يستكملوا الإعداد للجهاد من تربية وتجميع وتثقيف وتأهيل ، لكنه لم يقل واحد منهم أنهم لن يبدأوا الجهاد .

---

(١) فتحي إبراهيم ، مرجع سابق ، ص٥٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص٦٩ .
(٤) خالد صلاح الدين ، مرجع سابق ، ص١١٥ .

ولئن كانت السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات تتسم في غالبها بالعمل التربوى والجماهيرى والاجتماعى والتمكين للحركة الإسلامية فكرًا ورجالاً ، فإنها لم تخل من إرهاصات للعمل الجهادى من مظاهرات وشهداء واعتقالات ومجموعات عسكرية وأسلحة ، كلها تنبئ أن الحركة الإسلامية ستدخل قريبًا ساحة العمل الجهادى ، يضاف إلى ذلك أن الباحث يعلم بطريقته الخاصة ومن حوارات متصلة مع قيادات الحركة الإسلامية داخل مخيم المبعدين فى «مرج الزهور» ومن اطلاع على البرامج والسياسات السرية للحركة الإسلامية خارج فلسطين ، أن هياكل وأسباب العمل السياسى والعسكرى وضعت وأنشئت قبل الانتفاضة وقبل تأسيس «حماس» بسنوات .

أما التأخير فى الإعلان عن هذا التوجه فقد كانت له أسبابه ، وأهمها على الإطلاق السبب الأمنى ، فالإخوان المسلمون عمومًا والفلسطينيون منهم على وجه الخصوص ، سواء فى الأرض المحتلة أو خارجها يتسمون بالتكتم الشديد فى كل أمورهم ، وعلى الأخص فى النواحى العسكرية والأمنية والسياسية التى تظل أمورها فى دائرة ضيقة لا تصل إلى أفراد التنظيم ، ولا إلى كثير من القيادات ، بل لعل ما كان يشاع عن الإخوان فى داخل فلسطين عن إحجامهم عن مواجهة اليهود فيما قبل الانتفاضة وما كانت تبثه المنظمات العلمانية والوطنية ومجموعات الجهاد الإسلامى عن تخاذل الإخوان المسلمين تجاه الاحتلال ، كان هذا بقدر ما كان يثير الغيظ والحنق لدى شباب الحركة فى الجامعات وغيرها ، كان يبعث الرضا والارتياح فى صفوف القيادة المطلعة على بواطن الأمور .

وهكذا فإن مسألة الإسهام النظرى للإخوان فى عملية الجهاد على أرض فلسطين كانت ستمثل إفصاحًا وكشفًا لما يجتهد الإخوان عادة فى إخفائه ، بالإضافة إلى عدم وجود الظروف المساعدة لعقليات متفتحة مستقلة عن تأثير الفكر الإخواني العام القادم من خلف الحدود .

وعمومًا فإنه لا شك فى القيمة الكبيرة للإسهام الفكرى الذى قدمه ممثلو تيار الجهاد الفلسطينى ، كما أنه لا يمارى أحد أن دخول الحركة الإسلامية هذا المعترك بالصورة العلنية ممثلة بحركة حماس وخاصة كتائب عز الدين القسام – جناحها العسكرى – هو الذى أسهم بصورة فاعلة وأعطى قوة شعبية ومادية للعمل الجهادى على أرض فلسطين ●

الباب الأول

الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٢٠ - ١٩٦٧

«الجذور»

- مقدمة الباب الأول .
- الفصل الأول : تجربة الشيخ عز الدين القسام (١٩٣٠ - ١٩٣٥) .
- الفصل الثانى : الإخوان المسلمون حتى نهاية حرب عام ١٩٤٨ .
- الفصل الثالث : الإخوان المسلمون فى الضفة الغربية وقطاع غزة (١٩٤٨ - ١٩٥٧) .
- الفصل الرابع : ضعف الحركة الإسلامية وقوة المد القومى (١٩٥٧ - ١٩٦٧) .



ظهرت حركة المقاومة الإسلامية - حماس - داخل الأرض المحتلة مع بداية الانتفاضة المباركة التى انطلقت يوم ٨ / ١٢ / ١٩٨٧ ، حيث تم توزيع البيان الأول فى الانتفاضة موقعًا باسم حركة المقاومة الإسلامية بتاريخ ١٤ / ١٢ /١٩٨٧ (١)، كما سقط العديد من الشهداء الذين ينتمون للحركة فى غزة وخان يونس والمعسكرات الوسطى فى الأيام الأولى للانتفاضة ، ولعل إقدام السلطات المحتلة على اعتقال الكثير من الشخصيات النشطة ورموز الحركة الإسلامية ، وقيامها بإبعاد أحد قادة «حماس» فى قطاع غزة(٢) فى أول مجموعة من مبعدى الانتفاضة ليؤكد على مشاركة الحركة فى الانتفاضة منذ أيامها الأولى .

ولئن كانت هناك مبررات أمنية وسياسية للعمل تحت هذا الاسم الجديد ، فإنه أصبح معروفًا فيما بعد أن هذه الحركة الجديدة ما هى إلا الحركة الإسلامية نفسها التى وجدت على أرض فلسطين منذ ما يقرب من نصف قرن ، تملك رصيداً هائلاً من التجربة الجهادية ، وتحوز على تأييد جماهيرى واسع داخل الأرض المحتلة وخارجها ، بالإضافة إلى تمتعها بوجود العديد من الأنصار العرب وغير العرب من المسلمين الذين يؤيدون المد الإسلامى فى كل مكان .

ولقد أبرزت حركة «حماس» هذه الحقيقة لأول مرة فى بيان الانتفاضة رقم (٦) المؤرخ بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٨ ، حينما أكدت أن «حركة المقاومة الإسلامية تعتبر الساعد القوى لجماعة الإخوان المسلمين التى قدمت إمامها الأول شهيداً فى مثل هذا الوقت من عام ١٩٤٩م...»(٣)، ثم تكرر نفس المعنى فى البيان رقم (١٥)(٤)، ثم جاء بعد ذلك هذا القول واضحًا وثابتًا فى ميثاق الحركة الصادر بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨٨م ، المادة الثانية حيث نص على أن : «حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين فى فلسطين»(٥). من هنا نستطيع أن نفهم كيف استطاعت هذه الحركة وفى فترة زمنية قصيرة ، لا تتعدى

---

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية «حماس») ، إصدار المكتب الإعلامى ، بدون تاريخ أو ناشر ، ج١ ، ص١٧ .

(٢) الأستاذ خليل القوقا ، أول أمين عام للجمعية الإسلامية فى غزة ، تم اعتقاله يوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٧م، وأبعد إلى لبنان بتاريخ ١١ / ٤ /١٩٨٨م.

(٣) وثائق حركة المقاومة.. مرجع سابق ، ص٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص٥٧ .

(٥) ميثاق حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بدون تاريخ أو ناشر ، ص٧ .

السنوات الثلاث الأولى من عمر الانتفاضة ، أن تثبت وجودها على الساحة الفلسطينية منافسة منظمات كبيرة يزيد عمرها على العشرين سنة ، وتملك الكثير من الإمكانيات المادية والمعنوية وتحظى برصيد كبير فى المجالات السياسية والفكرية والإعلامية والمالية وغيرها .

وهكذا فإن حركة «حماس» تضرب بجذورها فى أرض فلسطين إلى الثلاثينيات من هذا القرن ، منذ أن انتدبت جماعة الإخوان المسلمين بمصر الأخوين عبد الرحمن الساعاتى ومحمد أسعد الحكيم لزيارة فلسطين وسوريا ولبنان لنشر دعوة الإخوان ، حيث وصلا إلى القدس ونزلا بضيافة سماحة المفتى الأكبر ، بمعية الزعيم التونسى عبد العزيز الثعالبى فى أغسطس ١٩٣٥م[١] و سوف نتابع فى هذا الباب تأسيس شُعب الإخوان المسلمين فى جميع أنحاء فلسطين قبل نكبة ١٩٤٨ ، ونرصد الدور الجهادى الذى قامت به كتائب الإخوان الفلسطينيين ، لنصل إلى بداية العمل الفدائى الذى مارسته مجموعات الإخوان العسكرية من قطاع غزة ما بين سنتى ١٩٤٩ و١٩٥٥م ، ودور الحركة التعبوى والسياسى فى تلك الفترة ، ثم دور الإخوان فى مقاومة الاحتلال الصهيونى لقطاع غزة نتيجة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م .

وسنجد أهمية لمتابعة البدايات الأولى لحركة وطنية ثورية ، ستصبح فيما بعد ومنذ نهاية عقد الستينيات وطيلة العقدين التاليين كبرى المنظمات الفلسطينية ، تلعب دوراً كبيراً فى مجريات القضية الفلسطينية ، حيث تأسست حركة التحرير الوطنى الفلسطينى - فتح - فى رحاب جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت الغالبية العظمى من مؤسسيها الأوائل ممن كانوا أعضاء فى الجماعة ، وسوف نناقش مرحلة الستينيات التى مثلت انحساراً شديداً فى نشاط الجماعة فى مقابل تعاظم المد الناصرى والقومى والاشتراكى ، حيث نتوقف عند مفترق طرق حاسم كانت فيه نكبة ١٩٦٧م نقطة فاصلة تغيرت بسببها أوضاع كثيرة .

(١) حسن البنا ، (مذكرات الدعوة والداعية) ، بيروت : المكتب الإسلامى ، ط٣ ، ١٩٧٤ ، ص١٩٨ .

الفصل الأول

الإخوان المسلمون حتى نهاية حرب ١٩٤٨ م

المبحث الأول

الإخوان المسلمون فى مصر

صلة الإخوان المسلمين بفلسطين :

تأسست جماعة الإخوان المسلمين فى مدينة الإسماعيلية على يد الشيخ حسن البنا فى مارس سنة ١٩٢٨م من ستة رجال بايعوا الله على أن يكونوا جنداً لدعوة الإسلام ، ففيها حياة الوطن وعزة الأمة[١] كبرت الجماعة وازداد نفوذها مع الوقت ، واتضحت أهدافها وبرامجها وشاركت فى الحياة السياسية داخل مصر وخارجها ، وكان لقضية فلسطين ونصرة أهلها نصيب كبير من أدبيات الإخوان وأنشطتهم ، إلى أن توجت الجماعة مشاركتها بإرسال المتطوعين الذين قاتلوا العصابات الصهيونية ، حيث سقط منهم العديد من الشهداء .

وترجع علاقة الشيخ حسن البنا بفلسطين وقضيتها إلى ما قبل تأسيس جماعة الإخوان المسلمين بسنة تقريباً ، «فقد ذكر الحاج أمين الحسينى فى رثائه للإمام البنا ، أنه تعرف عليه للمرة الأولى من كتاب أرسله البنا إليه فى عام ١٣٤٦هـ الموافق سنة ١٩٢٧م»[٢] ولعل ذلك بسبب الارتباط الوثيق بين المؤامرة اليهودية على عروبة فلسطين وسقوط الخلافة الإسلامية التى كانت من أبرز العوامل التى دفعت البنا لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين .

كان الحاج أمين الحسينى أبرز شخصية سياسية فى فلسطين ، آلت إليه قيادة الشعب الفلسطينى حوالى عقدين من الزمان ، فهو المفتى الأكبر ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى ورئيس اللجنة العربية العليا ، وقد توثقت العلاقة بين الرجلين ، وكان بينهما مراسلات دائمة لتبادل وجهات النظر وكانت حركة الإخوان تنظر إلى مفتى فلسطين باعتباره رجلاً اجتباه الله

---

(١) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص٧٢ .

(٢) حسنى أدهم جرار ، (الحاج أمين الحسينى ، رائد جهاد وبطل قضية) ، عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م ص٣٥٣ .

لحماية فلسطين [١].

وعندما اندلعت الثورة الكبرى فى فلسطين سنة ١٩٣٦م ، سارع الإخوان المسلمون بدعم وتأييد الكفاح الفلسطينى ، ويورد حسن البنا فى كتابه «مذكرات الدعوة والداعية» نص الرسالة التى أرسلها الحاج أمين الحسينى إلى رئيس وأعضاء جماعة الإخوان يشكرهم فيها على مشاعرهم الفياضة وحميتهم الإسلامية ومساعيهم الحميدة وجهدهم المشكور فى خدمة قضية فلسطين .

كما يورد البنا كذلك نص خطاب السيد عونى عبد الهادى السكرتير العام للجنة العربية العليا بالقدس رداً على برقية البنا المؤرخة فى ١٨ / ٥ / ١٩٣٦م . [٢]

لم يكتف الإخوان بالتأييد المعنوى ، «فقد شارك عدد من جماعة الإخوان المسلمين فى الغارات المسلحة على المنشآت اليهودية فى فلسطين أثناء ثورة ١٩٣٦م»[٣]، ويؤكد ذلك الأستاذ كامل الشريف ، حينما يذكر «أن عدداً من شباب الإخوان قد استطاعوا التسلل إلى فلسطين والاشتراك مع المجاهدين فى جهادهم ، خاصة فى مناطق الشمال» . [٤]

وقد كتب البنا تحت عنوان : «قضية فلسطين والإخوان : مذكرة ١٩٣٦م» : كانت الهيئات السياسية والأحزاب فى مصر منصرفة كل الانصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جدية بحكم النعرة الوطنية الخاصة .. ومن هنا تقدم الإخوان المسلمون إلى مناصرة فلسطين الثائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة ، ووقفوا على ذلك جهودهم ماديا وأدبيا من حيث الدعاية والخطابة والنشر ، وجمع المال إلخ .. وتألفت لذلك لجان وبعثات عملت ما وسعها العمل .. [٥]

ولعل الزيارة التى قام بها كل من عبد الرحمن الساعاتى ومحمد أسعد الحكيم إلى القدس عام ١٩٣٥ ونزولهما عند الحاج أمين الحسينى[٦]، كأول مبعوثين لحركة الإخوان خارج مصر ، تعطى الدليل على عمق العلاقة بين الحركة وقضية فلسطين .

كانت قضية فلسطين همًا دائمًا لدى الإخوان فى مصر منذ سنواتهم الأولى ، يقول محمود عبد الحليم مؤرخ الإخوان في مصر : «منذ أن حملتنى قدماى إلى المركز العام للإخوان

---

(١) د. عواطف عبدالرحمن ، (مصر وفلسطين) ، ط٢ ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٥م ، ص٣١.

(٢) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) زياد أبو عمرو (الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة) ، ط٢ ، عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٩م ، ص١٩ .

(٤) كامل الشريف ، (الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين) ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٧م ، ص٤٣ .

(٥) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص٢٠٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص١٩٨ .

المسلمين ، لاحظت من المرشد العام ومن هذه القلة القليلة من الإخوان المسلمين بهذا المركز توجيه اهتمام خاص لقضية فلسطين»[1] ويستطرد قائلاً : «رأيت مفتى فلسطين السيد أمين الحسينى ومعه مساعده الشيخ صبرى عابدين ، ومعه مجموعة من قادة فلسطين ، رأيتهم يحضرون إلى المركز العام .. ويتبادلون الكلمات الملتهبة مع المرشد العام» .

وتطورت العلاقة إلى أبعد الحدود ، حيث أصبح التعرف على أبعاد القضية الفلسطينية جزءًا أساسيًا من منهج الإخوان التربوى والثقافى «ففى معسكر الإسكندرية التربوى استمع الإخوان إلى عدة محاضرات عن المشكلة الفلسطينية يلقيها الشيخ صبرى عابدين مندوب مفتى فلسطين»[2] أما صحيفة الإخوان المسلمين «فقد اهتمت بنشر أخبار المعارك وتفاصيل سفر أفواج المتطوعين بالإضافة إلى نشر قوائم التبرعات»[3] .. وعندما وصل المفتى إلى القاهرة سنة ١٩٤٦م قادت صحيفة الإخوان حملة مناشدة ناجحة للحكومة لمنحه حق اللجوء السياسى .[4]

ويتواصل عطاء الإخوان ومرشدهم العام بالنسبة لفلسطين وتتنوع الأساليب فيرسل البنا الوفود باستمرار إلى فلسطين ، «ففى عام ١٩٤٦م أرسل إليها عالمًا جليلاً من علماء الدعوة هو الشيخ عبد المعز عبد الستار ليقوم بجولة فى مدنها لمدة شهرين .. وقد حضر الشيخ عبد المعز افتتاح شعبة الإخوان المسلمين فى القدس نيابة عن المرشد العام بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٤٦م» .[5] كما قام البنا بنفسه بزيارة فلسطين فى ١٩ - ٢٠ مارس ١٩٤٨ م ، حيث زار رفح وخان يونس وغزة واستقبل فيها استقبالاً رائعًا[6] .

وحينما احتدم الصراع والتنافس بين أكبر منظمتين شبه عسكريتين فى فلسطين وهما «نجادة» و«الفتوة» ، قام الإخوان بواجبهم حيث أرسل البنا إلى فلسطين من يصلح بينهما ، «وقد توحدت المنظمتان فيما بعد واختير باتفاقهما المجاهد «محمود لبيب» وكيل الإخوان المسلمين للشئون العسكرية مسئولاً عن تنظيم هذه التشكيلات التى توحدت تحت اسم

---

(١) محمود عبدالحليم، (الإخوان المسلمون : أحداث صنعت التاريخ)، الإسكندرية : دار الدعوة، ١٩٧٩م، ص٨٨.
(٢) عبدالمتعال الجبرى، لماذا اغتيل البنا، ص٢٧٤.
(٣) د. عواطف عبدالرحمن، مرجع سابق، ص٣٧.
(٤) ريتشارد متشيل. (الإخوان المسلمون)، ترجمة د. محمود أبو السعود، انديانا بوليس (الولايات المتحدة) دار النشر الأمريكية ١٩٨٠، ص٩٦.
(٥) حسنى أدهم جرار، مرجع سابق، ص ص ٣٦٧ - ٣٦٨.
(٦) عباس السيسى، (فى قافلة الإخوان ا لمسلمين)، الجزء الأول، ط٢، الإسكندرية : دار اقرأ، ١٩٨٧م، ص١٩٦ - ١٩٧.

منظمة الشباب العربى» [١].

ولعلنا نجد أثر قضية فلسطين على واحد من أهم التشكيلات الإخوانية ، الذى سمى «النظام الخاص» أو الجهاز السرى ، حيث أدرك البنا أن الدعوة لابد أن تكون ذات شوكة لا يسهل التهامها .. كما أدرك المرشد أن قضية فلسطين هى قضية الإخوان المسلمين .. وأنه لابد من معركة فاصلة بين الإخوان المسلمين وبين هذه العصابات (الصهيونية) .. فكان ذلك حافزاً على سرعة الاستعداد بتكوين النظام الخاص[٢] فى عام ١٩٤٠ ، ومما ينبغى التذكير به أن هذا الرعيل الأول قد اشتركوا فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ، وأبلوا فيها أعظم بلاء، شهد به الأصدقاء والأعداء. [٣]

وحينما يتحدث أحد أعضاء هذا النظام الخاص عن نشأته ، يبدأ الحديث عن الحركة الصهيونية وخططها لاغتصاب فلسطين[٤]، ويستطرد قائلاً «ولما لم تكن هناك خبرة كافية بالسلاح بهدف جمعه لفلسطين ، فكر عبد الرحمن السندى لأول مرة فى إنشاء نظام خاص لاستيفاء هذه الدراسة والقيام على أمرها .. اليوم لفلسطين وغداً لمصر وسوريا والعراق .. إلخ وكان ذلك عام ١٩٣٨ »[٥]، وقد قام النظام الخاص بعمل واضح لخدمة الجهاد فى فلسطين ومقاومة الصهيونية ، «فقد قمنا بعملية حصر وجرد لليهود بمصر ، إذ لم يكن ولاؤهم للحركة الصهيونية محل شك»[٦] وهكذا كانت صلة الإخوان المسلمين بقضية فلسطين مبكرة ومتنوعة وشاملة ، ليست عارضة ولا دعائية .

مواقف سياسية للإخوان :

كانت الصلة الوثيقة التى ربطت بين جماعة الإخوان المسلمين فى مصر وقيادات الشعب الفلسطينى ، بالإضافة إلى ما تمثله فلسطين والمسجد الأقصى لدى الحركة الإسلامية فى مصر ، سببًا مباشراً فى تحرك الإخوان السياسى لنصرة فلسطين ، ذلك التحرك الذى تنوعت أساليبه من مراسلات ومؤتمرات وغير ذلك .

---

(١) كامل الشريف ، مرجع سابق ، ص٤٥ ومحمود عبدالحليم ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٤ - ٤١٥ .
(٢) محمود عبدالحليم ، ص٢٥٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٥٩ .
(٤) أحمد عادل كمال ، (النقاط فوق الحروف - الإخوان المسلمون والنظام الخاص) ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٧م ، ص١١٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص١٢٠ .
(٦) المرجع السابق .

ففي ذكرى وعد بلفور سنة ١٩٣٧م يكتب المرشد العام إلى رئيس وزراء مصر فيقول : «العالم العربي ينتظر من حكومة مصر عملاً جديًا لحل قضية فلسطين وإيقاف الظلم والعدوان الواقع على أهل فلسطين المجاهدين ، والمكتب العام للإخوان المسلمين بمناسبة ذكرى وعد بلفور الجائر يرجو أن يكون الوقت قد آن ، فاعملوا والله معكم»[١] وفي المناسبة ذاتها يرسل مكتب الإرشاد مذكرة إلى السفارة البريطانية في القاهرة لرفعها إلى الحكومة البريطانية ، ومما جاء فيها : «صدر وعد بلفور مناقضًا لهذا المبدأ القويم ، مبدأ الاستقلال التام للأمة العربية ، فلم يوافق عليه عربي واحد ، واعتبرته الأمة العربية جمعاء غير ملزم لها في شيء .. يرى الإخوان المسلمون أنهم مضطرون إلى أن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة ، راجين أن تعدل عنها الحكومة البريطانية ، فتطلق سراح المسجونين ، وتعيد الزعماء المنفيين ، وتؤمن الأبرياء المشردين ، وترجع إلى المجلس الإسلامي حقوقه وسلطته ، معلنين تضامنهم التام مع إخوانهم عرب فلسطين وجيران بيت المقدس في مطالبهم العادلة الحقة ، وهي وقف الهجرة والاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب ، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات في جميع البلدان»[٢] .

وتواصلت جهود الإخوان السياسية وخصوصًا في توعية الشعب المصري بالقضية الفلسطينية وترسيخ رابطة العروبة التي تربط بين الشعبين «لقد استطاع الإخوان المسلمون ، والإخوان المسلمون وحدهم أن يفسدوا على الإنجليز خطتهم وأن ينسفوا الجدار الشاهق السميك الذي شيده الإنجليز ليفصل مصر عن بقية الأمة العربية ، ولكنهم لم يستطيعوا إنجاز هذه المهمة الخطيرة إلا بجهود مضنية متواصلة مكثفة ، استمرت أكثر من خمس سنوات متوالية ، وحققوا في نهايتها المعجزة حين وصلوا قلوب شعب مصر بقلوب إخوان عرب لهم في فلسطين»[٣] .

وهكذا انعقد أول مؤتمر عربي شعبي من أجل فلسطين في القاهرة[٤]، فقد وجه الإخوان الدعوة لرجالات البلاد العربية لعقد مؤتمر لدراسة مشكلة فلسطين ، وقد عقد المؤتمر في دار المركز العام بالعتبة ، وتعاقب فيه الخطباء من مختلف البلاد ، ثم تكلم الأستاذ المرشد ، وانتهى المؤتمر بقرارات تطالب حكومات الدول بالتدخل من أجل إنقاذ فلسطين .

---

(١) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٤ .

(٣) محمود عبدالحليم ، ص١٨٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٨١ .

بعد نجاح المؤتمر الشعبى العربى ، وانتشار أخباره فى مختلف البلاد العربية والإسلامية بدأ يتوافد على المركز العام للإخوان العديد من الشخصيات الوطنية والقومية لتبادل الرأى مع المرشد العام ، واستقر الرأى على عقد مؤتمر برلمانى عالمى فى القاهرة من أجل نصرة فلسطين «انعقد المؤتمر فى ٧ أكتوبر عام ١٩٣٨م فى سراى آل لطف الله فى القاهرة ، وحضره برلمانيون من مصر والعراق وسوريا ولبنان ، وشارك فيه وفد شعبى فلسطينى ، ووفود شعبية تمثل مسلمى المغرب العربى ، والهند والبوشناق واليوغسلاف واليمن والصين ، تمخض المؤتمر عن قرارات استنكرت المؤامرة البريطانية - الصهيونية ..»[١]

استمر الإخوان المسلمون فى تبنى قضية فلسطين ، حتى أصبحت شغلهم الشاغل ، وغدت محور اهتمامهم فى جميع مؤتمراتهم ونشاطاتهم ، وباتوا يدفعون الحكومة المصرية باتجاه مواقف أكثر صلابة ، ويشجعونها على تأييد الحق العربى فى فلسطين ، فعندما ذهب على ماهر (رئيس الحكومة المصرية) وعبد الرحمن عزام لحضور مؤتمر فلسطين فى لندن ودعهما الإخوان أحر وداع، وبعد عودتهما ذهب وفد من الإخوان إلى المحطة لاستقبالهما[٢].

ولما قررت الحكومة المصرية إعانة منكوبى فلسطين ، كتب الإمام البنا إلى على ماهر يشكره على قرار الحكومة على إعانة الأسر الفلسطينية المجاهدة .. وطلب منه أن تكون مصر دائمًا فى مقدمة من يمد يد المساعدة للمجاهدين .. وأضاف البنا : «إن المسعى السياسى لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنسانى على جلاله ورحمته» ، وطالبه أيضًا بمطالبة بريطانيا حل القضية الفلسطينية على هذه القواعد :

١ - إيقاف الهجرة اليهودية .

٢ - العفو الشامل عن كل المعتقلين والمبعدين والمجاهدين .. وفى مقدمتهم سماحة زعيم فلسطين المفتى الأكبر محمد أمين الحسينى ..

٣ - اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال فلسطين عربية مسلمة ..[٣] وعندما وصلت اللجنة البريطانية الأمريكية إلى مصر ، وعقدت جلستين ، أصر البنا على حضور جلستها الثانية فى ٥ مارس سنة ١٩٤٦م وألقى البنا فيها كلمة مرتجلة جاء فيها : «ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية ، نعارضها ، لأنها تنطوى على خطر سياسى اقتصادى ، حقنا أن

---

(١) حسنى أدهم جرار، ص٣٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦٦.

(٣) حسن البنا، ص ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

تكون فلسطين عربية».[1] واختتم البنا بقوله : «لقد استمعت اللجنة إلى رجاء اليهود ، وتركت الرجل الأول الجدير باستشهاده فى قضية فلسطين وهو الحاج أمين الحسينى وكذلك المجاهدين المبعدين ، فأكون سعيداً إذا عملت اللجنة على الإفراج عنهم جميعًا»[2] .

وهكذا كانت للإخوان مشاركتهم السياسية الفعالة تأييداً للحق الفلسطيني ، هذه المشاركة التى ميزتهم عن معظم الأحزاب السياسية المصرية ، وفوق ذلك فإن الإخوان لم يكتفوا بذلك ، بل مارسوا العمل الفعلى لنصرة فلسطين وجمع الأموال وتسيير المظاهرات .

فعاليات الإخوان وأنشطتهم :

(أ) تأسيس اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين :

دعا الشيخ حسن البنا إلى عقد اجتماع استثنائى للإخوان مساء السبت ٢٥ من صفر الخير سنة ١٣٥٥ هـ (أبريل ١٩٣٦م) ، وشرح للإخوان أحوال شعب فلسطين وانتهى الاجتماع بتكوين «اللجنة المركزية لمساعدة فلسطين» ، وبدأت اللجنة عملها بتوجيه نداء إلى الأمة المصرية والمسلمين عامة ، كما قامت بإرسال برقيات الاحتجاج إلى المندوبين الساميين فى مصر وفلسطين.. وإرسال برقية أخرى إلى فضيلة المفتي .[3]

وقام البنا بالكتابة إلى الأمير عمر طوسون ، أحد كبار أعضاء لجنة التبرعات لمساعدة أهل الحبشة ، يطالبه بتحويل ما تبقى لدى اللجنة من أموال إلى «اللجنة العربية العليا» فى فلسطين لمساعدتها على مقاومة المؤامرة اليهودية على فلسطين ، وأرسل أيضًا خطابًا مماثلاً إلى بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر - رئيس اللجنة[4] .

(ب) القنوت فى الصلاة من أجل فلسطين :

دعا مكتب الإرشاد الأمة كلها إلى القنوت من أجل فلسطين ، وجاء فى الدعوة : «القنوت مشروع عند النوازل التى تنزل بالمسلمين .. ونازلة فلسطين من أشد النوازل بالمسلمين جميعًا وأعظمها وقعًا على قلوبهم وأشدها نيلاً من إخوانهم وأوطانهم ..» [5]

---

(١) محمود عبدالحليم، ص٤١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) حسن البنا، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٤) المرجع السابق، ٢٠٩.

(٥) المرجع السابق، ٢٤٣.

(جـ) قرش فلسطين :

تكونت لجنة عامة بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الإسلامية جميعًا ، للتعاون على إصدار قرش موحد لإغاثة فلسطين ، وقد جاء في المنشور الأول لسنة ١٣٥٨ هـ للإخوان المسلمين التوجيه التالى : «نرجو العناية بالدعاية القوية لجمع هذا القرش ، وأن يبرهن الإخوان أنهم دائمًا فى الصف الأول في قضية العرب والإسلام»(١).

(د) مهاجمة الإنجليز فى المنشورات والمجلات :

قام الإخوان بتوزيع العديد من المنشورات التى تهاجم الإنجليز وتشرح مظالمهم فى فلسطين وكانوا يوزعونها فى الكليات والمصالح الحكومية والمحلات التجارية والمقاهى فى الأقاليم ، كما سلط البنا على الحكومة وعلى الإنجليز قلم صالح عشماوى فى مجلة النذير(٢).

(هـ) الدعوة إلى مقاطعة المحلات اليهودية :

قام الإخوان المسلمون بمطالبة الشعب المصرى بمقاطعة المحلات اليهودية ، وطبعوا كشفًا بأسماء هذه المحلات وعناوينها والأسماء الحقيقية لأصحابها ، وذيلوا تلك الكشوف بعبارة : «إن القرش الذى تدفعه لمحل من هذه المحلات إنما تضعه فى جيب يهود فلسطين ليشتروا به سلاحًا يقتلون به إخوانك المسلمين فى فلسطين»(٣)

وقد وزعت هذه الكشوف على أوسع نطاق في القاهرة والأقاليم فكان لها دوى هائل لأنها أول دعاية مست العصب الحساس لليهود ، كما قام الإخوان بإصدار كتيب صغير يضم أسماء الصحف اليهودية التى يصدرونها فى أنحاء العالم ..(٤)

(و) توزيع كتاب «النار والدمار فى فلسطين» :

يقول محمود عبد الحليم : «استطاعت اللجنة العربية العليا الفلسطينية أن تطبع هذا الكتاب وأن تمدنا بعشرات الألوف منه ، ويقع هذا الكتيب فى نحو ثمانين صفحة تشرح ألوان العذاب التى ارتكبها الإنجليز ضد مجاهدى فلسطين .. وكل نوع من هذه الجرائم مصور بصورة فوتوغرافية .. وقد قمنا بتوزيعه فى أسرع وقت ، فلم تمض ثلاثة أيام حتى عم الكتاب

---

(١) محمود عبدالحليم ص١٧٣ .
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق، ١٧٤ .
(٤) المرجع السابق.

القاهرة وأنحاء الأقاليم ، وقامت الصحف البريطانية والبرلمان البريطاني لمواجهة هذه الكارثة»[1].

(ز) المظاهرات :

كانت مظاهرات نوفمبر سنة ١٩٣٨م احتجاجًا على وعد بلفور قد شملت القطر المصرى كله في يوم واحد ، وبهتافات واحدة ، مما آثار الشعب المصرى كله في المدن والقرى وجعله يتجه بعواطفه إلى فلسطين ، ومما جعل الإنجليز يقررون أنهم أصبحوا ولأول مرة يواجهون عدوًا قويًا متغلغلاً في أحشاء الشعب .[2]

(ح) جمع السلاح وإرسال المتطوعين :

كان الإخوان يرسلون مجموعات من شبابهم يطوفون في المدن والأرياف المصرية يجمعون السلاح ويرسلونه إلى المجاهدين ، كما قاموا بإرسال عدد من المتطوعين لمساعدة الثوار في فلسطين بقيادة «محمود عبده»[3] . ويقول الشيخ عبد المعز عبد الستار الذى عاصر هذه الفترة وشارك في نشاط الإخوان : «كان الإخوان يجمعون السلاح للمجاهدين الفلسطينيين ، ويقدمون لهم الخبراء لإصلاح السلاح ، وكان الشهيد يوسف طلعت يقوم بمهمة توصيل الأسلحة إلى الثوار..»[4] .

ويذكر ريتشارد متشيل في مؤلفه الشهير «أنه بعد صدور قرار التقسيم في نوفمبر سنة ١٩٤٧ اشترك البنا مع بعض «الشخصيات الإسلامية» مثل صالح حرب باشا من جمعية الشبان المسلمين ومحمد علوبة باشا ، في تشكيل لجنة وادى النيل لجمع المال والسلاح .. وكان مصطفى مؤمن هو ممثل الجماعة في تلك اللجنة .[5] وكانت مشاركة الإخوان الأكثر بروزًا والتى سجلها لهم التاريخ ، هى مشاركتهم الفعالة في حرب ١٩٤٨ ، حيث اتفق معظم الباحثين على الدور الكبير الذى قام به الإخوان في هذه الحرب .

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٧٧.
(٣) حسنى أدهم جرار، ص٣٥٨.
(٤) المرجع السابق، ص٣٥٩.
(٥) ريتشارد متشيل، ص ص ٩٦ - ٩٧.

المبحث الثانى

الإخوان المسلمون فى فلسطين

البداية :

يُجمع الباحثون على أن دعوة الإخوان المسلمين وصلت إلى فلسطين فى سنة ١٩٣٥ ، حيث توجه إلى فلسطين ثم سوريا أول مبعوثي الإخوان إلى الأقطار الشقيقة ، وقد ذكر الإمام البنا فى مذكراته أن «الأخوين» عبد الرحمن الساعاتى «شقيق البنا» ومحمد أسعد الحكيم قد وصلا إلى القدس صباح الأحد ٥ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ (أغسطس ١٩٣٥) بمعية الزعيم التونسى الثعالبى ، حيث قابلا الحاج أمين الحسينى ونشرا دعوة الإخوان[١].

وعلى الرغم من عدم وجود إشارات تدل على تأسيس شعب الإخوان أو إنشاء التنظيم فى فلسطين فى تلك الفترة المبكرة ، فإن اهتمام الإخوان المسلمين المتميز بالقضية الفلسطينية خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) مهد الطريق لانتشار الجماعة فى فلسطين ، وقد مر بنا نشاط الإخوان المكثف في تلك الفترة من مظاهرات وندوات وجمع للتبرعات ومشاركة فعلية فى ثورة فلسطين ، ولعل أبرز هذه الأعمال أثراً على انتشار الدعوة فى فلسطين هو وصول مجلتهم «النذير» إلى فلسطين وهجومها الشديد على بريطانيا وتأييدها لكفاح شعب فلسطين.

أما فى الفترة (١٩٣٩ - ١٩٤٥) فيبدو أن أفراداً من أهل فلسطين بدأوا ينضمون إلى الإخوان المسلمين دون أن يشكلوا شُعبًا رسمية للإخوان فى فلسطين[٢] ، وذلك لحالة الاضطراب والقهر التى سادت البلاد بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية . . إلا أن الإخوان المسلمين استمروا فى دعوتهم بطرقهم المعروفة من إرسال الرسل للدعوة فى المساجد ، «والتعرض للقضايا السياسية التى تتوافق مع الرغبات القومية ، وقد مهد الإخوان لدعوتهم بواسطة جريدتهم التى كانت تصل إلى فلسطين يوميًا ، وفيها الشئون السياسية والدفاع عن حقوق أهل فلسطين»[٣].

---

(١) حسن البنا ، ص ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) محسن محمد صالح ، ص٤٣٩ .

(٣) بيان نويهض الحوت (القيادات والمؤسسات السياسية فى فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨) ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨١ ، ص٥٠٣ .

كما عمل الإخوان تحت لافتات مختلفة في تلك الفترة ، «إذ أسسوا جمعية المكارم في القدس سنة ١٩٤٣م»[١] ، ويبدو أنها لم تكن الجمعية الوحيدة ، «فقد انتشرت دعوة الإخوان المسلمين في الثلاثينيات تحت أسماء جمعيات دينية متعددة كان من أبرزها «جمعية المكارم» في القدس ، ولم تتوحد هذه الجمعيات وتأخذ اسم (جماعة الإخوان المسلمين) إلا بعد مؤتمر عام عقد في مدينة حلب سنة ١٩٤٤ حضره ممثلون عن الجمعيات الفلسطينية»[٢] .

وقد انضم العديد من أبناء فلسطين الذين يدرسون في الجامعات المصرية إلى الإخوان المسلمين ، وعندما عادوا إلى فلسطين أسهموا بنشر الفكرة هناك ، وأحد الأمثلة على ذلك الشيخ (مشهور ضامن بركات) الذى كان أحد الطلبة الدارسين في مصر في مطلع الأربعينيات والذى أصبح فيما بعد رئيس شعبة الإخوان المسلمين في نابلس عند تأسيسها عام ١٩٤٦م . [٣]

تأسيس الشعب الإخوانية :

«حضر مندوبو الإخوان المسلمين من فلسطين مؤتمر الإخوان الخامس في حلب سنة ١٩٤٤م الذى اتخذ قراراً بتوحيد أسماء الجمعيات المتعددة التي سبق وأنشأتها الحركة في البلدان المتعددة باسم (الإخوان المسلمون)»[٤]، وحينما خفت ظروف الضغط بانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ الإخوان يؤسسون الشعب في المدن المختلفة .

وليس غريباً أن يسجل التاريخ اليوم الأول لافتتاح شعبة الإخوان في القدس في الخامس من مايو سنة ١٩٤٦ ، لما لهذه المدينة المقدسة من أهمية بالغة في قلوب المسلمين ، ولتواجد القيادة السياسية الفلسطينية فيها ، ولحضور مندوب عن المرشد العام الشيخ حسن البنا ، مما جعل بيان نويهض الحوت تعتبره أول فرع للجماعة في فلسطين .

ويغلب على الظن أن فروع غزة ويافا على الأقل قد سبقت فرع الإخوان في القدس ، «ويبدو أن أول فروع الإخوان المسلمين إنشاء في فلسطين كان فرع مدينة غزة - التى تعتبر أقرب مدن فلسطين إلى مصر .. وكان أول رئيس لشعبة الإخوان المسلمين في غزة الحاج ظافر

---

(١) المرجع السابق، ص٥٠٢ .

(٢) د. على محافظة، (الفكر السياسى فى فلسطين ١٩١٨م - ١٩٤٨م) ، عمان : مركز الكتب الأردنى، ١٩٨٩م، ص٣٤٤ .

(٣) محسن محمد صالح، ص٤٣٩ .

(٤) بيان نويهض الحوت، ص٥٠٢ .

الشوا الذى كان رئيسًا لجمعية التوحيد ، وقد ظلت هذه الجمعية موجودة ، وقد أنشئ هذا الفرع بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تقريبًا (أواخر سنة ١٩٤٥) ، وصار من أنشط فروع الإخوان في فلسطين»[١] ، وقد زاره الشيخ حسن البنا فى ٢٠ مارس ١٩٤٨ وكتب كلمة فى دفتر الزيارة الخاص بالشعبة.[٢]

وفي مدينة يافا حسب ما يقول يوسف عميرة – أحد أوائل المشاركين فيه – فقد تأسس الفرع في أواخر سنة ١٩٤٥ أو بدايات ١٩٤٦ ، وقد أقيم حفل بمناسبة افتتاحه شارك فيه مندبون عن الإخوان المسلمين في مصر ، وتولى رئاسة المكتب الإدارى لفرع يافا السيد ظافر الدجاني ومعه تسعة أعضاء .. وكان فرع الإخوان في يافا أكثر الفروع بروزًا في فلسطين وقد زاد عدد أعضائه عن ٣٠٠ عضو .[٣]

وفي حيفا تم في عام ١٩٤٦ أيضًا إنشاء فرع للإخوان المسلمين ، حيث جاء وفد من إخوان مصر من بينهم سعيد رمضان لضم جمعية الاعتصام إلى الإخوان .. وقد انضم أكثر الأعضاء دون رئيس الجمعية الشيخ محمد نمر الخطيب ونائبه الشيخ تقى الدين النبهانى الذى أسس فيما بعد حزب التحرير الإسلامي ، وكان أول رئيس لشعبه حيفا الشيخ عبد الرحمن مراد ، وهو شيخ أزهرى ، ومع الأيام أصبح فرع الإخوان أقوى من جمعية الاعتصام .[٤]

أما افتتاح فرع القدس فقد نقل حسنى أدهم جرار عن مجلة المنتدى يقول : «أقيمت بعد ظهر يوم الاثنين ٦ مايو ١٩٤٦ حفلة افتتاح مقر جماعة الإخوان المسلمين فى حى الشيخ جراح بالقدس ، وكان عدد الذين لبوا الدعوة يزيد على الألفين من القدس والقرى المجاورة ومندوبى الإخوان من فلسطين وشرق الأردن ، وقد تحدث فى الحفل الشيخ أحمد الطاهر ، أمين سر الجماعة فى مدينة يافا ، والشيخ أسعد الإمام الحسينى أمين سر الجماعة ، كما تحدث كل من الشيخ عبد الحميد السائح وناصر الدين النشاشيبى والشيخ عبد الله غوشه والسيد جمال الحسينى رئيس الحزب العربى ، وكانت الكلمة الأخيرة للشيخ عبد المعز عبد الستار ممثلاً للمرشد العام .. وقد حضر عدد كبير من إخواننا المسيحيين ..»[٥] ، وكان مما قاله السيد جمال نائب رئيس اللجنة العربية العليا : «أنه تمنى منذ تسع سنوات أن تنتشر دعوة

---

(١) محسن محمد صالح ، ص٤٤١ .
(٢) عباس السيسى ، ص١٥٣ .
(٣) محسن محمد صالح ، ص٤٤٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص٤٤٤ .
(٥) حسنى أدهم جرار ، ص٣٦٨ .

الإخوان فى فلسطين ، وأن أمنيته قد تحققت الآن ، وأعلن انضمامه للإخوان ، وحلّى صدره بشعارهم»[١] .

وقد تتابع إنشاء فروع الإخوان فى فلسطين قبل حرب ١٩٤٧-١٩٤٨ فأنشئت فروع فى قلقيلية واللد وطولكرم والمجدل وسلواد والخليل وخان يونس وبئر السبع والناصرة وعكا وغيرها من المدن [٢] .

وجاء فى رسالة «القول الفصل» للمرشد العام ، وهى آخر ما كتبه للإخوان : «وللإخوان فى فلسطين أكثر من عشرين شعبة فى الشمال والوسط والجنوب»[٣] .

قيادة الإخوان المسلمين فى فلسطين :

يذهب البعض [٤] إلى أن الإخوان المسلمين لم تكن لهم قيادة واحدة تمثلهم جميعًا منذ التأسيس وحتى نهاية حرب ١٩٤٨ ، وذلك بسبب قصر المدة فلم تكد تمضى سنة ونصف على التأسيس حتى أعلن قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، وانشغل الإخوان فى فلسطين بشكل أساسى فى الجهاد وقتال اليهود ، يضاف إلى ذلك أساليب الاحتلال البريطانى الإرهابية والقمعية .

وترى بيان نويهض أن الإخوان المسلمين كانوا يتبعون حركة الإخوان في مصر مباشرة[٥] ، ويرى محسن محمد صالح أن الحركة في فلسطين أخذت بعدها المرتب والمنظم فى فترة متأخرة نسبيًا لأن القرارات التى صدرت عن المؤتمر (حيفا ١٩٤٧) والتى تؤكد وجود مكتب إدارى للإخوان فى فلسطين جاءت قبل شهر واحد فقط من صدور قرار التقسيم واندلاع حرب فلسطين.

لكننا نرى فى صحيفة الدفاع التى تصدر فى يافا وفى وقت مبكر ، العدد ٣٣٢١ بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٤٦ أن جماعة الإخوان المسلمين عقدت مؤتمراً عاماً لها فى القدس فى ٢٩ مارس / آذار ١٩٤٦ برئاسة الشيخ عبد البارى بركات وتولى أمانة السر الشيخ أسعد الإمام ،

---

(١) إسحق موسى الحسينى ، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ، ص١٤٤ .

(٢) بيان نويهض الحوت ، ص٥٠٣ ، ومحسن محمد صالح ، ص٤٤٥ ، وعلى محافظة ، ص٣٤٥ ، وعوض جدوع العبيدى ، ص٥٠ .

(٣) صلاح شادى ، (صفحات من التاريخ : حصاد العمر) ، الكويت : شكرة الشعاع ، ١٩٨٠م ، ص٦٢ .

(٤) محسن محمد صالح ، ص٤٤٥ .

(٥) بيان نويهض الحوت ، ص٤٠٥ .

أمين سر جماعة القدس، وقررت عقد اجتماع عام لمندوبي شعب الإخوان المسلمين يوم الجمعة ١٢ أبريل / نيسان ١٩٤٦ في المركز العام للإخوان المسلمين في مدينة القدس،[١] وكما ينقل نفس المصدر عن جريدة فلسطين الصادرة في يافا، العدد ٦٢٩٥ بتاريخ ١٤ / ٤ / ١٩٤٦ فإن الإخوان المسلمين قد انتخبوا المكتب الدائم من الشيخ عبد البارى بركات والشيخ عمر صوان والشيخ مشهور الضامن وجميل وهبة وظافر الشوا وخليل الوفائى ونمر المصرى،[٢] يضاف إلى ذلك أن مؤتمر حيفا في أكتوبر ١٩٤٦ يدلل على أن للإخوان المسلمين قيادة جماعية واحدة، لكن قصر المدة والظروف حالت دون شيوع هذا الأمر .

أنشطة الإخوان ومؤتمراتهم :

- مؤتمر حيفا (١٩٤٦) : في ١٨ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٦ عقد الإخوان مؤتمراً عامًا في حيفا حضره ممثلون عن لبنان والأردن وتقرر فيه :

١ - اعتبار حكومة فلسطين مسئولة عن الوضع السياسي المضطرب .

٢ - تأييد الجامعة العربية .

٣ - تأييد مطالب مصر بالجلاء ووحدة وادى النيل .

٤ - عدم الاعتراف باليهود الطارئين على البلاد .

٥ - تعميم شعب (الإخوان) .[٣] .

- مؤتمر حيفا (١٩٤٧) : في ٢٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٧ عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً كبيراً في مدينة حيفا أعلنوا فيه تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل واستعدادهم للتعاون مع كل الهيئات الوطنية وعدم ثقتهم بمجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة.

إن اهتمام الإخوان المسلمين بتحرير فلسطين كان اهتمامًا صادقًا ومرتكزاً على الإيمان الديني العميق، وفي السنتين ما بين انتشار الإخوان وبين النكبة، اقتصر نشاط الإخوان على افتتاح المكتبات والأندية وإلقاء المحاضرات، إلا أنهم منذ إعلان قرار التقسيم ابتدأوا يجسدون اهتمامهم الكامل بالتحرير تجسيداً عمليًا، فاتخذوا من مقرهم في القدس مقراً للجهاد .[٤]

كما نشط الإخوان المسلمون - باعتراف الرواية الإسرائيلية الرسمية - بشكل كبير،

---

(١) على محافظة، ص٣٤٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) بيان نويهض الحوت، ص٥٠٣.

(٤) المرجع السابق، ص٥٠٤.

ودعوا العرب إلى رفع راية (التمرد) ضد اليهود والإنجليز حتى إن المؤسسات القومية اليهودية احتجت واشتكت عليهم للسلطات البريطانية [1] ، كما أنشأ الإخوان فرقًا للكشافة والجوالة كانت من أفضل الفرق في فلسطين [2]. وجاء في الرواية الإسرائيلية : «إثر احتجاجات من جانب اليهود أرسلت السلطات في ٢١ / ١١ / ١٩٤٦ تعميمًا إلى موظفي الحكومة ، حظر بموجبه عليهم الانتماء إلى النجادة والفتوة والإخوان المسلمين والمنظمات المشابهة» [3].

المبحث الثالث
الإخوان المسلمون وحرب ١٩٤٨

حرب ١٩٤٨ :

كان قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ في ، ثم قرار بريطانيا بإنهاء انتدابها على فلسطين وعزمها على الانسحاب في نهاية يوم ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ ، سببًا رئيسيًا في اندلاع المواجهات العنيفة بين الفلسطينيين واليهود ، ثم دخول الجيوش العربية السبعة إلى أرض فلسطين ، وما سبقها من قوات المتطوعين من الإخوان المسلمين وغيرهم .

فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتأسيس هيئة الأمم المتحدة ، عملت بريطانيا على نقل قضية فلسطين إلى هذه الهيئة الدولية بهدف تحقيق غرضين أساسين : الأول أن قرار الهيئة الدولية ستكون له قيمة دولية ، وسوف يلزم دولاً كثيرة ، أما الغرض الثاني فإن بريطانيا تستطيع بالقرار الدولي أن تتخلص نهائيًا من وعودها للعرب وواجباتها نحوهم ، فقد كانت دائمًا تدعي البراءة مما يجري على أرض فلسطين .

قامت الولايات المتحدة الأمريكية وبتأثير من النفوذ الصهيوني فيها بجهود كبيرة وضغوط شتى على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وعلى مندوبيها في نيويورك ، وساعد على

(١) (حرب فلسطين ٤٧-٤٨ الرواية الرسمية الإسرائيلية)، ترجمة أحمد خليفة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١، ص١٤.
(٢) محسن محمد صالح، ص٤٤٩.
(٣) حرب فلسطين، مرجع سابق، ص١٣.

ذلك ضعف الدول العربية وعدم توحيد جهودها ، مما سهل صدور قرار التقسيم ، «فقد صوت مع القرار (٣٣) دولة ، وصوت ضده (١٣) دولة ، بينما امتنعت (١٠) دول ، وتغيبت دولة واحدة»[١] ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من الدول التي أيدت القرار ، بينما امتنعت بريطانيا عن التصويت ، وقد نص القرار على إنشاء دولتين : عربية ويهودية ، وجعل مدينة القدس تحت الوصاية الدولية ، وقد أعطى القرار للدولة اليهودية ٥٦٪ من أرض فلسطين ، بما فيها أكثر الأراضي خصوبة .

أحس الفلسطينيون والعرب بالظلم الشديد لهذا القرار ، فاليهود الذين كان عددهم في فلسطين قبل ثلاثين سنة وعند الاحتلال البريطاني «لا يتجاوز ثلاثة وخمسين ألفًا ، أصبحوا في عام ١٩٤٧ حوالي ستمائة ألف بسبب الهجرات الأجنبية غير المشروعة ليهود بولندا وروسيا ودول الكتلة الشرقية ، وهذا العدد لا يؤلف ثلث سكان فلسطين»[٢]

الفلسطينيون :

شعر الفلسطينيون أن وطنهم يضيع من بين أيديهم ، وبقرار دولي ، فوطدوا العزم على مقاومته، فقد أعلنت (الهيئة العربية العليا) برئاسة الحاج أمين الحسيني والتي تشكلت لقيادة ثورة ١٩٣٦ عن تأسيس (جيش الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني ، الذي بدأ بتجنيد المقاتلين في المدن والقرى ، رغم قلة الأموال وقلة السلاح ، حيث كانت بريطانيا تحظر على العرب اقتناء السلاح ، وقد عمل المقاتلون الفلسطينيون للدفاع عن المدن والقرى العربية، وإفشال مخطط تأسيس الدولة اليهودية ، وبذلوا محاولات جادة في جمع السلاح من الدول العربية .

وقد بدأت المنظمات الصهيونية المدربة والمسلحة تسليحًا جيدًا ، بمهاجمة المدن والقرى العربية، خاصة تلك التي تقع داخل المناطق التي أعطاها قرار التقسيم لليهود ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى إجلاء مئات الألوف من العرب والاستيلاء على بيوتهم وممتلكاتهم، وقد قاموا بأعمال إرهابية متعددة مما تسبب في انتشار حالة من الرعب والهلع ، عبرت عنها البرقية التي أرسلها مجلس بلدية غزة إلى الملوك والرؤساء العرب في ٤ / ١ / ١٩٤٨ في أعقاب هجوم اليهود على مدينة يافا ، وغيرها من المدن العربية ، و«الضحايا في ازدياد

---

(١) فلاح خالد علي، (الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٤٩م وتأسيس دولة إسرائيل)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م، ص٢٤.

(١) المرجع السابق، ص ص ٧٣-٧٤.

مستمر ، ونحن عزل ، ولازلنا ننتظر العون ، أنقذونا بالعمل المجدى السريع»[1] .

وخاض الفلسطينيون معركة غير متكافئة فى الخمسة شهور التى سبقت دخول الجيوش العربية ، وحافظوا على أكثر المواقع ، واستشهد الكثيرون منهم لقلة السلاح وعدم وصول الإمدادات العربية ، «كانت الجامعة العربية ترسل لنا السلاح البالى ، والبنادق التى أكلها الصدأ ، ومع هذا كله فليس معها رصاص»[2] ، وقامت بمعاونة الفلسطينيين مجموعات المتطوعين من الإخوان المسلمين ، الذين بدأوا يتوافدون على فلسطين منذ أواخر سنة ١٩٤٧ ، ورغم العراقيل التى وضعتها أمامهم الحكومة المصرية .

اليهود :

كان اليهود قد أعدوا أنفسهم جيداً لمثل هذه الأيام ، فهم يعرفون ما يريدون ، فقد حصنوا مستعمراتهم ، وأعطاهم الجيش البريطانى الكثير من القواعد العسكرية والأسلحة ، وكانت لهم منظماتهم العسكرية المدربة والمسلحة والتى أعدوها منذ سنوات .

كانت أكبر هذه المنظمات وأقواها منظمة (الهاجاناة) والتى يقودها (بن غوريون) وكانت تضم حوالى ستين ألف مقاتل ، كما جاء فى إحدى «الوثائق البريطانية الرسمية»[3] ، حيث تنقسم المنظمة إلى ثلاثة أقسام : الأول (قوات الدفاع الثابت) وتضم أربعين ألفًا من المقاتلين المدربين فى المستوطنات والمدن ، والقسم الثانى (قوة القتال) وتتكون من ستة عشر ألف مقاتل للأغراض الهجومية ، أما القسم الثالث فهو (البالماخ) أى الصاعقة وتتكون من ستة آلاف ، كان من أبرزهم موشى ديان وإسحاق رابين وحاييم بارليف وغيرهم ، وقد قامت قوات (البالماخ) بالكثير من الأعمال الإرهابية لترويع الناس وطردهم من بيوتهم ، وكان لمنظمة (الهاجاناة) قوات احتياطية تبلغ أربعين ألفاً من القوات .

أما المنظمة الثانية فكانت (الأرجون) أى المنظمة العسكرية القومية ، والتى كانت بقيادة (مناحيم بيجن) ، وكانت تضم حوالى ثلاثة آلاف مقاتل ، وتميزت هذه المنظمة بقوة مخابراتها ، حيث جندت اليهود المهاجرين من الدول العربية ، للقيام بأعمال التجسس فى المدن والقرى العربية وتنفيذ أعمال الإرهاب والتدمير التى كانت من أبرزها مذبحة (دير ياسين) .

بالإضافة إلى منظمة (شتيرن) الأكثر تطرفًا ، والتى كان يقودها إسحق شامير ، وتتكون

---

(١) على محافظة ، مرجع سابق ، ص١٢٧ ، عن جريدة الدفاع (يافا) ، عدد ٣٨٤٨ فى ٥ / ١ / ١٩٨٤م.

(٢) محمد نمر الخطيب ، (من أثر النكبة) ، دمشق : المطبعة العلومية ، ١٩٥١م ، ص١٧٣ .

(٣) فلاح خالد على ، ص١١٧ ، وثيقة رقم ٦٨٧٣ بتاريخ ٢٤ /٧/ ١٩٤٦ .

من حوالى ثلاثمائة عضو مستعدين للقيام بأى عمل مهما كانت درجته الإرهابية ، يضاف إلى هذه المنظمات (الفيلق اليهودى) الذى شكله الإنجليز فى أواخر الحرب العالمية الثانية ، ليساعد الحلفاء ، وكان عدده (٥٣٥٨) جنديًا [١] .

الدول العربية :

كانت الدول العربية السبع المكونة لجامعة الدول العربية ، تعاني من ضعف فى جيوشها وتدريبها وتسليحها ، وكانت فوق ذلك تعانى من اتساع الهوة بين الحكومات والجماهير ، بالإضافة إلى قوة نفوذ بريطانيا السياسى والعسكرى على كل من مصر والأردن والعراق التى تربط كل واحدة منها معاهدة ثنائية مع بريطانيا ، وتحتفظ بقواعد عسكرية فى هذه الدول الثلاث ، والسعودية التى تربطها مع أمريكا علاقات اقتصادية وسياسية ، ولم تبق إلا اليمن البعيدة ، وسوريا ولبنان حديثتا العهد بالاستقلال .

وكان العرب منقسمين بين معسكرين متصارعين هما : المعسكر الهاشمى الذى يضم الأردن والعراق ، والمعسكر السعودى المصرى ، الذى تقترب منه سوريا نظراً لأطماع الهاشميين فيها ، كما كانت (الهيئة العربية العليا) التى تقود الفلسطينيين على عداء وتناحر مع المعسكر الهاشمى ، حيث ساعد الحاج أمين الحسينى ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، وحيث وجد الملك عبد الله ملك شرقى الأردن منافسة الحاج أمين الحسينى على زعامة الفلسطينيين وخاصة على المناطق التى حددها قرار التقسيم للدول العربية .

اضطرت الجيوش العربية إلى الدخول لحرب فلسطين بسبب حالة الغليان الشعبى التى اجتاحت المنطقة ، وبموافقة بريطانيا بشرط عدم الدخول إلى المناطق التى خصصت لليهود بموجب قرار التقسيم .

الحـــرب :

بدأت الحرب بدخول الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين فى ١٥ مايو / آيار ١٩٤٨ ، عند انسحاب القوات البريطانية وإعلان دولة (إسرائيل) .

دخل الجيش المصرى من الجنوب ، بعد قرار مفاجئ ، دون أن يستكمل استعداده ، وكان فى أعلى التقديرات حوالى عشرة آلاف جندى ، ومعه حوالى ألف وخمسمائة جندى سعودى[٢] . أما الجيش السورى والذى كان يتكون من ثمانية آلاف جندى دخل منه إلى

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥.

فلسطين اللواء الأول المكون من ألفي جندي ، وظل الجيش اللبناني على الحدود الدولية في خطة دفاعية ، أما الجيش العراقي والذي كان أفضل الجيوش العربية تسليحًا وتدريبًا ، فقد أرسل ثلاثة آلاف جندي ، وصل عددهم في نهاية الحرب إلى خمسة عشر ألفًا ، وكانت الجيوش - كما أعلن - تحت إمارة الأمير عبد الله ، أمير الأردن ، وكان رئيس أركان الجيش الأردني الضابط البريطاني (جلوب) والذي كان يعاونه في قيادة الجيش سبعة وثلاثون ضابطًا بريطانيًا ومائة وثمانون ضابط صف كما جاء في إحدى الروايات[1] بينما ذكر عبد الله التل أحد قادة الجيش الأردني في تلك الحرب أسماء خمسة وأربعين ضابطًا بريطانيًا[2] .

أراد معظم الملوك والرؤساء من الحرب عمل مظاهرة لتسكت شعوبهم الغاضبة ، كما عمل أكثرهم على تثبيت مشروع التقسيم ، «وأعلنت قيادة الجيوش حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين وتوقيف نشاطها بحجة أن ذلك يعرقل عمل القوات النظامية»[3] . كما تم عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة معالجة قضية فلسطين ، وترك هذه المعالجة للجامعة العربية والجيوش العربية ، رافق ذلك إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في البلاد العربية بحجة حماية المجهود الحربي .

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي حارب في فلسطين مع الجيش العراقي : «لقد أرسل عبد الإله الجيش إلى فلسطين لا ليحارب ويطرد اليهود ، بل أرسله للتغطية والتضليل عن مؤامرته مع عمه عبد الله ، ولإسكات الشعب العراقي ، وعندما وصل الجيش العراقي إلى الأردن عطلوه وشلوه ومنعوه من القتال ، وقد استقال العديد من الضباط الوطنيين احتجاجًا على ذلك»[4] .

وعلى الرغم من كل هذه الظروف الصعبة ، وفضيحة الأسلحة الفاسدة في الجيش المصري ، إلا أن هذه الجيوش خاضت معارك متعددة ، وقدمت العديد من الشهداء ، وحافظت على جزء كبير من الأراضي العربية ، بل حررت القوات السورية مناطق عديدة في الشمال ، كما كان للوطنيين في الجيش الأردني وتعاونهم مع مجموعات (جيش الجهاد المقدس) الفلسطيني ومتطوعي الإخوان المسلمين دور كبير في الحفاظ على مدينة القدس والأماكن المقدسة ، وكانت قرارات الهدنة الأولى ، والتي يخرقها اليهود بعد استكمال استعداداتهم ،

---

(١) عباس مراد ، (الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١-١٩٧٢م) ، بيروت : م . ت . ف . مركز الأبحاث ١٩٧٣م ، ص٦٣ .

(٢) عبدالله التل ، (كارثة فلسطين) ، القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٥٩م ، ص ص ٨١-٨٣ .

(٣) فلاح خالد علي ، ص٦٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٠٥ .

ثم الهدنة الثانية وتآمر القيادات العربية ، وتسليم مدينتي اللد والرملة لليهود ، عن طريق انسحاب الجيش الأردنى بأوامر من ضباطه الإنجليز ، وعدم وصول الإمدادات للجيوش العربية ، والمذابح والعمليات الإرهابية الصهيونية أثرها فى نهاية الحرب في مارس ١٩٤٩ ، وتوقيع اتفاقيات الهدنة مع إسرائيل التى استولت فى نهاية الحرب على حوالى ٧٥ ٪ من أرض فلسطين ونجحت فى طرد أكثر من مليون فلسطينى من مدنهم وقراهم لتبقى فى يد العرب مدينة القدس القديمة وما فيها من المقدسات بالإضافة إلى الخليل ورام الله ونابلس وبيت لحم وأريحا التى ظلت تحت السيطرة الأردنية وسميت بالضفة الغربية ، بالإضافة إلى شريط ساحلى صغير يضم مدينة غزة ظل تحت سيطرة القوات المصرية .

الإخوان وحرب ١٩٤٨ :

أثبتت حرب ١٩٤٨ أن الإخوان المسلمين مستعدون للتضحية والقتال وبذل النفس فى سبيل تحرير فلسطين ، على أساس أنها قضية كل مسلم ، فجاء الإخوان من كل مكان متطوعين للحرب ومتجاوزين كل الصعوبات والعقبات التى وضعت فى طريقهم ، وكان فى مقدمتهم الإخوان المصريون بقيادة الشيخ محمد فرغلى .

ومما يثبت أهمية فلسطين لديهم ، ويدلل على التعامل الجاد مع قضية الجهاد ، أن الإخوان جاءوا برؤسائهم وكبار رجالهم ، فالإخوان الأردنيون يقودهم المراقب العام عبد اللطيف أبو قورة ، والسوريون كذلك تحت قيادة مراقبهم العام الدكتور مصطفى السباعى ، وجاء العراقيون بإمارة رئيسهم ومراقبهم العام الشيخ محمد محمود الصواف .. وشاركوا فى كثير من المعارك وأظهروا بطولات سجلت لهم ، تقول بيان نويهض : «إن الدور البطولى والجاد الذى قام به الإخوان فى المعركة هو الذى جعل لهم دوراً خاصاً ومميزاً فى النضال الفلسطينى ، خاصة وأن الإخوان قد أرسلوا على رأس الكتائب المقاتلة بعضًا من قادتهم ..»[١] ، وتشهد الباحثة أن «اهتمام الإخوان بتحرير فلسطين كان اهتمامًا صادقًا ومرتكزاً على الإيمان الدينى العميق»[٢] ، وقد جاء مقاتلو الإخوان من أقطار أخرى مثل ليبيا وتونس والسودان واليمن إلى جانب من كان منهم فى فلسطين.[٣] .

---

(١) بيان نويهض الحوت ، ص ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عارف العارف ، (النكبة : نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٢م) ، صيدا (لبنان) : المكتبة العصرية ، ١٩٥٤م ، ج٢ ، ص ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

الإخـــوان المصريون :

كان الإخوان المصريون قد استطاعوا ربط الشعب المصرى بما يجرى على أرض فلسطين وتنوعت أنشطتهم وتراكمت جهودهم منذ ثورة ١٩٣٦ ، فلما صدر قرار التقسيم في نوفمبر سنة ١٩٤٧ كان الإخوان قد أعدوا أنفسهم وهيئوا الجماهير للمشاركة الفعلية في الدفاع عن فلسطين.

«ففي الخامس عشر من كانون أول (ديسمبر) من عام ١٩٤٧ ، أعد الإخوان لمظاهرة اهتزت لها جنبات القاهرة .. وخطب في الجموع المحتشدة الزعيم اللبناني رياض الصلح والأمير فيصل بن عبد العزيز والشيخ محمود أبو العيون وجميل مردم بك وصالح حرب باشا والقمص متياس الأنطواني والسيد إسماعيل الأزهري ، وكانت الكلمة الأخيرة لزعيم المظاهرة الإمام حسن البنا وكان مما قاله : «إنني أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل فلسطين .. وهم على أتم استعداد لتلبية ندائكم»[١].

بدأ الإخوان المسلمون المصريون بالتوجه للجهاد في فلسطين منذ أكتوبر ١٩٤٧ ، وقد سافرت أول كتيبة من الإخوان بإمارة الشيخ محمد فرغلي وقيادة الصاغ محمود لبيب.[٢] ونحن هنا لن نستعرض المعارك التي خاضها الإخوان في فلسطين ، فقد كتب في ذلك الكثيرون من الإخوان وغير الإخوان ، ولكننا سنشير إلى أمور لها دلالتها ومغزاها مما يفيدنا في البحث ، ومما يؤسس أرضية صلبة لتعاطف شعب فلسطين مع الإخوان المسلمين ، حيث لمس فيهم الصدق والتضحية والحب لفلسطين - وطن المسلمين جميعًا - مما جعل الكثيرين ينتمون لهذه الجماعة ، وما يجعلنا نستخلص هنا أن عمل الحركة الإسلامية لفلسطين ليس جديداً ولا طارئًا وإنما هو متأصل في فكر الإخوان وممارستهم .

بداية تجدر الإشارة إلى «العقبات والعراقيل»[٣] التي وضعت في طريق الإخوان ، وعدم السماح لهم بالذهاب إلى فلسطين ، مما ألجأهم للتحايل والتسلل ، ثم يأتي قرار جامعة الدول العربية بمنع دخول المتطوعين واقتصار ذلك على الجيوش العربية النظامية ، لكن الإخوان استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم كأمر واقع حينما تطوعوا تحت إشراف الجامعة العربية ،

---

(١) محمود عبدالحليم ، مرجع سابق ، ص٤١٢ .

(٢) محسن محمد صالح ، ص٤٠٧ .

(٣) محمود عبدالحليم ، ص٣١٢ .

فالإخوان لم يستأذنوا أحداً للجهاد ، ومع ذلك فقد حاولوا دائما إشراك الأمة كلها بل والحكومات فيما يريدون تحقيقه من أهداف .

كما نشير إلى بطولاتهم وشجاعتهم وتحاملهم على الجراح وتعاملهم مع الجهاد على الأرض المباركة كفريضة وواجب دينى ووطنى متجاوزين المصالح الضيقة من إقليمية أو حزبية ، فلم يؤثر فى جهادهم قرار حل جماعتهم فى القاهرة بل واقتيادهم إلى المعتقلات فى أرض المعركة ، «فقد طلب اللواء المواوى قائد حملة فلسطين رسميًا فى عدة خطابات له إلى الأمانة العامة للجامعة العربية تجنيد أكبر عدد ممكن من شباب الإخوان وإرسالهم فوراً إلى ميادين القتال .. وكلف اللواء المواوى الشيخ محمد فرغلى رئيس متطوعى الإخوان إلى حرب فلسطين بالسفر إلى القاهرة لاستعجال تجهيز وتعبئة شباب الإخوان المسلمين» .[1]

كان للإخوان دور مشهود فى جنوب فلسطين فى مناطق غزة ورفح وبئر سبع .. وكانت لهم مشاركتهم الفعالة فى معارك القدس وبيت لحم والخليل وصور باهر.[2] وقام الإخوان أيضًا بجهد رائع فى إمداد قوات الجيش المصرى المحاصرة فى الفالوجا بالمؤن والذخيرة بقوافل الجمال عبر الصحراء ، وكان للبطل الصاغ معروف الخضرى جهد مشكور فى هذه الفترة ، وبلغت تضحيات الإخوان المصريين فى معارك فلسطين حوالى مائة شهيد ومثلهم من الجرحى وبعض الأسرى.[3]

ولا ننسى أن نشير إلى تقييم اليهود أنفسهم لدور الإخوان المسلمين ، فهم يتابعون دور الإخوان منذ ما قبل الحرب ، وتعترف الرواية الإسرائيلية الرسمية لحرب ١٩٤٨ بدور الإخوان فى التحريض والتعبئة والإعداد للمعركة : «استمر التحريض فى المساجد والمهرجانات والاجتماعات، وقام بدور معين فيه - الإخوان المسلمون - وهى منظمة دينية قومية متطرفة أصلها من مصر، وقد بدأت هذه المنظمة فى السنوات التى أعقبت الحرب (العالمية الثانية) بالقيام بنشاط كبير فى أرض إسرائيل ، ودعا مبعوثوها إلى رفع راية التمرد ، ووعدوهم بالدم والسلاح والمال من مصر»[4] .

وفى موضع آخر تقر الرواية الرسمية الإسرائيلية أن الإخوان المسلمين هم أول من بادروا

---

(١) حسين محمد أحمد حمودة، (أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون)، القاهرة: الزهراء للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٨٩م، ص٥٨.

(٢) محسن محمد صالح، ص٤٧٣.

(٣) صلاح شادى، ص٦٣ ومحسن محمد صالح، ص٤٧٥.

(٤) حرب فلسطين، الرواية الإسرائيلية، مرجع سابق، ص١٤.

للتطوع والقتال رغم العقبات وعدم السماح من الحكومة المصرية فتقول : «صدرت المبادرة للتطوع لنجدة العرب أولاً عن منظمة «الإخوان المسلمين» المتعصبة التى كانت مشبوهة ومكروهة من جانب الحكومة ، وتسللت مجموعاتهم دون موافقة الحكومة المصرية ، إلى أن انتظموا فى كتيبة فى فبراير سنة ١٩٤٨ ».(١) وتؤكد الرواية الإسرائيلية أخبار الشجاعة والبطولة والإقدام فتقول : «ولم يكن مستوى وحداتها العسكرى أفضل من مستوى باقى الوحدات ، ولكنها تميزت بروحيتها القتالية وتشبثها بالهدف»(٢) . وهنا نرى أن اليهود يتوقعون حدة المواجهة التى يمكن أن يتعرضوا لها من منظمة إسلامية جهادية .

ولعلنا نجد فى سياق الجهاد الذى مارسه الإخوان فى فلسطين إشارة مهمة لموضوع على جانب من الأهمية ، ألا وهو العلاقة مع المسيحيين ، وهى علاقة معروفة فمنذ أن بدأ البنا دعوته وهو يحارب الطائفية وتربطه علاقات ود مع كبار رجال الدين المسيحى ، وكثيراً ما كان يدعوهم للمهرجانات والاحتفالات . أما فى فلسطين فلم يستطع المستعمر البريطانى ولا العدو الصهيونى أن يستغل هذا الموضوع ، فتاريخ فلسطين وحتى يومنا هذا لم يعرف فتنة بين المسلمين والمسيحيين، وقد رأينا كيف دُعِىَ المسيحيون إلى احتفال افتتاح شعبة الإخوان المسلمين فى القدس سنة ١٩٤٦ .

وقد كان من نصيب الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين أن يدافعوا عن مدينة بيت لحم مهد المسيح عليه السلام إلى جانب المدن التى دافعوا عنها ، ويذكر حسين محمد أحمد حمودة أحد الضباط الأحرار المصريين : «إن المسيحيين احتفوا بالإخوان المسلمين عند دخولهم للدفاع عن مدينتهم ، وكان الإخوان يبادلونهم هذا الشعور الكريم ، لما رأوه من إخلاصهم ولما شاهدوه من غيرة صادقة على كرامة العرب ، وقد استشهد حول أسوار بيت لحم عدد هائل من شباب الإخوان المسلمين دفاعًا عن مقدسات المسيحيين ، وظل الإخوان يدافعون عن بيت لحم عامًا كاملاً دون أن تقع حادثة واحدة من تلك الحوادث التى تقع عادة بين الجنود والمدنيين من أهل البلاد»(٣) .

وختامًا لهذه الملاحظات نشير إلى النموذج الحى للمسلم المجاهد الذى مثله مجاهدو الإخوان المسلمين فى نظر شباب فلسطين وشيوخها ، وإلى الأخلاق الرفيعة التى تحلوا بها ، مما كان لها الأثر فى أن تتجذر دعوة الإخوان المسلمين فى أرض فلسطين قوية راسخة .

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق، ص٥٤٤ .

(٣) حسن أحمد محمد حمودة، ص٥٢ .

الإخوان الأردنيون :

كانت جماعة الإخوان المسلمين في الأردن قد تأسست سنة ١٩٤٥ على يد الحاج عبد اللطيف أبو قورة وبعض إخوانه [١] .. وما أن بدأ الإخوان يمارسون أنشطتهم المعتادة من دعوة وخطابة ومحاضرات ، حتى دهمتهم قضية فلسطين بأحداثها الجسام ، وما كان لأهل الأردن أن يبتعدوا عن هذه القضية وهم أقرب الناس إليها ، «شكل الإخوان المسلمون هناك لجنة لجمع التبرعات والمساعدات ، كما فتحوا باب التطوع للمشاركة في الجهاد ، وكان تجاوب الناس رائعًا ، يذكر محمد عبد الرحمن خليفة (المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين)[٢] أنه عندما فتح باب التطوع في شعبه السلط سجل أكثر من ثلاثة آلاف شخص أنفسهم»[٣] .

أما في عمان وما حولها فقد تكونت سرية أبو عبيدة من ١٢٠ مجاهداً من الإخوان المسلمين في الأردن في تلك الفترة ، أما القيادة العسكرية فقد تولاها الملازم المتقاعد ممدوح الصرايرة ، وقد دخلت فلسطين في ١٤ / ٤ / ١٩٤٨ وتمركزت في عين كارم وصور باهر.[٤]

ويروى الحاج ممدوح الصرايرة الذى كان قائداً عسكريًا لسرية أبي عبيدة : «إن الناس قد تبرعوا للإنفاق على السرية ، وكان أبرز المتبرعين الحاج عبد اللطيف أبو قورة وعبد الله أبو قورة وصبرى الطباع وأبو صلاح الشربجي [٥] ، وخاضت هذه السرية عدة معارك واستشهد عدد من أفرادها ، كما كان من أشهر معاركهم معركة رامات راحيل ومعركة القطمون ويذكر الأستاذ أحمد الخطيب[٦] وهو أحد الرواد الأوائل في جماعة الإخوان المسلمين بالأردن أنه ذهب والأخ نايف أبو عبيد إلى مصر لشراء الأسلحة ، وأنهم قابلوا المرشد العام وأعطوه المال لشراء السلاح ، ثم عادوا بعد مدة بكمية من السلاح وضعت الجامعة العربية يدها على معظمها .

---

(١) عونى جدوع العبيدى، ص٣٤ .

(٢) أصبح الأستاذ عبدالرحمن خليفة، المراقب العام للإخوان المسلمين فى الأردن منذ ١٩٥٣ وحتى ١٩٩٤م حيث تم اختيار المحامى عبدالمجيد ذنيبات مراقباً عاماً جديداً.

(٣) محسن محمد صالح، ص٤٧٦ .

(٤) سليمان موسى، (أيام لا تنسى: الأردن فى حرب ١٩٤٨) ، عمان: مطبعة القوات المسلحة الأردنية، ١٩٨٢م، ص ص ٥٤ - ٥٥ .

(٥) عونى جدوع العبيدى، ص٥٤ .

(٦) المرجع السابق، ص٦٠ .

الإخوان السوريون :

لقد عايش الإخوان المسلمون السوريون قضية فلسطين وعملوا لها ، «فقد كانوا كالإخوان في مصر – أول هيئة شعبية تتبنى قضية فلسطين وتتولى شرحها للرأى العام في سوريا ، وكانوا على صلة وتعاون مع سماحة المفتي قبل خروجه من لبنان إلى العراق»[١].

ولما أعلنت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين ، هب الإخوان في سوريا لنجدة إخوانهم عرب فلسطين ، فأعلنوا ميثاقًا مقدسًا لتشكيل جيش لتحرير فلسطين وأقبلت جموع الإخوان وأبناء الشعب السورى إلى مراكز الإخوان لتسجيل أسمائهم للتطوع في جيش التحرير .. وسرعان ما أعلنت الحكومة السورية منع التطوع إلا عن طريق الجامعة العربية . [٢]

وفي يوم ١٢ / ٩ / ١٩٤٧ نظم الإخوان اجتماعًا شعبيًا في الجامع الأموى ، أعلنوا فيه الميثاق الوطني ، وتنص أبرز بنوده على :

- إعلان استقلال فلسطين وتأسيس دولة عربية فلسطينية .
- مقاطعة أية دولة تساعد بشكل من الأشكال العدو الصهيوني .
- الشروع في تأليف «جيش التحرير العربي لإنقاذ فلسطين» .

دخل الإخوان المسلمون فلسطين بقيادة المراقب العام مصطفى السباعي وقد اشتركوا ببسالة في معارك القدس ، مثل معركة باب الخليل التي أصيب فيها خمسة وثلاثون منهم بجراح ، وكان النصر فيها معقوداً للمجاهدين ، وشاركوا في معركة القسطل مع عبد القادر الحسيني ومعركة الحي القديم في القدس ومعركة القطمون ، ونسف الكنيست اليهودى الذى اتخذه اليهود مقراً حربيًا .[٣] وتألف من الإخوان السوريين فريق لحفظ النظام والانضباط في مدينة القدس بقيادة الشيخ ضيف الله مراد ...[٤] وقد استشهد العديد من الإخوان السوريين على أرض فلسطين .

الإخوان الفلسطينيون :

حينما بدأت المواجهات العسكرية ضد العصابات الصهيونية كان الإخوان المسلمون الفلسطينيون في بداية تنظيمهم ، كما كانت إمكانياتهم متواضعة ، ومع ذلك فقد شاركوا

---

(١) حسني أدهم جرار، ص٦٧٨.
(٢) المرجع السابق، ٦٧٩.
(٣) مصطفى السباعي، (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين)، القاهرة: دار النذير ١٩٨٥م، ص٢٠.
(٤) المرجع السابق، ص ص ٢٨ – ٥٧.

مشاركة فعالة حيث «شكلت شعب الإخوان في فلسطين قوات غير نظامية منذ بداية الحرب عملت فى أماكن استقرارها فى الشمال والوسط تحت القيادات العربية المحلية هناك والتى كانت تتبع جيش الإنقاذ أو جيش الجهاد المقدس»[1] .

أما فى المناطق الجنوبية وخصوصاً غزة وبئر السبع فقد انضم العديد من إخوان فلسطين إلى قوات الإخوان (المصرية) الحرة بقيادة كامل الشريف ، ويذكر الشريف أن قوات الإخوان المصريين الحرة كان معدل عددها حوالى ٢٠٠ مجاهد فى مناطق جنوب فلسطين وأنه كان يشاركها الجهاد حوالى ٨٠٠ مجاهد من أبناء فلسطين .[2]

ويذكر يوسف عميرة – أحد الرعيل الأول من إخوان يافا – أنه كان هناك تنظيم عسكرى سرى خاص ضمن أعضاء الإخوان فى يافا .. وقد ظهر نشاطه الجهادى مع بداية الحرب ، وقد تولوا أثناء الحرب الدفاع عن مناطق البصة وتل الريش والعجمى والنزهة فى يافا بالإضافة إلى المحافظة على الأمن داخل البلد .[3]

وقد أورد الباحث الفلسطينى محسن محمد صالح فى كتابه «التيار الإسلامى في فلسطين ١٩١٧ – ١٩٤٨» تفاصيل ما قام به الإخوان الفلسطينيون معتمداً على مقابلات أجراها مع العديد ممن شاركوا فى حرب ١٩٤٨ ●

(١) محسن محمد صالح، ص٤٦٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق، ص ص ٤٦٥ – ٤٦٦ .

الفصل الثانى

الإخوان المسلمون فى الضفة الغربية وقطاع غزة

١٩٤٨ - ١٩٥٧م

آثار النكبة :

سكتت المدافع ، وأسدل الستار على فصل حزين ، حيث أعلن اليهود قيام دولتهم «إسرائيل» فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨ م ، وسارعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى بالاعتراف بالدولة «اليهودية» ووقعت الحكومات العربية اتفاقيات الهدنة فى «رودس» ابتداء من مصر فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩م ، ثم لبنان فى ٢٣ مارس، فالأردن فى ٣ أبريل وأخيراً سوريا فى ٢٠ يوليو من نفس العام .[١] وهكذا استولى اليهود على أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين .

وعم السخط أرجاء العالم العربى على هزيمة الجيوش وضياع فلسطين ، ففى مصر تفاعلت آثار فضيحة الأسلحة الفاسدة بين جماهير الشعب وازدادت نقمة الضباط الوطنيين على الحكومة والملك ، الذين تسببوا فى هزيمة الجيش المصرى فى فلسطين وحصار الفالوجا ، حيث كان من المحاصرين عدد كبير من تنظيم «الضباط الأحرار» وفى مقدمتهم جمال عبد الناصر ، فأضافت حرب فلسطين عاملاً مهمًا جديداً بالإضافة إلى عوامل الفساد الداخلى لانفجار الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والقضاء على الحكم الملكى وحظر نشاط الأحزاب .

أما فى الأردن فقد حملت جموع المشردين من فلسطين معها مشاعر السخط على الحكومات العربية ، وخاصة حكومة شرقى الأردن وأدائها فى الحرب ، مما جعل أحدهم يقوم باغتيال الملك عبد الله فى المسجد الأقصى المبارك عام ١٩٥١م . ودخلت سوريا مرحلة الانقلابات العسكرية لدرجة حدوث ثلاثة انقلابات فى عام واحد بعد النكبة ، وفى العراق ظلت الأوضاع تتفاقم حتى استطاع الجيش التخلص من الحكم الهاشمى ونورى السعيد فى ثورة يوليو / تموز ١٩٥٨م بقيادة عبد الكريم قاسم .

---

(١) محمد أحمد محافظة، (العلاقات الأردنية الفلسطينية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٣٩-١٩٥١م). عمان: دار الفرقان، ١٩٨٣، ص١٨٣.

وكان من أهم آثار النكبة على الفلسطينيين والدول العربية المحيطة بفلسطين هو نشوء مشكلة المشردين الذين أجبروا على الهرب من مدنهم وقراهم نتيجة للمذابح اليهودية وأعمال الإرهاب فعاشوا مكدسين فى الخيام ، ثم فى بيوت متواضعة أقامتها وكالة غوث اللاجئين فى قطاع غزة وفى الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن وكذلك فى كل من سوريا ولبنان .

عاش اللاجئون فى مختلف مناطقهم ظروف المخيم المتشابهة فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية ، كما عاشوا ظروفًا مختلفة من منطقة إلى أخرى حسب موقف الدولة العربية المضيفة وطريقة تعاملها معهم .

فمن الناحية الاجتماعية عانت جميع الأسر الفلسطينية من حالة التشتت ، فكثير من الأسر بقى قسم من أفرادها فى الأرض المحتلة بينما غادر القسم الآخر إلى مخيمات غزة والأردن وسوريا ولبنان ، كما أن حياة المخيم أزالت الكثير من الفوارق الطبقية بين الفلسطينيين حيث كانت تتجاور فى المخيم الواحد عائلات فقيرة فى الأصل إلى جانب عائلات كانت من أصحاب الأراضى والعقارات والأموال ، وكان الفلاح والمدنى والبدوى على اختلاف لهجاتهم وعاداتهم يعيشون فى الحى الواحد .

ومن الناحية الاقتصادية ، فإن الجميع كانوا يعانون من الفقر والبؤس ، فهم تركوا أملاكهم وأموالهم خلفهم ، والذين استطاعوا إحضار أموالهم أو بعضها استنفذوها مع الوقت ، وأصبح الجميع تقريبًا متساوين فى حياة الفقر الشديد ، ويعيشون على مصدر واحد هو معونات وكالة الغوث للاجئين ، وظلوا على تلك الحال قرابة عقد كامل قبل أن تفتح لهم مجالات العمل وإمكانية السفر إلى دول الخليج .

ومن الناحية التعليمية ، فقد وجد اللاجئون فى العلم المجال الوحيد لتحسين أحوالهم ، وشعر الآباء بخطورة الجهل الذى عانوه من سياسة بريطانيا طوال فترة الانتداب ، فأرسلوا أبناءهم جميعًا إلى مدارس وكالة الغوث ، ولم يكن لهم أرض ولا متاجر حتى ينشغل فيها الأولاد ، لذا فاقت نسبة التعليم لدى اللاجئين أعلى نسبة فى أية دولة عربية ، فلم يكن غريبًا أن ينتشر هؤلاء المشردون ، وبعد أقل من خمسة عشر عامًا ، فى معظم البلاد العربية مدرسين ومهندسين وأطباء .

أما من الناحية السياسية ، فإن قدر اللاجئين من بعضهم البعض على اختلاف أصولهم ومنابتهم وفى ظل الحياة القاسية التى يعيشونها معًا ، جعلهم دائمًا يتناقشون فى القضايا

السياسية ، ويبحثون في أسباب نكبتهم ودور الدول الكبرى والحكومات العربية في مأساتهم ، مما جعل مجتمعهم تربة خصبة للأحزاب السياسية ، وكانت بالنسبة لهم دائمًا قضية فلسطين ومواجهة اليهود هي المعيار الأول والأخير في موقفهم من الأحزاب والحكومات .

هذه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية طبعت حياة المخيمات جميعًا ، ومع ذلك فإن اختلاف الظروف من منطقة إلى أخرى أثر على حياة الفلسطينيين بصور مختلفة ، ففي قطاع غزة ، كان الفلسطينيون جميعًا من سكان القطاع الأصليين أو اللاجئين الذين وفدوا عليه وعددهم يزيد على ضعف عدد المواطنين - يعيشون على جزء من أرض فلسطين ، فلم تكن هناك بالنسبة لهم دولة مضيفة كما هو حال اللاجئين في المناطق الأخرى ، كانت هناك فقط الإدارة المصرية ، ولم يحتكوا بالشعب المصرى ، حيث تفصل بينهما ، صحراء سيناء ، كان الشعور الوطنى عندهم طاغيًا ، فهم الفلسطينيون الوحيدون الذين يحملون الجنسية الفلسطينية ، ويعيشون على أرض فلسطينية ويرفعون علم فلسطين - إلى جانب العلم المصرى - فى كل مدارسهم ومؤسساتهم ، وجاءت ثورة يوليو عام ١٩٥٢م ، لتطيح بمن أضاعوا فلسطين ، ولترفع شعارات الوحدة العربية ، وتحرير فلسطين ، مما أجج المشاعر الوطنية الفلسطينية والقومية العربية لدى سكان قطاع غزة .

أما فى الأردن فقد كان الوضع مختلفًا ، فقد لجأ إلى الأردن حوالى نصف عرب فلسطين ، سكنوا مخيمات اللاجئين فى الضفة الشرقية كما سكنوا المخيمات فى ما أصبح يسمى بالضفة الغربية ، وأصبحوا جميعًا - بالقانون - مواطنين أردنيين ، بعد ضم الضفة الغربية إلى الأردن عام ١٩٥٠م .

وبذلك استطاعوا أن يؤثروا كثيرًا فى حياة الأردن على مختلف المستويات ، حيث كان المستوى الحضارى والاجتماعى والسياسى لعرب فلسطين يفوق مستوى سكان الأردن ، مما ساهم فى رفع المستوى الحضارى للأردن وتوسيع المدن وارتفاع مستوى الحياة من الناحية العلمية والعمرانية والحرفية ، كما ساهم الفلسطينيون فى تطوير المساهمة الشعبية السياسية ، بما حملوه فى نفوسهم من الحقد على بريطانيا وعلى الحكم فى الأردن ، فساهموا فى طرد (جلوب) والضباط الإنجليز من الأردن ، كما ساهموا فى منع الأردن من دخول حلف بغداد ، وكانوا مددًا وفيرًا للأحزاب القومية الجديدة كالبعث وحركة القوميين العرب إلى جانب الإخوان المسلمين .

أما في لبنان ، فمنذ الأيام الأولى عملت الحكومة على عدم حدوث أى تغيير في المعادلة الطائفية التى تحكم لبنان ، وخاصة أن الغالبية العظمى من الفلسطينيين هم من المسلمين السنة ، فسارعت الحكومة اللبنانية إلى منح الجنسية اللبنانية لأبناء الطائفة المسيحية من اللاجئين ، كما منحت الجنسية لعدد من أصحاب رءوس الأموال الذين استطاعوا تهريب أموالهم قبل حلول النكبة . [1]

كانت أحوال اللاجئين في لبنان أكثر سوءاً من أحوال إخوانهم في المناطق الأخرى ، فقد حظرت عليهم السلطات السكن في القرى الحدودية ، ووزعتهم على مخيمات متفرقة ، وحددت إقامتهم وأصدرت الحكومة القوانين بمنعهم من العمل في الدوائر والمؤسسات الحكومية والخاصة ، واقتصر عملهم على مؤسسة وكالة غوث اللاجئين أو الأعمال الشاقة في البناء أو الزراعة ، كما منعت اللاجئين من ممارسة العمل السياسى بكافة أشكاله وفرضت العقوبات على كل مخالف. [2]

أما في سوريا ، فكان حال اللاجئين الفلسطينيين فيها أحسن حالاً من إخوانهم في المناطق الأخرى ، حيث دمجت الحكومة بين السوريين والفلسطينيين في جميع ميادين العمل الحكومية أو الخاصة ، وفي المجال السياسى عمل الفلسطينيون كإخوانهم السوريين ، ووصل الكثيرون منهم إلى مناصب قيادية في الأحزاب السورية ، كما تولى الكثيرون مناصب حكومية رفيعة ، وفي المجال العسكرى أيضًا فرضت عليهم الخدمة الإجبارية كالسوريين ووصل منهم عدد لا بأس به إلى مراكز قيادية ، وكانت دائمًا ولاتزال المدارس والجامعات مفتوحة لهم دراسة أو تدريسًا دون قيد أو شرط ، ولم يواجهوا كغيرهم مشاكل الإقامة أو التنقل أو الملكية ، باختصار فقد كانوا دائمًا وفي ظل جميع الحكومات كالسوريين تمامًا بفارق وحيد هو أنهم ظلوا يحملون الجنسية الفلسطينية خدمة لقضيتهم وحفاظًا على حقوقهم .

أما أرض فلسطين فقد انقسمت إلى ثلاثة أجزاء منفصلة ، وعاش الشعب الفلسطيني في كل منها حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية مختلفة ، متأثرًا بعوامل تختلف من جزء لآخر ، مما ساهم في تشتته ، وجعل مواصلة النضال أمرًا في منتهى الصعوبة .

(أ) الفلسطينيون في الأرض المحتلة : بقي الجزء الأول من شعب فلسطين متشبثًا في أرضه ، رغم كل المذابح والمؤامرات ، فقد بقي حوالى مائة وخمسون ألف داخل فلسطين ، يعانون من

---

(١) فلاح خالد على ، مرجع سابق ، ص٣٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص٣٨٤-٣٨٦ .

الخيبة واليأس والقمع الصهيوني ، ومصادرة الأراضي ، وقوانين منع التجول ، وحظر التنقل من قرية إلى أخرى .

يقول صالح برانسي ، أحد قادة العمل الوطني ومؤسس جماعة «الأرض» عام ١٩٥٩م تلك الأيام : «رحلت الزعامات جميعًا ، وبقي الشعب من دونها كقطيع دون راع ، وقعنا بين يدي عدو لا يرحم ، كان إحساسنا بالضياع ، صدمنا إذ تحولنا من أكثرية إلى أقلية ، ومن أصحاب للأرض إلى غرباء فيها»[١] .

لم يعد هناك وجود مطلقًا للحركة الإسلامية في داخل فلسطين ، وأغلقت جميع شُعب الإخوان المسلمين في حيفا ويافا واللد وبئر السبع وغيرها ، وحول اليهود كثيراً من المساجد إلى متاحف ، وظل الصوت الإسلامي حبيسًا في القلوب ، إلى أن انطلق بعد هزيمة يونيو / حزيران ١٩٦٧م . ولم يجد العرب في فلسطين المحتلة صوتًا يحمل همومهم الحياتية ، ومطالبهم الاجتماعية إلا الحزب الشيوعي الإسرائيلي - راكاح - وأكثر أعضائه من الشيوعيين العرب ، حيث اعترف الحزب بدولة إسرائيل ، وشارك في انتخابات «الكنيست» معتمداً على الأصوات العربية .

أما بالنسبة لأوضاعهم الاقتصادية ، فقد كان معظمهم عمالاً في البناء وكنس الشوارع والأعمال الشاقة ، ولم تتح لهم فرص التعليم ، باختصار كانوا يمثلون الطبقة الدنيا في المجتمع ، حيث يحتل المكانة الأولى اليهود الغربيون «الأشكنازيم» ثم اليهود الشرقيون «السفرديم» ثم يأتي العرب أهل البلاد الأصليون ، وقد أعطى العرب الجنسية الإسرائيلية وعرفوا باسم «عرب إسرائيل» .

(ب) الضفة الغربية لنهر الأردن : ظل جزء من أرض فلسطين في المناطق الجبلية شرق البلاد تحت سيطرة القوات الأردنية ، والقوات العراقية التي سلمت مواقعها للجيش الأردني ، وضم هذا الجزء إلى جانب مدينة القدس القديمة مدن الخليل ورام الله وبيت لحم ونابلس وأريحا وطولكُرم وجنين وعدداً كبيراً من القرى التي تتبع هذه المدن جميعًا سميت منذ ذلك الحين بالضفة الغربية لنهر الأردن ، التي ألحقت بالضفة الشرقية لتصبح جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية ، يحمل الفلسطينيون فيها الجنسية الأردنية .

(ج) أما الجزء الثالث والأخير فهو الذي تبقى من اللواء الجنوبي والذي لم تحتله القوات الصهيونية عام ١٩٤٨م ، وبقي خاضعًا لإشراف القوات المصرية وإدارتها ، إلى أن احتلته

---

(١) صالح برانسي ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

إسرائيل في حرب ١٩٦٧م ، ويبلغ طوله ٤٥ كيلو متراً ومتوسط عرضه ست كيلومترات في مساحة قدرها ٣٥٠ كم٢ ، يمتد من رفح على الحدود المصرية جنوبًا إلى بيت حانون شمالي مدينة غزة ببضعة كيلو مترات ، فبينما كان اللواء الجنوبي يضم ٥٨ مدينة وقرية وخربة ، لم يبق للقطاع سوى مدينتان : هما غزة وخان يونس وعشر قرى تضم كلها ٩٠ ألفًا من السكان هاجر إليهم من فلسطين المحتلة حوالي ٢٠٠ ألف لاجئ .[١]

ولو عرفنا أن منطقة غزة كانت أكثر المناطق الفلسطينية فقراً وتخلفًا قبل النكبة ، وأن اقتصادها كان يعتمد في الأساس على المناطق الفلسطينية الأخرى ، لاستطعنا أن نتخيل مدى البؤس الذي عاشه القطاع بعد النكبة .

وهكذا بدأت بعض الهيئات والجمعيات الخيرية الدولية بمد يد المساعدة إلى هؤلاء اللاجئين ثم حلت محلها بعد ذلك «وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» التي بدأت عملها في ١ / ٥ / ١٩٥٠م[٢] ، والتي كانت مساعداتها لا توفر الحد الأدنى من المعيشة ، «فقد قدر ما صرفته الوكالة في السنة المالية ١٩٥٠ / ١٩٥١ على الفرد الواحد بـ ٣١ دولار و ٤٠ سنتًا ، أي ما يقل عن تسعة سنتات يوميًا موزعة على مختلف نشاطات الوكالة»[٣] ، مما جعل أحد الباحثين الفلسطينيين يستخلص أن : «الوكالة مارست سياسة التجويع ليصبح اللاجئون أكثر استجابة لمشاريع التوطين المطروحة»[٤] .

كان أكثر ما يخيف اليهود ويتنافى مع استراتيجيتهم المستقبلية ، هو اكتظاظ القطاع بأعداد اللاجئين الفقراء ، الذين يشكلون برميلاً من البارود القابل للانفجار في كل لحظة ، لذلك كانت المؤامرة تستهدف توطين هؤلاء اللاجئين في البلاد العربية البعيدة والشاسعة ، فطرحت مشاريع للتوطين في ليبيا والعراق منذ عام ١٩٥١م ، لكن اللاجئين استطاعوا أن يحبطوا هذه المشاريع جميعًا ، ورفضوا أن يتركوا مخيمات اللاجئين في قطاع غزة إلا إلى مدنهم وقراهم داخل فلسطين . ولم تقتصر المشاريع على مستقبل اللاجئين ... بل طالت مستقبل القطاع نفسه ، من اقتراحات بدمجه بالأردن أو مصر أو تسليمه لبريطانيا لتنقل إليه

---

(١) زياد أبو عمرو ، (أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٩-١٩٦٧م) ، عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٧م ، ص١٤ وهارون هاشم رشيد ، (غزة) ، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ ، ص٦٥ .

(٢) حسين أبو النمل (قطاع غزة : ١٩٤٨-١٩٦٧) ، بيروت : مركز الأبحاث (م. ت. ف) ، ١٩٧٩م ، ص ص ٤٠-٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ص٤٢ .

قواتها المتواجدة فى منطقة قناة السويس،[1] ولم يصدر اقتراح واحد ولا حتى من جهة عربية بتسليمه «لحكومة عموم فلسطين» التى أعلنت فى ٢٢ / ٨ / ١٩٤٨م .

الوضع السياسى لكل من قطاع غزة والضفة الغربية :

بعد الإعلان عن تأسيس «دولة إسرائيل» واحتلالها لمعظم الأراضى الفلسطينية ، وقبل انتهاء المعارك وخاصة فى الجبهة الجنوبية فى معارك النقب التى يخوضها الجيش المصرى ، طفت إلى السطح الخلافات القديمة بين الملك عبد الله وبين «الهيئة العربية العليا» التى يتزعمها الحاج أمين الحسينى ، وظهر التنافس على اعتبار أن مصلحة الأمة والقضية تكمن فى وحدة هذه الأراضى مع الأردن ، وكانت هذه الخلافات تعكس أيضًا التنافس بين المعسكرين الرئيسيين فى المنطقة العربية ، المعسكر الهاشمى الذى يضم الأردن والعراق والمعسكر المصرى والسعودى الذى تؤيده سوريا والهيئة العربية العليا ، وكان هذا سببًا مهمًا فى تأخر الفلسطينيين فى إعلان حكومتهم طبقًا لقرار التقسيم الذى أعلنوا رفضهم القاطع له .

بادرت «الهيئة العربية العليا» إلى محاولة إنشاء الكيان السياسى الفلسطينى ليعبر عن الهوية الفلسطينية ، ويمثل الفلسطينيين فى المحافل العربية والدولية فأعلنت «حكومة عموم فلسطين» برئاسة أحمد حلمى عبد الباقى فى ٢٣ سبتمبر / أيلول ١٩٤٨م فى مدينة غزة وذلك بتشجيع من كل من مصر والسعودية وسوريا ، وقد دعت هذه الحكومة إلى عقد مؤتمر وطنى فلسطينى فى مدينة غزة فى الأول من أكتوبر / تشرين أول ١٩٤٨م . [2]

دُعى لهذا المؤتمر مائة وخمسون شخصًا من الفئات التمثيلية كرؤساء البلديات ، وأعضاء المجالس البلدية واتحادات الغرف التجارية ، وأعضاء اللجان القومية والوفود والبعثات السياسية والأحزاب .. وقد استجاب منها نحو تسعين شخصًا ، حيث لم يستطع ممثلو الضفة الغربية حضور المؤتمر بسبب المعارضة الشديدة للحكومة الأردنية . [3]

أعلن المجلس انتخاب الحاج أمين الحسينى رئيسًا له ، وأقر تشكيل الحكومة ، وأعلن استقلال فلسطين كلها ، وأرسل بقراراته إلى الجامعة العربية وإلى الحكومات العربية ، لكن هذه الحكومة واجهت معارضة شديدة من الحكومة الأردنية ، حتى أن الحكومة المصرية التى

(١) المرجع السابق، التفاصيل ص ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) محمد عزة دروزة، (القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها)، دمشق: دار الجاحظ للطباعة، ج٢، ط٣، ١٩٨٤م ص٢١١ .

(٣) عيسى الشعيبى، مرجع سابق، ص٢١ .

أظهرت تأييدها لهذه الحكومة في بداية الأمر ، بدأت تحجم من دورها إلى أن أجبرتها على مغادرة قطاع غزة إلى القاهرة ، كما امتنعت الجامعة العربية عن دعوتها لحضور اجتماعاتها اللاحقة ،[1] وتقلص دور حكومة عموم فلسطين «لتصبح عبارة عن رئيس وسكرتير وأربعة موظفين .. لا يلتفت أحد إلى تقاريرها ومشاريعها ومطالبها» .[2]

أما في الضفة الغربية لنهر الأردن فقد نشطت الحكومة الأردنية وبمساعدة خصوم المفتي في العمل لسحب الشرعية من حكومة عموم فلسطين منذ إعلانها ، فقد عقد مؤتمر عمان في نفس اليوم الذى عقد فيه مؤتمر غزة ، وتشكلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من سليمان التاجي الفاروقي وسعد الدين العلمي وعجاج نويهض وحكمت التاجي الفاروقي والشيخ مصطفى الأنصارى وعزت الكرزون .[3]

وكان هدف مؤتمر عمان محاربة حكومة عموم فلسطين ومؤتمر غزة ، حيث جاء في قرارات مؤتمر عمان في البند الرابع أن المؤتمر يشد انتباه الحكومات العربية إلى أن تشكيل حكومة فلسطينية في غزة في وقت كان الشعب الفلسطيني فيه ممزقًا ، هو عمل مؤذ وضار .. وجاء في البند الخامس أن المؤتمر يحمل مسئولية أية كوارث تحدث للشعب الفلسطيني من الآن فصاعداً للحكومات العربية التي أيدت حكومة غزة .. أما البند الثاني عشر فيعلق فيه المؤتمر على الملك عبد الله أعظم الآمال للدفاع عن فلسطين والاحتفاظ بعروبتها .. ويعطي المؤتمر جلالته ثقة غير محدودة ليتحدث باسم عرب فلسطين ويتباحث ويعمل كل شيء نيابة عنهم ...[4] وفي الأول من ديسمبر / كانون أول ١٩٤٨م عقد مؤتمر «أريحا» برئاسة الشيخ محمد على الجعبرى رئيس بلدية الخليل ، حيث قرر المؤتمر مبايعة الملك عبد الله ملكًا على فلسطين في ظل الوحدة الأردنية الفلسطينية .[5]

وعلى الرغم من مخالفة ذلك لتوجهات الجامعة العربية في المحافظة على الأجزاء الباقية من فلسطين وعدم ضمها ، بالإضافة إلى رفض الملك فاروق ورئيس وزرائه لمقررات مؤتمر أريحا ، وتنديد الأمين العام للجامعة العربية بهذه القرارات ومعارضة السعودية وسوريا وحكومة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مهدى عبدالهادى، (المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية، ١٩٣٤-١٩٧٩م)، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٥م، ص١٧٤.

(٣) محمد محافظة، ص١٩٧.

(٤) المرجع السابق ص ص ١٩٨-١٩٩.

(٥) (وثائق فلسطين ١٨٣٩-١٩٨٧)، م. ت. ف. (دائرة الثقافة)، ص١٩٩.

عموم فلسطين ، إلا أن الحكومة الأردنية استمرت في إجراءاتها العملية لضم الضفة الغربية ، «ففي ديسمبر ١٩٤٩ صدرت الإرادة الملكية باعتبار أن كل الفلسطينيين القاطنين في المملكة الأردنية الهاشمية وفي الضفة الغربية من نهر الأردن هم أردنيون في جميع الأحوال» ،[١] وتوالت الإجراءات الخاصة بتداول العملة وجوازات السفر إلى أن تم تشكيل مجلس الأمة الجديد عن الضفتين ، حيث أصدر قرار الوحدة في ٢٤ أبريل / نيسان ١٩٥٠م[٢] .

وهكذا وعلى الرغم من اغتيال الملك عبد الله على يد فلسطيني في المسجد الأقصى في ٢٠ / ٧ / ١٩٥١م وقيام الثورة المصرية بعد ذلك بسنة ، فإن محاولات الكيان الفلسطيني قد أجهضت ، وأصبحت الضفة الغربية بالقانون أرضًا أردنية ، وأصبح أهلها مواطنين أردنيين ، كما أن قطاع غزة ظل خاضعًا بالكامل للإدارة المصرية ، يتأثر بالسياسة المصرية ومتطلباتها ولم يسمح فيه بأي نوع من التمثيل الفلسطيني طيلة السنوات العشر التي أعقبت النكبة .

المبحث الأول
الإخوان المسلمون في الضفة الغربية والأردن

قانونية الجماعة :

أصبح الإخوان المسلمون في الضفة الغربية - كباقي أبناء فلسطين في تلك المنطقة - جزءًا من الدولة الأردنية ، وبما أن جماعة الإخوان المسلمين حركة إسلامية لا تتقيد بحدود القطر فقد أصبحوا جميعا جزءًا من التنظيم الأردني للإخوان المسلمين ، ولم يكن الإخوان في ذلك الموقف متفردين عن غيرهم فمثلهم فعل الشيوعيون والبعثيون والقوميون .

ولعل أبرز ما ميز جماعة الإخوان في الأردن عن بقية الأحزاب السياسية في الساحة الأردنية ، بل وميز تجربتهم عن تجربة الإخوان أنفسهم في مصر وفي قطاع غزة أنهم طوال الوقت يتمتعون بالغطاء القانوني لعملهم ، فلم تحظر الجماعة في الأردن في أي وقت من الأوقات ، ولم تتعرض للقمع الشديد كما تعرض الإخوان في مناطق أخرى .

صحيح أن ترخيص الجماعة لم يكن ترخيصًا لحزب سياسي ، وصحيح أيضًا أن الجماعة اصطدمت بالسلطات في مناسبات مختلفة واعتقل بعض أفرادها بل اعتقل مراقبها العام عدة

---

(١) محمد محافظة، ص٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق، ص٢١٠ .

مرات ، لكننا نستطيع أن نقول إجمالاً أن الجماعة تمتعت بحرية العمل نسبيًا ، ولم تتعرض للقمع والملاحقة بنفس الدرجة التي تعرضت لها الأحزاب السياسية الأخرى سواء كانت يسارية أو قومية بل وإسلامية مثل حزب التحرير الإسلامي، «كانت جماعة قانونية بعكس معظم «الأحزاب» الأخرى المنافسة حيث كان يتم عقد الاجتماعات بصورة علنية، وعادة ما كان يحضرها ممثلون رسميون من الحكومة وضباط من الجيش والقادة الأردنيون البارزون».(١)

وهكذا «ظهرت فروع جديدة في قرى ومدن الضفة الغربية ومنها جنين ، قلقيلية ، عنبتا ، دورا، صوريف ، صورباهر ، طوباس ، أريحا ، إضافة إلى العديد من مخيمات اللاجئين ومنها مخيم عقبة جبر قرب أريحا ومخيم العروب قرب بيت لحم» . (٢)

وسوف نرى كيف أن هذه العلنية في العمل والتمتع بالغطاء القانوني كانت سلاحًا ذا حدين ، ففي بداية تلك الفترة ساعد ذلك الإخوان المسلمين على استثمار التأييد الشعبي لموقفهم وقتالهم في فلسطين ومن ثم أصبحت الجماعة أكبر تنظيم على الساحة الأردنية .. ومن جهة أخرى فقد ساهم ذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى إلى بداية الانحسار للحركة وانسحاب الكثير من الشباب مع بداية صعود المد القومي الناصري ومعركة الأحلاف واتهام الجماعة بالوقوف مع السلطة ، فبدأت الجماعة تعاني من الضعف منذ سنة ١٩٥٦ و١٩٥٧م وحتى صعود الصحوة الإسلامية في جميع العالم الإسلامي وخاصة منذ بداية الثمانينيات وبروز الحركة الإسلامية في الضفة الغربية المحتلة ، حيث توج هذا التنامي في قوة الجماعة في الانتخابات البرلمانية التي جرت في الأردن سنة ١٩٨٩م لتؤكد عودة الإخوان المسلمين كأكبر قوة سياسية في الأردن منذ بداية الثمانينيات وحتى الآن .

نشاطات الجماعة :

نشط الإخوان المسلمون في أعمالهم التقليدية مستفيدين من وضعهم القانوني «ففي نابلس قامت الشعبة باستئجار مبنى البلدية لممارسة نشاطاتهم ، وفي الخليل كان أعضاء الحركة يلتقون بشكل منتظم في التميمي وسط المدينة» . (٣)

وكانت جميع الشعب في الضفة الغربية كأخواتها في الضفة الشرقية تنفذ مشروعات

---

(١) Cohen Amnon, Political in the West Bank Under the Jordanian Regime, (1949-1967) London: Cornel University Press, 1982 p.164.

(٢) Ibid. p.165.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٦.

خدمة المجتمع بنفس الأسلوب تقريبًا الذى كانت تتبعه الجماعة فى مصر وفى غزة فى أوقات العمل العلنى ، «فكان يتم عقد دورات مختلفة مثل الطباعة والقيام بنشاطات رياضية مثل رفع الأثقال والتنس، رغم أن التركيز الرئيسى كان مُنصبًا على غرس ونشر عقيدة الحركة».(١)

ومثلهم مثل الإخوان فى كل مكان فقد امتازوا بالعمل فى المساجد والاستفادة من خطبة الجمعة لنشر أفكارهم وحشد التأييد لبرامجهم بالإضافة إلى النشاطات المسجدية وحلقات تحفيظ القرآن ودروس الفقه وإنشاء المكتبات الإسلامية فى المساجد ، كما نظم الإخوان العديد من المحاضرات والندوات ، وذكر الباحث الإسرائيلى أمنون كوهين «أنه فى كثير من الأحيان تمت إثارة الموضوعات السياسية البحتة حيث كانت إسرائيل وبريطانيا وأمريكا أهدافًا دائمة لانتقاداتهم اللاذعة والمريرة ، وكثيراً ما كانت تعقد الاجتماعات إحياء لذكرى معركة إسلامية أو الإسراء والمعراج أو رأس السنة الهجرية أو المولد النبوى ، وكانت تحظى بالحضور الكثيف» . (٢)

ويذكر الدكتور على مفلح أن الإخوان كانوا ينظمون المسيرات والمظاهرات التى كان نواتها فرق كبيرة من الجوالة بلبسها الخاص تنزل إلى الشوارع فى صفوف طويلة وتتجمع حولها الجماهير.. وكانت هذه المظاهرات تحدث استنكاراً لاعتداءات صهيونية على الضفة وغزة وتطالب بالتسليح والتحرير، وكان بعضها يقام فى القدس وغيرها من مدن فلسطين.(٣)

وقام الإخوان المسلمون أيضًا باستخدام الأعمال الدرامية للترويج لفكرتهم واستقطاب الناس لتأييد المنهج الإسلامى «ففى مدينة طولكرم عرض الإخوان ما بين سنة ١٩٥١ و١٩٥٣م مسرحية تناولت مشكلة الفقر ، كما عرض طلاب المدارس الثانوية سنة ١٩٥٣م بإشراف الإخوان مسرحيتين حول حركة التحرير فى المغرب وهما «أحد أيام القتال فى مراكش» و«الجندى المجهول»(٤) وكانت تلك العروض وسيلة هامة لجمع التبرعات للمجاهدين فى الجزائر أو حملات الأمية أو الفقراء فى الأردن» .

وقد كان المراقب العام للإخوان المسلمين الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة يقوم بزيارات

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٧ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدكتور على مفلح، مقابلة شخصية، لندن، ١٦ / ٢ / ١٩٩٣ .

(٤) أمنون كوهين، ص١٦٨ .

متعددة ومستمرة لمعظم المدن الفلسطينية وكذلك الأستاذ يوسف العظم أحد أبرز القيادات الإخوانية في الأردن . [1] وكانت صحيفتهم «الكفاح الإسلامي» تتبنى قضية فلسطين وتدافع عنها على أساس أنها قضية المسلمين جميعًا وكذلك وقف نوابهم في البرلمان الأردني مع قضية فلسطين.

كما اهتم الإخوان منذ زمن مبكر بإنشاء المؤسسات الإسلامية ، ففي مخيم عقبة جبر قرب مدينة أريحا أسست الحركة «جمعية البر بأبناء الشهداء» .. وقامت هذه الجمعية «بإنشاء معهد لأبناء الشهداء ضم ٣٧٣ من أشبال أولئك الأسود» . [2] وكما أنشأ الإخوان في القدس سنة ١٩٥٣ (اللجنة الإسلامية للإعمار) في القدس و«اللجنة الخيرية لإعمار الأقصى» . [3]

أما الأنشطة الخاصة والتي كانت تتم داخل صفوف الجماعة للارتقاء بمستوى الفرد من الناحية التربوية والثقافية فهذا أمر ثابت في صفوف جماعة الإخوان في كل زمان ومكان ، فقد كانت في الأردن وفي الضفة الغربية كما يذكر الدكتور على مفلح[4] تربية نموذجية في الأسر والكتائب ، حيث يقوم الشباب الصغار من أعضاء الحركة بقراءة وتحليل الكتابات الحركية يناقشونها في الأسر والكتائب ، كما كانت تقام أنشطة بقصد التدريب على الانضباط والتقشف وحسن الخلق مثل الصيام والرحلات الطويلة بين الجبال مشيًا على الأقدام.

انتشار الجماعة في مخيمات اللاجئين :

كان من الطبيعي أن تنتشر الجماعة بين اللاجئين الفلسطينيين ، فهم لازلوا يذكرون جهاد الإخوان الصادق على أرض فلسطين ، وقد كان الفلسطينيون دائمًا ولازالوا مستعدين لإعطاء الولاء والتأييد لأية جهة يرون فيها أملاً يحقق لهم العودة والتحرير ، «فقد أظهر الإخوان نشاطًا ملحوظًا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وحققوا نجاحًا جيدًا حيث تم افتتاح شعب في المخيمات الكبيرة ، وكانت نشيطة إلى درجة كبيرة وكان لها الكثير من الأتباع ، كما لقى الإخوان بعض النجاح في الأردن مع النازحين ، فقد ضمت شعبة إربد ١٥٠ من النازحين» [5]

يقول د . على مفلح : «كان أحد أسباب انضمامي للإخوان المسلمين أنني شاهدت مسيرة

---

(١) حسنى أدهم جرار، (الحاج أمين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية)، عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ٧١٩٨، ص٣٩١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أمنون كوهين، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٤) د. على مفلح، مرجع سابق.

(٥) أمنون كوهين، ص١٦٤.

ضخمة للإخوان في القدس سنة ١٩٥١م ، بقيت آثارها في نفسي حتى رحلنا إلى الزرقاء ، وهناك انتظمت في نفس العام ، حيث كانت دار الإخوان ولاتزال في المخيم ، وكان أهم دافع لي ولغيري من الشباب هو سمعة الإخوان في حرب فلسطين» . (١)

التدريب العسكري :

اهتم الإخوان المسلمون في الأردن بالتدريب العسكري ، ويذكر أمنون كوهين : «إن أهم ما أثار قلق السلطات هو الكشافة في نابلس والخليل والقدس ... وكان التدريب على الأسلحة يتم ليلاً وبصورة سرية .. ومع بداية سنة ١٩٥٥ و ١٩٥٦م بدأ الإخوان التدريب على أسلحة مهربة عن طريق سيناء ، كما توصلت شعبة الخليل إلى اتفاق مع قائد الجيش في المنطقة على أن يتولى مدربو الجيش تدريب أعضاء الشعبة على الأسلحة وكان ذلك بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦م». (٢)

ويؤكد د . على مفلح أنه يمكن القول إن أغلب شباب الإخوان في تلك الفترة كان عندهم إلمام لا بأس به بأساسيات العمل الفدائي واستخدام السلاح حيث كان التدريب يتم في الأحراش بصورة سرية وكان المدربون إما من الأردن أو مصر مثل عبد العزيز على ونجيب جويفل ، وكانت الحركة في فترتها الذهبية حركة عامة للأردنيين والفلسطينيين دون تمييز . (٣)

ضعف الحركة وانحسارها :

بحلول عام ١٩٥٦م بدأت تظهر معطيات جديدة على الساحة السياسية في المنطقة بوجه عام ، وفي الأردن بوجه خاص وقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة على إضعاف جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وفي غيرها من الأقطار .

(أ) معركة حلف بغداد :

المعروف أن اتفاقية الحلف وقعت في عام ١٩٥٥م برئاسة بريطانيا وعضوية تركيا وإيران وباكستان والعراق ، وقد جاء رئيس هيئة الأركان البريطانية تمبلر للأردن يدعوها لدخول الحلف ، كانت الحكومة الأردنية راغبة في دخول الحلف ، لكن ذلك وُجِهَ برفض جماهيري

---

(١) د. على مفلح، مرجع سابق.

(٢) أمنون كوهين، ص ص ١٦٨-١٦٩ .

(٣) د. على مفلح.

واسع ومظاهرات عارمة ضد الحلف «وكانت جماعة الإخوان فى طليعة المتظاهرين مما أدى إلى اعتقال المراقب العام فى سجن المحطة بعمان وإصابة بعض الإخوان بجروح» .[1]

وكانت القوى الوطنية والقومية واليسارية كلها ترفض الدخول فى حلف بغداد، وكان يدعم موقفها حملة دعائية مصرية ضد الحلف، وبدأت القوى الوطنية تهاجم الإخوان المسلمين بتشجيع من عبد الناصر، يقول د . مفلح «هنا وقع الإخوان فى مأزق: إنهم ضد الحلف، ولكنهم ضد عبد الناصر، وبسبب هذه المواجهة بين الطرفين ظهر للشارع الأردنى أن هناك قوتين متصارعتين، الإخوان من جهة والقوى الوطنية الأخرى من جهة ثانية، وشاع بين الناس أن الإخوان المسلمين يقفون عمليًا فى صف النظام مع أن هذا عمليًا لم يكن الحقيقة».[2]

(ب) العدوان الثلاثى على مصر وقطاع غزة :

كان الهجوم البريطانى الفرنسى الإسرائيلى المشترك على مصر وقطاع غزة سببًا رئيسيًا فى صعود نجم الرئيس المصرى جمال عبد الناصر كبطل قومى تلتف من حوله الجماهير العربية ، وخاصة بعد فشل العدوان وانسحاب القوات المعتدية وبقاء عبد الناصر فى السلطة مؤيدًا للثورة الجزائرية وداعيًا لتحرير فلسطين والوحدة العربية ، مما جعل شعبية عبد الناصر تزداد بصورة كبيرة فى الأردن وبين الفلسطينيين الذين بدأوا ينسحبون من جماعة الإخوان المسلمين ، الخصم اللدود لجمال عبد الناصر .

(جـ) حكومة سليمان النابلسى :

جرت الانتخابات الأردنية للبرلمان فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٦م على أسس حزبية لأول مرة ، وكانت انتخابات نزيهة بإجماع المصادر ، وحصل الحزب الاشتراكى على أكثر المقاعد بين الأحزاب ، وكلف رئيسه سليمان النابلسى بتشكيل الحكومة مع أنه «سقط فى دائرته الانتخابية أمام محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين» .[3]

أقر النابلسى وأصحابه مشروع قانون يسمح بصدور جريدة (الجماهير) الشيوعية كما وافق أيضًا على منح مكتب لوكالة (تاس) فى الأردن وتصدى لهم الإخوان المسلمون حتى لا

---

(١) عونى جدوع العبيدى، (جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن وفلسطين ١٩٤٥-١٩٧٠)، عمان، ١٩٩١م.، بدون ناشر، ص١٦٢ .

(٢) د. على مفلح.

(٣) عونى العبيدى، ص١٦٣ .

تنتشر الشيوعية في الأردن [١] لكن الإعلام الناصرى والدعاية الحزبية صورت للناس أن الإخوان المسلمين وقفوا يدافعون عن النظام الملكى فى الأردن .

(د) الفتنة داخل صفوف الجماعة :

قامت المخابرات المصرية بجهود مستمرة لتفتيت الإخوان في الأردن ، وقد قام بهذا الدور نجيب جويفل عضو النظام الخاص فى جماعة الإخوان فى مصر ، والذى كان معروفًا للإخوان فى الأردن على أساس أنه من قيادات الإخوان ، وقد نجح فى محاولة شق الصف الإخوانى مما تسبب فى استقالة المراقب عبد اللطيف أبو قورة سنة ١٩٥٣م ثم نجح بعد ذلك فى عملية انشقاق الشيخ عبد الباقي جمّو ومجموعة من حوله ، وقد اكتشف فيما بعد أن جويفل هذا يعمل للمخابرات المصرية[٢]

(هـ) التململ داخل شباب الإخوان :

منذ سنة ١٩٥٥م وما بعدها بدأت تسود شباب الإخوان حالة من الانتقاد والهياج ويذكر د.على مفلح كيف أن المراقب العام الأستاذ خليفة حضر إلى الزرقاء بنفسه ليحاور الشباب الهائج الذى ينتقد ضعف فاعلية الإخوان فى العمل لمناهضة الاستعمار وتحرير فلسطين، ويذكر كلمات المراقب العام : «ماذا نستطيع أن نفعل، فالإخوان حاليًا بين بحرين يهددانهم بالغرق، فمن جهة يقف عبد الناصر وتياره الجارف وما فعله بإخوانكم فى مصر وما يمكن أن يفعلوه بكم فيما لو انضمت الأردن إليهم، ومن جهة أخرى الأنظمة العميلة التى لا يمكن أن نعمل معها، فنحن في مرحلة لا خيار لنا إلا فى الخط الذى نتبعه وهو الحرص والانتظار عسى الله أن يحدث أمرًا».[٣] وبالطبع فإن ذلك لم يقنع الشباب حيث خرج المراقب غاضبًا وخرجوا هم غاضبين.

لهذه الأسباب مجتمعة لم يجد الإخوان المسلمون لهم دورًا فى الأحداث السياسية الكبرى التى أصبح بطلها جمال عبد الناصر ، ولم يبق لهم إلا الأنشطة الاجتماعية والخيرية وما شابه، ولم يكن فى ذلك ما يجذب الشباب الطموح المتعطش للتحرير والوحدة والآمال الكبرى ، فبدأت حركة خروج ضخمة من الجماعة وانحسر نفوذها لصالح المد القومى والناصرى الذى اجتاح المنطقة بأكملها ، ثم لصالح التنظيمات الفلسطينية الوطنية الوليدة مثل «فتح» و«جبهة تحرير فلسطين» .

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٥ .

(٢) د. على مفلح، وانظر أيضاً عونى العبيدى ص ص ١٠٢-١٠٨ .

(٣) د. على مفلح .

العلاقة مع السلطات الأردنية والقوى الأخرى :

لعل من المفيد لبحثنا أن نلقى مزيداً من الضوء على علاقة الإخوان المسلمين فى الأردن مع كل من النظام الحاكم والقوى السياسية الأخرى ، وأن نقوم بتحليل الأسباب التى أدت إلى هذه العلاقة ، فعلى الرغم من أن الإخوان المسلمين يختلفون فى مبادئهم وأهدافهم وأساليبهم مع جميع الأطراف الأخرى إلا أن علاقتهم بالنظام كانت ولمدة طويلة أفضل من علاقاتهم مع القوى السياسية الأخرى .

(أ) العلاقة مع السلطات الحاكمة :

تأرجحت علاقة الإخوان المسلمين مع السلطات الأردنية بين مد وجزر ، وبين سماح لهم بممارسة أنشطتهم ودعمها أحيانًا ، وبين ملاحقتهم ومراقبتهم أحيانًا أخرى ، ولعل هناك أسبابًا جوهرية أخرى كانت تعمل على التفريق بينهما ، لكنها لم تكن لتصل فى قوتها لتلك الدرجة التى تضعف عوامل التقارب .

ولعله من المفيد فى البداية أن نوضح الخطوط العريضة لسياسة الإخوان المسلمين فى الأردن والتى جاءت فى بيان أصدرته الجماعة فى ٣ أبريل / نيسان ١٩٥٤م :

- الأردن جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامى .
- الإخوان المسلمون يرفضون أى نظام لا يقوم على أساس الإسلام .
- الإخوان المسلمون لن يؤيدوا أى حاكم حتى يقيم شرع الله فى الأرض .
- الإخوان المسلمون فى الأردن جزء من الحركة الإسلامية فى مصر .
- الإخوان المسلمون ينظرون إلى قضية فلسطين على أنها قضية إسلامية وهم يحشدون كل إمكانياتهم المادية والمعنوية لتحرير فلسطين من اليهودية العالمية والصليبية الدولية. [١]

عوامل التباعد :

والآن ما هى العوامل التى كانت تباعد بين الطرفين ، والتى لا تجعل الإخوان حلفاء للنظام أو جزءاً منه ويرفضون المشاركة فى الحكومات المتعاقبة ، بل ويتظاهرون فى مناسبات متعددة ضد السياسة الحكومية؟ بإمكاننا أن نجمل تلك العوامل كما يلى :

١ - الحكم والقوانين الإسلامية : كان لا يمكن لحركة تستند على المنهج الإسلامى أن تؤيد حكومات لا تقيم الشرع ولا تقيم الحدود ، فكثيراً ما هاجم الإخوان الحكومات الأردنية

---

(١) عونى العبيدى، ص ١٥٠ .

بحجة الفساد الأخلاقي الذى ترعاه الحكومة ، ومثال ذلك حينما «أنكر الإخوان على الحكومة إقامة صالة للتزلج واستيراد العاهرات الساقطات فى حفلة التزلج على الجليد ، بينما دولة اليهود تستورد الدبابات والطائرات ، وكان نتيجة ذلك اعتقال المراقب العام للإخوان فى سجن الجفر الصحراوى لأكثر من ستة أشهر ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة رئيس الحكومة» . (١)

٢ - العلاقة مع الغرب وبريطانيا خصوصًا : فقد كان من الطبيعى أن يرفض سياسة الأحلاف الاستعمارية التى تقودها بريطانيا فى المنطقة ، فقد أصدرت الجماعة فى عام ١٩٥٤م مجلة «الكفاح الإسلامى» وكانت تشن هجومًا قويًا على الدور البريطانى التآمرى الذى يتولاه «جلوب» قائد الجيش الأردنى وعلى النفوذ البريطانى فى الأردن والعراق ، كما كشفت عن حقيقة الاستقلال المزيف ، مما جعل الحكومة تغلق المجلة في ٢٦ / ٨ / ١٩٥٤ بعد صدور ثلاثة أعداد منها فقط . (٢)

وفى ٢٥ / ١ / ١٩٥٧ طالب نواب الإخوان فى البرلمان بإلغاء المعاهدة البريطانية ، وطرد قوات الاحتلال البريطانى ، كما هاجموا مشروع الرئيس الأمريكى «ايزنهاور» لملء الفراغ فى الشرق الأوسط ، كما احتجوا على الحكومة الأردنية لاستدعائها قوات بريطانية لترابط فى الأردن على أثر الانقلاب الذى حدث فى العراق عام ١٩٥٨م ، مما أدى أيضًا إلى اعتقال المراقب العام عدة شهور ، كما كان للإخوان دور فى الوقوف فى وجه حلف بغداد الاستعمارى عن طريق الإضرابات والمظاهرات والاحتجاجات . (٣)

٣ - القضية الفلسطينية : موقف الإخوان المسلمين عمومًا من القضية الفلسطينية موقف معروف وقد أكدوه بقتالهم على أرض فلسطين فى حرب ١٩٤٨م ، وزاد من ذلك أن جسم الجماعة فى الأردن أصبح يضم الأعداد الكبيرة من الفلسطينيين الذين أجبروا على مغادرة أرضهم ، أو الذين ظلوا فى مدنهم وقراهم فى الضفة الغربية ، وكلهم يحملون فى نفوسهم السخط على موقف الجيش الأردنى فى الحرب ، وانسحابه من اللد والرملة بأوامر قادتهم الإنجليز وتركها فريسة سهلة لليهود .

ففى عام ١٩٥٣م عقد الإخوان المسلمون مؤتمرًا إسلاميًا فى مدينة القدس ، دعوا إليه علماء العالم الإسلامى وشخصياته المجاهدة ، وانبثق عنه تكوين «مكتب المؤتمر الإسلامى

---

(١) محمد الحسن ، (الإخوان المسلمون فى سطور) ، عمان : دار الفرقان ، ١٩٩٠ ، ص٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ٥٩ - ٦١ ، وعونى العبيدى ص١٢٧ .

(٣) محمد الحسن ، ص٦٤-٦٥ .

لبيت المقدس» ومركزه مدينة القدس على أن يتولى شرح القضية الفلسطينية لشعوب وحكام العالم الإسلامي ، وفي ١٢ / ٤ / ١٩٥٤م طلب رئيس الوزراء من المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين - عضو المكتب التنفيذى للمؤتمر الإسلامي - إلغاء المؤتمر ونقله من القدس ، وأصرّ رئيس الوزراء على طلبه قائلاً أن هذه مطالب الإنجليز والأمريكان .. فلم يستجب المراقب العام ، مما أدى إلى اعتقاله ، ثم قاطع الإخوان المسلمون المؤتمر بعد ذلك - منذ مطلع الستينيات حين ابتعد عن أهدافه . (١)

وكانت بيانات الإخوان في الأردن دائمًا تكشف عن خطر إسرائيل وتدعو لمقاومتها قبل أن ترسى دعائمها ، «فقد أصدر الإخوان المسلمون نداءً في ٢٩ / ٣ / ١٩٥٧م طالبوا فيه بطرد اليهود من خليج العقبة قبل أن تقوى شوكتهم» . (٢)

٤ - علاقة الإخوان بالمفتي : تبين لنا مما سبق العلاقة الطيبة التى ربطت بين المفتي الحاج أمين الحسينى وبين الإخوان المسلمين ومرشدهم الأول الشيخ حسن البنا ، كما عرفنا علاقة التنافس والتناحر التى قامت بين الحكم في الأردن و«الهيئة العربية العليا» التى يرأسها الحاج أمين الحسينى ، والتى أدت إلى ملاحقة أتباع المفتى فى ضفتى الأردن ، كما تسببت في اغتيال الملك عبد الله على يد أحد أتباع المفتي .

وعلى ذلك فقد كانت السلطات الأردنية حذرة ومتخوفة من أن يتم تحالف بين الإخوان وأنصار المفتى ، لكن ذلك لم يحدث بسبب مخالفته لأساليب الإخوان المسلمين من جهة ولضعف المفتي وأنصاره وانحسار نفوذهم في وقت مبكر من جهة أخرى .

٥ - التنافس على المرجعية الدينية : فمن المعروف أن الملك عبد الله بن الشريف حسين بن علي ومن بعده حفيده الملك حسين هما من الأسرة الهاشمية ، وهما يريان أنهما أحق بزعامة الأمة العربية كلها ، وكان هذا من أهم عوامل التنافس بين المحور الهاشمى فى الأردن والعراق والمحور المصرى السعودى ، وجماعة الإخوان يمكن أن تكون جماعة منافسة غير مرغوب فيها ، لكن هذا لم يكن على الأقل فى تلك الفترة وما تلاها سببًا جوهريًا للاختلاف بين الطرفين ، خاصة أن الإخوان المسلمين في الأردن أحجموا عن مهاجمة الملك فى كل الظروف والمناسبات ، وكانوا يؤكدون دائمًا أنهم يريدون حرية الدعوة لتعاليم الإسلام ، وكان هجومهم دائمًا يتركز على الحكومة ورئيسها والبريطانيين والأمريكان .

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٧-٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٦.

يضاف إلى ذلك أن الحكم الهاشمى فى الأردن لم يكن مقتصراً على المرجعية الدينية بل أضاف إليها المرجعية القومية العربية على اعتبار أنه وريث «الثورة العربية الكبرى» التى قادها الشريف الحسين بن على ، والتى تدعو إلى وحدة العرب واستقلالهم وقوتهم . كما كان كل طرف ، وخاصة الحكم ، منشغلاً بأخطار أخرى أكثر أهمية وجذرية .

عوامل التقارب :

كانت هناك عوامل جوهرية للتقارب بين الطرفين ، خففت من آثار العوامل السابقة ، وجعلتها لا تصل إلى حد الصدام أو المواجهة وخاصة مع رمز النظام - الملك - واقتصر الانتقاد والاحتجاج على الحكومات المتعاقبة وسياستها ، بالضبط كما حدث مع الحركة الأم فى مصر ، ويمكننا أن نجمل هذه العوامل تحت عنوانين رئيسيين هما : العوامل الحركية والمنهجية ، والعوامل السياسية الواقعية .

١ - العوامل المنهجية الحركية : استند الإخوان المسلمون فى تعاملهم مع الأنظمة الحاكمة على الفقه الإسلامى بسعته ومرونته ، وكذلك كان منهجهم القائم على نشر الدعوة بالإقناع والتدرج وعدم الإيمان بأسلوب الانقلاب أو الثورة لبناء الحكم الإسلامى ، وكان هذا فهم الشيخ البنا للإسلام بوسطيته واعتداله ، وهو ما فسره أحد كبار دعاة الإخوان الدكتور يوسف القرضاوى - فقه «الموازنات» و«فقه الأولويات» . [1]

يقول الشيخ حسن البنا فى رسالة المؤتمر السادس للإخوان : «أما وسائلنا العامة فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام، ويناصرها عن عقيدة وإيمان، ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هى الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح، ثم النضال الدستورى.

أما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجأ إليه إلا مكرهين ، ولن نستخدمه إلا مضطرين ، وسنكون حينها صرحاء شرفاء» . [2]

والإخوان المسلمون فى الأردن ملتزمون بمنهج الشيخ البنا أشد الالتزام ، فهم قد أعلنوا فى بيانهم السابق ذكره عن الخطوط العريضة لسياستهم عام ١٩٥٤م أنهم جزء من الحركة الإسلامية فى مصر ، كما أن الأوضاع السياسية فى الأردن تشبه إلى حد بعيد تلك الأوضاع فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، فكل من النظامين يقوم على الملكية الوراثية ، والنظام الدستورى من حكومة وبرلمان ، وعلاقاتهم ببريطانيا متشابهة ، بالإضافة إلى أن كل منهما

---

(١) يوسف القرضاوى، (أولويات الحركة الإسلامية)، ١٩٩٠، بدون ناشر، ص٣٠، وص٣٧.
(٢) حسن البنا، (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا)، مرجع سابق، ص٢١٢-٢١٣.

يعلن احترامه للإسلام كدين وتشريع بغض النظر عن ممارساته العملية .

فالإخوان فى كل من مصر والأردن سكتوا عن الملك وعن الحكم الوراثى ، ولعلهم اعتبروا أن الخروج على الحاكم المسلم غير جائز شرعًا ، ويجر إلى مفاسد وفتن وخاصة أنه غير مضمون النتائج ، وكانوا يحمّلون مسئولية الفساد أو القرارات السياسية الخاطئة للحكومة ، «فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ، ونفوس الأمة على هذه الحال ، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود ويتعلم الشعب كيف يُؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة».[1]

ويقول الشيخ البنا فى موقع آخر : «أما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها ، فهو موقف الناصح الشفيق الذى يتمنى لها السداد والتوفيق وأن يصلح الله بها هذا الفساد ، وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا فى واد وهى فى واد» .[2]

ولعل من أبرز ما يدل على أسلوب الإخوان المسلمين فى التعامل مع الحكم فى ذلك الوقت هو تلك المذكرة التى رفعها الإخوان فى الأردن إلى الملك حسين وجاء فيها : «إن الحكومة الأردنية التى أشارت عليكم باستدعاء الإنجليز ليحتلوا عمان من جديد ، حكومة خائنة ينبغى محاكمتها».[3]

وليس من مناهج الإخوان الثورة والانقلاب بل هم عكس ذلك يعملون على تربية الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم ، وكل ذلك بالتدرج والإقناع حتى يتهيأ المجتمع للحكم بالإسلام وليس بالضرورة أن يحكم الإخوان المسلمون ، وبهذا فهم لن يكونوا البادئين فى صراع وقتال يجرّ المآسى والضرر على الأمة ، ويوضح ذلك البنا فى رسالة (بين الأمس واليوم) فيقول : «وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة ، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ، ووقفتم فى طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين» .[4]

ويوضح الشيخ البنا طريق الإخوان الطويل غير المتعجل فى كلمات صريحة واضحة فيقول : «أيها الإخوان ، وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم ، اسمعوها منى .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفًا هذه الحدود .. أجل قد تكون طريقه

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٧ .
(٢) المرجع السابق، ص٢١٤ .
(٣) محمد حسن، مرجع سابق، ص٦٧ .
(٤) حسن البنا، مرجع سابق، ص١١٠ .

طويلة ، ولكن ليس هناك غيرها .. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها .. فخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات» . (١)

ويوضح الدكتور يوسف القرضاوى منهج الإخوان هذا القائم على الأصول الفقهية ، مستدلاً بالآيات القرآنية ومواقف الرسول الكريم وأصحابه وأدلة الشرع «الفسيح» فيما سماه «فقه الموازنات» (٢) ، ويقول : «إذا غاب عنا فقه الموازنات ، سددنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة ، واتخذنا فلسفة الرفض أساسًا لكل تعامل» . (٣) وهكذا يرى القرضاوى أن دخول مجالات الحياة العامة ، ومجالس النواب ، بل الحكومات أحيانًا إلى درجة الوجوب لإيصال الدعوة للناس جميعًا ، وهو يدعو - مستنداً إلى الأدلة الشرعية ومنهج الإخوان المسلمين - إلى الحوار مع «عقلاء الحكام» ويحددهم بقوله : «أولئك الذين لا يقفون من الإسلام موقفًا عقائديًا معاديًا» . (٤)

٢ - العوامل السياسية الواقعية : وهى إن فصلناها لأهميتها عن العوامل المنهجية الحركية إلا أنها تظل جزءاً منها وتستند على الأدلة الفقهية من مراعاة المصالح المرسلة ، ومن الاستدلال بسيرة الرسول الكريم العملية ، وتعتمد على ما سماه القرضاوى «فقه الأولويات» حيث يأخذ القرضاوى على بعض فصائل الصحوة الإسلامية غياب فقه الأولويات عنها ، «فهي كثيراً ما تهتم بالفروع قبل الأصول ، وبالجزئيات قبل الكليات ، وبالمختلف فيه قبل المتفق عليه ..» (٥) ، وبهذا يتحدد أى الأعداء أولى بتركيز الهجوم عليه ، وأى المعارك أولى بخوضها ، فليس من الواقعية أن تخوض الحركة الإسلامية المعركة ضد الجميع .

وقد وجد الإخوان المسلمون فى الأردن أن الظروف المحلية والإقليمية والدولية التى تحيط بهم تدفع بهم إلى المحافظة على عدم الاصطدام بالنظام الحاكم ، طالما أن هذا النظام لم يبادر بضربهم والقضاء عليهم ، كما أنه يتيح لهم المجال لنشر دعوتهم والتعبير عن مواقفهم ولو أدى ذلك أحيانًا إلى صدامات مع الحكومة ورجالها لا تصل إلى مستوى العنف أو الحرب .

ومن أهم الأسباب التى جعلت الإخوان المسلمين فى الأردن لا يصطدمون مع النظام ، هو

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٥.
(٢) يوسف القرضاوى، ص٣٠-٣١.
(٣) المرجع السابق، ص٣٢.
(٤) المرجع السابق، ص١٧٠.
(٥) المرجع السابق، ص٣٧.

معرفتهم وإدراكهم لطبيعة الدولة في الأردن وضعف إمكانياتها وعدم قدرتها على الاعتماد على نفسها بعيداً عن المساعدات الأجنبية ، كذلك اشتراكها مع العدو الصهيوني بحدود طويلة تصل إلى ٦٠٠ كيلو متر ، مما جعل أى تغيير في نظام الحكم ذريعة قوية لاحتلال إسرائيلي للأردن من الصعب مقاومته .

وبسبب من تنامي قوة الأحزاب القومية والناصرية واليسارية في الأردن ، فإن البديل الوطني للحكم الملكي سيكون في جميع الأحوال قوميًا أو يساريًا معاديًا لجماعة الإخوان المسلمين ، يغلق مراكزها ويعتقل رجالها ويمنعها من ممارسة أنشطتها الدعوية والاجتماعية والسياسية ، كما فعل النظام الثوري في مصر بعد اختلافه مع الإخوان .

ويضاف إلى ذلك أن الأردن أصبحت ملجأ وملاذًا للإخوان المسلمين المصريين الذين فروا من ملاحقة النظام المصري لهم ، وهكذا وجد الإخوان المسلمون في النظام الأردني وبقائه مصلحة لهم ولدعوتهم في الأردن وخارجها .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن النظام الملكي في الأردن وجد في الإخوان المسلمين ، قوة ضرورية للمحافظة على النظام ؛ فعلى الرغم من الاختلافات المنهجية بين الطرفين ، فإنهم يجتمعون في مواجهة عدو مشترك متربص بالطرفين يتمثل بالقوى الناصرية والقومية واليسارية داخل الأردن ، وما وراءهم من دعم ناصري وإعلام قوى مؤثر تقوم به وسائل الإعلام المصرية ، التي كانت تجد ما تهاجم به النظام في الأردن من اتهامات بالرجعية والتبعية للغرب وغيرها ، ومقابل ذلك وجد النظام في الأردن في الخطاب الإسلامي وهجوم الإخوان المسلمين على حكم عبد الناصر واتهامه بمعاداة الإسلام فائدة كبيرة في الهجوم المضاد على النظام الناصري .

وهكذا ظل الإخوان المسلمون في الأردن يتمتعون بالشرعية القانونية التي تتيح لهم حرية الحركة والنشاط ، «كما عبروا في نفس الوقت عن مواقفهم المعارضة لوجود الضباط الإنجليز في الجيش ، وعن رفضهم لحلف بغداد ووجهوا الانتقادات المتكررة للحكومة وخاصة فيما يعتبرونه انحرافًا عن الأخلاق الإسلامية كشرب الكحول والفسوق والحفلات الراقصة»[١] مما عرضهم للاعتقال والمراقبة في مناسبات متعددة ، عمومًا فقد ظل الإخوان والحكم الملكي في مهادنة يقوم بها الطرفان .

(١) أمنون كوهين، مرجع سابق، ص١٥٠ .

(ب) العلاقة مع القوى السياسية الأخرى :

كان موقف الإخوان المسلمين في الأردن من النظام الناصرى موقفًا تنظيميًا سياسيًا ، فهم يعتبرون أنفسهم كما مر بنا جزءاً من الحركة الإسلامية فى مصر ، ويدينون بالولاء لقيادتها ، والحكومة المصرية فى رأيهم هى التى ابتدأت العدوان حينما اعتقلت الآلاف من الإخوان وقياداتهم ، كما قامت بإعدام عدد منهم وبدأت بإعلامها عملية تشويه الإخوان المسلمين ، مما جعل الإخوان المسلمين فى الأردن ينتصرون لإخوانهم ، ويهاجمون نظام عبد الناصر ويتهمونه بالدكتاتورية والبطش وبالعمالة للغرب ثم بعد ذلك الاتحاد السوفيتى ، ويتحدثون عن تآمره على القضية الفلسطينية وسماحه سراً للسفن الإسرائيلية بعبور مضايق تيران إلى البحر الأحمر بعد العدوان الثلاثى ، «فكما كانت محنة ١٩٥٤ / ١٩٥٥ من تخطيط المخابرات الأمريكية والمصرية ، كانت محنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦م ثمنًا للتسلط الشيوعى الروسى على مقدرات مصر»[1] . عمومًا وبالإضافة إلى ذلك خشى الإخوان فى الأردن أن يمتد نفوذ عبد الناصر ليصل إلى الأردن هو أو مؤيدوه وأنصاره فيحدث لهم ولدعوتهم ما حدث للإخوان فى مصر .

أما بالنسبة للتيارات السياسية الأخرى فى الأردن ومعظمها قومية أو يسارية ، كحركة القوميين العرب ، وحزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الشيوعى الأردنى والحزب الوطنى الاشتراكى ، الذى فاز بالأغلبية فى انتخابات البرلمان الأردنى فى ٢١ / ١٠ / ١٩٥٦م وعهد الملك حسين إلى رئيسه سليمان النابلسى بتشكيل الحكومة مراعاة للأسس الديمقراطية - فإن العداء المتبادل كان سمة العلاقة بينها وبين الإخوان .

وقد كان هذا واضحًا فى فترة حكومة النابلسى التى أعلن رئيسها تأييده لجمال عبد الناصر فى خطاب ألقاه بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٦م ، كما أفرجت الحكومة عن رئيس الحزب الشيوعى الأردنى ، ورخّصت للحزب إصدار جريدته «الجماهير» ، ومنحت مكتبًا لوكالة «تاس» فى الأردن ، مما ساهم فى ظهور النشرات والأقلام السوفيتية ، مع أن الأردن كان قد أصدر مرسومًا بمكافحة الشيوعية عام ١٩٥٣م ،[2] وعلى هذا فإن الإخوان المسلمين كانوا يعادون هذه الأحزاب جميعًا ، فعلاوة على الاختلاف العقائدى مع الأحزاب اليسارية التى يتهمها الإخوان بنشر الكفر والإلحاد فإنها والأحزاب

(١) محمد الحسن ، ص٣٧-٣٨ .

(٢) عونى العبيدى ، ص١٦٢-١٦٥ .

القوميـة الأخـرى تهـدد وجـود الجمـاعـة فـي الأردن .

وقد كان موقف الإخوان التقليدى من الأحزاب هو موقف الرفض ، فإذا كـانت الضـرورة الشـرعيـة تحتم على الإخوان التعامل مع الحاكم ، فإنهم لم يجدوا هذه الضرورة الشـرعية فى التعامل مع الأحزاب ، وقد ظلت حركة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها ولمدة تصل إلى حوالى ستين سنة لا تتعامل مع التيارات الأخرى ولا تقيم حواراً معها إلى أن جاءت الثمـانينيـات ، حيث شارك الإخوان فى الحوار القومى الدينى وفى مؤتمرات مشتركة ، بل ودخلوا تحالفات مع قوى قومية وحتى يسارية فى بعض الأحوال .

وكـان ينبنى موقف الإخوان على اعتبارين أساسيين أولهما أن الأحزاب تفرق شـمل الأمـة وتدعوا إلى التناحر والشقاق ، كما يقول البنا : «أما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات ، فلما كـان ولا يزال بين هذه الهيئـات من التنافر والتناحر الذى لا يتفق مع أخوة الإسـلام . . ودعوة الإسلام عامة تجمع ولا تفرق . .»[1] ، والاعتبـار الثانى أن جمـاعـة الإخوان المسلمين كـانت ترى فى نفسـهـا أنهـا فوق الأحـزاب وأن على كل وطنى يريد خـدمـة وطنه أو دينه أو خدمتهما معاً فما عليه إلا أن ينضم للإخوان المسلمين ، ويتضح هذا بجلاء فى قول الشـيخ البنا : «ونحن الآن – وقد اشتد ساعد الدعوة – نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا ، وأن يسلكوا سبيلنا ، وأن يعملوا معنا ، وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التى لا غناء فيها ، ويتوحدوا تحت لواء القرآن الكريم العظيم . .» .[2]

هذا كان موقف الإخوان من الأحزاب ، مع أنها كـانت فى غالبيـتهـا العظمى لا تعادى الإسلام كما كانت أيضـاً على علاقات حسنة مع القصر ، بل كـانت تتنافس فى إرضائه ، أما فى الأردن فيضاف إلى ذلك أن بعض الأحزاب فى نظر الإخوان معادية للإسلام ، وجميعها معادية للإخوان المسلمين ، كما أنها جميعاً معادية للقصر تتربص به ويتربص بها .

ولم يكن هذا مقتصراً على الأحزاب القومية واليسارية ، بل إن حزب «التحرير» الإسلامى الذى تأسس فى القدس عام ١٩٥١م على يد الشـيخ «تقى الدين النبـهانى» كـان دائمـاً على علاقة سيئة بالإخوان المسلمين ، يتبادلون النقد والاتهام والتجريح .

---

(١) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثانى
التنظيم فى قطاع غزة

كانت الفترة الممتدة من نكبة عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٥٧ م عند اندحار العدوان الثلاثى وعودة قطاع غزة مرة أخرى إلى الإدارة المصرية بعد احتلال إسرائيلى دام أكثر من أربعة أشهر، هى من أكثر الفترات حرجًا وأهمية فى تاريخ قطاع غزة وتاريخ الشعب الفلسطينى ، حيث اختلط الجوع والتشرد مع الإصرار على الصمود والتمسك بالهوية .

كما كانت نفس الفترة من أهم الفترات وأغناها فى تاريخ الحركة الإسلامية فى القطاع ، حيث مارست الحركة كل أشكال العمل ، وعاشت مختلف الظروف ، فكانت النشأة الفعلية، وكانت تجربة العمل العلنى والأنشطة الشعبية العامة والامتداد الجماهيرى الواسع ، كما عاشت فى نفس الفترة وابتداء من عام ١٩٥٤م تجربة العمل العسكرى خلف الحدود ، كما خاضت تجربة العمل السياسى والنقابى والشعبى ، عملت بدعم من السلطة كتجربة نادرة فى تاريخ الحركة فى القطاع ، ثم حوربت من نفس السلطة .. كما عاشت بالإضافة إلى ذلك كله تجربة مقاومة الاحتلال، ومحاولات التحالف مع القوى السياسية الأخرى .

ومع الأهمية البالغة لتلك الفترة ، وأثرها الكبير على مجريات القضية الفلسطينية ، وعلى تاريخ الصراع العربى الصيهونى ، فإنه يلاحظ أن هناك ندرة فى الأدبيات التى تناولتها، فالإدارة المصرية التى حكمت القطاع طوال تلك الفترة بعيدة عن متناول الباحثين ، كما كانت معظم الكتابات حول هذه الفترة تأتى من كتاب شيوعيين أمثال معين بسيسو وعبد القادر ياسين ، تعالج الأحداث من وجهة نظر حزبية ضيقة ، تتجنّى على الآخرين ، وفى أحسن الأحوال تتجاهل أدوارهم ، وكان كتاب حسين أبو النمل عن قطاع غزة الصادر عن مركز الأبحاث فى (م . ت . ف) كتابًا متميزًا فى هذا المجال على الرغم من تجاهله فى كثير من المراحل للإخوان المسلمين ، إلى أن أصدر د . عبد الله أبو عزة كتابه عام ١٩٨٦م ليملأ فراغًا مهمًا فى المكتبة الفلسطينية ، إلا أنه لم يكن وافيًا لأنه اقتصر على الأحداث التى عايشها الكاتب . وعلى ذلك فقد اعتمد الباحث كثيراً على المقابلات الشخصية مع عدد من الإخوان الذين عايشوا تلك الفترة ومنهم من كانوا فى مواقع المسئولية الأولى .

كان للهزيمة والكارثة التى حلت بالشعب الفلسطينى أثرها البالغ فى انهيار الولاءات السياسية التقليدية ، كما كان للهجوم الدائم الذى تشنه الحكومات العربية على قيادات

الشعب الفلسطيني، محمّلة إيّاها مسئولية النكبة بهدف التنصل من مسئولية الجيوش العربية وحكوماتها من تهمة ضياع فلسطين أثره على عزل هذه القيادات ومحاصرتها ، مما جعل الطريق ممهّداً لبروز وقوة التشكيلات السياسية العقائدية بمعزل عن القوى السياسية القديمة والولاءات العائلية والعشائرية ، «فقد عرف قطاع غزة في تلك الفترة ظاهرتين حزبيتين فاعلتين هما : «الإخوان المسلمون والشيوعيون» . [1]

كان الحزب الشيوعي في فلسطين هو أول حزب شيوعي يتم تأسيسه في المنطقة العربية ، حيث وجد بين أوساط المهاجرين من العمال اليهود عام ١٩١٩م [2]، ولم يدخل العرب هذا الحزب إلا فيما بعد ، حيث بدأت تظهر الخلافات داخل الحزب وتحدث الانقسامات ، فأسس العرب «عصبة التحرر الوطني» عام ١٩٤٣م . [3]

«كان الشيوعيون في القطاع عام ١٩٤٨م هم من بقايات العصبة التي ظلت تعمل في القطاع حتى ١٠ / ٨ / ١٩٥٢م عندما ضربتها حكومة ثورة يوليو، وأوقفت نشاطها ، وفي نهاية ١٩٥٢م عملوا تحت اسم الحزب الشيوعي في قطاع غزة» [4]، ويذكر الكاتب الشيوعي عبد القادر ياسين أن عدد أعضاء التنظيم عام ١٩٥٢م كان ٦٤ عضواً [5]، بينما تذكر الموسوعة السياسية أن السلطات المصرية اعتقلت ١٨ شيوعيًا ، ولم يبق خارج السجن سوى عشرة أشخاص .

وعلى العموم فإن التنظيم الشيوعي كان صغيراً وضعيفًا وذلك بسبب التدين الفطري الذي يتصف به أهل القطاع وأغلبهم من القرويين والبدو ، وبسبب انتشار دعوة الإخوان المسلمين والتفاف الناس حولها لما قامت به من دور في مقاومة اليهود ومساعدة السكان ، أما الضربة القاصمة التي وجهها الشيوعيون لأنفسهم ، فكانت في موقفهم الغريب الذي شذوا فيه عن جماهير الشعب وقواه السياسية بتأييدهم لقرار تقسيم فلسطين واعترافهم بالدولة اليهودية ، بل الدعوة للتعاون مع اليهود ومقاومة الجيوش العربية المعتدية ، «ففي تموز / يوليو ١٩٥٠م أصدرت عصبة التحرر الوطني بيانًا جاء فيه : «إن سبيل شعبنا للخروج من

---

(١) حسين أبو النمل، مرجع سابق، ٦٥.

(٢) ماهر الشريف، (الأممية الشيوعية وفلسطين، ١٩١٩-١٩٢٨)، بيروت: دار ابن خلدون، ط ١٩٨٠، ص ص ٥٩-٦٠.

(٣) زياد أبو عمرو، (أصول الحركات السياسية)، مرجع سابق، ص٣٥.

(٤) (الموسوعة السياسية)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م، ص ص٤١٠-٤١٤.

(٥) عبدالقادر ياسين، (حزب شيوعي ظهر للحائط)، ص١٧.

هذه الكارثة هو النضال الواعي لتنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٦ / ١١ / ١٩٤٧م (التقسيم) . إنه في النضال لتحرير القسم الغربي من جيوش فاروق وعبد الله وبن جوريون ، وإقامة الدولة الديمقراطية المستقلة فيه ، المتحدة اقتصادياً مع إسرائيل ، والصديقة للشعب اليهودي» . (١)

أسباب قوة الإخوان المسلمين :

لقد تضافرت كثير من العوامل الموضوعية والذاتية لتجعل الإخوان المسلمين أكبر قوة سياسية في قطاع غزة طيلة الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٧) ، ويؤكد أبو النمل أن الإخوان المسلمين «كانوا الظاهرة السياسية الأولى في قطاع غزة حتى عام ١٩٥٥» . (٢)

١ - المناخ الإسلامي العام الذي ساد فلسطين في العقود الثلاثة السابقة والذي كانت تكرسه وحدة الزعامتين السياسية والدينية ممثلة بالحاج أمين الحسيني والذي كان على علاقة تاريخية متينة بالإخوان المسلمين وكذلك بطولات المسلمين ممثلة بالشيخ عز الدين القسام وقادة الجهاد المقدس .

٢ - بطولات الإخوان المسلمين على أرض فلسطين ومواقفهم السياسية الصريحة في تأييد شعب فلسطين وخاصة الدور الذي لعبه المتطوعون من الإخوان في الجبهة الجنوبية «والذي كان موضوع تقدير سكان وأهالي اللواء الجنوبي» . (٣)

٣ - حظي الإخوان المسلمون بتعاطف الجماهير نتيجة قمع السلطات لهم واعتقالهم أثناء الحرب وإغلاق شُعَبهم واغتيال مرشدهم .

٤ - وجود معسكرات الإخوان المسلمين المصريين بين مخيمات اللاجئين مما أدى إلى الاحتكاك بهم فقد قام عدد من الشباب الفلسطيني في قطاع غزة بالالتحاق بكتائب الإخوان .

«وكان من بين العناصر الأولى التي تم تجنيدها من العمال الفلسطينيين : محمد أبو سيدو وعثمان أبو سيدو وموسى سبيتة وفهمي صقر وعايش عميرة وغيرهم ، وقام هؤلاء بتوصيل فكر الإخوان المسلمين إلى طلاب المدارس» . (٤)

---

(١) حسين أبو النمل ، مرجع سابق ، ص٧٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٦ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) زياد أبو عمرو ، مرجع سابق ، ص٦٧ .

يقول محمد أبو سيدو (أبو صلاح) : «كان للإخوان المسلمين معسكرهم في البيج ، وكانوا يزورون شعبة غزة ويتحدثون بحديث عذب يستهوى الشباب ، يخرج كلامهم من القلب وعلى رأسهم الحاج عباس السيسي الذى كنا نحبه كثيراً» [١]، ويستطرد أبو صلاح موضحًا كيف كان المتطوعون ينفقون مرتباتهم من الجامعة العربية على الأيتام والأرامل من اللاجئين .

ويصور خليل الوزير مشاعر الشباب فيقول : «كانت صورة الفدائي التى ارتبطت بهؤلاء المتطوعين تلهب حماس الشبيبة الطالعة وتشكل القدوة والمثل الأعلى ..» [٢].

٥ - المشاعر الأخوية والمحبة في الله التى كانت تشبع وجدان الشباب «فهاهنا فى صفوف الإخوان - لا مجال للأثرة ، ولا مجال للتنافس أو الصراع على المصالح الذاتية .. فالعلاقة بين الأفراد فى الأسرة والأحاديث التى تدور بينهم .. دائمًا تخصهم جميعًا ». [٣]

٦ - وبحكم اتساع جماعة الإخوان المسلمين وانتشارها فإن كثيرين من ضباط الجيش المصرى أو رجال الإدارة كانوا من الإخوان المسلمين أو المتعاطفين معهم .. وقدّم هؤلاء خدمات متعددة ومتنوعة للإخوان المسلمين فى قطاع غزة .

والغريب أن باحثاً [٤] بعد أن يتحدث عن قمع السلطة للإخوان يعتبر هذا التعاطف الفردى من بعض الضباط هو سياسة عليا بموجبها اتخذت سلطات الأمن موقفاً مؤيداً لنشاط الإخوان المسلمين .

٧ - كذلك فإن البعثات الدينية والتى جاءت إلى قطاع غزة قبل الثورة ضمت شخصيات مؤثرة من الإخوان المسلمين أمثال الشيخ محمد الغزالى والأباصيرى وسيد سابق وغيرهم.[٥]

٨- وكان لسفر الأعداد المتزايدة من طلبة القطاع للدراسة فى الجامعات المصرية أثره البالغ حيث يتأثرون هناك بفكر الإخوان المسلمين ويعودون أكثر خبرة وتجربة .. وقد كانت الإجازات الصيفية تمثل نشاطاً كبيراً للإخوان حيث يشترك فيه الطلبة العائدون من مصر .

---

(١) محمد أبو سيدو ، مقابلة شخصية ، الكويت ، ١٢ / ٤ / ١٩٨٥م.

(٢) د. محمد يوسف ، (أبو جهاد : أسرار بداياته وأسباب اغتياله) ، صفاقس (تونس) : المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، ١٩٨٩م ، ص١٥٨ .

(٣) عبدالله أبو عزة ، (مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية) ، الكويت : دار القلم ، ١٩٨٦ ، ص١٣ .

(٤) حسين أبو النمل ، ص٦٧ .

(٥) محمد أبو سيدو ، مرجع سابق.

٩- عاد الإخوان إلى نشاطهم العلنى وافتتحت الشعب مع ثورة يوليو ١٩٥٢م وظل الإخوان يعملون وكأنهم حزب السلطة، وتقوم مهرجاناتهم واحتفالاتهم برعاية الحاكم الإدارى العام أو من ينوب عنه حتى أزمة ١٩٥٤م وقرار حل الإخوان.

ومع أن هذه الفترة لم تكمل السنتين إلا أن كثيراً من الكتاب لم يكونوا موضوعيين فى تناولها.

التنظيم فى الفترة العلنية:

عمل الإخوان المسلمون فى قطاع غزة من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٢م فى ظروف قرار حلّ الجماعة واعتبارها منافية للقانون، لكن أسباباً متعددة جعلت ملاحقة الإخوان فى قطاع غزة أخف من ملاحقة إخوانهم فى مصر، فنظام الملك فاروق لم يستشعر خطر إخوان غزة على نظامه كما كان الحال بالنسبة لإخوان مصر، كما كانت ظروف الهجرة والجوع والحرمان تجعل القطاع يعيش ظروفاً مختلفة.

ومع ذلك لم يمارس الإخوان عملهم بحرية كاملة داخل القطاع، «فقد جاء تقرير أرسله مدير عام سلاح الحدود إلى الحكومة المصرية يصف الشعور العام بالتذمر عند اللاجئين.. مما أدى إلى نشوب ثورات متكررة على الإدارة المصرية.. كما اعتلى اللاجئون منابر المساجد وراحوا ينددون بالإدارة المصرية وينسبون لها الفساد والظلم ويؤلبون عليها جموع اللاجئين.. وقد بذل رجال سلاح الحدود جهوداً فائقة لقمع هذه الثورة..».[١]

شُعَب الإخوان:

تراوح عدد شعب الإخوان فى قطاع غزة بين ٨ - ١٣ شعبة فبينما يقول أبو عزة[٢] أن عددها كان ثماني شعب، يقول زياد أبو عمرو[٣] أنها كانت إحدى عشرة شعبة بينما يؤكد محمد أبو سيدو[٤] أنها كانت ثلاث عشرة شعبة. وقد اتفق الجميع على شُعب غزة الثلاث وشعبة خان يونس ورفح ودير البلح.. وكانت هذه الشعب تتبع «المركز الإدارى العام» الذى كان يرأسه الشيخ عمر صوان (رئيس بلدية غزة ٥٢-٥٤)، ومن شخصياته المشهورة الحاج زكي السوسي والحاج زكي الحداد، أما شعبة الرمال فكان يرأسها الحاج صادق المزيني، ويرأس

(١) جريدة المصرى ٢/٧/١٩٥٠.
(٢) عبدالله أبو عزة، ص١٤.
(٣) زياد أبو عمرو، ص٧٣
(٤) محمد أبو سيدو، مرجع سابق.

شعبة الشجاعية الحاج كامل مشتهي وشعبة الزيتون رجل من عائلة السرحي[١] . أما في شعبة خان يونس فقد كان أبرز الشخصيات أحمد فرح عقيلان والشيخ محمد أبو سدرانة والشيخ ناجي السعافين، ومن أبرز الشباب فيها عبدالبديع صابر وعبدالشكور الطويل.

وبقيت هذه الشعب تعمل بنشاط وتستقطب الناس وتشرُف على الأنشطة الثقافية والرحلات الهادفة وتنظم المهرجانات إلى أن أغلقت تماماً في أوائل عام ١٩٥٤م.

جمعية التوحيد :

بعد حل جماعة الإخوان سنة ١٩٤٩م اتخذ الإخوان المسلمون «جمعية التوحيد» واجهة لنشاطاتهم، وقد رأس هذه الجمعية الحاج ظافر الشوا وأصبح عوني القيشاوى مساعداً له وكان من ضمن أعضاء الجمعية كل من سليم الزعنون وعرفة سكيك وحسن النخال وأحمد فاضل الملاح.[٢]

وانحصر نشاط الإخوان العلني في القطاع في إطار «جمعية التوحيد» في مجالات الدعوة الثقافية والطلابية، وانتظم «حديث الثلاثاء» وهو محاضرة عامة، كما كانت تقام محاضرة أسبوعية خاصة بالطلاب عصر كل خميس.. وفي إطار الجمعية جرى أيضاً ممارسة النشاطات الكشفية والرحلات التي تم خلالها التدريب على السلاح الناري والانضباط العسكري.[٣]

يذكر أبو زياد الخالدي[٤] أنه جاءه شوقي الخراز ودعاه إلى مدرسة دير البلح الإعدادية، فوجد هناك سليم الزعنون وآخرين قادمين من غزة وعرضوا عليه أن يقوم بأمر الدعوة بين الطلاب في دير البلح، وبعدها زارهم في جمعية التوحيد في غزة حيث أصبح عضواً في الجمعية. وظلت الجمعية واجهة العمل الإخواني إلى أن قامت ثورة يوليو فعاد النشاط يدب في الشُعب، وعاش الإخوان فترة ذهبية مدتها سنتان.

الأنشطة العلنية:

١- المحاضرات والخطب : نظمت شُعب الإخوان وجمعية التوحيد الكثير من المحاضرات والندوات التي تبشر بالبعث الإسلامي، وكان منها المحاضرات الدورية مثل «حديث الثلاثاء» أو محاضرات وخطب في المهرجانات والمناسبات والمساجد والمدارس. وكان كثيراً ما يحضر

---

(١) حسين الثوابتة، مقابلة شخصية، الكويت، ٢٠ / ٥ / ١٩٨٥م.
(٢) زياد أبو عمرو، ص٦٧.
(٣) المرجع السابق.
(٤) خليل الخالدي، مقابلة شخصية، صنعاء ١٧ / ٤ / ١٩٩٤م.

محاضرون من مصر مع لجان الإشراف على الامتحانات العامة فى المدارس أو البعثات الدينية لشهر رمضان، وكان من أبرز المحاضرين الحاج عباس السيسى والشيخ محمد الغزالى والشيخ زكى الحداد وكانت المحاضرات بلهجة عامية محببة ومؤثرة في الناس[1]، وقد برز خطباء عديدون كان من أبرزهم الأستاذ أحمد فرح بأسلوبه المؤثر ولغته الشاعرية وهو صاحب الشعر الشهير:

لا ترد الحقوق في مجلس الأمن لكن في مكاتب التجنيد
إن ألفى قذيفة من كلام لا تساوى قذيفة من حديد

كما برز الأستاذ فتحي البلعاوى وصلاح خلف وعز الدين طه وغيرهم كثير.

٢- الأعمال الخيرية وخدمة المجتمع: كان الإخوان يتقربون من الناس عن طريق حل مشكلاتهم، من كان فقيراً يعينوه ومن كان مريضاً يعودوه وينظمون دروس التقوية للطلاب بالمجان ويشاركون فى أعمال الخير مما جعل الناس يأنسون إليهم ويشجعون أبناءهم للالتحاق بهم[2].

وحينما كانت تشتد الريح فتقتلع خيام اللاجئين في ليالى الشتاء القارس، يجد الناس شباب الإخوان من جمعية التوحيد أول من يهب لنجدتهم.. كما كانوا يجمعون المال لمساعدة الطلبة الفقراء الذين يدرسون فى جامعات مصر، فكانوا يعطون هؤلاء الطلبة ٣-٤ جنيهات شهرياً، بالإضافة إلى ما يتلقاه الطلبة من إعانات من الجامعة العربية[3]، كما قام الإخوان بالمساهمة فى توزيع التبرعات على اللاجئين حيث تم جمع المساعدات العينية من مختلف مناطق مصر وأرسلت إلى قطاع غزة فيما يسمى «قطار الرحمة» أوكلت مهمة توزيعها لشعب الإخوان المسلمين لما يتصفون به من نزاهة ونظافة يد، وكانت قطارات الرحمة مناسبة لالتفاف الناس حول الإخوان وتعميق الثقة بهم.

٣- الرحلات والمخيمات الكشفية: كعادة الإخوان المسلمين منذ أن نشأت جماعتهم فى مصر يهتمون بالرحلات الهادفة المنظمة ذات البرنامج والأهداف المحددة، يتعلمون فيها النظام والانضباط وفنون الإدارة والدعوة ويتم التركيز فى محاضراتها على جوانب تحتاج إليها الشخصية الإسلامية العاملة، كما يتم الاهتمام بالجانب الروحى من قيام الليل وتلاوة القرآن.

---

(١) محمد أبو دية، مقابلة شخصية، الكويت، ١٣ / ٣ / ١٩٨٤م.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

وكانت الرحلات فى قطاع غزة بريّة وبحرية وفى الغابات، وكان يتخللها التدريب العسكرى من زحف وألعاب رياضية، والمعروف أن الشيخ أحمد ياسين أصيب بالشلل عام ١٩٥٣م بسبب هذه الألعاب الرياضية وكان عمره خمسة عشر عاماً، وكان يشارك فى الرحلات بعض المصريين من الإخوان المسلمين الذين يعملون مدرسين فى قطاع غزة[١]. وكان من أهم المخيمات ذلك المخيم السنوى الذى يعقد فى الصيف فى منطقة دير البلح قريباً من شاطئ البحر، فكان يتجمع حوالى ٢٠٠ طالب ثانوى وجامعى ومدرس من جميع أنحاء القطاع ويذكر أحد المشاركين فيه أن أمير المخيم كان خليل زعرب كما يذكر تدريبات الليل التى كان خليل الوزير أحد المشرفين عليها[٢].

٤- منذ ذلك الوقت والإخوان يحاولون أن يقدموا البديل الإسلامى للأعراس التى تخالف الشريعة فيختلط فيها الرجال بالنساء، فكانت أعراس الإخوان تلقى فيها المواعظ والأناشيد الإسلامية التى يؤديها المنشد «على عليوة» ويتذكر «محمد أبو ديه» من هذه الأعراس عرس عبدالرحمن سكيك وكان من الإخوان وعرس صفوت النونو.

٥- الأنشطة الطلابية: كانت الحركة الإسلامية ولا تزال فى كل مكان تعتمد على الشباب، وتبرز قياداتها من صفوف الطلبة، وها هى الحركة الطلابية فى مصر والجزائر والأردن والسودان وتونس والأرض المحتلة ودول الخليج وفى بلدان المهجر تمثل العمود الفقرى للعمل الإسلامى، فلم يكن غريباً أن يؤسس الإخوان فى قطاع غزة ومنذ ١٩٥٠م قسماً للطلاب، «كان قسم الطلاب أكثر الأقسام نشاطاً وخاصة فى الصيف حينما يعود الطلاب الدارسون فى الجامعات المصرية»[٣] ينقلون خبراتهم التى تعلموها فى مصر ويحدثون طلاب غزة عن إنجازات الحركة الأم فى مصر وبطولات أفرادها. وكانت أبرز شخصيتين فى قسم الطلاب هما حسن عبدالحميد وسليم الزعنون اللذان يمثلان نموذجين مختلفين ويتنافسان على زعامة الطلاب..[٤]

كما أنشأ الإخوان كتلاً طلابية فى مدرسة فلسطين الثانوية بغزة ومدرسة الإمام الشافعى، وكانوا يتجمعون فى الفرص فى حلقات يتداولون أحوال العالم الإسلامى وأحوالهم وكان لكل حلقة أمير وكان أمير الأمراء فى فلسطين الثانوية الأخ خليل زعرب، وكان من أهم

(١) المرجع السابق.
(٢) خليل الخالدى، مرجع سابق.
(٣) عبدالله أبو عزة، ص٧٦.
(٤) المرجع السابق.

الشخصيات في المدرسة رياض الزعنون وخيرى الأغا وعبدالرحمن بارود وفي مدرسة الإمام الشافعي كانت قيادة الطلاب منعقدة لسليم الزعنون وحسن عبدالحميد[1].

المحنة - العمل السرى ١٩٥٤م:

ظهر لنا فيما قبل أن الإخوان المسلمين نعموا بسنتين كانتا الفترة الذهبية في عملهم من حيث العلنية والانتشار، وقد بدا للكثيرين وكأنهم حزب السلطة وذلك للعلاقات الحسنة بين قيادات ثورة يوليو وبين جماعة الإخوان المسلمين. وإذا كانت هذه الظروف قد مكنت الإخوان من الدعوة لفكرتهم بحرية فاستطاعوا أن يصلوا إلى الناس فى كل مكان فالتف حولهم المخلصون والمتحمسون، فإنها فى نفس الوقت جعلت الانتهازيين والوصوليين ومحبى الوجاهة والمتزلفين إلى الحكام ينضمون للجماعة أملاً منهم فى تحقيق مآربهم الشخصية عبر الحزب الأكبر الذى يحظى بتأييد كل من الشعب والحكومة.

وعندما دب الخلاف بين الإخوان والثورة وبعد حادث «المنشية» الشهير الذى اتهم فيه الإخوان بمحاولة اغتيال عبدالناصر، صدر قرار حلّ الإخوان فى ١٤ / ١ / ١٩٥٤م فانتهى أمر الشعب وأغلقت نهائياً ولوحق الإخوان فى كل مكان وانفض الوصوليون والانتهازيون والخائفون[2]. انسحب الكثيرون وخاصة الوجهاء وكان فى مقدمة أولئك رئيس المكتب الإدارى للإخوان فى غزة - الشيخ عمر صوان الذى كان فى نفس الوقت رئيساً لبلدية غزة حيث أصدر بياناً أيّد فيه حكومة الثورة وأيّد إجراءاتها ضد الإخوان[3].

وبدأت الملاحقات للإخوان المسلمين فى قطاع غزة ومراقبتهم والتضييق عليهم فى وظائفهم وقد اعتقل فى مصر من قادة طلبة الإخوان المسلمين هناك حسن عبدالحميد وعمر أبو جبارة[4]، وبدأ التشكيك بالحركة وبدأ الناس يتأثرون بالإعلام الناصرى وخاصة بعد صفقة الأسلحة التشيكية، «قال بعضهم: ناصر يحقق فى شهور ما لا يستطيع الإخوان تحقيقه فى سنوات»[5].

اعتبر الثابتون على مبادئهم أن هذه المحنة لم تخل من فوائد، فقد تطهرت صفوف الإخوان

---

(١) محمد أبو دية، مرجع سابق.
(٢) عبدالله أبو عزة، ص٢٥.
(٣) المرجع السابق.
(٤) محمد أبو دية، مرجع سابق.
(٥) المرجع السابق.

من الانتهازيين والمتسلقين الذين ملأوا الشُعب وانفضّ الكثيرون عن الإخوان، وهاجر عدد من القيادات إلى دول الخليج بحثاً عن الرزق، وهرباً من الملاحقات والاستجواب والاعتقال، وغاب عدد مهم آخر في الجامعات المصرية، فكان لابد أن يعاد تشكيل البقية الباقية من المخلصين لتستمر الدعوة، فكان من أثر المحنة أن ساد اتجاه لتصغير حُجم الأسرة، لتصبح مكونة من ثلاثة أعضاء بما فيهم النقيب، وذلك بدلاً من خمسة أو أكثر في المرحلة العلنية [1].

بدأ الإخوان يجمعون أنفسهم، وانتظمت مجموعات من الشباب في عدة أسر في مختلف المناطق، واستقر الوضع التنظيمي، وأصبح هناك نقباء الأسر والرقباء المسئولون عنهم، وكانت تطبع التعليمات للأسر في بيت عبدالله أبو عزة عند المحطة في غزة[2]. وهكذا بدأ الإخوان يمارسون العمل بصورة سرية كاملة، تحت تهديد القبضة البوليسية الحديدية، والخوف من الاعتقال والطرد من الوظيفة ومنع السفر. ولم يكن غريباً في هذه الفترة أن ينتعش العمل العسكري ويبدأ تركيز الإخوان على مواجهة الأهداف الصهيونية داخل الأرض المحتلة.

العمل العسكري:

(أ) تشكيل الجهاز العسكري:

تم تشكيل الجهاز العسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة عام ١٩٥٠م أو قبل ذلك بقليل، ويقول أحد الذين عملوا في الجهاز، أنه انضم للعمل العسكري عام ١٩٥٠م وكان من أبرز العاملين في هذا المجال محمد أبو سيدو وخليل الوزير ومن خلفهما ضابطان مصريان[3]، لعلهما النقيب صدقي والملازم أول على أبو نظام وهما من ذكرهما أبو جهاد «خليل الوزير» في مذكراته[4]، ويذكر أعضاء الجهاز[5] أن المسئول العسكري كان يلتقي بقيادة التنظيم ويطلع على أسماء الأفراد في الأسر، ويأخذ المعلومات عنهم وعن أوضاعهم، ثم يقوم باختيار الأسماء المناسبة، حيث يبدأ الجهاز معهم خطوته الأولى في الدراسات الإسلامية والعسكرية وخاصة معارك المسلمين والتركيز على القضية الفلسطينية وأساليب اليهود، ثم تأتي الخطوة الثانية من التدريب البدني بهدف بناء الجسم ونزع الخوف من القلوب، ثم تأتي بعد ذلك

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص٢٥.

(٢) محمد أبو دية، مرجع سابق.

(٣) فوزي جبر، مقابلة شخصية، الكويت، ١٤ / ١٠ / ١٩٨٥م.

(٤) «مذكرات أبو جهاد»، الحلقة الرابعة / مجلة (المجلة)، ٢٥ / ٥ / ١٩٨٨م.

(٥) فوزي جبر ومحمد أبو سيدو، مرجع سابق.

مرحلة التدريب العسكرى وأخيراً تنفيذ العمليات العسكرية فى الأهداف الصهيونية خلف خطوط الهدنة.

وكان من أسباب قوة الجهاز العسكرى السرية التامة التى تميز بها فى جميع أعماله حيث كان نقباء الأسر لا يعلمون أن واحداً أو أكثر فى أسرتهم يعملون مع هذا الجهاز - يقول الدكتور عبدالله أبو عزة: «لقد كان هناك نشاط سرى للإخوان، يعنى بالناحية العسكرية من تدريب على استعمال السلاح، ومن جمع مختلف أنواع الأسلحة، وذلك هو الجانب الذى خفى عنى فى السنة الأولى من عضويتى للإخوان، ولم ينكشف عنه الحجاب إلا فى أواخر سنة ١٩٥٣م وأوائل سنة ١٩٥٤م وبقدر ضئيل طبعاً»[١].

«كان الأخ المسلم يتعرض لاختبارات كثيرة قبل اختياره لهذا العمل «كان العضو يدخل فى امتحان قاس لضبط الأعصاب حيث يدخل عليه شخص أو أكثر فى الليل ويضربه ويوهمه أنه من المباحث وأنه ذاهب به إلى السجن ليختبر مدى صموده وقوة شخصيته وحسن تصرفه، كما كان يُعطى سلّة مليئة بالأسلحة أو القنابل ليوصلها إلى مكان محدد، ويتعرض فى طريقه لبعض الحركات مثل التفتيش أو المراقبة من شخص لا يعرفه، وكان أخيراً يكتشف أنه يحمل فى السلة مجموعة من الحجارة المغطاة بالخضار، وكنا نستعين بالأخوات والأولاد وكانت تجربة ناجحة، فكانت والدة موسى نصار تحمل المتفجرات لتوصيلها إلى الصحراء للتنشيف وأختى تحمل السلاح فى سلة تضع فوقه بعض العنب والفواكه»[٢].

وقد عمل الجهاز العسكرى تحت أسماء مختلفة، فقد شكل مجموعتين سريتين للعمل المسلح هما: مجموعة «شباب الثأر» وكان من أعضائها صلاح خلف وأسعد السفطاوى وسعيد المزين وعمر أبو الخير وإسماعيل سوريجو ومحمد إسماعيل النونو، أما الثانية فكانت مجموعة «كتيبة الحق» وكان من أعضائها حسن عبدالحميد وخليل الوزير وعبده أبو مراحيل وحمد العايدى»[٣].

ويحاول خليل الوزير فى مذكراته أن يخفى الصلة بين هذه المجموعات والإخوان المسلمين كعادة معظم مؤسسى «فتح» الذين حاولوا إخفاء انتماءاتهم السابقة للجماعة، فيقول: «فى غزة انتقينا مجموعة من الكوادر من بين الطلبة وكنا لا نزال طلاباً فى ثانوية فلسطين وقمنا بتنظيم أنفسنا فى وحدات وخلايا سرية، وبدأنا الاتصال بمن نثق بهم من طلبة المدارس

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص١٦.

(٢) فوزى جبر، مرجع سابق.

(٣) زياد أبو عمرو، ص٧٨.

الأخرى ومن طلاب الجامعات والمدرسين.. جمعنا عدداً جيداً وكانت قيادة التنظيم مكونة من ثلاثة أشخاص أبو جهاد ومحمد الأفرنجي وحمد العايدى.. بدأنا تنظيم الخلايا المسلحة عام ١٩٥٤م، وكان من أوائل من انتسبوا لها الشهيد عبدالله صيام (استشهد على محور خلدة - مطار بيروت سنة ١٩٨٢م)»[١]

(ب) الأمن وجمع المعلومات:

كان الجهاز العسكرى مهتماً بجمع المعلومات وكانوا يحصلون على المعلومات من داخل الإدارة المصرية، ذكر فوزى جبر أحد العاملين في الجهاز أنه كان كل يوم يخرج من المدرسة الثانوية مباشرة إلى مكتب الحاكم العام لقطاع غزة حيث كان مدير المكتب أخاً عسكرياً سودانياً اسمه عبدالغفار.. وكان مكلفاً بتلخيص جميع الرسائل السرية والعامة بعد العصر ليقدمها صباح اليوم الثاني للحاكم، وكان فوزى يشاركه في فتح الرسائل ويأخذ كل المعلومات التى تهم الإخوان أولاً بأول وخاصة أوامر الاعتقال حيث تم إنقاذ عدد من الإخوة قبل اعتقالهم، أما فى اللاسلكى فكان عامله أحد الإخوة المصريين واسمه «متولى».. كانت تأتيه جميع الإشارات اللاسلكية القادمة من القاهرة ويأخذ فوزى ملخصها ويقدمه للمسئولين.

وقد تبنى عبدالغفار السودانى فكرة عمل إذاعة سرية فى غزة باسم «شباب الثأر الأحرار»، واستطاع إحضار أجهزة لاسلكية من سرايا الإدارة المصرية، ووضعها الإخوان فى بيت عربى قديم بين المحطة والبريج وسط البيارات، ولما كانت الإذاعة تحتاج إلى بطاريات ضخمة فقد كلف الأخ منير عجور وهو صاحب محل كهرباء بجمع أكبر بطاريات فى غزة وبدأ الإخوان محاولات الإرسال على الهواء ولم يستطيعوا إكمال التجربة.

لكن الإخوان استفادوا من المعلومات التى جمعوها، وخاصة فضائح الإدارة المصرية وسرقات بعض كبار الضباط، وضمنوها فى مناشير توزع على جميع المحال التجارية والشخصيات البارزة وعامة الناس بعد صلاة الفجر وتوقع باسم «شباب الثأر الأحرار»، وكانوا يطبعونها فى بيت بعيد يملكه عم الأخ عبده أبو مراحيل ويحضرون الطابعة من مدرسة مديرها عبدالله الشيخ خليل ويساهم فى هذا العمل أبو دية من الشاطئ والخضرى من الرمال وأبو ياسر وإبراهيم عاشور من رفح.

«وكان خليل الوزير يصوغ نشرة من المعلومات التى جمعناها وأقوم بطباعتها، وكانت تبلغ أحياناً ٤٨ صفحة، وبعد فترة تجمعت لدينا مادة كتاب عرضها أبو سيدو على القادة فى

---

(١) مذكرات أبو جهاد، مرجع سابق.

القاهرة لكنهم رفضوا توزيعها فى القاهرة، وجاء أمر بإيقاف النشرة فكانت أول صدمة تلقاها خليل الوزير، فقد بذل فيها جهداً كبيراً وظل مدة حزيناً، فقد كان من الإخوان المسلمين النشيطين وكان مسئولاً عن التدريب العسكرى بعد الأخ محمد أبو سيدو مباشرة»[١] وقد ذكر خليل الوزير هذه النشرة «صوت الشعب» في مذكراته حيث كانت تتضمن بعض الترجمات عن الصحف العبرية وفضائح الحكام العسكريين[٢].

(جـ) جمع الأسلحة والتدريب عليها:

نشط الإخوان المسلمون في جمع السلاح من مخلفات الجيش المصرى، وشرائه من البدو المنتشرين فى منطقة دير البلح ووادى غزة، حيث كانوا يدخلون فلسطين المحتلة ويسرقون السلاح من اليهود كما كانوا يسرقونها من الجيش المصرى نفسه، وكان بعض الإخوان من البدو وأقاربهم يساعدون فى عملية شراء الأسلحة مثل عبده أبو مراحيل وعمه ومحمد الأفرنجى وغيرهم وكان الإخوان يملكون ثلاثة مخازن للأسلحة فى منطقة غزة، أحدهما فى حارة الزيتون والثانى على البحر أما الثالث فكان مخزناً مؤقتاً فى الشجاعية تُنشّف فيه المتفجرات وتنقل إلى المخازن الأخرى[٣].

وكانت تتم عملية التدريب بصورة سرية، وقد استفاد الإخوان من وجود بعض الضباط المصريين الإخوان فى الجيش المصرى بقطاع غزة وعلى رأسهم عبدالمنعم عبدالرءوف الذى أتاح لهم التدريب فى معسكرات الجيش.

كما كانوا يتدربون بأنفسهم فى الغرف المغلقة أو على شاطئ البحر، ويذكر خليل الوزير في مذكراته أن «هناك مجموعة من الضباط المصريين الوطنيين (لا يذكر أنهم من الإخوان المسلمين) كانوا يساعدونا فى التدريب، وكنا نذهب إليهم فى الساعة الحادية عشر ليلاً ونستمر فى التدريب إلى طلوع الفجر»[٤].

(د) العمليات العسكرية:

في المرحلة الأولى وقبل أن يستكمل الإخوان تدريبهم ولأنهم لا يريدون أن يمهلوا العدو فقد كانوا يستأجرون أشخاصاً للقيام بعمليات عسكرية مدفوعة الأجر، وقد كان كثير من

(١) فوزى جبر، مرجع سابق.
(٢) مذكرات أبو جهاد، مرجع سابق.
(٣) فوزى جبر، مرجع سابق.
(٤) مذكرات أبو جهاد، مرجع سابق.

الناس يدخلون الحدود ليعودوا بما يستطيعون الحصول عليه من بلادهم، يقول فوزى جبر : «كان أبو مراحيل والأفرنجى يقومان باختيار من يدخل إلى الأرض المحتلة ويتفقان معه على نوع العملية المطلوبة، ولا يتم دفع أى مبلغ إلا إذا سمعنا أخبار العملية من راديو العدو».

ثم جاءت المرحلة الثانية سريعاً، حيث بدأ شباب الإخوان يدخلون بأنفسهم، ويؤكد فوزى جبر أن أول عملية للإخوان قام بها الشهيد عبدالله صيام حيث جهز له الإخوان الألغام وأوصولها إلى أقرب نقطة ممكنة من الحدود من جهة جباليا وأخذ معه وإخوانه أسلحة وذخائر. وقد أشار خليل الوزير إلى هذه العملية التى قام بها عبدالله صيام فى منطقة هربيا مستهدفاً المستعمرات الإسرائيلية[1].

ويستطرد خليل الوزير «كنا نزرع الألغام وننسف الجرارات وبعض المصفحات والجنزرات وأنابيب المياه، كما نصبنا الكثير من الكمائن للسيارات العسكرية الإسرائيلية»، ويقول فى موضع آخر «لقد اتسع العمل شيئاً فشيئاً إلى الدرجة التى أصبحت فيها مجموعاتنا تصل إلى منطقة (يازور) قرب مدينة يافا»[2].

المبحث الثالث
التنظيم والعمل السياسى

العمل النقابى:

لقد ظهر اهتمام الإخوان المسلمين بالعمل النقابى فى عملين بارزين كان لهما تأثير واضح على مسيرة العمل السياسى الفلسطينى فى تلك الفترة وما تلاها، وهما «نقابة معلمى الوكالة» فى غزة ، و«رابطة الطلبة الفلسطينيين» فى القاهرة.

(أ) نقابة معلمى الوكالة:

ازداد عدد الإخوان المسلمين والشيوعيين الذى يعملون فى مدارس وكالة الغوث وذلك بسبب رفض الإدارة المصرية تعيينهم فى الوظائف الحكومية خصوصاً بعد قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، وهكذا أراد المدرسون الحزبيون ممارسة العمل السياسى تحت

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد يوسف، مرجع سابق، ص١٦٢.

واجهة نقابية والتي تم تأسيسها سنة ١٩٥٤م، «فقد طالب المؤسسون كمال رفعت نائب الحاكم العام المصري بتأسيس النقابة دفاعاً عن حقوقهم، لا سيما وأنهم يعملون لدى وكالة الغوث التي تعتبر جهة غير وطنية، ويعتقد أن الإدارة المصرية كانت تهدف إلى امتصاص حماس وطاقة الشباب من خلال عمل يمكن مراقبته، كما أن ذلك يسهل على الإدارة المصرية التعرف بشكل أفضل على القوى السياسية داخل القطاع من خلال نشاطات النقابة أو التردد عليها»[١].

ويذكر زياد أبو عمرو أن أغلبية المؤسسين من الإخوان المسلمين، وأن الهيئة الإدارية للنقابة المكونة من تسعة أعضاء كان فيهم ستة من الإخوان هم: فتحي البلعاوي، أمير سر النقابة ومحمود مقداد المسئول المالي وكمال عدوان وحمد حرب عليان وعبدالقادر البرزم وعضو آخر، بينما كان من الشيوعيين معين بسيسو المسئول الثقافي وكمال الطويل بالإضافة إلى مستقل واحد هو نعمان النونو»[٢].

ولكن يبدو لنا أن رواية حسن أبو النمل أكثر دقة حينما يقول: «إذا ما أخذنا كمقياس لمقدار الجماهيرية، انتخابات معلمي الوكالة، فإن القائمة التي رشحها الإخوان المسلمون قد نجحت كاملة ولم يسقط منها إلا مرشح واحد، بينما فاز من قائمة الشيوعيين مرشح واحد فقط بفعل كفاءته الشخصية ونشاطه الأدبي والثقافي»[٣]، وهو هنا يقصد الشاعر معين بسيسو الذي أكد له هذه النتيجة، وسنرى الدور الكبير الذي قامت به النقابة في قيادة المظاهرات العارمة في قطاع غزة والمطالبة بالتسليح وقبر التوطين وإنشاء المجلس التشريعي.

(ب) رابطة الطلبة الفلسطينيين:

تأسست الرابطة في القاهرة سنة ١٩٥١[٤]، وكان أول سكرتير لها فتحي البلعاوي في الإخوان حتى أن المجموعة التي قادت الرابطة بعد ذلك سميت بالمدرسة «البلعاوية»[٥]، وقد تم ترحيل البلعاوي إلى غزة سنة ١٩٥٣م في أعقاب اقتحام الطلاب الفلسطينيين لمكاتب

---

(١) زياد أبو عمرو، ص٧٥.
(٢) المرجع السابق، ص٧٦.
(٣) حسين أبو النمل، ص٧٣.
(٤) عيسى الشعيبي، ص٦٠.
(٥) زياد أبو عمرو، ص٩٦.

الجامعة العربية في القاهرة، وترأس الرابطة من بعده طالب كلية الهندسة ياسر عرفات الذى كان يعيش فى القاهرة ويظهر للإخوان أنه منهم «فقد ترك هذا الأمر ليسهل عليه رئاسة الرابطة»[1] بأصوات الإخوان المسلمين.

ويذكر زياد أبو عمرو أسماء الأعضاء التسعة فى الهيئة الإدارية للرابطة وهم جميعاً من الإخوان المسلمين[2]، وكان من أبرز الشخصيات ياسر عرفات وصلاح خلف وسليم الزعنون ورياض الزعنون وخليل زعرب وعدنان النحوى وداود عباس وكمال عدوان وعبدالفتاح الحمود وعلى ياسين، وأسعد السفطاوى وفايز الحزين من القدس.

وكان للدراسة أثر مهم فى استيعاب الطلاب الفلسطينيين القادمين للدراسة فى الجامعات المصرية، كما نشطت الرابطة فى فترة الاحتلال الصهيونى لقطاع غزة فى أعقاب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦م، ولعل الأهمية التاريخية للرابطة أنها كانت واحدة من أهم ثلاثة محاضن نشأت فيها فكرة تنظيم فتح بالإضافة إلى غزة والكويت.

المظاهرات ضد مشروع التوطين:

كانت مظاهرات مارس ١٩٥٥م التى شملت القطاع كله من أهم الأحداث التى شاهدها القطاع وأكبرها وأعمقها أثراً على السياسة المصرية.

(أ) الأسـبـاب:

(١) عدم ثقة كافة القوى السياسية بالإدارة المصرية:

جاء عام ١٩٥٥م والإدارة المصرية على عداء مع كافة القوى السياسية فى قطاع غزة تقريباً فقد استمرت الإدارة فى قمع الشيوعيين وملاحقتهم، كما لحق بهم الإخوان المسلمون بعد قرار حل الجماعة وإغلاق الشعب الإخوانية وممارسة حرب التشكيك والتشويه فى جماعة الإخوان، أما الهيئة العربية العليا ورجال الحاج أمين الحسينى فكانوا ينظرون لرجال الثورة بعين الريبة وخاصة من علاقة الحكومة المصرية بمشاريع التوطين، وحتى خصوم الهيئة العربية العليا فقد وجدوا أنفسهم فى خط المواجهة لثورة يوليو وخاصة بسبب «قيام حكومة الثورة بإقصاء رشدى الشوا عن رئاسة بلدية غزة بعد مرور أقل

---

(١) Alan Hart, ARAFAT, Terrorist of Peacemaker, London : Sidgwick & Jackson, 1987, p. 86.

(٢) زياد أبو عمرو، ص٧١.

من شهر على قيام ثورة ٢٣ يوليو»[١].

يضاف إلى ذلك كله أن الذين أوكلت لهم مهمة إدارة القطاع من الجيش المصرى كانوا فى أغلبهم من رجال المخابرات الذين اعتادوا على القمع وعدم الثقة فى الجماهير، حتى أولئك الذين كانوا يشرفون على الدوائر الصحية والاجتماعية والتعليمية فكانوا من رجال المخابرات حتى وصل الأمر أن كثيراً من المدرسين الذين جاءوا فى البعثات التعليمية لمدارس القطاع كانوا ضباطاً فى المخابرات المصرية.

(٢) مشاريع التوطين:

لقد عرف الناس أمر الاتفاقيات المبرمة بين الحكومة المصرية ووكالة الغوث بشأن توطين اللاجئين فى قطاع غزة فى شبه جزيرة سيناء، وقد استغرق إعداد المشروع من ٣٠ / ٦ / ١٩٥٣م تاريخ توقيع الاتفاقية وحتى ٢٨ / ٦ / ١٩٥٥[٢].

كما استطاع الشيوعيون عن طريق صديقة للحزب تعمل فى قسم الشئون الاجتماعية فى الوكالة (سميرة سابا) الحصول على نسخة من المشروع، حيث قاموا بتصويره وتوزيع خمسة آلاف نسخة منه على الجماهير وكذلك على الشخصيات الوطنية[٣]. وكان هذا البرنامج ينزل كالصاعقة على اللاجئين الذين ينتظرون يوم العودة إلى مدنهم وقراهم، مما زاد الهوة بين الإدارة واللاجئين.

(٣) الغارات الإسرائيلية المتكررة على القطاع:

قام اليهود بغارات متكررة على مواقع عسكرية ومدنية فى قطاع غزة وكان من أخطرها غارة ١٤ / ٨ / ١٩٥٤م على محطة مياه الشرب فى مدينة غزة وبلغت الغارات ذروتها فى «مذبحة المحطة الشهيرة» من مساء ٢٩ / ٢ / ١٩٥٥م التى كانت ضحاياها ٣٩ قتيلاً و٣٣ جريحاً[٤].

وكانت هذه الغارات ترمى لتحقيق عدة أهداف، منها الانتقام من العمليات العسكرية التى كانت تنفذها مجموعات الإخوان المسلمين داخل الأرض المحتلة وكانت تهدف أيضاً إلى الضغط على الحكومة المصرية حتى تشارك فى سياسة الأحلاف فى الشرق الأوسط

---

(١) حسين أبو النمل، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق، تفاصيل المشروع، ص ص ٨٤-٨٨.

(٣) زياد أبو عمرو، ص ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) حسين أبو النمل، ص ص ٩٠ - ٩١.

وتسعى لعقد صلح مع الدولة اليهودية، أما الهدف الأبعد كما تصورته القوى السياسية وشاع بين الجماهير أن هناك مؤامرة كبيرة على مستقبل اللاجئين تشترك فيها أطراف متعددة، فالحكومة المصرية ووكالة الغوث تقوم بترغيب اللاجئين في البيوت المشيدة التي تنتظرهم في سيناء، والجيش الصهيوني يقوم بدوره في جعل حياة اللاجئين لا تطاق في قطاع غزة من تكرار الغارات وسقوط الضحايا، ليصبح الرحيل بعيداً عن مكان الخطر هو شغل اللاجئين الشاغل.

لذلك كانت غارة ٢٨ / ٢ / ١٩٥٥م هي الشرارة التي أوقدت مخزون الغضب والتمرد على الإدارة المصرية ووكالة الغوث في نفس الوقت، فخرجت الجماهير في كل مكان من قطاع غزة في مظاهرات غاضبة أحرقت ودمرت واستهدفت في ثورتها مؤسسات الإدارة المصرية ووكالة الغوث وهتفت ضد التوطين مطالبة بالسلاح والتجنيد.

(ب) الأحداث:

هب القطاع كله من أقصاه إلى أقصاه في مظاهرات عارمة شاركت فيها المدارس والعمال والفلاحون، «وقامت جموع اللاجئين العرب بإحراق مخازن الأمم المتحدة... وتوجيه الإهانات للجيش المصري الذي فشل في حماية نفسه.. وقذفت الجماهير سيارات الجيش بالحجارة»، وكان الشعار الرئيسي المرفوع: «لا توطين ولا إسكان يا عملاء الأمريكان»، كما كانت الهتافات تتهم جمال عبدالناصر بالتقصير والخيانة معاً، وكان أهم الشعارات المرفوعة «فليسقط مشروع سيناء»[1].

وقد تصدت القوات المصرية بقسوة لهذه المظاهرات، وقتل وجرح عدد من الأفراد وأعلنت أحكام منع التجول، لكن المتظاهرين خرقوا هذه الأوامر واستمروا في مظاهراتهم عشرة أيام متتالية تقودهم «نقابة معلمي الوكالة» التي شكلت لجنة وطنية لرفع مطالب الجماهير للإدارة المصرية، وكان على رأس اللجنة فتحي البلعاوي من الإخوان ومعين بسيسو من الشيوعيين[2].

قامت اللجنة الوطنية العليا بمقابلة الحاكم الإداري العام للقطاع وقدمت له وثيقة بمطالب المتظاهرين في ١٠ / ٣ / ١٩٥٥م وهي:

١ - رفض وإيقاف مشروع التوطين في سيناء.

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص٣٧.

(٢) زياد أبو عمرو، ص٧٦.

٢- تعزيز الحراسة على الحدود وتشكيل جيش تحرير فلسطين.
٣- إطلاق الحريات الديمقراطية وعلى رأسها حرية النشر والاجتماع والأحزاب.
٤- محاكمة المسئول عن إطلاق الرصاص على المتظاهرين.
٥- التعهد بعدم ملاحقة أى من المشتركين فى المظاهرات[١].

ووافقت الإدارة المصرية على جميع هذه المطالب، فتوقفت المظاهرات وانتهى مشروع التوطين لكنها قامت باعتقال قادة المظاهرات فيما بعد.

(جـ) دور الإخوان المسلمين والشيوعيين:

تجمع جميع المصادر على أن الإخوان المسلمين والشيوعيين شاركوا بكل قوتهم فى هذه المظاهرات، يقول أحد زعماء الإخوان: «ومازلت أذكر كيف دخل معين بسيسو - زعيم الشيوعيين - المسجد العمرى الكبير بغزة ومعه عدد آخر من قادة الشيوعيين بصحبة الإخوان المسلمين لأداء الصلاة»[٢] كما يذكر معين بسيسو أنه سار فى مظاهرات ١٩٥٥م إلى جانبه فتحى البلعاوى من قادة الإخوان، ويروى مصدر شيوعى آخر أن سعيد المزين من القيادات الطلابية للإخوان قد حمل معين بسيسو على كتفيه أثناء المظاهرات[٣].

وبعد أن جمعت المظاهرات بين الإخوان المسلمين والشيوعيين، جمع بينهم قطار منتصف الليل الذى حمل المعتقلين من الحزبين وبعض المستقلين إلى سجون القاهرة.

وقد اعتقل من الإخوان المسلمين فتحى البلعاوى ومحمد يوسف النجار ومحمود مقداد وعبدالحميد الأسمر وكمال عدوان ورجب العطا وأحمد رجب وأحمد عدوان وسلامة الهمص[٤] وقد استمر الاعتقال أكثر من سنتين حتى صدر قرار الإفراج فى يوليو ١٩٥٧م بعد انسحاب الجيش الإسرائيلى من غزة[٥].

(د) تشويه الحقائق وتزوير التاريخ:

من المعروف أنه ساد الستينيات فيما بعد المد الناصرى القومى والفكر الاشتراكى واليسارى، وكان كتابهم الذين يؤرخون لهبّة مارس ١٩٥٥م يحاولون جاهدين

---

(١) المرجع السابق، ص٢١.
(٢) عبدالله أوب عزة، ص٣٧.
(٣) عبدالقادر ياسين حزب شيوعى.. مرجع سابق، ص٢٦.
(٤) زياد أبو عمرو، ص٧٦.
(٥) المرجع السابق، ص٣٢.

أن يقلبوا الحقائق فيعترفوا بدور الإخوان المسلمين وفاعليتهم لأن ذلك لا يمكن إنكاره ولكنهم يعملون على تشويه هذا الدور والتقليل من أهميته ظناً منهم أن الحركة الإسلامية التي انحسرت وضعفت بل يكاد أن يكون وجودها قد انتهى لن تعود ولن تستعيد قوتها بعد ذلك أبداً.

فهذا معين بسيسو يزعم أن شعارات الشيوعيين في المظاهرات: «لا توطين ولا إسكان يا عملاء الأمريكان» و«تسقط الدكتاتورية العسكرية» و«يسقط حكم البكباشية» أما شعارات الإخوان فكانت «لا منظار ولا منقار» و«تسقط حكومة الرقاصين» و«لا صلاح في جمال ولا جمال في صلاح»[1]، وبديهي أنه يريد أن يوحي ويشير إلى نضج الشيوعيين وشعاراتهم وسطحية الإخوان، حتى أن زياد أبو عمرو يلاحظ بناء على ذلك أن شعارات الشيوعيين حملت الطابع السياسي، بينما حملت شعارات الإخوان طابع التشهير الشخصي والمسلكي[2]، ولم تقتصر مجافاة الحقائق على الكيف وإنما تعدت ذلك إلى حجم الإخوان في المظاهرات، فأبو النمل يقول إن الشيوعيين والإخوان تقاسموا زعامة اللجنة الوطنية في المظاهرات[3]، وكأنه يشير إلى تساوي الدورين، أما عبدالقادر ياسين وهو عضو في الحزب الشيوعي يقول: «تتضارب الروايات حول حجم الشيوعيين والإخوان بين صفوف الطلاب الذين شاركوا في مظاهرات مارس ١٩٥٥، فبينما تذكر المصادر الشيوعية بأن أغلبية القيادات الطلابية في هذه المظاهرات كانت من الشيوعيين، تشير مصادر الإخوان إلى أن هذه الغالبية كانت للطلبة من تنظيم الإخوان المسلمين»[4] ويتحدث الكاتب نفسه عن أعداد المعتقلين فيقول: «كان من بين هؤلاء ١٨ من الشيوعيين و١٨ من الإخوان المسلمين والبعثيين والمستقلين»[5].

(هـ) النتائج السياسية لمظاهرات ١٩٥٥:

لقد حققت هذه المظاهرات أهم أهدافها فقد طوى وإلى الأبد مشروع توطين اللاجئين، وتغيرت سياسة مصر في المنطقة فاقتربت أكثر من القضية الفلسطينية واشتد

---

(١) معين بسيسو، ص٥٣، وعبدالقادر ياسين (شبهات حول الثورة الفلسطينية)، بيروت: دار ابن رشد. ص١٠٢.

(٢) زياد أبو عمرو، ص٢٠.

(٣) حسين أبو النمل، ص٧٢.

(٤) عبدالقادر ياسين (حزب شيوعي...) مرجع سابق ص٢٦.

(٥) المرجع السابق، ص٢٩.

هجومها على الأحلاف وخاصة حلف بغداد، كما اضطرت الحكومة المصرية للبحث عن السلاح لتحفظ كرامتها أمام الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة فكانت صفقة الأسلحة التشيكية من أهم المنعطفات في سياسة المنطقة، وبدأت المخابرات المصرية نفسها تنظم حرب الفدائيين، حيث أوكلت العمل الفدائي ١٩٥٥ - ١٩٥٦م إلى المقدم مصطفى حافظ الذى نجح فى عمله بصورة فائقة.. وأوجع اليهود فى عمليات فدائية مكثفة، إلى أن اغتاله اليهود بواسطة طرد متفجر.. وكان لهذا كله أثره البالغ فى بناء ثقة الجماهير بالإدارة المصرية وبحكم عبدالناصر.

أما على صعيد العمل الحزبى فقد عملت الحكومة المصرية على محاصرة القوى السياسية وخاصة الإخوان والشيوعيين فاعتقلت العديد منهم وحلت نقابة معلمى الوكالة وأصدرت أوامر مشددة بمنع التظاهر والأحزاب.

العدوان الثلاثى وفشل تدويل القطاع:

فى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م بدأ العدوان الثلاثي الذى شنته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر، وقد تم اجتياح صحراء سيناء دون مقاومة ذات بال بسبب قرار القيادة المصرية بسحب الجيش المصرى من سيناء والدفاع عن قناة السويس.

أصبح قطاع غزة معزولاً وبدأ الهجوم الإسرائيلى على غزة يوم ٢ / ١١ / ١٩٥٦م، واستمرت المقاومة إلى أن أعلن اللواء الدجوى الحاكم الإدارى العام لقطاع غزة قرار الاستسلام، وأما على جبهة خان يونس فقد كانت المقاومة أكثر عنفاً، فقد كانت دفاعات المنطقة موكلة إلى اللواء ٨٦ الفلسطينى بالإضافة إلى قوات الفدائيين المتحركة فى خان يونس[1].

ارتكبت إسرائيل عدة مجازر فى قطاع غزة كان أشهرها مجزرة غزة ١٠ / ١١ / ١٩٥٦م وكل من مجزرة خان يونس ورفح فى ١٢ / ١١ / ١٩٥٦م حيث قام الجنود الصهاينة بقتل المدنيين، فقد بلغت الجثث التى اكتشفت مصادفة وفى مقابر جماعية ٢٣٠ جثة حتى يوم ١٦ / ١١ / ١٩٥٧م[2] وقد عانى أهالى القطاع كل أنواع البطش فى فترة الاحتلال القصيرة التى دامت بين ٢ / ١١ / ١٩٥٦، و١٤ / ٣ / ١٩٥٧م.

---

(١) انظر حسين أبو النمل، ص ص ١٤٠ - ١٤٣.

(٢) المرجع السابق.

(أ) أسباب ودوافع العدوان:

لقد تلاقت مصالح العدوان في ضرب الروح الوطنية المتصاعدة في المنطقة وذلك من خلال الحرب الإعلامية المكثفة التي شنتها الحكومة المصرية، على سياسة الأحلاف والارتباط بالغرب، فقد تنامت المشاعر الوطنية وساعد على ذلك كسر احتكار السلاح وصفقة الأسلحة التشيكية وتعريب الجيش الأردني وطرد جلوب باشا قائد الجيش الأردني، وبلغت الانتصارات ذروتها بقرار تأميم قناة السويس ، كما كان من الأسباب المباشرة التي جعلت فرنسا تشترك في حملة السويس تلك المساعدات المهمة التي كانت تقدمها حكومة يوليو للثورة الجزائرية.

أما دولة إسرائيل فبالإضافة إلى هدف إضعاف الحكومة المصرية ومقاومة المد الوطني الذى اجتاح المنطقة، فكانت تهدف إلى ابتلاع قطاع غزة، ذلك الجزء الوحيد من فلسطين الذى لايزال يرفع علم فلسطين ويحمل هويتها، أو تدويله وعدم إرجاعه إلى الإدارة المصرية، وكانت تهدف أيضاً إلى ضرب معاقل الفدائيين في غزة وفك الحصار البحرى عن الدولة المغتصبة عملاً لدخول السفن الإسرائيلية قناة السويس وخليج العقبة.

(ب) حالة القوى السياسية في القطاع:

لم تقم القوى الوطنية بأية عملية عسكرية ضد قوات الاحتلال واقتصر عملها على العمل السياسى والمقاومة السلبية وتنظيم الإضرابات وتوزيع المنشورات، ذلك لأن القوى السياسية ممثلة في الإخوان المسلمين والشيوعيين - وكان البعثيون في بداياتهم - كانت في أضعف حالاتها بسبب القمع المستمر الذى مارسته ضدها الإدارة المصرية وخاصة بعد مظاهرات ١٩٥٥، وبسبب هجرة الكثيرين من القطاع بحثاً عن الرزق في دول الخليج أو هرباً من الملاحقة المستمرة، وكان وضع القطاع لا يسمح بالعمل المسلح لأنه محاصر من كل الجهات، كما أن الفترة الزمنية القصيرة لم تتح الفرصة للشعب وقواه السياسية من تنظيم نفسه وإعداده لذلك، كما أن الشعب لم يُسمح له أبداً بالتدريب على السلاح.

(جـ) دور القوى السياسية تحت الاحتلال:

كان وضع الإخوان المسلمين في غاية الضعف عند العدوان الثلاثي، بدأ الإخوان يتصلون بعضهم ببعض من أجل تنظيم صفوفهم، والنظر فيما يمكن أن يفعلوه لمقاومة الاحتلال

الإسرائيلي، وقد أثمرت هذه الاتصالات سواء على نطاق مدينة غزة ذاتها أو على نطاق القطاع كله، فأصبح للإخوان تنظيم يشمل القطاع كله[1].

وكان الإخوان من بقايا الجهاز العسكرى قد قاموا بواجبهم فى الأيام الأولى للاحتلال حيث توجه إبراهيم عاشور وفوزى جبر إلى أكبر قاعدة عسكرية مصرية فى منطقة رفح كان قد تركها الجيش بأسلحتها وذخائرها والمخططات العسكرية فأشعلوا فيها النيران[2]، كما جمع إخوان الجهاز العسكرى ما استطاعوا جمعه من سلاح تركه الجنود الهاربون وأخفوه فى منزل محمود الوزير شقيق أبو جهاد.

وقام الإخوان بدور بارز فى العناية بأسر الأسرى المصريين من المدنيين والعسكريين كما قاموا بإخفاء الأخ عبدالغفار السودانى مدير مكتب الحاكم، الذى كان يزودهم بالمعلومات واستطاعوا تهريبه كغيره إلى الضفة الغربية، لكن اليهود أمسكوا بالقافلة وسجنوا عبدالغفار الذى أعيد إلى مصر بواسطة الصليب الأحمر الدولى فيما بعد[3].

يبدو للباحث أن القوى السياسية وخاصة الإخوان المسلمين والشيوعيين قد وجدوا دوافع حقيقية وصادقة للتحالف فى مواجهة العدوان، فتجربتهم فى التحالف لاتزال قريبة عهد عندما واجهوا مشاريع التوطين فى مظاهرات ١٩٥٥م الشهيرة، ولعل نجاح تجربتهم فى مواجهة الإدارة المصرية جعلت كلا من الفريقين مدفوعا فى اتجاه التحالف من جديد مع الفريق الآخر، لكن ظروفاً أخرى وملابسات جديدة جعلتهم يفشلون فى تكوين جبهة وطنية عريضة فى مواجهة الاحتلال.

فى المرة الأولى كانت أهدافهم واحدة وهى إفشال مشاريع التوطين والمطالبة بالحريات وتعزيز الدفاع عن قطاع غزة، أما فى مواجهة الاحتلال فقد برز إلى السطح الاختلافات الأيديولوجية ومن ثم النظرة إلى الاحتلال وبالتالى اختلفت الأساليب عند كل فريق، فالإخوان المسلمون لا يرفضون الاحتلال فقط وإنما أيضاً لا يعترفون بشرعية الدولة اليهودية، ويعتبرون عودة الإدارة المصرية من أسمى أهدافهم على الرغم مما لاقوه وما يمكن أن يلاقوه من الحكومة المصرية، أما الشيوعيون فيرون أن الدولة اليهودية دولة شرعية، ولها حق الوجود، وأن على الفلسطينيين أن يدافعوا عن حق الشعب اليهودى فى دولته حسب قرار التقسيم، وأن عليهم أن يتعاونوا مع الشرفاء فى دولة إسرائيل!! كما يعتقد الشيوعيون أن القوات

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص٤١.

(٢) فوزى جبر، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

المصرية هي قوات محتلة مثلها مثل القوات اليهودية ولذلك فهم يقبلون بتدويل القطاع حتى بقائه تحت السيطرة الإسرائيلية إذا كفل لهم حرية الصحافة والاجتماعات أو استطاع إسقاط حكومة بن غوريون.

يقول أبو عزة: «رغم العداء المستحكم بين الإخوان والشيوعيين من الناحيتين الأيديولو والحركية، فقد قرر الإخوان دراسة إمكانات التعاون مع الشيوعيين بكل جد وإخلاص، وق الاتفاق على لقاء بين ممثلي الفريقين وناب عن الإخوان كل من: سعيد المزين وغالب الو وكمال عدوان»[1].

قدم الشيوعيون وثيقة مكتوبة ضمنوها ما رأوه من خطة عمل ومجال للتعاون، وكان أ بنودها:

١- تشكيل جبهة وطنية تنظم العمل الوطني.

٢- المطالبة بحرية الصحافة والاجتماعات والحريات العامة.

٣- التعاون مع الشرفاء في داخل إسرائيل لإسقاط حكومة بن غوريون.

٤- التمسك ببقاء القوات الدولية في القطاع إلى أن يتم التوصل إلى حل نهائي للقض الفلسطينية ورفض عودة الإدارة المصرية[2].

اعترض الإخوان بشدة على هذه الوثيقة، أما الشيوعيون فيرون أن المشكلة تكمن في ذ الحكومة الإسرائيلية وليس في الدولة نفسها، كما أن مطالبتهم بحرية الصحافة تؤكد مشكلتهم ليس الاحتلال في حد ذاته، وبذلك رفض الإخوان التعاون مع الشيوعيين كما يؤ عبدالله أبو عزة مسئول الإخوان في تلك الفترة، ويرجع مصدر شيوعي رفض الإخ والبعثيين لبرنامج الشيوعيين إلى عبارة «الشرفاء في إسرائيل» على اعتبار أن الإخ والبعثيين لا يرون أن هناك شرفاء في إسرائيل[3].

وهناك مصدر آخر يعزو عدم الاتفاق إلى أن الإخوان المسلمين كانوا يدعون إلى الكف المسلح في مواجهة الاحتلال بينما كان الشيوعيون يريدونها مقاومة سلبية[4]، ويؤكد الصايغ أحد رموز البعثيين أن الخلاف لم يحدث بسبب التحالف مع الشرفاء في إسرائيل

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٤.

(٣) عبدالقادر ياسين (شبهات حول الثورة الفلسطينية)، مرجع سابق، ص ص ٩٢ -٩٣.

(٤) زياد أبو عمرو، ص٧٧.

حول مستقبل الحقوق القومية العربية في فلسطين[١].

كتب كمال عدوان مذكرة طويلة من مواد وبنود متعددة عن أحكام التعاون مع القوى الأخرى، فدعا عبدالله أبو عزة مسئول التنظيم إلى اجتماع ضم جميع مسئولي المناطق بالإضافة إلى معاذ عابد من غزة وعقد الاجتماع بعد صلاة المغرب من يوم خميس في منزل معاذ عابد حيث استمرت الجلسة حتى الفجر وكانت الموضوعات المطروحة:

١- تقييم عام للأوضاع.

٢- كيف نعمل تحت الاحتلال؟

٣- العلاقة مع الشيوعيين.

وكان أبرز القرارات عدم إمكانية العمل العسكري في الوقت الحالي ورفض قتل الشخصيات مثل رئيس البلدية وغيره، وعدم التعاون مع الشيوعيين[٢]. أسس الشيوعيون «الجبهة الوطنية» بينما أسس الإخوان والبعثيون وبعض المستقلين «جبهة المقاومة الشعبية».

أخذ الإخوان ينشطون في تحذير الشعب من فكرة التعايش مع الاحتلال، ودعوا الشعب إلى إضراب عام احتجاجاً على استمرار الاحتلال، وقد وزع بذلك منشور في أواخر يناير سنة ١٩٥٧م ونجح الإضراب على نطاق واسع[٣].

ألقى اليهود القبض على عدد من الإخوة منهم سعيد المزين وغالب الوزير وداود جبارة وعبدالله أبو عزة ومحمد أبو دية ومنير عجور ولما تمكن فوزى جبر من الهرب إلى العريش اعتقلوا والده[٤].

(د) فشل التدويل وعودة الإدارة المصرية:

بعد انسحاب القوات الإسرائيلية ومحاولات تدويل القطاع عمت المظاهرات قطاع غزة كله تهتف «مصر أمنا لا نرضى عنها بديلاً»، وقاد الإخوان المسلمون والبعثيون والوطنيون مظاهرات المطالبة بعودة القوات المصرية.

فعلى الرغم مما كان في حلوق الإخوان من مرارة من جراء البطش الذى تعرض له إخوانهم

---

(١) المرجع السابق، ١١٩ - ١٢٠.

(٢) فوزى جبر.

(٣) عبدالله أبو عزة، ص٤٨.

(٤) المرجع السابق.

فى مصر ، ورغم قناعتهم ومعرفتهم بفساد الإدارة المصرية فقد رأوا أن ذلك كله يهون فى سبيل المحافظة على معنى الأخوة الإسلامية من خلال الإصرار على حفظ الروابط مع مصر الشعب والدولة والثقافة والرصيد الروحى والتراث التاريخى، ولا بأس بما قد يجره ذلك من متاعب على الإخوان أنفسهم ●

الفصل الثالث

ضعف الحركة الإسلامية وقوة المد القومي

١٩٥٧ - ١٩٦٧

المبحث الأول
ضعف الحركة الإسلامية

لقد حفلت هذه السنوات العشر بأحداث كان لها الأثر الهام على مجريات القضية الفلسطينية وعلى المنطقة بأسرها، كما كان لها الأثر البالغ على الحركة الإسلامية فى فلسطين وفى الدول العربية الأخرى.

كانت أبرز علامات تلك المرحلة هى الشعبية الطاغية التى تمتع بها جمال عبدالناصر، الذى خرج منتصراً فى معركة حلف بغداد، والتى أعقبتها انتصارات أخرى جعلته زعيماً للأمة العربية دون منازع، واستطاعت الثورة الجزائرية أن تتوج كفاحها الطويل بالاستقلال وسقطت الملكية فى العراق، وتصاعد المد القومى وانتشرت حركة القوميين العرب، واستطاع حزب البعث العربى الاشتراكى أن يسيطر على الحكم فى سوريا والعراق، واتجهت القوى القومية إلى الاشتراكية، وتعززت العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ليصبح الحليف الأول للدول التقدمية كما احتدم الصراع بين ما سمى فى حينه بالدول الثورية والأنظمة الرجعية، كما تم تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وانطلقت حركة فتح لتعلن الكفاح المسلح، وازدادت هجرة العمالة العربية إلى دول الخليج النفطية، وكان فى مقدمتها العمالة الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللاجئين فى كل من سوريا ولبنان. تركت هذه الأحداث حركة الإخوان المسلمين خلفها تحاول تضميد جراحها وتجاهد من أجل البقاء.

عوامل ضعف الحركة الإسلامية:

(أ) بروز الناصرية وقوتها:

نجح عبدالناصر فى تأميم قناة السويس، واستطاع أن يحوّل العدوان الثلاثى إلى نصر

سياسي كبير في عيون الأمة العربية، ورفع شعارات الوحدة العربية وتحرير فلسطين، وتحولت الشعارات إلى واقع حي بالوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ وولادة الجمهورية العربية المتحدة، وتصاعد المد القومي من المحيط إلى الخليج ورأت الجماهير الفلسطينية في عبدالناصر منقذاً لفلسطين كما كان سنداً قوياً لثورة الجزائر. وكانت كلُ هذه المكاسب التي يجنيها عبدالناصر الخصم الرئيسي لجماعة الإخوان المسلمين تنعكس ضعفاً وانحساراً وعزلة على الإخوان المسلمين.

(ب) المد القومي والأحزاب القومية:

أسهمت الانتصارات الناصرية في تمدد وانتشار الأحزاب القومية في المشرق العربي وخاصة في فلسطين، فبدأ حزب البعث العربي الاشتراكي يزداد نفوذه في أوساط الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية والشرقية وبين الفلسطينيين خارج فلسطين، وقد كان ذلك أكثر وضوحاً في تنامي حركة القوميين العرب، التي استفادت من العلاقة الخاصة مع النظام المصري بالإضافة إلى قوة العنصر الفلسطيني داخل الحركة نفسها، وبذلك استطاعت الأحزاب القومية أن تأخذ الجماهير من الإخوان المسلمين.

(جـ) وقوف الاتحاد السوفيتي مع الأنظمة الثورية:

كانت صفقة الأسلحة التشيكية بين مصر والاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٥، فاتحة العلاقات القوية والمساعدات العسكرية والدعم السياسي الذي وفره الاتحاد السوفيتي لمصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن والسودان، وعزز ذلك التحولات الاشتراكية في تلك البلدان، مما جعل الاتحاد السوفيتي صديقاً للشعوب العربية، فخفّت قبضة الأنظمة على الأحزاب الشيوعية، وانتشر الفكر الماركسي وظهرت المطبوعات الروسية، وافتتحت المراكز الثقافية السوفيتية، واستطاع الماركسيون أن ينفذوا إلى كثير من وسائل الإعلام هنا وهناك.

(د) علاقة الإخوان المسلمين بالأنظمة (المعتدلة):

استطاع النظام الناصري أن يربط بين الأنظمة التي يسميها بالرجعية وبين الإخوان المسلمين وخاصة أن كثيراً من الإخوان وجدوا الملاذ في السعودية والأردن ودول الخليج هرباً من الملاحقة والتعذيب، كما وجد الإخوان المسلمون في الأردن مثلاً أنفسهم هدفاً لهجوم القوى الناصرية والقومية واليسارية بالإضافة إلى وجود حزب إسلامي قوي في ذلك الوقت يناصبهم العداء ويشكك في أهدافهم وأعمالهم ألا وهو «حزب التحرير الإسلامي».

(هـ) القمع والسجون والمعتقلات وحرب التشويه:

تعرض الإخوان المسلمون فى مصر وقطاع غزة لأقسى أنواع البطش والتعذيب والملاحقة، ولم تتعرض قوة سياسية لمثل ما تعرضوا له، بالإضافة إلى حرب التشويه والتشكيك التى مورست، فأثرت على الإخوان فى كل مكان، فتم اتهامهم بالعمالة والرجعية والإرهاب ومعاداة القومية العربية والوحدة العربية. وكان من آثار ذلك أن من نجا منهم من الاعتقال والتعذيب استطاع أن يهاجر بحثاً عن الأمن ولقمة العيش، وقد أسهمت كل القوى القومية واليسارية فى تشويه صورة الإخوان المسلمين.

(و) تنامى النزعة الوطنية الفلسطينية:

بدأ ينتشر شعور بين الشباب الفلسطينى بأهمية العنصر الفلسطينى فى العمل لقضية فلسطين، وقد كان لنجاح جبهة التحرير الجزائرية أبعد الأثر فى ذلك الأمر، كما أنهم أحسوا بانشغال الأحزاب القومية بقضايا أخرى عن القضية الفلسطينية، وبدأت تظهر بدايات عديدة لمنظمات وطنية فلسطينية فى كل أماكن تواجد الفلسطينيين، فظهرت «جبهة تحرير فلسطين» ومنظمات كثيرة أخذت الكثيرين من عناصر الإخوان المسلمين، وكانت حركة فتح هى أهم هذه التنظيمات وهى التى تأسست على يد عناصر من الإخوان المسلمين، واستطاعت أن تجمع الكثيرين من الإخوان وخاصة من العناصر الشابة والنشطة، فساهمت فى إخراج عدد كبير من الإخوان من الذين صمدوا تحت البطش والاعتقال والتشويه وظلوا على ولائهم للإخوان. كما ساهمت «فتح» فى الحملة الإعلامية الضخمة التى شنها اليسار الناصرى والقومى على الإخوان، ولكن بطريقة أكثر تأثيراً وخطرا. فهم من داخل البيت ويعرفون الإخوان فرداً فرداً، ويلاحقونهم بالنقاش، ويشككون فى طريقة الإخوان، ويطرحون بديلاً يستهوى الشباب.

(ز) إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية:

مع أن إنشاء المنظمة كان بقرار عربى صدر عن القمة العربية الثانية فى الإسكندرية فى أواخر سنة ١٩٦٤، إلا أنه وافق آمالاً ورغبة عند الشعب الفلسطينى الذى ظل ستة عشر عاماً يناضل من أجل إيجاد كيان له وممثلين منه ناطقين باسمه، وعلى الرغم من تحفظات القوى السياسية الفلسطينية على قيادة المنظمة وطريقة عملها إلا أن الشعب الفلسطينى رحب بالمنظمة وبرئيسها أحمد الشقيرى، واستطاعت (م. ت. ف) أن تؤسس جيش التحرير، وأن

تعقد المؤتمرات الوطنية، وتمثل الفلسطينيين وتتوجه لهم عن طريق إذاعاتها ومكاتبها المعترف بها، ولم يستطع الإخوان أن يلعبوا أى دور فى مسيرة المنظمة منذ إنشائها وذلك لضعفهم وتشتتهم.

القوة السياسية الأخرى:

(أ) حزب البعث العربى الاشتراكى:

انتشر حزب البعث بين الفلسطينيين فى سوريا ولبنان والأردن، فلطالما دعا الحزب للوحدة العربية طريقاً لتحرير فلسطين، وقد شارك الفلسطينيون فى قيادات الحزب، وكان أبرزهم عبدالله الريماوى من الأردن، حيث شارك الحزب مع الأحزاب الوطنية والقومية الأخرى فى معركة تعريب الجيش الأردنى ومقاومة حلف بغداد، لكنه تأخر فى الوصول إلى قطاع غزة، فعلى الرغم من أن بعض المصادر ترجع تشكيل نواة الحزب فى القطاع إلى عام ١٩٥٣[١] عن طريق الطلاب الذين يدرسون فى مصر، وبعضها الآخر يقول أنه تأسس فى صيف ١٩٥٥م[٢]، إلا أنه لم يصبح ظاهرة سياسية فى قطاع غزة إلا منذ سنة ١٩٥٧م. شارك الأفراد القلائل من البعثيين الأوائل الإخوان المسلمين فى تكوين «جبهة المقاومة الشعبية» أثناء الاحتلال الإسرائيلى للقطاع. ويذكر أبو دية[٣] أنه كان معهم فى سجن الاحتلال وفا صايغ البعثى المسيحى، وقد حل عليهم رمضان فى السجن، فكان يمسك عن الطعام مجاملة للإخوان الذين أحسنوا معاملته، وقد شارك فى مظاهرات الإخوان بعد انسحاب القوات الإسرائيلية والتى قامت لرفض التدويل والمطالبة بعودة الإدارة المصرية وكان يهتف فى المظاهرة: «قرآنية إنجيلية، لا شرقية ولا غربية».

ومما ساهم فى ازدياد العناصر البعثية فى القطاع أن الإدارة المصرية بدأت تبحث عن حليف بعد حل جماعة الإخوان المسلمين. لذا بدأت تتعاطف مع البعثيين، وتتفق المصادر الإخوانية مع غيرها فى أن الفترة من ٥٦ - ٥٨ كانت فترة ذهبية لحزب البعث فى قطاع غزة[٤]، حيث

---

(١) زياد أبو عمرو (أصول الحركات السياسية فى قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧م.

(٢) عبدالقادر ياسين (شبهات حول الثورة الفلسطينية)، بيروت: دار ابن رشد، بدون تاريخ، ص ١٠٠.

(٣) الأستاذ محمد أبودية - من قدامى الإخوان-، مقابلة شخصية (الكويت) ١٢ / ٣ / ١٩٨٤م.

(٤) د. عبدالله أبو عزة، (مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية)، الكويت: دار القلم، ١٩٨٦، ص٥٨ وزياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص١٢١.

نما بشكل سريع، وفتحت لهم أبواب مديرية التربية ليصبحوا مفتشين ومديرين مدارس، ولكن سرعان ما انتهى شهر العسل بحدوث الانفصال بين مصر وسوريا في أيلول ١٩٦١، ففقد البعثيون حظوتهم لدى أجهزة المخابرات المصرية، ليفسحوا المجال لقوة جديدة وحلفاء جدد أقرب كثيراً إلى السلطة وهم: «القوميون العرب».

وأصبح حزب البعث في قطاع غزة تتحكم فيه العلاقات بين الحزب الأم ونظام عبدالناصر، وعلى كل فإن ملاحقة البعثيين لم تكن بتلك القسوة التي تعرض لها الإخوان المسلمون أو الشيوعيون.

وظل حزب البعث الأم يصدر بياناته في المناسبات الفلسطينية معبراً عن وجهة نظره في عروبة فلسطين وضرورة الوحدة العربية لإنقاذ فلسطين، كما أصدر بياناً ندد فيه بمشاريع توطين اللاجئين وإسكانهم في الدول العربية[١]. وعموماً ظلت فلسطين موضوعاً أساسياً في أدبيات حزب البعث وفي وسائل الإعلام السورية منذ أن استولى الحزب على السلطة عام ١٩٦٣م.

(ب) الشيوعيون:

بعد زوال الاحتلال عن قطاع غزة وإطلاق سراح الشيوعيين المعتقلين منذ مظاهرات ١٩٥٥، نَعِم الشيوعيون في قطاع غزة بحرية العمل وإقامة الندوات والمحاضرات بالإضافة إلى تنظيم الخلايا الحزبية من جديد، وذلك بسبب العلاقة الجديدة التي قامت بين الحكومة المصرية ودول الكتلة الشرقية، فكان الشيوعيون يستغلون إشادة الإعلام المصري بالاتحاد السوفيتي ومساندته لمصر في تقديم الأسلحة وتمويل بناء السد العالي في محاولتهم للانتشار بين الناس، وقد أصدر الشيوعيون صحيفة يومية علنية «التحرير»، «كان يملكها عضوان في الحزب هما زهير الريس ومحمد آل رضوان تركا الحزب فيما بعد»[٢].

وظل الشيوعيون يعملون بصورة علنية إلى أن أوقف نشاطهم، وتم اعتقالهم سنة ١٩٥٩م، بسبب الأزمة مع عبدالكريم قاسم وموقفهم الرافض للوحدة بين مصر وسوريا.

وعندما خرجت آخر مجموعة منهم من السجن عام ١٩٦٣، استمرت محاولاتهم لإحياء الحزب وأصدروا صحيفة أسبوعية باسم «نداء التحرير»[٣]. وعموماً ظل

---

(١) عيسى الشعيبي، (الكيانية الفلسطينية)، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف)، ١٩٧٩، ص٧٩.

(٢) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص٥١.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣.

الحزب ضعيفاً وكان أكثر ما يضعفه الخلافات والانقسامات والاتهامات المتبادلة بين أعضائه الذين كان ينتمي معظمهم إلى الطبقة البرجوازية، وكان عدد من قادتهم من كبار ملاك الأراضي الزراعية.

ولم يكن الشيوعيون في الأردن بأحسن حالاً من رفاقهم في غزة، فقد ظل الحزب الشيوعي الفلسطيني أو الأردني وهو أقدم الأحزاب الشيوعية العربية وأكثرها ضعفاً وذلك بسبب مواقفه من اغتصاب فلسطين، وقد دأب الشيوعيون على محاولات كتابة التاريخ على هواهم، فحرية العمل التي حصلوا عليها من ٥٧ - ٥٩ كانت حسب زعمهم «بسبب المكانة التي حصلوا عليها لتصديهم لقيادة النضال السياسي في القطاع»[١]، ويزعم بسيسو أيضاً أن الشيوعيين هم أول من قاد المظاهرات في غزة تأييداً للوحدة[٢]، مع أن موقفهم في معارضة الوحدة معروف. وحينما تعرض الشيوعيون للغضب الشعبي والاضطهاد الحكومي عام ١٩٥٩م بسبب موقفهم في تأييد عبدالكريم قاسم والشيوعيين في العراق وانتهاكهم للمقدسات الإسلامية كالاعتداء على المصحف الشريف ومجاهرتهم بالإلحاد، مما جعل طلاب مدرسته (بسيسو كان يعمل مديراً لمدرسة) يطاردونه خارج أسوار المدرسة ويلاحقونه في الشوارع والأزقة إلى أن اضطر للجوء إلى منزل الدكتور صالح مطر في حي الدرج[٣].

والغريب في الأمر أن بسيسو ينسب ما حل به وبرفاقه إلى الإخوان المسلمين، فيقول: «كان رجال المباحث والمخابرات والعقائديون الفاشيون وفلول الإخوان المسلمين على رأس حملة ١٩٥٩م»[٤]، ويقول إن المصاحف رفعت ضد الشيوعيين بينما لم ترفع ضد حلف بغداد أو في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي أو من أجل عودة الإدارة المصرية للقطاع[٥]. والحقيقة أنه أول من يعلم أن الإخوان كانوا سنة ١٩٥٩م موضع الاضطهاد الشديد، وأن الذين ساهموا في ضرب الشيوعيين كانوا البعثيين والقوميين العرب، لكنه لم يذكرهم بالاسم لأنه كان متحالفاً معهم عام ١٩٧٧، يوم أن كتب هذا الكلام.

---

(١) معين بسيسو، (دفاتر فلسطينية)، بيروت: دار الفارابي، ١٩٧٨، ص٩٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) عبدالله أبو عزة، مرجع سابق، ص٥٦.
(٤) معين بسيسو، ص٩٤.
(٥) المرجع السابق، ص٩٧ - ٩٨.

(جـ) حركة القوميين العرب :

لقد تأسست النواة الأولى للحركة في الجامعة الأمريكية في بيروت، عام ١٩٥١، وبدأت تنتشر الحركة في صفوف الطلاب ومن ثم إلى بلدانهم في سوريا والعراق والكويت والأردن واليمن، ومع أن الحركة كانت حزباً قومياً إلا أن القضية الفلسطينية كانت القضية الرئيسية للحركة، كما أن معظم القادة والمؤسسين للحركة كانوا من الفلسطينيين وعلى رأسهم جورج حبش ووديع حداد وأحمد اليماني.

شكل التنظيم «لجنة فلسطين» عام ١٩٥٨م، وقد تكونت من كل من جورج حبش ووديع حداد، وأسامة النقيب (من فلسطينيي سوريا) وزاهي قمحاوي (من فلسطينيي الأردن) وأحمد اليماني وعبد الكريم محمد (من فلسطينيي لبنان)[1]، وكانت الحركة قد وصلت الأردن في وقت مبكر على يد جورج حبش نفسه، ووجدت الأنصار والأعوان في داخل الشعب الفلسطيني وشاركت مشاركة فعالة في العمل السياسي الوطني في الساحة الأردنية.

أما في قطاع غزة فقد تأخر وصول الحركة إلى عام ١٩٥٨، ولكنها استطاعت أن تنمو بسرعة مستفيدة من المد الناصري ومن العلاقات المتميزة التي ربطت بينهم وبين النظام المصري، وشاركوا في تأسيس «الاتحاد القومي العربي الفلسطيني» في غزة أسوة بالاتحاد القومي في مصر، وكانت الأجواء كلها مساندة لنمو حركة القوميين العرب، فالشيوعيون بالإضافة إلى ضعفهم الأصلي كانوا قد خرجوا حديثاً من السجون التي عادوا إليها عام ١٩٥٩م، والبعثيون لم يستطيعوا التمدد في قطاع غزة وخاصة أن المباحث بدأت تلاحقهم منذ عام ١٩٦١، أما الإخوان المسلمون فلم يعد يُسمع لهم صوت، فهيمن القوميون العرب على الاتحاد العام لطلبة فلسطين وأصبحوا أكبر قوة سياسية فلسطينية منظمة تحظى بدعم عبد الناصر.

ومن الملفت للنظر أن هذه الحركة ومنذ تأسيسها قد بدّلت مواقفها كثيراً في الجانبين الفكري والسياسي: فمن حركة قومية غير ناضجة معادية للشيوعية إلى حركة تتبنى الماركسية - اللينينية، ومن تحالف متين مع عبدالناصر إلى الاختلاف معه.

---

(١) عيسى الشعيبي، ص٨٦.

المبحث الثانى
حركة التحرير الوطنى الفلسطينى
« فتح »

الأصول الإخوانية للحركة:

لقد أخذت فكرة «فتح» داخل جماعة الإخوان المسلمين مسارين مختلفين: أولهما ذلك المسار الشرعى والتنظيمى حيث نشأت الفكرة وتطورت داخل الحركة، وكان ذلك نتيجة طبيعية لمساهمة الإخوان فى الجهاد على أرض فلسطين ولاعتقادهم الثابت بضرورة تحرير فلسطين وعدم إتاحة الفرصة للعدو أن يثبت أقدامه فى الأرض. فقد شجعت الحركة العمل الفدائى بل وأنشأت جناحاً عسكرياً وأشرفت على تدريب الإخوان وجمع السلاح، ولم تمهل الأحداث الإخوان فى غزة كى يبلوروا إطاراً للعمل على الساحة الفلسطينية فجاءت أزمة ١٩٥٤م وحُلّت الشُّعب، ثم مظاهرات ١٩٥٥م والاعتقالات، ثم عدوان ١٩٥٦م والاحتلال.

أما المسار الثانى فكان أيضاً داخل صفوف الجماعة، ويجرى التبشير بالفكرة واستقطاب العناصر حولها فى صورة سرية وبعيداً عن نظرة القيادة. حيث وجدت بذور حركة «فتح» التى نعرفها. فولدت «فتح» إخوانية الفكرة، إخوانية الأفراد سنة ١٩٥٨ أو ١٩٥٩ أو قبل ذلك، لكنها لم تكن إخوانية التنظيم والمنهج، ومع الوقت وبالتنظيم الجديد جرت التعديلات الجوهرية على الفكرة حتى أصبحت فكرة أخرى مختلفة عن الأفكار التى نشأت فى ظلال جماعة الإخوان من أوائل الخمسينيات.

فى نقابة معلمى الوكالة التى قادت الجماهير كلها فى مظاهرات مارس ١٩٥٥، كان الإخوان المسلمون هم المادة الرئيسية للانتفاضة وشارك فيها الشيوعيون، وشارك فيها وطنيون مستقلون، وكانت المطالب التى تحرك بها الإخوان واعتقلوا من أجلها ونجحوا فى تحقيقها من نوع المطالب الوطنية التى تعزز النزعة الفلسطينية فى مواجهة الإدارة المصرية، ولم تكن مطالب ذات طابع إسلامى مباشر مما جعل الكثيرين من عناصر الإخوان يتوغلون فى المعاناة الوطنية والتكاليف السياسية التى لم تحمل بصمة إسلامية مميزة. كانت المظاهرات تطالب بقبر مشروع التوطين، كما تطالب بالتسليح والتدريب وإنشاء جيش فلسطينى استعداداً لمعركة التحرير. بالإضافة إلى ذلك فقد رسخت فى الوجدان إمكانية التعاون مع

الآخرين مهما كان موقفهم الأيديولوجي إذا كانت هناك قواسم سياسية مشتركة.. أما تجربة مقاومة الاحتلال الإسائيلى لقطاع غزة فإن تعاون الإخوان المسلمين مع البعثيين والمستقلين فى إنشاء «جبهة المقاومة الشعبية» أسهم أيضاً في تكوين بذور «فتح».

وهكذا أسهمت عوامل كثيرة فى نشأة «فتح»، ولعل أول هذه العوامل كان قرار حلّ جماعة الإخوان وملاحقة أفرادها، مما جعل الكثير من الشباب يجد أن إمكانية العمل لفلسطين تصبح متعذرة لتنظيم ممنوع مطارد، كما أن فريقاً منهم وتحت وطأة المعاناة والاعتقال والتعذيب وجد أن سياسة عدم استعداء الحكومات أكثر نفعاً، وخاصة النظام المصرى لما له من قوة ونفوذ وتأثير إعلامى، ولسيطرته على قطاع غزة فى الأساس. ولما كان أكثر الشباب الفلسطينى الذى التحق بقافلة الإخوان المسلمين دفعهم لذلك الحماس والرغبة فى قتال اليهود، ولم تتمكن فى عقولهم ومشاعرهم فى ذلك الوقت المبكر، الفكرة الإسلامية العامة، والالتزام الإسلامى، فإن كثيراً منهم رأى فى العداوة الضارية بين الإخوان وجمال عبدالناصر، مسألة مصرية يثيرها التنازع على الحكم، فذلك أمر لا يهمهم كثيراً، وكان بعضهم لا يدرك الرابطة بين نوع نظام الحكم فى مصر وغيرها وبين المعركة مع الدولة الصهيونية.

أراد هؤلاء الشباب أيضاً أن يكون التنظيم عاماً للناس جميعاً، يستقطب جميع الطاقات الوطنية ولا يكون حكراً على المتدينين من الإخوان، ثم تطورت هذه الآراء مع الوقت فأرادوا من الإخوان أن يتركوا منهجهم الإسلامى وأن يخلعوا كغيرهم أردية الحزبية على أبواب «فتح». وفى القاهرة لم يعد الطلاب فى «رابطة الطلبة الفلسطينيين» قادرين على العمل تحت راية الإخوان المسلمين الممنوعة فاجتهدوا فى البحث عن إطار بديل.

وكانت هناك أيضاً الأسباب الذاتية داخل حركة الإخوان نفسها، فلم تستطع الحركة فى تلك الفترة إنجاز منهج تربوى دقيق لتعبئة أعضائها وصياغتهم حسب منهج الحركة، فلم تكن قد عرفت وطبقت معانى الالتزام التنظيمى والطاعة وتزكية النفس بالصورة التى عرفت فيما بعد، فكان من السهل على الآخرين وخاصة إذا كانوا من داخل الصفوف أن يروّجوا لأفكار جديدة، وقد أضعفت الضربات المتلاحقة قنوات الاتصال بين القيادة وقواعدها، فلم يكن فى تلك الفترة هيكل تنظيمى واضح ومحدد.

أما فى مجال الصلة بمصر فقد ظل الإخوان المسلمون فى قطاع غزة لفترة طويلة يتبعون التنظيم فى مصر مباشرة، فعندما ضرب التنظيم فى مصر سنة ١٩٥٤م واعتقل أغلب أفراده

انقطعت صلة غزة بمصر، فبقى الإخوان فى قطاع غزة فى حالة غير متوازنة، فلا هم يتصلون بقيادتهم فى مصر، ولا هم يكونون تنظيماً مستقلاً له مرجعيته المحلية.

وبذلك كانت القضايا المهمة التى تصل إلى الشعبة هناك فى غزة، تفقد أهميتها فى الساحة المحلية، كانت التعليمات والبيانات والتكاليف التى تصل إلى الفرع من المركز تحمل كلها الهموم المصرية وبالتالى حدث انفصام بين الشباب - الذين يعيشون أحداثهم ويفكرون فى هذه الأحداث التى كانت أكبر خطورة مما يأتى فى التعليمات وحتى من وجهة النظر الإسلامية - وبين القيادة التى تعيش وتفكر حسب ما يصلها من نشرات تعالج أوضاع مصر ومجلس قيادة الثورة وغير ذلك.

العوامل الفلسطينية فى نشأة الحركة:

مضى العقد الأول من حياة التشرد والجوع والبحث عن الأمن ولقمة العيش، وقبل أن يبدأ العقد الثانى بدأ الفلسطينيون يفكرون بتنظيم أنفسهم لأنهم أدركوا أن الحكومات والأحزاب والدول مشغولة بالكثير من قضاياها، وأن على أصحاب القضية أن يكونوا فى مقدمة الصفوف. ونستطيع أن نقول أنه ابتداء من عام ١٩٥٧م، لم يخلُ أى تجمع فلسطينى - فى غزة والأردن وسوريا ولبنان والعراق وحتى فى المهاجر الغربية - من شباب كانوا يكونون البدايات الأولى لتنظيم فلسطينى هدفه تحرير فلسطين.

وقد ساعد على ذلك اضمحلال دور الإخوان المسلمين الذين كان يرى الشباب فيهم الأمل، فهم إما ضعفوا أو غيّر وجهتهم الصراع الدامى بينهم وبين عبدالناصر، وكان الكثير من الشباب الفلسطينى يرفض أن يعادى عبدالناصر فقط لأنه فى صراع مع الإخوان المسلمين وأنه ليس على الناس جميعاً أن ينجروا فى معركة مركزها كراسى الحكم فى القاهرة، فقد كان الفلسطينيون دائماً ولازالوا ينظرون إلى الناس والأحزاب والزعماء والدول حسب موقفهم من القضية الفلسطينية.

ولعل انتشار المد القومى منذ ١٩٥٧ - ١٩٥٨م، وانشغال القوى بالدعوة إلى الوحدة العربية وتأجيلها موضوع فلسطين، كان له الأثر البعيد فى اهتمام الشباب الفلسطينى فى عمل تنظيم فلسطينى النشأة والأهداف، ولعل واحداً من أهم شعارات «فتح» كان «تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية» الذى جاء رداً على شعارات «الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين» يعكس هذه المشاعر.

فلم تأت سنة ١٩٥٩م حتى كانت إرهاصات العمل الوطني الفلسطيني قد ملأت الساحات جميعاً، لدرجة أنها اخترقت جُدُر الفولاذ ووصلت بتأثيرها إلى الفلسطينيين في الأرض المحتلة الذين غيبوا طيلة العقد الماضي، وانعزلوا تحت الهيمنة الصهيونية وقوانين الطوارئ، وظلوا يجترون الإحباط ولا يجدون لهم متنفساً إلا في الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي كان يترافع عن مطالبهم الحياتية مقابل أن يعطوه أصواتهم في انتخابات الكنيست الإسرائيلي دون أن يدافع عن حقوقهم الوطنية وحق إخوانهم في العودة، فكان تأسيس جماعة «الأرض» داخل فلسطين تعبيراً عن الهوية الوطنية الفلسطينية والهوية القومية العربية سنة ١٩٥٩م، كما نشأت جبهات متعددة لتحرير فلسطين بين الشباب الفلسطينيين في العراق والأردن ولبنان وسوريا، وفي نفس العام كان فوج التحرير الفلسطيني يتم إنشاؤه في العراق، وفي سنة ١٩٦٠ يتأسس إقليم فلسطين في حركة القوميين العرب، وكانت سنة ١٩٦٢م من أهم تلك السنوات حيث مثل انتصار الثورة الجزائرية وطرد المستعمر دافعاً من أقوى الدوافع الوطنية الفلسطينية، وأصبح النضال الجزائري هو المثل الأعلى للفلسطينيين، فلم يكن غريباً أن تتشكل تنظيمات متعددة في أماكن مختلفة ولا يربط بينها رابط باسم واحد هو جبهة التحرير الفلسطينية أو جبهة تحرير فلسطين، لقد أعطى هذا الانتصار مؤسسي فتح دافعاً قوياً لاستمرار عملهم بعد أن وجدوا نظاماً مناصراً، فكان أول مكتب لهم يفتتح في مدينة الجزائر ويذهب إليه خليل الوزير سنة ١٩٦٣م.

نشأة فتح:

لقد كان المؤسسون الأوائل وقادتها فيما بعد من الإخوان المسلمين، ومنهم خليل الوزير وصلاح خلف ومحمد يوسف النجار وكمال عدوان وعبدالفتاح الحمود وسليم الزعنون ورياض الزعنون وأسعد السفطاوي وفتحي البلعاوي ومحمود عباس ورفيق النتشه وصبحي أبو كرش وعبدالله صيام وسعيد المزين بالإضافة إلى كل من معاذ عابد وحمد العايدي وعبده أبو مراحيل وغالب الوزير وأحمد رجب وعبدالمجيد الأسمر وعوني القيشاوي والحاج صادق المزيني وماجد المزيني ومحمد الأفرنجي وآخرين[1] أما ياسر عرفات فلم يكن من الإخوان إطلاقاً، لكنه كان على علاقات طيبة مع الإخوان المصريين، وشاركهم في حرب العصابات ضد القوات البريطانية في السويس سنة ١٩٥١م، ثم تعرف على صلاح خلف سنة ١٩٥١م

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص٩٥، وزياد أبو عمرو، ص٨٥.

الذى جاء للدراسة فى مصر، وكان يهمه أن يشيع بين الطلبة أنه من الإخوان حتى يكسب أصواتهم فى انتخابات الطلبة ويضمن تحالفهم واستطاع أن يصبح «رئيس رابطة طلاب فلسطين» من ١٩٥٢ - ١٩٥٦م وأن ينجح فى قائمة الإخوان.

أما القياديون الذين جاءوا للحركة من الأحزاب الأخرى فقد جاءوا بعد ذلك بمدة مثل فاروق القدومى (البعث) وخالد الحسن (حزب التحرير) وغيرهم.

(أ) مرحلة غزة:

بدأت فكرة إنشاء التنظيم الفلسطينى المسلح بين صفوف الإخوان فى غزة منذ وقت مبكر، ولعله فى عام ١٩٥٤م حيث حُلت شُعب الإخوان وطوردوا فى كل مكان «فقد أصبح العمل تحت لواء الجماعة كسبيل وحيد لتحرير فلسطين غير ممكن وهى تخضع لحظر على نشاطها السياسى ومطاردة لأعضائها»[١]، وكان أبرز من حمل هذه الأفكار خليل الوزير ومن معه من أعضاء الجهاز العسكرى أمثال حمد العايدى ومحمد الافرنجى، «بالإضافة إلى الكثيرين من «أسرة الجهاد» التى كان نقيبها صلاح خلف ومعه أسعد السفطاوى»[٢] والتف حولهم كل من سليم الزعنون وكمال عدوان. وكانت مرحلة الاحتلال الإسرائيلى لقطاع غزة فى أعقاب العدوان الثلاثى دافعاً لإحياء هذه الأفكار وتطويرها.

(ب) مرحلة القاهرة:

كان نفس الأشخاص الذين حملوا هذه الفكرة فى قطاع غزة هم العمود الفقرى الذى تجمع حوله الآخرون أثناء دراستهم الجامعية فى القاهرة، ثم بعد ذلك أثناء عملهم فى الكويت ودول الخليج العربى، وقد انضم إليهم فى القاهرة آخرون مثل عبدالفتاح الحمود طالب كلية الهندسة القادم من الضفة الغربية وأحد أعضاء جماعة الإخوان، إلا أن أبرز من كان فى القاهرة فى ذلك الوقت طالب آخر فى كلية الهندسة تربى فى القاهرة وحمل لهجتها المصرية على لسانه، ألا وهو الطالب ياسر عرفات، الذى لم يكن من الإخوان المسلمين فى يوم من الأيام[٣] إلا أنه كان يحتفظ بعلاقة طيبة مع الإخوان المصريين، وقد أرضاه أن يشيع بين طلبة الإخوان الفلسطينيين أنه منهم، دخل عرفات على رأس قائمة الإخوان المكونة من تسعة طلاب فى انتخابات رابطة الطلبة الفلسطينية سنة ١٩٥٢م، ليصبح رئيساً للرابطة بعد أن نجحت

---

(١) زياد أبو عمرو، ص٨٦.

(٢) محمد أبودية، مرجع سابق.

(٣) Allan Hart, ARAFAT, Terrorist or Peacemaker, p.84.

القائمة بكاملها[١].

كان ياسر عرفات يتمتع بديناميكية ونشاط فيتصل بجميع الطلاب وخاصة القادمين الجدد، ويعرض عليهم خدماته، يقول أبو الأديب (سليم الزعنون) أنه كان مفاوضاً ممتازاً ويجيد الاتصال بالشخصيات الكبيرة، وكان يتحدث عن إنشاء حركة تحرير فلسطينية مستقلة منذ سنة ١٩٥٢م و١٩٥٣م[٢]. كان من أبرز شباب الرابطة صلاح خلف وكمال عدوان وعبدالفتاح الحمود وسليم الزعنون الذين أصبحوا فيما بعد مع عرفات وخليل الوزير ومحمد يوسف النجار قيادة «فتح».

(جـ) مرحلة الكويت والخليج العربى:

كانت هذه آخر المراحل فى مسيرة التنظيم الفلسطينى المقترح، فيها اكتملت الفكرة، وأخذ التنظيم اسمه، وبدأت المجموعات المتناثرة هنا وهناك تجد للاتصال بعضها بعضاً، أصبح الطلاب موظفين قادرين على الحركة بصورة أفضل من ذى قبل، وأصبح الملاحقون الذين يحسبون خطاهم أكثر حرية فى بلاد لم تجد خطراً فى نشاط الفلسطينيين فى ذلك الوقت، كما كانت أجهزتهم البوليسية أقل تطوراً من مثيلاتها فى مصر وقطاع غزة والأردن، كما حسمت فى أوائل الستينيات مسألة العلاقة بين الإخوان المسلمين وفتح.

ويذكر خليل الوزير وهو من القادة المؤسسين لحركة فتح أن اللقاء الأول قد تم فى النصف الأخير من عام ١٩٥٧م، حيث التقى فى الكويت خمسة فلسطينيين جاءوا من مناطق مختلفة، وشكلوا القاعدة التنظيمية الأولى التى كانت على ارتباط مع امتدادات تنظيمية فى كل من مصر وغزة والأردن وسوريا ولبنان والسعودية وقطر والعراق[٣]. ولعل رواية أبو جهاد أكثر دقة من صلاح خلف الذى ينسب النشأة إلى أكتوبر ١٩٥٩[٤] أو خالد الحسن الذى ينسبها لعام ١٩٦٢.[٥]، فلعلهم يؤرخون ليوم انتسابهم للحركة، فالمعروف أن خليل الوزير هو أكثر من تحمل أعباء الحركة وأسهم فى تطورها ونجاحها، فهو الذى أشرف على مجلة «فلسطيننا» التى صدرت فى بيروت سنة ١٩٥٩، وكانت تنطق باسم الحركة، وهو

---

(١) Ibid, pp.87 - 88.

(٢) Ibid, p.89.

(٣) عيسى الشعيبى، ص٥٢.

(٤) صلاح خلف، (فلسطينى بلا هوية)، الكويت: شركة كاظمة، بيروت، بدون تاريخ، ص٦١.

(٥) زياد أبو عمرو، ص٩٣.

الذى أنشأ أول مكتب للحركة وكان في الجزائر سنة ١٩٦٣ ، ثم بعد ذلك كان أول من تحمل عبء العمل العسكرى ومسئولية الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ .

وتم اللقاء بين المجموعات الرئيسية التى أسست «فتح» وهى :

١- مجموعة الكويت : ياسر عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف .

٢- مجموعة قطر : محمد يوسف النجار وكمال عدوان ومحمود عباس ورفيق النتشه .

٣- مجموعة السعودية : سعيد المزين ومعاذ عابد وأحمد وافى.

٤- مجموعة غزة : فتحى البلعاوى وأسعد السفطاوى وسليم الزعنون وعونى القيشاوى[١] والمعروف أن كل هذه الأسماء كانت أعضاء فى الإخوان المسلمين ما عدا عرفات .

العلاقة بين فتح والإخوان المسلمين (١٩٥٤ - ١٩٦٣م)

يمكننا أن نتعرف على العلاقة بين الإخوان المسلمين وحركة فتح عبر ثلاث مراحل مختلفة :

(أ) المرحلة الأولى (١٩٥٤ - ١٩٥٧م) :

وهى المرحلة التى بدأت بمطاردة حكومة الثورة المصرية لعناصر الإخوان، وانتهت ببداية صعود الناصرية واستحواذها على الشعبية التى كانت من نصيب الإخوان فيما قبل. بدأت بذور الدعوة لتنظيم جديد تنبت فى صفوف فريق من شباب الإخوان، الذين يبدو أن دوافعهم للانتماء للحركة كانت بسبب قناعتهم أن طريقها هو أصح الطرق الموصلة إلى تحرير فلسطين، وكانت هذه الدوافع تطغى على دوافع الالتزام الإسلامى المحض، فلقد هالهم أن تنجر الحركة الإسلامية إلى معارك أخرى مع النظام المصرى أو غيره ستكون نتيجتها خسارة الحركة الإسلامية وبالتالى خسارة القضية الفلسطينية، التى ينظرون إلى كل شىء من زاويتها، لذلك «دعا أصحاب هذا الرأى إلى ضرورة التحرر من الانتماء إلى حزب معين والتخلص من النظرة الحزبية لإزالة أسباب الصدام مع الأنظمة العربية من ناحية، ولفتح الباب أمام الفلسطينيين جميعاً للمشاركة فى العمل من أجل فلسطين من ناحية أخرى»[٢]، لكن قيادات التنظيم لم يأبهوا بهذه الآراء واعتبروها مظهر عجز وعدم قدرة على تحمل أعباء العمل السرى، كما اعتبروا الخروج إلى العلن فى حركة تحرر وطنى هو نوع من الهروب .

وقد تميزت هذه المرحلة بأن هؤلاء الشباب عملوا داخل الحركة رغبة منهم أن يكون هذا

---

(١) المرجع السابق، ص٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص٨٧.

التنظيم الجديد من صناعة الإخوان، وقد توّج هؤلاء الشباب عملهم هذا بالمذكرة التى قدمها واحد من أبرزهم وهو خليل الوزير فى صيف ١٩٥٧ إلى هانى بسيسو رأس التنظيم الإخوانى فى ذلك الوقت. شرح فى هذه المذكرة فكرة التنظيم الجديد وطبيعته وأهدافه.

(ب) المرحلة الثانية (١٩٥٧ - ١٩٦٠م)

لم يهتم الإخوان المسلمون بهذه المذكرة فى حينه، لكن تلك المجموعة استمرت فى عملها، وتابعت خطتها منفردة، وأنشأت خلاياها «وأخذت تلح على الإخوان من وراء ظهر قيادتهم لإقناعهم بالمشروع، وثابرت على ذلك فأحدث نشاطها أقداراً متفاوتة من البلبلة فى صفوف الإخوان شغلتهم أكثر من ثلاث سنوات إلى أن توصلوا إلى رأى واضح وحاسم حيال تلك الفكرة، ولكن بعد أن فقدوا عدداً كبيراً من أنشط عناصرهم»[١].

رجع خليل الوزير إلى الكويت بعد أن أمضى الإجازة الصيفية فى غزة، وبعد أن فقد الأمل فى أن يتبنى الإخوان المسلمون هذه الفكرة، فكان الاجتماع التأسيسى للحركة الجديدة فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٧م فى الكويت كما أشرنا سابقاً.

«كانت المذكرة تدعو إلى أن يتبنى الإخوان المسلمون الفلسطينيون، إقامة تنظيم خاص بجانب تنظيمهم، بحيث لا يحمل لوناً إسلامياً فى مظهره وشعاراته وإنما يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح»[٢]، وطالبت المذكرة الذين ينضمون إلى التنظيم الجديد، سواء كانوا من الإخوان أو من غيرهم، أن يخلعوا ثيابهم الإخوانية أو الحزبية ويلبسوا بدلاً منها ثياباً فلسطينية.. ونوهت المذكرة إلى أن التنظيم سوف يفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان والجماهير، ويفكّ عنهم طوق الحصار الناصرى الذى لا يرحم، وفضلاً عن ذلك فإن العمل المسلح سوف يُبقى القضية الفلسطينية حية، ويقطع الطريق على محاولى تصفيتها[٣].

تكونت هذه المجموعة الجديدة ونشطت فى الدعوة لفكرتها وخاصة بين صفوف الإخوان فى قطاع غزة ومصر والكويت وقطر والسعودية وغيرها، وقد انضم إليهما العديد من نشيطى الإخوان، وبعضهم كان يتصور أنها عمل إخوانى، وبعضهم سار مع هذه المجموعة شهوراً والبعض الآخر سنوات حتى تبين له مخالفتها لمبادئ الإخوان المسلمين[٤]، لكنها

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص٧١.

(٣) المصدر السابق، ص٧٢.

(٤) مقابلات شخصية مع كل من: الأستاذ سليمان حمد، أحد مسئولى الإخوان، الكويت: ٢٥/٢/١٩٩٠م - السيد حسين الشوابتة، من قدامى الإخوان، الكويت: ٢٠/٥/١٩٨٥م.

كانت قد أخذت أعداداً كبيرة من طاقات الإخوان المتميزة مما كان له أبعد الأثر في إضعاف الإخوان بالإضافة إلى الظروف والعوامل الخارجية التي أضعفتهم، ومما ساعد هذه المجموعة في عملها افتقار الإخوان الفلسطينيين في ذلك الوقت إلى هيكل تنظيمي يجمعهم في أماكن تواجدهم، وعدم قدرتهم على إيجاد أجوبة شافية للتساؤلات الكثيرة التي كان يطرحها دعاة التنظيم الجديد. ظلت هذه الحالة من النزف من طرف الإخوان لصالح «فتح» إلى أن حسم الإخوان المسلمون موقفهم سنة ١٩٦٠م، ووضعوا مذكرة وافية والتي كانت بمثابة الرد على مذكرة خليل الوزير والتي تأخرت سنوات ثلاث.

(جـ) المرحلة الثالثة (١٩٦٠ - ١٩٦٣م):

وقد اتسمت هذه المرحلة بتحديد الخط الفاصل بين الحركتين فيما سمي بالمفاصلة، حيث انشغل كل فريق في عملية البناء الداخلي بعيداً عن الآخر، فانطلقت فتح في مسيرتها قاطعة كل الخيوط التي ربطتها بالإخوان المسلمين، وبدأ الإخوان يعيدون البناء على طريقتهم، ومع ذلك فلم تخلُ هذه المرحلة من احتكاكات وصدامات هنا أو هناك.

وبعد أن استشعر الإخوان حجم الخطر الذي يتهدد وجودهم من تلك البلبلة التي يثيرها دعاة التنظيم الجديد، استطاعوا سنة ١٩٦٠م أن يحددوا موقفهم من الأفكار والآراء التي طرحتها «فتح»، وبذلوا جهودهم في توصيل وجهة نظرهم إلى الإخوان الفلسطينيين في جميع الساحات، وبذلك صنعوا سياجاً مانعاً حول تنظيمهم، وقد جاءت وجهة نظرهم هذه في مذكرة وافية وضعوها سنة ١٩٦٠م[1]، واكتملت خطواتهم في البناء الداخلي سنة ١٩٦٣م حينما عقد أول مجلس شورى يمثل الإخوان الفلسطينيين في مختلف الساحات لينشأ ولأول مرة «التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين»، وقد جاءت مذكرة الإخوان المسلمين رداً على كل ما طرحته «فتح».

أعلن الإخوان الفلسطينيون عن استعدادهم لتجميد نشاطهم الإسلامي وتحويل تنظيمهم للعمل من أجل تحرير فلسطين إذا اقتنعوا بصواب الخطة الموضوعة، لكنهم رفضوا التخلي عن دعوتهم من أجل تصورات خيالية يستحيل تحقيقها وقد رأى الإخوان أن هذا المشروع يواجه عقبات كأداء وينطوي على مخاطر ترجع بالقضية الفلسطينية نفسها إلى الوراء وتؤخر عملية التحرير، فقد تسبب في معركة لا تكون القوى العربية مستعدة لها، فتقدم إسرائيل على احتلال غزة والضفة الغربية مثلما حدث في عدوان ١٩٥٦م على غزة، كما رأت المذكرة

---

(١) انظر عبدالله أبو عزة، ص ص ٧٨ - ٨٦.

أنه من الوهم الاعتقاد بأن الحياد بين الأنظمة العربية وعدم التدخل في شئونها سوف يمنعها من التدخل في شئوننا وإخضاع أى نشاط لمصالحها، كما أكدت أن الحكومات العربية لن تسمح بأى نشاط سياسي وعسكرى غير صادر عنها لأنها تخشى أن تنتقل عدواه إلى شعوبها، وقد سخرت المذكرة من محاولة التشبه بالثورة الجزائرية وذلك بسبب الفروق الجوهرية بين الحالتين وأكدت أنه لا يمكن مواجهة إسرائيل بجزء صغير من قدرات أمتنا، بل ينبغي حشد كل قوى الأمة، وإذا رفضت الحكومات العربية فعلينا أن نغير هذه المواقف بالإقناع أو بالضغط الشعبي أو بالقيام بثورة شعبية عامة تطيح بتلك الحكومات، وتخلص المذكرة إلى أن مشروع «فتح» مغرق في الوهم والخيال ولابد بدلاً عن ذلك أن يضاعف الإخوان جهودهم لنصرة حركتهم من أجل حشد جميع القوى الفلسطينية والإسلامية في مواجهة اليهود.

المبحث الثالث
تنظيم الإخوان المسلمين

انتهى عقد الخمسينيات وليس للإخوان المسلمين الفلسطينيين تنظيم موحد يجمع شتاتهم ويوحد سياستهم، ففي النصف الأول من ذلك العقد، كانت شُعبهم في غزة تتبع المركز الإدارى العام الذى يتبع مكتب الإرشاد في القاهرة، فلما انقطعت صلتهم التنظيمية بمصر طيلة النصف الثاني من نفس العقد بسبب الاعتقالات والملاحقة، ظلوا دونما مرجع رئيسي، اللهم سوى بعض المعلومات والأخبار التي كانت تأتيهم مع بعض المغتربين في دول الخليج، والذين يعودون في إجازاتهم الصيفية، أما الإخوان الفلسطينيون في الأردن فهم جزء من التنظيم الأردني منذ ١٩٤٨م، وكذلك الحال بالنسبة للإخوان الفلسطينيين في جميع الساحات الأخرى فهم جزء من التنظيم المحلي في تلك الدولة وذلك تمشياً مع سياسة الإخوان الوحدوية وغير الإقليمية.

وعلى الرغم من المحاولات الجادة والمستمرة لبناء التنظيم الفلسطيني والتي بدأت بقوة منذ سنة ١٩٦٠ في اجتماع القاهرة الذى وضع أسس التنظيم، وتوجت بعد ذلك ١٩٦٣م عندما عقد أول مجلس شورى للجماعة في مدينة خان يونس، فإن الأحداث المتلاحقة والعوامل المتعددة جعلت الإخوان في تلك المرحلة حركة ضعيفة منعزلة لا أثر لها في الحياة السياسية

الفلسطينية والعربية. فهى من وجهة المراقب الخارجى حركة منتهية، فلم نسمع لها رأياً فيما يجرى من أحداث، وهى من وجهة نظر المراقب الداخلى حركة موجودة حافظت على هيكلها وعناصرها وطوقتهم بسياج من العزلة، التفتت فيه إلى تقوية الصف والمحافظة على من تبقى من العناصر والدفاع من أجل البقاء عسى أن تتغير الظروف فتستطيع أن تواصل مسيرتها.

ضعف عام وانحسار جماهيرى:

كانت حركة الإخوان فى هذه المرحلة أضعف ما تكون كماً وكيفاً، وقد ساعد على ذلك تلك المضايقات التى كان يسببها رجال المباحث للإخوان المسلمين فى قطاع غزة، ويروى كثير من إخوان تلك الفترة كيف أن المباحث كانت تتابع الشخص على أنه من الإخوان فإذا انقطع عن المسجد وبدأ يرتاد دور السينما والمقاهى وغير ذلك رفعوا فيه تقريراً مفاده (أن أخلاقه تحسنت)!! [١]

بالإضافة إلى خسارة الإخوان لمواقعهم الشعبية التى بدأ البعثيون يحتلونها ثم القوميون العرب من بعدهم. وفى الأردن استطاعت هذه الاتجاهات القومية ومعها التنظيمات الوطنية الفلسطينية الناشئة أن تستقطب الناس حولها، فقلّت أعداد الإخوان بصورة واضحة، ولعل الوضعين المتناقضين للإخوان فى كل من الأردن وقطاع غزة من حيث علاقتهم بالسلطة لم يغير فى النتيجة الواحدة لكل من الساحتين فالقمع الذى واجهه الإخوان فى قطاع غزة أضعفهم وأفقدهم الجماهير، لأن سلطة القمع أصبحت فى وجهة نظر الجماهير من المحيط إلى الخليج ممثلة آمال الأمة مخولة بمطاردة كل أعداء الأمة، كما أن تأييد السلطة الذى حصل عليه البعثيون ثم تمتع به القوميون لفترات أطول كان ذلك تأكيداً على سلامة مسيرتهم فى نظر الجماهير، وعلى عكس ذلك فإن القمع الذى تعرض له البعثيون والقوميون على يد السلطة الأردنية، كان يصب فى مصلحتهم الجماهيرية، بينما الحرية النسبية التى تمتع بها الإخوان فى الأردن كانت دائماً مغمزاً على سلامة خطهم وأول نقطة نقد توجه إليهم.

وفى دول الخليج العربى حيث اغترب عدد لا بأس به من الإخوان الفلسطينيين الذين التقوا هناك بإخوان تلك البلاد بالإضافة إلى بعض من إخوان مصر وسوريا والأردن والعراق والسودان وغيرها، بدأ الإخوان المطرودون من بلدانهم ينسجون طوقاً من العزلة حول نشاطاتهم، ووجدوا العزاء الذى يرضيهم فى أنهم على الحق، وأنهم يريدون الآخرة لا الدنيا،

---

(١) الأستاذ حماد الحسنات، مقابلة شخصية، (مرج الزهور)، ٤/٦/١٩٩٣م.

وأسعدتهم المشاعر الأخوية الصادقة التى يتبادلونها فى زمن طغت فيه المصالح، وكرد للضغوط الخارجية وتعويضاً للأمن الخارجي الذى فقدوه بدأت تتضخم عندهم كثير من التعاليم الإسلامية الخاصة بالتكافل الاجتماعى والمساعدة وقت الضيق وتسهيل الوظائف للإخوان وتكريس الأمن الداخلي فيما بينهم، وهكذا انسحب الإخوان من المجتمع وأنشطته وكوّنوا لهم مجتمعاً يرضيهم وعاشوا نسيجاً من العلاقات الاجتماعية قلما يتسع لغيرهم حتى كثرت الزيجات والمصاهرة بين الإخوان فى تلك الفترة وفيما تلاها.

اهتم الإخوان الفلسطينيون كغيرهم من الإخوان اهتماماً كبيراً بنظام «الأسرة» التى تنعقد مرة كل أسبوع فى مكان آمن غالباً ما يكون بيت أحدهم، وتستمر جلسة الأسرة التى تتكون عادة من حوالى خمسة أفراد إلى ساعتين أو ثلاثة، يتدارسون فيها منهجاً دراسياً يشرف عليه نقيب الأسرة، ويتكون المنهج من حفظ لسور أو أجزاء من القرآن الكريم ودراسة للأحاديث النبوية وبعض أبواب الفقه، بالإضافة إلى رسائل الإمام حسن البنا، كما يتدارسون أحوالهم وظروفهم وأوضاعهم الاجتماعية والوظيفية والدعوية.

كان نظام الأسرة هو كل ما يعمله الإخوان، فلم تعد لهم تلك المشاركة فى الأوضاع العامة، وعلى الرغم من بساطة المنهج الثقافى الموضوع فإن الفائدة كانت دائماً أقل من المتوقع، فالذى قضى خمس سنوات فى صفوف الإخوان يفترض أن يحفظ على الأقل خمسة أجزاء من القرآن وعدداً لا بأس به من الأحاديث وكثيراً من أبواب الفقه وغير ذلك.

كان ذلك بسبب عدم توافر النقباء المؤهلين، فقد كان أعضاء الهيئة الإدارية لشعبة نابلس مثلاً من العمال غير المتعلمين[1]، يضاف إلى ذلك أن الإخوان قد فقدوا حماستهم بسبب الظروف السياسية المحيطة، فكانت لقاءات الأسر روتينية وأداءً للواجب، اللهم إلا من بعض الأسر التى يكون نقيبها متميزاً، أو أن تكون الأسرة نفسها حديثة عهد بالتنظيم فعند أعضائها الكثير من الاندفاع والحماس والرغبة فى التطور والتعرف.

أما لقاءات الكتائب فلم تكن منتظمة بدقة. والكتيبة لقاء يقصد به شحذ الروح والوجدان وتزويد النفوس بطاقة روحية جديدة. تجتمع فيه عدة أسر بعد العشاء لقراءة القرآن والأوراد وقيام الليل والاستماع لموعظة ترقق القلوب[2].

---

(١) الأستاذ نبيل البشتاوى، مقابلة شخصية، (مرج الزهور)، ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.

(٢) عبدالله أبو عزة، ص٦٢.

تأسيس التنظيم ومؤسساته:

جاء عام ١٩٦٠م والإخوان الفلسطينيون مقتنعون أنه لابد من ربط مجموعات الإخوان الفلسطينيين هنا أو هناك في إطار تنظيم واحد، خاصة أن للفلسطينيين وضعهم المتماثل في كل الساحات من حيث أوضاعهم كلاجئين ومن حيث العراقيل التي توضع أمامهم في العمل والتنقل والإقامة، كما أن لهم وضعهم الخاص من حيث تمثيلهم لقضية مهمة لابد أن يكون لهم فيها صوت.

وهكذا ولد التنظيم الفلسطيني عام ١٩٦٠م أثناء اجتماع عقد في مدينة القاهرة ضم عناصر إخوانية فلسطينية من قطاع غزة ومصر وسوريا والأردن ومنطقة الخليج، كما «تقرر آنذاك ترك الإخوان الفلسطينيين في الأردن ضمن التنظيم على اعتبار أن الوضع القانوني يعتبرهم أردنيين، وعلى أساس أن الإخوان دعاة وحدة بغض النظر عن صحة أسلوب تأسيسها، وكذلك بغض النظر عن عدم رضاهم عن سياسات وأساليب وأداء قيادة الإخوان في الأردن»[١]. ولقد كان لوجود «فتح» وملاحقتها لعناصر الإخوان بهدف ضمهم إليها، واحداً من أهم الدوافع لتأسيس التنظيم الفلسطيني.

ومع أن الشورى واحدة من أهم المبادئ الإسلامية في السياسة وفي العمل الجماعي، فلم يكن لها مؤسسات عند الإخوان الفلسطينيين حتى مطلع الستينيات حينما أراد مؤسسو التنظيم الفلسطيني العام له أن يكون قوياً ونموذجياً ويستطيع أن يتحمل أعباء المرحلة القادمة، فاهتمت قيادة التنظيم بالشورى من أجل حث الإخوان على المشاركة في صياغة السياسات واتخاذ القرارات.

قامت الشورى في التنظيم الفلسطيني على عدد من الأسس:

- نظام أساسي مكتوب ولائحة مالية.
- تكوين مجلس تمثيلي.
- إعطاء المجلس سلطة مراقبة اللجنة التنفيذية ومحاسبتها وحق اختيار رئيس اللجنة وأعضائها وحق تغييرهم[٢].

كما حصر حق التمثيل وحق الانتخاب في نقباء السر ومن هم أعلى منهم مرتبة تنظيمية،

---

(١) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٠.

كما حدد النظام الأساسى مدة ولاية اللجنة التنفيذية وولاية مجلس الشورى.

عقد أول مجلس شورى للإخوان الفلسطينيين على شاطئ بحر خان يونس فى الأراضى الزراعية للأغوات (آل الأغا) حيث كان عدد كبير منهم من شباب الإخوان، وذلك فى صيف ١٩٦٢م أو ١٩٦٣م، وكان أهم الموضوعات المطروحة على ذلك المجلس:

- علاقة الإخوان بفتح.
- تقوية التنظيم الفلسطيني وامتداده.
- انتخاب المراقب العام للتنظيم(١).

وقرر الاجتماع إنهاء الصلة بفتح والتأكيد على الأخوة المترددين أن يحسموا أمرهم فإما فتح أو الإخوان ولا علاقة بين الحركتين، كما قرر الاجتماع اعتبار محمد يوسف النجار تاركاً للجماعة، أما بالنسبة للبند الثاني فقد كلفت لجنة بوضع أسس اللائحة التنظيمية وأعطيت مدة أربع سنوات وتكونت لجنة أخرى للاتصال بالإخوان الفلسطينيين فى جميع الساحات وعمل إحصائية لهم فى غزة وفى بلاد الاغتراب، وانتخب المجلس المرحوم هانى بسيسو ليكون أول مراقب عام للإخوان المسلمين، حيث استمر فى عمله إلى أن اعتقلته السلطات المصرية وتوفى فى السجن سنة ١٩٦٦م، ليتسلم بعد اعتقاله نائبه الأستاذ عبدالبديع صابر الذى استعفى قبل نهاية ولايته.

وهكذا أصبح للفلسطينيين تنظيم خاص بهم وأصبح لهم ممثل فى «المكتب التنفيذى للإخوان المسلمين فى البلاد العربية» وذلك فى صيف ١٩٦٦م حيث مثّل فلسطين فى هذا المكتب الدكتور عبدالله أبو عزة نائب رئيس اللجنة التنفيذية (أى نائب المراقب العام) كان هذا المكتب التنفيذى هو القيادة العليا للإخوان المسلمين فى البلاد العربية، وكان يرأسه الأستاذ عصام العطار، مراقب سوريا، وكان نائب الرئيس السيد محمد عبدالرحمن خليفة مراقب الأردن، أما أمين السر فكان الأستاذ فتحى يكن مسئول الإخوان فى لبنان، وكان الأعضاء يمثلون كلاً من السودان والكويت والسعودية وتنظيم المصريين فى الخارج والإخوان العراقيين وأخيراً الفلسطينيين(٢).

وكان من أهم المسائل التى طرحت على المكتب التنفيذى، مسألة التعاون مع «فتح»، التى طرحت فى أكتوبر ١٩٦٥م، فقد كان الإخوان المصريون خاصة، يشاركهم الإخوان

---

(١) عبدالله أبو عزة، ص ص ٦٦ - ٦٩، ومحاضرة الأستاذ سليمان حمد.

(٢) عبدالله أبو عزة، ص ص ٩٤ - ٩٥.

الكويتيون وكثير من الإخوان الآخرين يعتقدون أن حركة «فتح» حركة إخوانية، كما كانت علاقة «فتح» مع قيادات التنظيمات الإخوانية الأخرى علاقة طيبة، فقد كان مؤسسو «فتح» يحصلون على الدعم والمساندة والأموال من رجال الإخوان ولعل من أهم الشخصيات الإخوانية التي وقفت منذ نشأتها الأولى السيد عبدالله المطوع من الكويت والدكتور عز الدين إبراهيم والدكتور محمد توفيق الشاوى من مصر والأستاذ المرحوم عمر بهاء الدين الأميرى من سوريا والمرحوم محمد خيضر الزعيم الجزائرى المعروف.

طُلب من الأخ عبدالله أبو عزة أن ينقل وجهة نظر التنظيم الفلسطينى الذى لم يكن عضواً فى المكتب فى ذلك التاريخ، وقد طرح أبو عزة رأى الفلسطينيين فى «فتح» والتعاون معها بصورة واضحة متكاملة[١].

العمل الإخوانى فى الساحات المختلفة:

كانت قد انتهت تلك الأيام التى كان فيها الإخوان المسلمون فى واجهة الأحداث فى كل من قطاع غزة والأردن، وكذلك فى النشاط الطلابى الفلسطينى فى مصر وغيرها. وبدأت المحاولات المستميتة من البقية القليلة التى ظلت على ولائها لدعوة الإخوان فقط للمحافظة على وجودها، فانتهجت الجماعة فى ذلك الوقت أسلوباً جديداً يناسب المرحلة، واتسم عملهم بالسرية الشديدة والاعتزال عن قضايا المجتمع، فلم نسمع للإخوان الفلسطينيين أثراً ولا رأياً فى كثير من الأحداث الهامة فى المنطقة ابتداء من الوحدة المصرية السورية وتحرير الجزائر، والأهم من ذلك أننا لم نجد أثراً ذا بال للإخوان فى عملية إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية أو فى مؤسساتها أو وجهة النظر فيها وفى قيادتها.

وانحصر عملهم فى قطاع غزة والضفة الغربية على الأعمال التربوية والاجتماعية، وقد غادر غزة الكثيرون، وكان أبرز من فيها قبيل حرب ١٩٦٧م المرحوم محمد الغرابلى والشيخ أحمد ياسين اللذان قاما بجهد مقدر فى عملية تجميع العناصر الإخوانية المتفرقة والإشراف على عملية الكسب البطيئة، ويذكر الأستاذ محمد شمعة أن تنظيمه فى المرة الأولى قد تم سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١م على يد الأستاذ محمد الغرابلى وشعبان البغدادى، كذلك استطاع تنظيم الطلاب فى القاهرة أن يضم العدد القليل من الطلبة الذين اعتقلوا سنة ١٩٦٥م فى أحداث قضية سيد قطب مع عبدالرحمن بارود.

---

(١) المرجع السابق.

أما فى الأردن فقد كان الإخوان المسلمون يمارسون أعمالهم عن طريق الشُعَب التى تتمتع بالغطاء القانونى، وعلى الرغم من عدم ملاحقة السلطات الأردنية للإخوان هناك ، إلا أن قوة التنظيم قد انحسرت وضعفت أيضاً، وتسرب الشباب الكثيرون إلى الأحزاب العروبية كالبعث والقوميين العرب وإلى المنظمات الفلسطينية الناشئة وخاصة «فتح»، وظلت الشعب مفتوحة لبعض الشباب الذين يأتون لممارسة تنس الطاولة أو للمحاضرات التى كانت تعقد فى المناسبات الإسلامية المعروفة مثل الإسراء والمعراج وغزوة بدر ورأس السنة الهجرية وغيرها.

أما فى الكويت فقد وصل بعض الإخوان الفلسطينيين ابتداء من ١٩٥٣م مثل سليمان حمد ويوسف عميرة وموسى نصار[١]، وكانوا يزورون «جمعية الإرشاد» التى كان قد أنشأها الإخوان الكويتيون، وقد شكل الإخوان «قسم فلسطين» فى جمعية الإرشاد.

وكانت السنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٣م هى التى جاء فيها خريجوا الجامعات المصرية من غزة فكوّنوا أسرهم المغلقة، وأصبح المسئول الأول حسن عبدالحميد ومن بعده عمر أبو جبارة، وكانت أعداد الإخوان محدودة حتى إنهم كانوا يجتمعون فى غرفة واحدة[٢]. أما فى باقى دول الخليج العربى فقد تواجد الإخوان الفلسطينيون فى كل من قطر والسعودية، وبدأوا يستعيدون صلاتهم بالتنظيم الفلسطينى، أما فى العراق فقد كانت تلك الفترة انحساراً للعمل الإخوانى وخاصة أن صالح سرية كان قد ترك الإخوان عام ١٩٥٨م، وأنشأ مع آخرين من الإخوان الفلسطينيين «جبهة تحرير فلسطين».

المبحث الرابع
منظمة التحرير الفلسطينية

تأسيس المنظمة:

يبدو أن الحكومات العربية بدأت تلمس التوجه الكبير لدى الشعب الفلسطينى لتأسيس كيانه المعبر عنه، وكان عام ١٩٥٩م عاماً حاسماً فى إثارة هذه المخاوف لدى الحكومات العربية التى خشيت أن يفلت الفلسطينيون من السيطرة المضروبة عليهم، فكان أن ظهرت حركة «فتح» للعلن عبر مجلة «فلسطيننا» التى صدرت فى ذلك العام، واجتمعت الروابط

(١) سليمان حمد، المحاضرة.
(٢) حسين الثوابتة، مصدر سابق.

الطلابية الفلسطينية لتؤسس «الاتحاد العام لطلبة فلسطين»، وكان أن ظهرت أيضاً في نفس الوقت جبهة التحرير الفلسطينية، كما وصلت الخلافات بين الحاج أمين الحسيني والسلطات المصرية أوجها، فرحل عن القاهرة، وبدأ يمهد بالتعاون مع الحكومة العراقية لإنشاء جيش فلسطيني أطلق عليه اسم «فوج التحرير الفلسطيني» في العراق.

وكان نظام عبدالناصر أكثر الأنظمة حساسية من وجود قيادة فلسطينية تنافسه في أهم القضايا المطروحة وهي قضية فلسطين التي تمثل أهم ركن في شعبيته المتزايدة، لذلك بادرت الحكومة المصرية ومنذ سنة ١٩٥٩م باقتراحات مقدمة للجامعة العربية تحت اسم «إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني»، وظل هذاالمشروع يراوح بين الدراسة والتجميد في مكاتب الجامعة العربية بسبب المعارضة الأردنية لقيام كيان فلسطيني، رأت فيه الأردن تهديداً لوحدتها وكيانها.

وفي مؤتمر القمة العربي الأول الذي عقد في القاهرة في يناير ١٩٦٤م، أعيد طرح المشروع بقوة على أرضية الغليان الذي اجتاح المنطقة بسبب مشروع تحويل مجرى نهر الأردن من قبل إسرائيل، وقد ظهرت مواقف مختلفة للحكومات العربية، «فالملك حسين يصر على عدم ذكر الكيان الفلسطيني، بينما الرئيس السوري أمين الحافظ يطالب بإعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة للكيان الفلسطيني، بينما اقترح الملك سعود إنشاء حكومة فلسطينية، وكان الرئيس الجزائري أحمد بن بيللا والتونسي بورقيبة يقترحان قيام جبهة تحرير وطنية».(١)

استطاع أحمد الشقيري المدعوم بقوة من الحكومة المصرية وبعد تنازلات ملموسة قدمها للملك حسين كي يطمئن على أن الكيان الجديد لن ينافس الأردن على الضفة الغربية، «استطاع أن يدعو لعقد (المؤتمر القومي الفلسطيني) في ١٤ / ٥ / ١٩٦٤م في مدينة القدس بحضور ٣٥٠ مندوباً فلسطينياً، حيث أعلنت هناك منظمة التحرير الفلسطينية»(٢)، وفي مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في مدينة الإسكندرية من نفس العام، حصلت المنظمة على الشرعية العربية.

تقدمت المنظمة خطوات إلى الأمام في إنشاء تنظيماتها الشعبية وتأسيس جيش التحرير الفلسطيني، وافتتاح مكاتبها في العواصم العربية، في أواخر سنة ١٩٦٤م قرر الاتحاد العام

---

(١) أحمد الشقيري، (من القمة إلى الهزيمة)، بيروت: دار العودة، ١٩٧١م، ص٥.
(٢) عيسى الشعيبي، ص١٠٣.

لطلبة فلسطين اعتبار نفسه قاعدة من قواعد المنظمة، وكذلك قرر الاتحاد العام لعمال فلسطين الذى عقد مؤتمره الأول فى مدينة غزة فى أبريل ١٩٦٥م، كما تأسس فى ظل المنظمة الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية واتحاد الكُتاب الفلسطينيين العرب، وهكذا التفت الجماهير الفلسطينية حول منظمة التحرير الفلسطينية وحول رئيسها أحمد الشقيرى، فلطالما حلمت هذه الجماهير بقيادة تتحدث باسمها.

مواقف القوى السياسية الفلسطينية:

أجمعت كل القوى السياسية الفلسطينية على الترحيب بالكيان الفلسطينى باعتبار أنه مطلب وطنى، لكنها تحفظت على الطريقة التى نشأ فيها الكيان، وكانت «الهيئة العربية العليا» التى يرأسها الحاج أمين الحسينى أكثر الجهات هجوماً وتشكيكاً على المنظمة وقيادتها من خلال تمسكها بضرورة إجراء انتخابات للفلسطينيين تمهيداً لاختيار ممثليهم(١)، قد أكد الحاج أمين الحسينى فى مؤتمر صحفى عقده فى بيروت «أن مشروع الكيان كما قدّر السيد الشقيرى يسهل تصفية قضية فلسطين، وأن أمريكا والدول الاستعمارية الأخرى تشرف على تنفيذ هذه الصفقة»(٢)، كما أصدرت الهيئة بياناً بعد انتهاء مؤتمر القدس وصفته بأنه مؤامرة صهيونية استعمارية تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية.

أما حزب البعث العربى الاشتراكى فقد طالب أن يكون الكيان تنظيماً ثورياً، كما طالب باختيار القيادة من المناضلين الحقيقيين، وأكد بيان القيادة القومية لحزب البعث على أن هذا الكيان يجب أن تتوفر فيه المقومات الأساسية لكل كيان حقيقى وهى الأرض والشعب والسلطة(٣). كما ألقى الحزب ظلالاً من الشك على أهداف إنشاء المنظمة فقال: «إن الظروف التى أنشأتها والقوى التى تدعمها والعناصر التى تقودها تعبر جميعاً عن الغاية غير الثورية التى دفعت لإنشاء المنظمة»(٤).

أما حركة القوميين العرب فقد أصدرت مع منظمات أخرى تابعة لها عدة بيانات طالبت بتمثيل إرادة الشعب عن طريق المنظمات الثورية، وفى بيان آخر عقب انتهاء المجلس الوطنى

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ص ١١١ - ١١٢.

(٤) (البعث والقضية الفلسطينية، بيانات ومواقف ١٩٥٤ - ١٩٦٥م)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥م، ص٢١٩.

الفلسطيني الأول المنعقد بالقدس عددت تنازلات الشقيرى أمام الضغوط العربية، وحملته مسئولية قبوله انعقاد المؤتمر فى القدس حيث خرجت منظمة لا علاقة لها بالجماهير[١]. ومع ذلك فقد انخرط الجهاز الفلسطيني فى حركة القوميين العرب فى صفوف منظمة التحرير.

أما حركة «فتح» فقد أعلنت عبر مجلة «فلسطيننا» عن إصرارها أن يكون الكيان ثورياً، وأن يكون مرتكزاً للثورة المسلحة وليس بديلاً عنها، كما تحفظت على فكرة إجراء انتخابات عامة لعقد المؤتمر الوطني التأسيسى بحجة أن الانتخابات ستنبش الأحقاد والتحزب الأعمى وستبعد العناصر الثورية الأصلية لأنها لا تملك وسائل التأثير المادية[٢].

موقف الإخوان المسلمين:

لم نستطع العثور على موقف للإخوان المسلمين من منظمة التحرير الفلسطينية وقت إنشائها، ولعل ذلك يعود إلى الضعف الذى اتصفت به الحركة فى ذلك الوقت، ولعلها عدم الرغبة الناشئة عن الاعتزال عن القضايا السياسية الراهنة، خصوصاً أنه بدأت تشيع فى أوساط الإخوان المسلمين فكرة المؤامرة عليهم من جميع الأطراف مما جعلهم يتوجسون من منظمة التحرير التى أنشأها عبدالناصر، ومع ذلك تقول مصادر الإخوان إن بعض أفراد من الإخوان فى الأردن حضروا مؤتمر القدس. ولعل الدعوة قد وجهت إليهم بصفاتهم الفردية كشخصيات معروفة[٣].

ولعل الإخوان رأوا فى منظمة التحرير الفلسطينية منافساً جديداً لهم على الساحة مضافاً للمنافسين الكثر الذين ملأوا الساحة ضجيجاً، لكن المنافس الجديد يملك إمكانيات لم تتوفر لأحد من قبله.. الدعم الرسمى العربى والدعم الدولى وخاصة من دول الكتلة الشرقية والصين وبعض دول عدم الانحياز، كما أنه يملك المؤسسات الكبيرة التى تحظى بحرية الحركة، وحرية العمل داخل أوساط الشعب الفلسطينى بالإضافة إلى الميزانية الكبيرة نسبياً التى أتيحت للمنظمة ●

---

(١) عيسى الشعيبى، ص ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) مجلة (فلسطيننا)، عدد ٢٦، نيسان ١٩٦٤م (الافتتاحية)

(٣) لقاءات شخصية مع كل من: الأستاذ محمد شمعة ٣ / ٦ / ١٩٩٣. والأستاذ بيل البشتاوى ٤ ٦ ١٩٩٣م.

الباب الثانى

الإخـــــوان المسلمون

من ١٩٦٧م - ١٩٨٧م

«البنـاء»

الفصل الأول : الإخوان المسلمون خارج الأرض المحتلة .

الفصل الثانى : الإخوان المسلمون داخل الأرض المحتلة .

الفصل الثالث : العلاقات مع القوى الأخرى .



الفصل الأول

الإخوان المسلمون خارج الأرض المحتلة

المبحث الأول

الساحات الإخوانية

بعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧م بدأ الإخوان المسلمون يضمدون جراحهم ويستعيدون قوتهم بالتدريج فقد هزم عبدالناصر عدوهم اللدود وتراخت قبضته، ثم جاء السادات ليخرجهم من المعتقلات أملاً في أن يكونوا معه ضد خصومه من الناصريين واليساريين، وهو الذى قرر أن يدير ظهره للكتلة الشيوعية، ووجد الإخوان المسلمون ما يقولونه للجماهير عن فشل الأنظمة العلمانية والثورية والاشتراكية في مواجهة العدو الصهيوني، وبدأت الدعوة لفكر الإخوان تزدهر شيئاً فشيئاً على أساس أن الإسلام وحده هو الحل لجميع مشكلات الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أنه الوحيد القادر على مواجهة الهجمة الصهيونية على فلسطين وعلى الأمة.

وعادت الدعوة تنتشر من جديد في أوساط الفلسطينيين، وكانت أبرز الساحات التى عمل فيها الإخوان الفلسطينيون، والتى سيكون لها أثرها الواضح على مسيرة الحركة الإسلامية وحركة حماس - بالإضافة إلى ساحة الأرض المحتلة ومركزها غزة - هى ساحة الخليج والجزيرة العربية ومركزها الكويت.

وكانت هناك ساحة أخرى مهمة، عملت كساحة وسيطة ومغذية للساحات الأخرى، ألا وهى طلاب الإخوان الذين درسوا في الجامعات المصرية، والذين كانوا في غالبيتهم يأتون من قطاع غزة، ثم توزعوا على الساحات الأخرى ليدفقوا في شرايين الحركة دماً شبابياً جديداً، ساهم في تقوية الحركة في غزة، وكانت له مساهمته الجوهرية في ساحات أخرى، وخاصة الساحات الجديدة مثل الإمارات العربية المتحدة ثم الولايات الأمريكية بالتعاون مع القادمين من ساحات أخرى مثل الكويت والأردن ولبنان والسعودية وغيرها.

الساحة الطلابية فى مصر

كان «التنظيم الطلابى الفلسطينى للإخوان المسلمين» فى مصر يقوم أساساً على الطلاب القادمين من قطاع غزة، والذين ظلوا يفدون إلى مصر بالمئات فى الفترة ما بين ٦٩ - ١٩٧٧م، وكان معظم أعضاء التنظيم قد التزموا بالحركة من غزة، وتتلمذوا على يد الشيخ أحمد ياسين وغيره من شيوخ الإخوان. وكانت لهم أسرهم التنظيمية فى الإسكندرية والقاهرة وأحياناً فى الزقازيق والمنصورة وطنطا وغيرها من أماكن تجمع الطلاب الجامعيين الفلسطينيين[١].

كان تنظيماً طلابياً محضاً، كانت له لجنته القيادية من الطلاب أنفسهم، فهم لا يتصلون بالإخوان المصريين لدواعى أمنية، ولا يتصلون بقيادتهم فى غزة لصعوبة الاتصال، ولم تكن لهم صلة بمن هم أكبر منهم درجة أو خبرة أو عمراً، اللهم إلا خيط سرى للغاية يربط قيادتهم بأحد الإخوان القدامى الذى يقيم بمصر، والاحتكاك ببعض الإخوة القادمين من الأردن للدراسات العليا مثل د. أحمد نوفل وراجح الكرد وغيرهما ممن هم أكبر سناً وتجربة، لكنهم كانوا يتبعون تنظيم الإخوان فى الأردن، يضاف إلى ذلك مشاعر الولاء والحب والارتباط لدى الكثيرين منهم لشيوخهم ومربيهم فى غزة، ثم يتوج ذلك كله أثناء الإجازة الصيفية حينما يعودون إلى غزة ويقدمون التقارير عن أنشطتهم وأحوالهم خلال العام الدراسى السابق، كما يتلقون بعض النصائح والتوجيهات، وينخرطون فى أنشطة إخوانهم فى مساجد القطاع، يستفيدون منهم وينقلون إليهم خبراتهم التى اكتسبوها فى الساحة المصرية التى تعج بالتطورات[٢].

هؤلاء الطلاب اكتسبوا من تجربتهم الجامعية نضجاً وخبرات جديدة واستفادوا من احتكاكهم بقضايا الإسلام والصحوة الإسلامية التى كانت قد بدأت تنتشر فى الجامعات المصرية، ثم انطلقوا بعد ذلك إلى غزة ودول الخليج ليساهموا فى تكثير عنصر الشباب فى هياكل الحركة التى ضعف كسبها واستقطابها للشباب فى مراحل سابقة.

ومن جهة أخرى كان لهذه الساحة الفضل الأول فى نشأة «حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين» سنة ٧٨ أو ٧٩ على يد عضو جماعة الإخوان المسلمين وطالب الطب فى الزقازيق

---

(١) د. م. م. (أحد أعضاء التنظيم الطلابى الإخوانى فى الجامعات المصرية فى تلك الفترة) مقابلة شخصية، لندن: ١٢/٧/١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق.

فتحى إبراهيم الشقاقى ومعه بشير نافع وبعض الشباب من الإخوان، فقد دخل فتحى فى نقاش طويل مع الإخوان منذ أيام غزة حول العمل السياسى ومركزية القضية الفلسطينية، وكان أخطر ما طرحه فتحى فى ذلك الوقت مرجعية الإمام الخمينى، مما أدى إلى المفاصلة بينه وبين الإخوان.

وينضم إلى فتحى ومن معه فى غزة الشيخ عبدالعزيز عودة القادم من الإمارات والذى خرج أو أخرج من الإخوان سنة ١٩٧٣م فى مرحلة الدراسة الجامعية حيث كان عضو اللجنة القيادية للإخوان الطلاب وأبرز من فيها.

تعاقد عدد من طلاب الإخوان فى مصر بعد تخرجهم للعمل فى دول الخليج وخاصة الإمارات العربية المتحدة واستطاعوا أن يكونوا دعماً للإخوان الفلسطينيين هناك والذين كانوا يعانون من الضعف وقلة العدد.

وفى أوائل الثمانينيات ذهب عدد منهم لإكمال دراسته العليا فى الولايات المتحدة، ليكونوا دعائم العمل الفلسطينى فى الساحة الأمريكية، ثم ليكونوا فيما بعد مع آخرين وخاصة شباب الكويت دعائم العمل لحركة حماس.

ساحة الكويت:

يركز البحث على ساحة الكويت لأسباب جوهرية منها:

أن قيادة التنظيم الفلسطينى فى الخارج ظلت فى الكويت حتى سنة ١٩٧٥م عندما توفى عمر أبو جبارة وانتخب مجلس الشورى رئيساً جديداً للجنة التنفيذية أو مراقباً عاماً للإخوان الفلسطينيين من خارج الكويت[١]، وحتى بعد سنة ١٩٧٥م لم ينتقل مركز العمل إلى السعودية حيث «المراقب العام» بل ظل فى الكويت.

كذلك فإن جذور العمل الفلسطينى السياسى بدأت وترعرعت فى الكويت منذ كانت فيه أهم تشكيلات «الجهاز العام الفلسطينى»، يضاف إلى ذلك أن التنظيم الطلابى للإخوان فى الكويت برز ونما وعمل بصورة مستقلة أو شبه مستقلة، وولدت فى أحشائه بدايات الهياكل العاملة لفلسطين إلى أن أصبحت القيادات الطلابية تهيمن على التنظيم كله وتوجهه فى الاتجاهات التى تؤمن بها وتخطط لها، ثم أصبح لها فيما بعد الدور الأكبر فى تشكيل الجهاز العام لفلسطين الذى نشأ أوائل سنة ١٩٨٦م ثم فى الهياكل العاملة لحماس خارج الأرض

---

(١) (سليمان حمد مسئول الإخوان المسلمين الفلسطينيين فى الكويت فى الفترة ١٩٧٥م - ١٩٩٠م) محاضرة داخلية فى ١١ / ٥ / ١٩٨٩م.

المحتلة، كذلك فإن التنظيم كان فى الكويت أكبر من أى تنظيم فى ساحة أخرى كماً وكيفاً وتكاد أنشطته وهياكله تكون صورة متقدمة يحذو الإخوان حذوها فى الساحات الأخرى.

والكويت كانت تتميز بظروف مواتية لنشأة وقوة أية حركة فلسطينية لوجود مئات الألوف من الفلسطينيين الذين يعيشون على أرضها والذين يتمتعون بحرية نسبية فى الحركة والتعبير السياسى فيما يخص القضية الفلسطينية، فلا عجب أن يكون تأسيس فتح وقوتها من أواخر الخمسينيات فى الكويت، ولا عجب أن تبرز قوة الحركة الإسلامية الفلسطينية فى الكويت منذ أوائل الثمانينيات، حيث كانت واحدة من أهم الساحات الخارجية فى دعم الحركة الإسلامية فى الأرض المحتلة، إن لم تكن أهمها جميعاً، فقد كان الإخوان المسلمون الفلسطينيون فى الكويت قبل أغسطس ١٩٩٠م وقبل الأزمة التى حلت بالمنطقة يعدون بالمئات وأنصارهم بالآلاف على الرغم من التحرى والتدقيق الشديد على من يتم اختيارهم للعضوية، كما كان الكثير من لجان الجهاز العام لفلسطين يتخذ الكويت مقراً له .

التنظيم الطلابى:

منذ أوائل السبعينات بدأ المدرسون الفلسطينيون من الإخوان ينشطون فى مدارس الكويت ذات الأغلبية الفلسطينية، ويكونون الجماعات الإسلامية فى المدارس الثانوية، واستقطبوا أعداداً من الطلاب النابهين الذين سيكون لهم شأن فى مسيرة الحركة الإسلامية فيما بعد، كما بدأ دعاتهم وخطباؤهم ينشطون فى المساجد ويؤسسون جماعة شبان المسجد فى كل المساجد التى يصلون إليها فى مناطق سكن الفلسطينيين، وبدأ جيل من الشباب يدخل دعوة الإخوان المسلمين، وكانوا يوجّهون فى البداية إلى التنظيم الكويتى ليقوم بعملية التربية والتكوين.

ووصل من بيروت إلى الكويت فى أغسطس ١٩٧٠م عبدالله أبو عزة حيث كان يمثل الإخوان الفلسطينيين فى «المكتب التنفيذى لإخوان البلاد العربية» بعد أن انفرط عقده سنة ١٩٦٩م[١] وكان أبو عزة يشغل منصب نائب المراقب العام للإخوان المسلمين الفلسطينيين ثم أصبح المراقب العام بعد استعفاء المراقب السابق، وطبقاً لما نص عليه النظام الأساسى للإخوان المسلمين تخلى عمر أبو جبارة عن رئاسة التنظيم المحلى للإخوان، ليصبح الدكتور عبدالله أبو عزة مسئول التنظيم فى الكويت بالإضافة إلى كونه المراقب العام للتنظيم فى

---

(١) عبدالله أبو عزة، (مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية) الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٠٨٦م، ص٢٠٥.

الدول العربية[١] . ويذكر بعض الإخوان[٢] أن عبدالله أبو عزة كان صاحب فكر وتخطيط وكان شخصية كبيرة ، فقد فكر منذ ذلك الوقت في العمل الفلسطيني السياسي وفي التنظيم الطلابي كأساس للعمل ، ولم يعجبه أن يتوجه الشباب إلى التنظيم الكويتي .

نشأت فكرة التنظيم الطلابي ما بين سنتي ١٩٧١م - ١٩٧٢م كما يقول أحد أول من عملوا فيه[٣] حيث وضع أبو عزة تصوراً مكتوباً عن ضرورة العمل في الأوساط الطلابية في المدارس والجامعات ، وأنه يرى في ورقته أن الحركة ستضعف وتتقلص إذا بقيت محصورة بين الكبار ، وأن المدد الشبابي ضروري لضخ الدماء في أوصال الحركة . غادر أبو عزة الكويت في صيف ١٩٧٢م ، كما غادر حركة الإخوان أيضاً في نفس الوقت دون أن ينجز ورقته في العمل الطلابي ، «فقد كان البعض يبدي تخوفه من الاندفاع في العمل في أوساط الطلاب لأنه سيشغل الحركة ، ويحتاج إلى كوادر كثيرة وسيكون سبباً في انكشاف الشخصيات الإخوانية وغير ذلك»[٤] .

في دورة مجلس الشورى للإخوان الفلسطينيين في البلاد العربية والتي عقدت في الكويت عام ١٩٧٣م ، تم اختيار المرحوم عمر أبو جبارة مراقباً عاماً للإخوان وبالتالي أصبح هو المسئول الأول عن التنظيم المحلي في الكويت ، وكان من أبرز قرارات مجلس الشورى تشكيل قسم الطلاب في جامعة الكويت[٥] ، وفي ديسمبر ١٩٧٤م كلف المجلس التنفيذي أحد الإخوة ليكون مسئولاً عن الطلاب يعاونه إخوان آخرون ، والتأم قسم الطلاب لتضم جلسته الأسبوعية إلى جانب المسئولين الثلاثة خمسة طلاب هم المسئولون المباشرون عن العمل الطلابي بكافة فروعه[٦] ترك اثنان منهم جماعة الإخوان فيما بعد لأسباب مختلفة ، وسوف يصبح أحد الثلاثة الآخرين فيما بعد عضواً للمكتب السياسي لحماس ، أما الآخر فيصبح أحد الوجوه البارزة للعمل الإسلامي الفلسطيني في أوروبا . كان كل واحد من أولئك الطلبة يشرف على مجموعة من المدارس ، وكان أبرزهم قد سافر لإكمال دراسته في أوربا والحصول على الدكتوراه ، بينما تسلم الآخر مسئولية المجموعة .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٠٦ .
(٢) (م . ع) مقابلة شخصية ، صنعاء ٩ / ٦ / ١٩٩٤م و(م . ف) مقابلة شخصية ، صنعاء ٢٢ / ٥ / ١٩٩٤م .
(٣) المرجع السابق (م . ف) .
(٤) المرجع السابق .
(٥) سليمان حمد (المحاضرة) ، مرجع سابق .
(٦) (م . ف) ، مرجع سابق .

بعد سفر عبدالله أبو عزة بدأ يسطع نجم سليمان حمد «أبو محمد» الذى كان أكبر سناً من إخوانه، والذى بدأ حياته السياسية عضواً فى «عصبة التحرر الوطنى» الشيوعية فى غزة لمدة قصيرة، ثم تركها وانضم للإخوان المسلمين منذ سنة ١٩٥١م، غادر غزة مبكراً ليصل الكويت سنة ١٩٥٣م ويعمل مع الإخوان المسلمين حتى فتنة «فتح» فى أوائل الستينيات، حيث قاطعه الإخوان فترة من الزمن لاتصاله بخليل الوزير وياسر عرفات[١] ثم عاد إلى الإخوان وأصبح له موقع وأثر لما تمتع به من حكمة وتجربة وثقافة، أصبح عضواً فى القيادة الثلاثية لإخوان الكويت سنة ١٩٧٣م مع عمر أبو جبارة، ثم أصبح الرجل الأول فى التنظيم المحلى منذ سنة ١٩٧٥م بعد وفاة أبو جبارة وحتى يناير ١٩٩٠م كما كان الرجل الثانى للإخوان المسلمين فى البلاد العربية بعد المراقب العام.

كان للأخ سليمان حمد دور بارز وأثر كبير على مسيرة التنظيم فى الكويت، والتى سيكون لها أثرها الكبير على الحركة الإسلامية الفلسطينية عموماً، وعلى مسيرة حركة حماس على وجه الخصوص، كان الرجل ميالاً للعمل الفلسطينى وتشجيع بذور العمل السياسى للحركة، ولعل أبرز آثاره اهتمامه بالطلاب وبجيل الشباب، وانتصاره الدائم لهم كلما اختلفوا على أمور مع الكبار وقد كان وراء قرار مجلس الشورى العام لسنة ١٩٧٦م فى دعم قسم الطلاب بالجامعة، وتخصيص ٧٥٪ من ميزانية تنظيم الكويت للعمل الطلابى.

ظهرت بعد ذلك بوادر المشاركة الإخوانية فى الساحة الطلابية العلنية بظهور «قائمة الحق» الإسلامية فى انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين - فرع الكويت، ثم بعد ذلك «الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين» فى جامعة الكويت حيث كانت نموذجاً يحتذى للطلاب الدارسين فى الخارج، حيث تأسست روابط طلابية إسلامية أخرى فى جامعات أوربا والهند وباكستان، وفى سنة ١٩٧٦م تأسس «قسم الخريجين» بإشراف «أبو هيثم» الذى أصبح بهذا رابع القيادة الثلاثية، كان الرجل مثابراً ومخلصاً وكان يعمل طيلة ساعات الليل والنهار، كما كان قريباً من الطلاب وقيادتهم، وقد أفاد الشباب من هذا القسم الذى وجدوا فيه إطاراً يستوعب الطلاب بعد تخرجهم وعملهم فلا يعودون إلى الهيكل الأم.

ثم تأسس قسم «المغتربين» ليتابع الطلاب الذين انتظموا داخل الكويت وسافروا إلى الخارج لمتابعة دراستهم الجامعية حتى تظل صلتهم قائمة بالتنظيم فى الكويت، كان القسم يرسل لهم مبعوثين إلى الهند وباكستان وأوربا وأمريكا والأردن وغيرها بين الحين والآخر، كما كان

---

(١) سليمان حمد، مقابلة شخصية، الكويت ٢٦ / ٢ / ١٩٩٠م.

يستقبلهم فى الإجازات الصيفية، وينظم لهم الأنشطة لتبقى الصلة والولاء والتبعية.

وفى انتخابات ١٩٨٢م حسب اللائحة الأردنية تم انتخاب القيادة المكونة من ثلاثة أشخاص هم: أبو محمد - المسئول - ومعه أبو أحمد وأبو هيثم، وتم تجاوز اللائحة فاختير الرابع فى الأصوات ليكون عضو الهيئة القيادية، وكان مسئول العمل الطلابى، كما تم أيضاً تجاوز اللائحة مرة أخرى فيما بعد حينما أضيف خامس للهيئة القيادية نظراً لمكانته وكفاءته[١].

أما فى انتخابات سنة ١٩٨٦م والتى جرت حسب اللائحة القطرية، فقد أصبح عدد أعضاء المجلس التنفيذى تسعة بما فيهم المسئول ونائبه اللذان يقفان مع الشباب وطموحاتهم، وقد استكمل الشباب سيطرتهم على جميع المفاصل الهامة فى التنظيم حيث تسلم أحدهم مسئولية «قسم فلسطين» الذى تم انشاؤه ليجمع كل الأطر واللافتات والأنشطة العاملة لفلسطين فى المجالات السياسية والإعلامية والخيرية والنقابية وغيرها، وتسلم عضو اللجنة التنفيذية الآخر مسئولية «قسم التخطيط» ومعه آخرون من الشباب، حيث قاموا بإعادة هيكله التنظيم حسب ما يخدم خططهم وأفكارهم، وكان قد تأسس فى ذلك الوقت «الجهاز العام لفلسطين» الذى كان لشباب الكويت فيه دور جوهرى وأساسى، وازدادت أهميته فى أوائل عام ١٩٩١م بعد إخراج الجالية الفلسطينية من الكويت، وانفراط التنظيم الإخوانى فيها، مما سهل على قيادات «حماس» فى الخارج عملية توظيف طاقات الكثيرين من شباب الكويت الذين كانوا أعضاء فى التنظيم الطلابى.

صراع الأجيال:

اتسع العمل الطلابى، وكثرت أعداد الطلاب ومن ثم الخريجين والمغتربين، وبدأت منذ بداية العمل تتسع الخلافات بين مسئولى الطلاب من جهة والمسئولين الذين تم تعيينهم للإشراف على العمل الطلابى، كان الكبار ثلاثتهم معروفين بالانضباط الشديد والحزم مما جعلهم يصطدمون بطموح الشباب واندفاعهم، وبعض الغرور الذى يمكن أن يصيب شباباً تعدوا العشرين بسنوات قليلة، وكان الشباب دائماً يجدون لهم مناصراً ومدافعاً قوياً، ألا وهو رأس التنظيم، مما جعل مسئولى الشباب كثيراً ما يتجاوزون المشرفين عليهم ويتصلون بالمسئول الأول، ويأخذون كل ما يريدون.

وتم تغيير المشرفين على الطلاب، وفى كل الأحوال استطاع مسئولو العمل الطلابى، أن

---

(١) (م. ع)، مرجع سابق.

يقودوا الطلاب كما يريدون، ويحجبوا ما يشاءون عن القيادة، وفي أحسن الأحوال يقومون بإطلاع المسئول الأول عن عملهم، كانت شكاوى المشرفين على الطلاب - والتى لم يؤخذ بها - تأخذ طريقها إلى زملائهم من الكبار، وكانت تتلخص فى عدم انضباط الشباب واندفاعهم وضيقهم بالمسئولين عنهم وضعف الجرعة التربوية عندهم.

أما شكاوى مسئولى الطلاب - والتى كان يؤخذ بها دائماً - فلأنها تصل إلى القواعد الطلابية وكأنها مقرر تنظيمى منذ ١٩٧٤م، كانت تصل إلى القواعد بصورة أن الكبار «مترهلون»[١] ولا يعيشون عصرهم، وثقافتهم محدودة، وأقصى ما يرتجى منهم تلك الدنانير التى يدفعونها كاشتراكات شهرية أو يتبرعون بها ويصرفها الشباب على الأمور المفيدة، كما أنه يمكن الاستفادة منهم بطريقة أخرى، وهى كسب أبنائهم للحركة.

كانت شكاوى بعض الكبار لإخوانهم تصطدم بحواجز متعددة، منها التقوى الغالبة التى تبدو مظاهرها على الكبار، وعدم حب الدخول فى القيل والقال والنجوى وغير ذلك، ومنها زهد بعض الكبار وإحساسهم بالشيخوخة ورضاهم بحَملة جدد للراية يكونون أكثر شباباً وقدرة، ومنها السمة الغالبة لجماعة الإخوان فى كل زمان ومكان من طاعة واحترام رأى القيادة والولاء لها كجزء من الولاء للجماعة الذى هو ولاء لله وللإسلام فى نظرهم.. عموماً لم يكن موضوع الطلاب يمثل قضية عند الكثيرين من الكبار، فإذا ما طرح سؤال فى أحد الجلسات عن الطلاب وتكلم «أبو محمد» موضحاً ترتاح النفوس وتطمئن وتستجيب لكلام المسئول، أما شكاوى مسئولى الطلاب التى تصل إلى قواعدهم كأنها مادة فى البرنامج التنظيمى الثقافى، فإنها تسرى فيهم كواحدة من المسلمات لا تجد أمامها حاجزاً واحداً.؟

توج الشباب انتصارهم فى معركة خاضوها من جانب واحد عام ١٩٨٢م حينما انتخب أبرزهم عضواً فى المجلس التنفيذى، أعلى هيئة قيادية للتنظيم فى الساحة، وأصبح المسئول الأول عن قسم الطلاب، وبدأ الطلاب الخريجون والمغتربون يعملون بخطى واسعة، ويترجمون طموحاتهم أعمالاً ولجاناً وأقساماً، وأدخلوا الكثير إلى العمل التنظيمى.

وكان أكثر الإخوة الكبار راضين بما ألفوه من العمل واعتادوا عليه من لقاء الأسرة الأسبوعى ولقاء الكتيبة وزيارة المقابر والاجتماع على الطاعات أو الرحلات وأنشطة التكافل والزيارات، كما كانوا راضين عن أنشطة الشباب المتزايدة طالما أن القيادة راضية عنها، كما كانوا مستعدين دائماً وبإخلاص لتقديم العون للشباب كلما طلب ذلك منهم من تبرع بأموال

(١) (م. ف)، مرجع سابق.

إضافية أو حث أولادهم وبناتهم للانخراط في أعمال الشباب في الجامعة والمدارس والمساجد والبيوت، أو تسخير بيوتهم وسياراتهم لخدمة لقاءات الشباب وأنشطتهم.

وكان البعض من الكبار لا يرضيه استقلال الشباب ومحاباتهم في العمل والميزانية، وإهمال شعب الكبار كما يصورون، فلما جاء موعد انتخابات ١٩٨٦م حاول هؤلاء أن يؤسسوا تكتلاً يهدف إلى إزاحة أبو محمد عن رأس التنظيم وضم الشباب وخلطهم في هياكل الكبار حتى لا يحدث شرخ في التنظيم.

لم تنجح المحاولة، لأن أصحابها لم يريدوا لها النجاح، كانت دعوة خجولة، فالذين قاموا بها ينتابهم شك في صلاحية هذه الأساليب في دعوة الإخوان المسلمين «المباركة»، فهم يقولون أنهم يحبون إخوانهم وقيادتهم ويحبون الشباب الجديد، وهم مقتنعون أن الحملات الانتخابية داخل صفوف إخوانهم مرفوضة، لكنها ربما كانت محاولة للتعبير عن الرأى الذى تصوروا أنه لم يسمع لهم أبداً، لم يكن لهم برنامج، ولم يكن عندهم البديل، ولم تكن بينهم شخصية يمكن أن تقود التنظيم.

أما في الجانب الآخر فقد كان كل شيء مرتباً ومدروساً، كانوا يرفعون ما يريدون، فأعيد انتخاب «أبو محمد» رئيساً للتنظيم، ولم يعد في المجلس التنفيذى من رموز الكبار سوى اثنين جرى تهميش دورهما، أو أنهما آثرا العزلة داخل المجلس أو الاثنين معاً، أما السبعة الآخرون منهم فهم إما من الشباب أو من الكبار الذين يؤيدونهم[1].

لقد استطرد البحث في هذا الموضوع لما له من أهمية مستقبلية في تحليل السياسة التي سيكون لها أثر كبير على هيكل «حماس» وتشكيلاتها وأسلوبها في العمل، فصراع الأجيال ظاهرة طبيعية في كل عمل سياسي، لكنه في داخل حركة الإخوان المسلمين يمر في أكثر أحواله بصورة طبيعية، كأنه داخل الأسرة الواحدة، حينما يتسلم الابن الراية من أبيه، فالوالد يحب لولده التوفيق والنجاح ويساعده بكل إمكانياته لتحقيق ما عجز هو عن تحقيقه، والولد يحمل لوالده مشاعر الحب والاعتزاز والولاء ويطلب النصيحة منه، ففي داخل الإخوان يتربى الصغار على أيدى الكبار كما في الأسرة الواحدة.

في قطاع غزة مثلاً أصبح أكثر الإخوان من الشباب، لكن لم تحدث مثل ظاهرة الكويت، لأن التربية كانت طبيعية، كان الشباب يتربون على أيدى الكبار، فهم شيوخهم وآباؤهم الروحيون، كان الشباب يجدون في الشيخ أحمد ياسين أستاذهم وقائدهم، لا بنفسه فقط،

(١) يرجع الباحث إلى عدد من المقابلات التي أجراها مع بعض أعضاء التنظيم، كما يعود في كثير من المعلومات إلى تجربته الشخصية.

ولكن ممثلاً لكل الجيل الكبير، ففي المؤسسات نجد الشيوخ والشباب وكذلك في العمل السياسي، وحتى في الكتل الإسلامية في الجامعات يرجع الشباب إلى شيوخهم في كل الأمور المهمة، وكان الشيوخ دائماً في المقدمة.

وفي مدن الضفة الغربية وقراها، كانت عودة الشباب بعد تخرجهم من الجامعات العربية، رافداً ومدداً للعمل الإخواني في الضفة الغربية، وإن حدثت أحياناً بعض الاختلافات، فإنها تكون حالات خاصة ولها أسبابها، فلم تكن هناك ظاهرة صراع.

وكذلك في الساحة الطلابية في الجامعات المصرية، حيث كان الشباب وحدهم رغماً عنهم، ومع ذلك كان أكثرهم نموذجاً معبراً عن الإخوان وعلاقات بعضهم ببعض، فمن رجع منهم إلى غزة أو سافر إلى غيرها استأنف عمله الإخواني بصورة طبيعية.

أما في الكويت فقد ربى الشباب أنفسهم بأنفسهم، فإذا ما سألت أحدهم من مربيكم أو شيخك ! يقول لك بكل اعتزاز فلان الذي يكبره بسنتين أو ثلاث وأحياناً يكون في مثل سنه، وانقطع عندهم الحبل الممتد من حسن البنا، فلم يعد عمر الواحد بعمر دعوته، سبعين سنة، كان ولاؤهم لقيادتهم، وكانت الجندية عند قواعدهم في أكثر الأحوال خوفاً من المسئول أكثر منها حباً له، كانت قيادات الشباب في تعاملها مع المعارضين من القواعد تفتقر إلى عطف الكبار وتقبلهم للرأي الآخر، فيواجه المعارض قسوة أو إبعاداً أو إهمالاً أو تشويهاً.. فنشأت أجيال من الشباب هدفها الأول إرضاء مسئوليهم حتى لا يغضبوا عليهم، نشأوا أيتاماً وآباؤهم أحياء يرزقون، وكأن لسان حالهم يقول: لم نجد مع الجيل السابق راية نتسلمها وكأنهم الذين بدأوا كل شيء مما ولد عند قياداتهم نوعاً من الغرور والعناد وحب الرياسة والتخطيط للاحتفاظ بها.

كان للكبار إيجابياتهم وسلبياتهم، وكانتا معاً عوامل ضعف لهم إذا ما أراد بعضهم أن يواجه الشباب، فمن إيجابياتهم التقوى والورع والزهد والولاء والمحبة، وهذه كلها تمنعهم من تصعيد المواجهة، ومن سلبياتهم الجمود على الماضي وعدم امتلاك أساليب الإدارة والتخطيط، وهذه أيضاً تمنعهم من النجاح في مواجهة الشباب.

وكان للشباب أيضاً إيجابياتهم وسلبياتهم، وكانتا معاً عوامل قوة لهم في مواجهة الكبار، فمن إيجابياتهم النشاط والحركة والتخطيط والحماسة والطموح والتطوير والتجديد، ومن سلبياتهم المناورة واتباع أساليب لا يحسن استخدامها داخل الحركة الإسلامية، وكأنهم يواجهون حزباً منافساً بالإضافة إلى الغرور والاعتداد بالنفس.

المبحث الثانى
الهياكل التنظيمية

عاش التنظيم الفلسطينى للإخوان المسلمين لمدة خمس عشرة سنة منذ أن فك ارتباطه مع التنظيم المصرى في أوائل الستينيات وعقد أول مجلس شورى له عام ١٩٦٣م، وانتخب له لجنة تنفيذية ومراقباً عاماً أشرف على المكاتب الإدارية في الساحات المختلفة، وظل ذلك حتى عام ١٩٧٨م حيث أكمل خطوات التنسيق والوحدة مع الإخوان المسلمين فى الأردن[١].

أما ما ينسبه الدكتور زياد أبو عمرو للأستاذ يوسف العظم، أحد القيادات التاريخية للإخوان في الأردن «أن الإخوان فى قطاع غزة والضفة الغربية والأردن انضووا تحت لواء تنظيمى إخوانى فلسطينى أردنى موحد يخضع لقيادة واحدة ويطلق عليه اسم «الإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين»، وقد تشكل هذا التنظيم بعيد الاحتلال الإسرائيلى عام ١٩٦٧م[٢]، فهو يؤكد الاندماج بين الطرفين لكنه لا يحدد التاريخ بدقة، ولم تتغير الأمور كثيراً بعد الاندماج حيث ظلت المكاتب الإدارية للإخوان في الساحات المختلفة تعمل بنفس أسلوبها في شبه استقلال عن قيادة التنظيم في عمان.

المؤسسات التنظيمية:

١- **مجلس الشورى**: ويتكون من حوالى خمسة عشر عضواً يمثلون الإخوان الفلسطينيين في مختلف الساحات حسب أعدادهم، وكانت مدته أربع سنوات ويجتمع كل سنتين، وكان من مهماته اختيار المكاتب الإدارية للأقطار فى كل من الكويت والسعودية وقطر ومصر وليبيا وسوريا وغيرها، كما أنه يختار اللجنة التنفيذية ورئيسها (المراقب العام) كل أربع سنوات، وقد عقد خمس دورات بعد حرب ١٩٦٧م، وكانت آخر دورة له عام ١٩٧٧م حينما تبنى اقتراح الدمج مع الأردن[٣].

٢- **اللجنة التنفيذية**: وهى أعلى هيئة تنفيذية للتنظيم ويرأسها المراقب العام وتعقد جلسة كل ستة أشهر، وقد كان أول رئيس لها المرحوم هانى بسيسو، وقد حلت بعد قرار الدمج عام ١٩٧٨م.

---

(١) سليمان حمد (المحاضرة)، مرجع سابق.

(٢) زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ص٢٨.

(٣) سليمان حمد (المحاضرة).

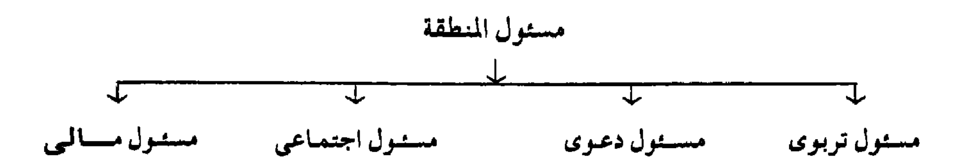
٣- **المكاتب الإدارية**: حيث يوجد مكتب إدارى للإخوان الفلسطينيين فى كل ساحة يقود العمل الإخوانى فيها، وقد كان مجلس الشورى يختار المكتب الإدارى لكل قُطر فى الكويت والسعودية وقطر وسوريا وليبيا وغيرها، وبقيت المكاتب الإدارية على حالتها بعد قرار الدمج، إلا أنها أصبحت فيما بعد مكاتب منتخبة يقوم الإخوان فى كل ساحة بانتخابها.

المكتب الإدارى (المجلس التنفيذى):

تتشابه هياكل التنظيمات المحلية فى كل الساحات ويقف على قمتها المكتب الإدارى الذى يقود العمل فى الساحة، وكان يزداد أعضاء المكتب الإدارى مع الزمن ومع تنامى « الجسم التنظيمى وزيادة مهماته، فقد كانوا فى البداية ثلاثة أعضاء بمن فيهم الرئيس، الذى يوكل مسئولية الأسر والمنهج التربوى لأحدهما ويوكل مهمة الإشراف على الأعمال الأخرى للآخر، ويمكن أن تعطى مسئوليات أخرى لآخرين من خارج المكتب الإدارى كمسئولية الطلاب أو المالية أو غيرها.

وكانت الهياكل تختلف أحياناً من قُطر لآخر نظراً لاختلاف الحجم أو الظروف الأمنية، وإذا أخذنا الكويت كنموذج متقدم، فإن المكتب الإدارى أصبح عدد أعضائه أربعة عام ١٩٨٢م حيث انضم إليه مسئول العمل الطلابى، ثم وبعد فترة قليلة أصبحوا خمسة أعضاء ثم تسعة أعضاء إثر انتخابات ١٩٨٦م، يشرف كل عضو منهم على قطاع كامل من العمل.

مجلس المنطقة: وكانت الساحة تنقسم إلى عدة مناطق أو شعب جغرافية بالإضافة إلى شعبة اعتبارية أخرى هى شعبة الطلاب، ولكل منطقة أو شعبة مسئول يعينه المكتب الإدارى ومعه مجلس المنطقة المعين أيضاً من قبل المكتب الإدارى.



١- **المسئول المالى**: وهو المسئول عن ميزانية الشعبة ومصروفاتها، كما يقوم بجمع الاشتراكات من أفراد الشعبة وتسليمها إلى المسئول المالى فى المكتب الإدارى.

٢- **المسئول الاجتماعى**: ومعه لجنة اجتماعية مهمتها تلقى الأخبار الاجتماعية وتوزيعها على باقى الأفراد والقيام بالزيارات الاجتماعية فى الأفراح أو الأحزان وتنظيم احتفالات

التخرج أو التوديع عند السفر أو غير ذلك.

٣- **المسئول الدعوى**: وهو مسئول عن كل أعمال الدعوة والاستقطاب فى المنطقة وتكوين الأسر المفتوحة أو الحلقات التنظيمية الأولية لتأهيل المتقدمين للتنظيم.

٤- **المسئول التربوى**: وهو المسئول عن الأسر التنظيمية ومناهجها التربوية وأنشطتها.

الأسرة: وهى تتكون من ثلاثة إلى ستة أفراد يرأسهم «نقيب» الأسرة، ويلتقون مرة واحدة على الأقل كل أسبوع فى بيت أحدهم، لقاء سرياً تتخذ له كل الاحتياطات الممكنة، ويتكون لقاء الأسرة من عدة فقرات دينية وثقافية منها فقرة القرآن الكريم حفظاً وتفسيراً، بالإضافة إلى الحديث الشريف والفقه والفكر وفقرة تنظيمية عن أحوالهم، وأضيف إلى ذلك فيما بعد فقرات سياسية تخص القضية الفلسطينية، وكانت تلتقى الأسرة لقاءات أخرى لقيام الليل أو الإفطار الجماعى، أيام الاثنين أو الخميس أو لزيارة مريض أو غير ذلك، ويختلف ذلك من أسرة إلى أخرى حسب ظروف أفرادها الوظيفية وحسب نشاط النقيب وقدراته، وفيما بعد ومع تطور العمل التنظيمى أصبح يطلب من كل أسرة نشاطات كهذه.

والأسرة هى النواة الأولى والأساسية فى التنظيم، وفيها يتم التعرف على الأفراد وإمكانياتهم ومحاولة تطوير هذه الإمكانيات والارتقاء بها، وفيها يميز الأخ النشيط والمتقدم عن الأخ الضعيف على أساس الانتظام والطاعة وحضور الجلسات والالتزام الدقيق بالمواعيد وحفظ الآيات المطلوبة ودراسة الموضوعات المقررة ودفع الاشتراكات بانتظام والتقيد بالأوامر التنظيمية وعدم إفشاء أسرار الأسرة حتى للإخوان وعدم تجاوز النقيب فى الاتصالات.. إلخ.

النقباء: يكاد يكون النقيب أهم وظيفة تنظيمية، لذلك يتم اختيار النقباء بعناية وحسب شروط معروفة من العمر التنظيمى والانضباط والثقافة، كما تجرى دورات للنقباء أو من يتم اختيارهم ليكونوا نقباء، ويجتمع النقباء فى مجلس لهم يرأسه المسئول التربوى فى المنطقة بصورة دورية لمتابعة أوضاع الأسر حيث تصعد أخبار الأفراد إلى أعلى من النقباء وتنزل توجيهات القيادة من مسئول المنطقة إلى الأفراد عن طريق النقباء.

الرقباء: وبعد ازدياد الأسر وبالتالى النقباء وتعذر اجتماع المسئول التربوى بهم جميعاً، قسمت المنطقة إلى عدة أقسام، حيث يلتقى كل خمسة نقباء أو أقل أو أكثر مع مسئول لهم يسمى «رقيب» وهؤلاء الرقباء يكونون المجلس التربوى المسئول فى المنطقة، أى أن الدرجات التنظيمية فى الإخوان هى: فرد، نقيب، رقيب.

شعبة الطلاب : كانت شعبة الطلاب بالإضافة لما سبق من أعمال وتشكيلات فى المناطق تضم إلى هيكلها العمل فى الجامعة والرابطة الإسلامية واللجان الإعلامية وغير ذلك من أعمال .

تطور الهيكل التنظيمى:

استطاع التنظيم بعد انتخابات سنة ١٩٨٦م أن يطور كثيراً من هياكله بعد دخول الدم الشاب إلى القيادة ، وكانت قيادات الشباب قد اتصلت فيما مضى بالساحات الإخوانية فى الدول العربية وأوربا وأمريكا ، وبالجماعات الإسلامية الأخرى فى تركيا وباكستان والسودان وشمال أفريقيا ، فاكتسبوا الخبرة والعلاقات وتأثروا بما يجرى هنا وهناك .

أصبح المكتب الإدارى أو «المجلس التنفيذى» تسعة أعضاء : الرئيس ونائبه وأمين السر ومسئولى الأقسام : التربوى والدعوى والاجتماعى والتخطيط والطلاب وفلسطين وأصبح المجلس التنفيذى مجلس مهمات وخطط وأهداف توضع ، وعقدت حلقات بحث فى كثير من الأمور التنظيمية مثل الاستدراك والفتور التنظيمى وغير ذلك .

واتسعت أعمال قسم الدعوة ، وأصبحت أكثر تنظيماً وجدوى ، ووضعت الأسس الدقيقة لقبول الأعضاء الجدد ، كما اتسعت أعمال القسم التربوى وقسم الطلاب، إلا أن أهم إضافة هيكلية كانت هى استحداث قسم التخطيط وقسم فلسطين .

١ - **قسم فلسطين** : لم يكن العمل للقضية الفلسطينية جديداً على التنظيم ، فقد كانت هناك اللافتات واللجان العاملة ، ولكن استحداث القسم جاء ترجمة لتوجهات الحركة تجاه العمل السياسى والعسكرى للقضية الفلسطينية ، فجمع القسم كل هذه اللجان الموزعة بين الطلاب والمناطق والمجلس التنفيذى وطورها وأضاف إليها ، وأصبح للقسم مجلس من الأعضاء المختصين يضعون الخطط ، ويشرفون على تنفيذها ، وسوف نفصل ذلك فى المبحث القادم عن العمل لقضية فلسطين .

٢ - **قسم التخطيط** : تسلم قسم التخطيط أحد قادة الشباب ومعه ثلاثة آخرون من قيادات الشباب ، وكان من مهماته مراقبة تنفيذ الخطط فى جميع الأقسام ، ومضى عمله فى اتجاهات متعددة :

(أ) **فرز الطاقات** : قام القسم بعملية واسعة شملت المئات من أعضاء التنظيم بغرض التعرف على الطاقات والإمكانات باستخدام الطرق العلمية من استبيانات واختبارات

ومقابلات شخصية، وأصبح لكل أخ في التنظيم استمارة توضح طاقته وقدراته ومواهبه وخبراته وعلاقاته ومواطن القوة ومواطن الضعف.

(ب) الدورات والتأهيل: وبناء على فرز الطاقات، عقدت الدورات التأهيلية للارتقاء بمستوى الأفراد، وأصبح النقيب درجة تنظيمية لا تنال إلا باجتياز دورة طويلة للنقباء تستمر تسعة أشهر، يتلقون فيها المحاضرات المتخصصة ويمارسون فيها التطبيق العملي، ويقدم كل واحد منهم في نهايتها بحثاً بالإضافة إلى الاختبار، كما عملت دورات تنشيطية للنقباء القدامى للارتقاء بمستواهم، كما قام القسم بعمل دورات أخرى مثل الدورة السياسية ودورة قياديين وغيرها.

(جـ) التعبئة والمحاضرات الداخلية: ينسق قسم التخطيط مع الأقسام الأخرى ذات العلاقة لعمل محاضرات داخلية تطوف على جميع الإخوان لاستكمال ما يراه القسم ضرورياً وخاصة تلك المحاضرات الخاصة بفلسطين والمنظمات الفلسطينية.

(د) الكمبيوتر: أدخل القسم الكمبيوتر في عمله، وقام بتخزين نتائج الفرز والدورات والمحاضرات بالإضافة إلى الوثائق التنظيمية واللوائح وغيرها.

(هـ) هيكلية التنظيم: أصبحت هناك قناعة بأن الهيكل التقليدي للتنظيم لم يعد قادراً ولا مناسباً للتطور التنظيمي والمهمات المطلوبة وخاصة في مجال العمل الفلسطيني السياسي وغيره، لذلك وضع القسم خطة متقدمة للهيكل التنظيمي المقترح كانت أكثر عملية وجرأة في تاريخ أي تنظيم، وهي إعادة هيكلة التنظيم الذي يزيد عدد أفراده العاملين عن ستمائة عضو، فلم تعد الأسرة التربوية هي البنية الأساسية في التنظيم، وأصبحت هناك أسر عمل ولجان عمل.

كانت الخطة إلى جانب جرأتها تتميز بالذكاء وكانت ضرورية للارتقاء بالعمل التنظيمي، لكنها لكونها تفتقر إلى حكمة الكبار، تعثرت ولم تنجح إلا بالولادة القيصرية. ولعل استعجال الشباب في التنفيذ قبل أن تنتهي دورة المجلس التنفيذي، وتمشياً مع متطلبات عمل «الجهاز العام لفلسطين» ورغبة في فرضه كأمر واقع على المجلس التنفيذي القادم، جعلهم ينفذون هذه الخطة في شهرين أو أربعة شهور مع أنها تحتاج لأكثر من سنة حتى تمر بمرونة ويسر واستيعاب، فبسبب إشكالات الاتصال والتوصيل (لأن التنظيم في أقصى درجات السرية)، ظل العشرات من الإخوان شهوراً لا يعرفون لهم مكاناً في الهيكل الجديد، وأصيب الكثيرون بالإحباط والشعور بالإهمال، ولو أضيف لطموح الشباب وذكائهم حكمة الكبار

وحسن تصرفهم، ولو تخلى الشباب عن عنادهم واعتدادهم بآرائهم لتمت العملية بنجاح وسهولة.

الشورى والانتخابات:

كانت تجرى الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس الشورى وأعضاء المجلس التنفيذى، أما المراتب التنظيمية الأخرى فى المناطق والأقسام فيجرى تعيينها من قبل المجلس التنفيذى، وكان يشترط فيمن يحق له الانتخابات أن يكون قد مضى على بيعته أربع سنوات بالإضافة إلى دفعه للاشتراكات وغير ذلك، ثم أصبحت المدة سبع سنوات على الأقل فى انتخابات ١٩٨٦م، ولما كثر عدد الإخوان وأصبح اجتماع كل من تنطبق عليهم الشروط فى مكان واحد متعذراً، فقد قرروا انتخاب هيئة وسيطة سميت «الهيئة المنتخبة» تقوم كل شعبة بانتخاب عدد يحدد لها، متناسباً مع حجمها، ثم يجتمع هؤلاء المنتخبون الذين وصل عددهم فى آخر انتخابات خمسة وخمسين فرداً، ثم تقوم الهيئة المنتخبة باختيار أعضاء مجلس الشورى فى اقتراع سرى، وتنتخب رئيس المجلس التنفيذى ثم نائبه ثم أعضاء المجلس التنفيذى.

والانتخابات دائماً فى التنظيمات السرية تكون لصالح القيادة القديمة، لأن المناطق غير متصلة بعضها ببعض، فإن برز عضو قيادى فى منطقة فإنه يأخذ أصوات منطقته، لكنه لا يأخذ شيئاً من المناطق الأخرى، بعكس القيادة القديمة المعروفة لجميع المناطق، فإنها تأخذ الأصوات من كل المناطق، وهى وإن قلت تكون فى مجموعها أكثر من أصوات الآخرين.

وشذ عن ذلك الطلاب، لأنهم على صلة ببعضهم فى جميع المناطق، فيحصل مرشحوهم على أصوات كثيرة، كما تؤثر أصواتهم فى الكبار الذين يتفق الطلاب فيما بينهم على إعطائهم الأصوات، كما شذ عن ذلك أيضاً القليل من الشخصيات العامة والمعروفة من الجميع.

مجلس الشورى: وكان فيما مضى يسمى «مجلس الرقباء»، وهو الهيئة التشريعية الرئيسية التى تراقب عمل المجلس التنفيذى، وتجتمع مرة كل ثلاثة شهور، كان أداء المجلس ضعيفاً لأسباب منها: أن جميع أعضاء المجلس التنفيذى هم أعضاء فى مجلس الشورى البالغ واحداً وعشرين عضواً، فقد كان دائماً من السهل على المجلس التنفيذى أن يأخذ كل القرارات التى يريدها خصوصاً إذا علمنا أن رئيس مجلس الشورى هو رئيس المجلس التنفيذى، بالإضافة

إلى ضعف الأصوات المعارضة فى العادة.

أما فى انتخابات ١٩٩٠م - وبعد أن انسحبت معظم القيادات من المجلس التنفيذى لانهماكها فى عمل «الجهاز العام لفلسطين» - فقد نجحت فى تكريس وضع جديد أكثر تطوراً وشورية، حيث أصبح لمجلس الشورى رئيس آخر غير رئيس المجلس التنفيذى، كما أصبح أعضاء المجلس التنفيذى خارج مجلس الشورى ما عدا الرئيس ونائبه. ولم تكن هذه المجموعة تستهدف تكريس الديمقراطية والشورى بقدر ما أرادت أن تحتفظ بنفوذها السابق بعد أن ترك معظم أفرادها المجلس التنفيذى وحافظوا على وجودهم فى مجلس الشورى بالإضافة إلى تفرغهم التنظيمى فى أعمال الجهاز العام لفلسطين بعد أن كثرت الأعباء الملقاة على عواتقهم بعد عامين من تأسيس حركة حماس.

المبحث الثالث
العمل لقضية فلسطين

كان لابد من العمل للقضية الفلسطينية، لما تمثله أرض فلسطين من موقع روحى فى قلوب المسلمين، ولما يمثله تاريخ الإخوان على أرض فلسطين الذى كتبوه بدماء الشهداء.. ولقد أثبتت تجربة الخمسين سنة الماضية أن الإخوان المسلمين وخاصة الفلسطينيين منهم إذا انخرطوا فى الجهاد والعمل لخدمة فلسطين، قويت شوكتهم وكثرت أعدادهم وازدادت شعبيتهم، وإذا انعزلوا عن هذه الدائرة ضعفوا وتقلصوا، وقلت شعبيتهم، وكثرت الاتهامات لهم.

تفجر الإسلام السياسى فى الجامعات المصرية، وانتصرت الثورة الإيرانية، وبزغ الجهاد الأفغانى، وكثرت الاتهامات بالاهتمام بأفغانستان وإهمال فلسطين، كل هذا مع ازدياد عنصر الشباب فى جماعة الإخوان المسلمين الذين استطاعوا فى تلك الفترة أن يصلوا إلى مواقع القرار والتأثير فى التنظيمات الفلسطينية الإخوانية خارج الأرض المحتلة، ونفوسهم تمور بالآمال والطموحات والحماسة، تشجعهم أخبار إخوانهم فى الأرض المحتلة الذين فرضوا مكانتهم منذ ١٩٨٠م على المجتمع والجامعات.

كان الجيل القديم خارج الأرض المحتلة غير قادر على تحمل أعباء هذا العمل، فحركة «فتح» أخذت منهم معظم العناصر القيادية والطموحة والقادرة على الفعل والمبادرة، أما ما تبقى فى نفوسهم من رغبة التصدى والمواجهة فقد أخذته السجون وملاحقة الأنظمة، وظلوا يتجمعون

حول بعضهم مخافة الأخطار، تستحوذ عليهم فكرة تآمر جميع الأطراف عليهم دون أن يفعلوا شيئاً يذكر، فهم ينفعلون مع أحداث سوريا والقتال في أفغانستان ولا ينفعلون مع فلسطين إلا انفعال أضعف الإيمان، لأن التفاعل مع فلسطين يتطلب قدرات وإمكانات وتبعات.

ولم يستطع الجيل القديم خارج فلسطين أن يوقف زحف الأجيال الشابة تجاه العمل لفلسطين، فعواطف الكبار وإخلاصهم المتميز وحبهم لوطنهم ودينهم أمر لا شك فيه، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون ولا من أين يبدأون، لذلك شجعوا الجيل الجديد ووقفوا معه ورضي الكثيرون منهم أن يكونوا جنوداً في هذه المعركة، لقد مل الشباب ترديد قصص وجهاد الإخوان في الأربعينيات وفي معسكرات الشيوخ في الأردن ما بين ٦٨ - ١٩٧٠م، وأرادوا أن يصنعوا القصص بأنفسهم فبدأ النشاط في الجامعات في الكويت وبريطانيا وأمريكا وغيرها، ثم تطورت هياكل العمل الفلسطيني في الخارج، لكنها ظلت أقل حماسة وخبرة ومعاناة من مثيلاتها التي تتشكل وتنمو وتتطور داخل الأرض المحتلة، وخاصة في مركزها - قطاع غزة.

معسكرات الشيوخ:

يردد الإخوان المسلمون وخاصة في محاضراتهم الداخلية قصص البطولات التي سطروها ما بين ١٩٦٩م و١٩٧٠م ذلك في معرض حديثهم عن مشاركة الحركة في مواجهة الصهيونية، ولتفنيد الاتهامات التي توجه إليهم بالابتعاد عن القضية الفلسطينية، فقد أسس الإخوان أربع قواعد فدائية تحت اسم «فتح»، وكان الناس يطلقون عليها «قواعد الشيوخ»[1]، وقد قاموا بعدة عمليات عسكرية مثل معركة المشروع روتنبرغ ومعركة حزيران ١٩٧٠م وعملية «سيد قطب» وعملية «الحزام الأخضر».

وقد شارك الإخوان في المعسكرات من مختلف الجنسيات من مصريين وسوريين وأردنيين وسودانيين ويمنيين وغيرهم، واستشهد لهم ١٣ شهيداً[2] منهم محمد سعيد باعباد اليمني ورضوان بلعة الدمشقي وصلاح حسن المصري وزهير قيشو الحموي وإبراهيم عاشور الفلسطيني وغيرهم.

كانت معسكرات الشيوخ بالتأكيد تجربة تاريخية للإخوان المسلمين في إطار القضية

---

(١) عبدالله عزام، (حماس: الجذور التاريخية والميثاق)، بيشاور (باكستان): ١٩٨٩م، ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٨٦ - ٨٧.

الفلسطينية يمكن أن تضاف إلى تجاربهم السابقة واللاحقة، لكنها لم تكن بالصورة التى يبالغ فيها بعض الإخوان، وخاصة فى إطار ردهم على الاتهامات التى توجه إليهم بعدم المشاركة فى مواجهة الاحتلال فى سنواته العشر الأولى، لقد كانت تجربة ناقصة وغير مكتملة وذلك لأسباب ثلاثة:

الأول: أنها لم تكن تجربة مستقلة، فلم يؤسس الإخوان حركة فدائية لها أهدافها واستراتيجيتها وقياداتها وهياكلها التنظيمية، بحيث تمثل وجهة نظر الإخوان فى الصراع مع اليهود، وتعمل على تعبئة جماهيرها والجماهير عامة حول مشروع جهادى أو سياسى تتحمل الحركة أعباءه، بحيث تقوى هذه الحركة وتنجح، أو تضعف وتفشل، مثلما عمل غيرهم عندما أسس القوميون العرب «الجبهة الشعبية» أو أسس البعثيون الموالون لسوريا منظمة «الصاعقة» أو «الأنصار» أو غيرهم، كانت مجرد معسكرات وقواعد تعمل تحت اسم «فتح» وتحت حمايتها أيضاً، «فقد كان الإخوان المصريون المهاجرون خارج مصر، وكذلك الإخوان الكويتيون والسودانيون يرون فى فتح حركة إخوانية، ويحتفظون لقادتها بكل مشاعر الأخوة»[1].

الثانى: وكانت أيضاً تجربة ناقصة لأن الإخوان الفلسطينيين - وهم الطرف الأهم فى هذا الموضوع - لم يوافقوا على الفكرة أصلاً ولم يشاركوا فيها، «فقد اعترض الفلسطينيون على الفكرة لأسباب عملية وموضوعية شرحوها فى مذكرة طويلة جرى توزيعها على قيادات الإخوان فى البلاد العربية»[2].

كان أهم ما جاء فى المذكرة «أن الإخوان لا يعترضون على إقامة المعسكر ولا على مباشرة القتال من حيث المبدأ، ولكن إمكانيات الإخوان من حيث المال والسلاح وحرية الحركة لن تسمح لهم بالقيام بأى دور فعال، لأن القوى المسيطرة على الدول العربية وكذلك القوى الفلسطينية الموجودة على الساحة الأردنية معادية للإخوان، كما أن الإخوان الفلسطينيين أدركوا أن المعركة وشيكة بين السلطة الأردنية والمنظمات الفلسطينية»[3] بالإضافة إلى موقف الإخوان الفلسطينيين من «فتح» والمفاضلة التى تمت بينهما على اعتبار أن «فتح» حركة علمانية.

الثالث: أن التجربة لم تستمر، فعندما بدأت الحرب بين الجيش الأردنى والمنظمات

(١) المرجع السابق، ص٩٠.
(٢) عبدالله أبو عزة، ص١٢٣.
(٣) المرجع السابق، ص ص ١٥١ - ١٥٢.

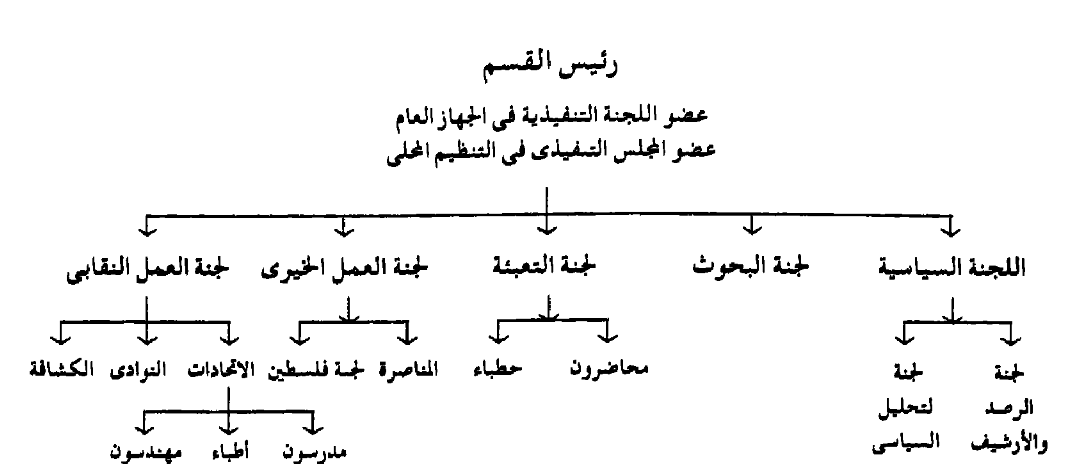
الفلسطينية، جمع الإخوان أسلحتهم، ووقفوا على الحياد بين الطرفين، لتنتهى هذه التجربة نهاية كاملة بعد حوالى سنتين من بدايتها.

الجهاز العام لفلسطين

كانت سنوات السبعينيات العشر - منذ نهاية تجربة «معسكرات الشيوخ» عام ١٩٧٠م إلى انعقاد أول مؤتمر تنظيمى حول القضية الفلسطينية عام ١٩٨٠م - حافلة بالعمل وتزايد أعداد الشباب، وحوارات دائمة عن العمل الفلسطينى، ونشوء لافتات وروابط طلابية إسلامية فى الشرق والغرب تدخل المجال الإعلامى والسياسى وتنشئ لها صحفاً ومجلات بسيطة تعبر عنها هنا وهناك.

فى أوائل الثمانينات عقد فى عمان مؤتمر إخوانى سمى «مؤتمر فلسطين»، حضره ممثلون عن الإخوان من مختلف الساحات، من الكويت وقطر والسعودية والأردن وغيرها بالإضافة إلى مندوبين جاءوا من قطاع غزة ومن الضفة الغربية. وقد ناقش هذا المؤتمر عدة أوراق حول القضية الفلسطينية وضرورة مبادرة الإخوان وكان أهم قرارات هذا المؤتمر دعوة الإخوان إلى المشاركة الفعلية والجادة فى العمل لفلسطين وتأسيس جهاز خاص لذلك، وفى عام ١٩٨٤م صدر قرار عن المجلس التنفيذى بتأسيس «جهاز فلسطين العام»، وكلف آخر مراقب للإخوان المسلمين الفلسطينيين باختيار مساعديه، ووضع خطة لهذا العمل الذى أصبح واقعاً حياً وفاعلاً منذ بداية ١٩٨٦م، حيث تشكلت اللجنة التنفيذية التى ضمت خمسة من الكويت وثلاثة من الأردن وعضوين من السعودية وعضواً واحداً من كل من أمريكا وبريطانيا، وكان مركز ثقل الجهاز فى الكويت حيث استقرت فيه أمانة السر ولجنة التخطيط ولجنة الأرض المحتلة واللجنة السياسية ولجنة العمل الخاص، وفى نفس السنة تم إنشاء قسم فلسطين فى الكويت ليكون قسماً رئيسياً ينفذ خطط الجهاز، ثم نقلت تجربة هذا القسم إلى الساحات الأخرى، وكانت للجهاز خطة مدتها عشر سنوات تهدف إلى جعل الحركة الإسلامية عنصراً أساسياً وفاعلاً فى ساحة العمل الفلسطينى، وتندلع الانتفاضة فى ديسمبر ١٩٨٧م وتشارك فيها من يومها الأول الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة تحت اسم «حركة المقاومة الإسلامية - حماس» التى تنفذ خطتها بدماء الشهداء ومئات المعتقلين والمبعدين لتختصر خطة الجهاز كل سنة فى شهر، لتصبح «حماس» فى عدة شهور أهم فصيل فلسطينى بعد حركة «فتح».

قسم فلسطين



كان القسم يعقد جلسة أسبوعية على الأقل بحضور رئيسه وأعضائه الخمسة رؤساء اللجان، حيث يتابع أعماله فى الساحة وأخبار الساحات الأخرى، ويناقش أعمال اللجان التابعة له ولجانها الفرعية.

١- اللجنة السياسية :

وتتبعها لجنة «الرصد والأرشيف» التى يقوم أعضاؤها من الشباب بالاستماع إلى الإذاعات، ومتابعة أخبار القضية الفلسطينية فى الصحف والمجلات العربية، كانت هذه اللجنة تزود القسم بالأخبار أولاً بأول، كما بدأت بإصدار «النشرة المصورة»، وهى مقتطفات من الأخبار والمقالات السياسية فى الصحف العربية يتم توزيعها على أعضاء اللجنة التنفيذية للجهاز والمجلس التنفيذى للتنظيم المحلى وأعضاء قسم فلسطين وبعض الإخوة البارزين، كما كانت ترسل نسخاً منها إلى الساحات الأخرى.

كما يتبع اللجنة السياسية أيضاً لجنة «التحليل السياسى» التى كانت تعد المقالات والتحليلات للنشر فى الصحف أو للتوزيع الخاص والمحدود، وقد ترأس اللجنة السياسية واحد من الإخوان المختصين فى الشئون السياسية، وكان من أسر الكبار، لكنه يرتبط بعلاقات طيبة مع قيادات الشباب، أما المجموعة العاملة معه والتى زاد عددها عن ستة أعضاء فكانوا كلهم من الشباب.

٢- لجنة البحوث:

وكانت مكلفة بإعداد بحوث تتعلق بالقضية الفلسطينية بغرض النشر أو التوزيع على الإخوان واهتمت اللجنة برفع المستوى البحثى عند أعضائها، وأعدت عدة بحوث عن الاقتصاد الصهيونى ومشكلة المياه وغيرها، طبع منها كتابا «الانتفاضة» و«التطبيع» لغسان حمدان، وقد ترأس هذه اللجنة أخ ينتمي لأسر الكبار، لكنه في سن الشباب.

٣- لجنة التعبئة:

وقد عملت فى مجالى التعبئة التنظيمية الداخلية والتعبئة الجماهيرية العامة، وكانت تشرف على تنظيم المحاضرات الداخلية فى الأمور الفلسطينية ثم الانتفاضة فيما بعد، كما أشرفت على تنظيم المحاضرات العامة فى القاعات وساحات الجامعة وغير ذلك، بالإضافة إلى اهتمامها بخطبة الجمعة والخطباء الذين كانت تزودهم بالمعلومات والموضوعات والنشرات، كما أعدت عدداً من الخطب الجماعية التى وزعت على معظم خطباء المساجد، وكانت تخص الشيخ أحمد القطان بالمعلومات وقصص الشهداء والأشعار عن الانتفاضة وحماس. وقد ترأس هذه اللجنة كاتب هذا البحث الذى كان من أسر الكبار، لكنه كان أقرب سناً إلى الشباب، أما أعضاء اللجنة فكلهم جاءوا من الشباب.

٤- لجنة العمل الخيرى:

وكانت تشرف على الأعمال الخيرية وجمع التبرعات، كما أشرفت على عدد من اللجان الخيرية العاملة فى الساحة مثل لجنة «المناصرة» وغيرها. وقد ترأس هذه اللجنة أحد الشباب، ثم أشترك معه شاب آخر.

٥- لجنة العمل النقابى:

والتى تكونت فى وقت لاحق فى أواخر سنة ١٩٨٨م لتواكب عملية التطور الهيكلى والرغبة فى دخول ساحة العمل النقابى، وقد كان من عملها الإشراف على الكشافة والنوادى مثل «نادى القدس» و«نادى الكرامة» وغيرهما، وكانت لها خططها فى العمل النقابى مع المدرسين والأطباء والمهندسين وقد ترأس هذه اللجنة أحد الإخوة الشباب الذى كان عضواً فى قسم التخطيط، تمهيداً لتسليمه رئاسة قسم فلسطين بعد شهور قليلة نظراً لانسحاب رئيس القسم لكثرة أعبائه فى «الجهاز العام لفلسطين».

كان «قسم فلسطين» يصدر نشرة شهرية يحررها أعضاء القسم، وتوزع على جميع أفراد التنظيم المحلى، وهى نشرة سرية خاصة تقرأ وتناقش داخل الأسر ثم يتم التخلص منها، كما كانت ترسل نسخ منها إلى جميع الساحات الخارجية. كانت فقراتها الرئيسية تتكون من التحليل السياسى والأخبار الهامة والمصطلح السياسى لرفع المستوى السياسى لدى الإخوان، بالإضافة إلى فقرة عملية سميت «بالتحريك» لحث أفراد التنظيم على العمل، مثل جمع ألبوم لصور الانتفاضة، أو جمع التبرعات من البيت والأقارب وزملاء العمل، أو كتابة ما يعرفه من معلومات عن الاتجاهات الأخرى، أو المشاركة فى حل أسئلة مسابقة سياسية توزع داخل التنظيم ●

الفصل الثاني

الإخوان المسلمون داخل الأرض المحتلة

المبحث الأول

مراحل العمل

بداية العمل (١٩٦٧م - ١٩٧٠م):

وحّد الاحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد أن انقطعت بينهم الصلات مدة تسعة عشر عاماً (٤٨ - ١٩٦٧م)، حيث عاش الفلسطينيون في كل من المنطقتين ظروفاً سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة، كما مر الإخوان بتجربتين مختلفتين كلياً: منع ومطاردة وملاحقة واعتقالات في قطاع غزة، وعمل علني مسموح ومقرات مفتوحة في الضفة الغربية.

تغير الحال على الإخوان في الضفة الغربية الذين كانوا قد اعتادوا على العمل العلني من خلال دورهم ومكاتبهم القانونية في المدن وبعض القرى والمخيمات، فأغلقت سلطات الاحتلال دور الإخوان المسلمين، واستولت على بعض الأوراق الموجودة في بعضها كما في نابلس[١]، واقتصر دور الإخوان على اللقاءات الفردية، وكانوا في أحسن الأحوال يجلسون في حلقات دراسية علمية دون أن يكون هناك تنظيم[٢] وإذا استدعت السلطات العسكرية المحتلة أحد رموز الإخوان لاستجوابه، كان يقول لهم: نعم كنت من الإخوان، أما الآن فقد أغلقت دور الإخوان وانتهى كل شيء[٣] وفي الخليل أصبحت الهيئة الإدارية لـ«الجمعية الإسلامية الخيرية» تتشكل في معظمها من أعضاء الهيئة الإدارية لشعبة الإخوان المسلمين في الخليل، حيث التقى الإخوان من خلال الجمعية على الزيارات والمناسبات، إلى أن بدأت

---

(١) قيادة منطقة نابلس (نبيل البشتاوي، أحمد الحاج علي، جمال سليم، جمال منصور)، مقابلة شخصية، مخيم «مرج الزهور» بجنوب لبنان ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) من مخطوط كتبه مبعدون من منطقةالخليل في «مرج الزهور».

التشكيلات السرية تأخذ طريقها للوجود منذ عام ١٩٧١م[١].

أما فى قطاع غزة حيث اعتاد الإخوان على العمل السرى وأجواء الملاحقة والمتابعة، فإنهم كانوا أقدر على التعامل المبكر مع هذه الظروف، ومما سهل الأمر عليهم أنهم لم يعودوا لوحدهم، فمئات الألوف من المواطنين يتعرضون للقمع والملاحقة من سلطات الاحتلال، بل إن الملاحقة تركزت فى هذه المرحلة على المنظمات الفدائية التى تشكل الخطر الراهن على جنود الاحتلال، وتقوم بأعمالها ضد الاحتلال مثل فتح والجبهة الشعبية وقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطينى.

وسرعان ما تداعت قيادات ورموز الإخوان إلى لقاء تأسيسى للتعامل مع الوضع الجديد، وقد تم اللقاء فى أغسطس أو سبتمبر ١٩٦٧م[٢] فى منزل المرحوم محمد خليل الغرابلى بحى الشجاعية فى مدينة غزة، اختار الحاضرون هيئة إدارية لقيادة الإخوان تمثل مختلف مناطق القطاع، كما اختاروا منهجاً تربوياً للعمل به فى الأسر الإخوانية[٣] ونتيجة لشعورهم بقلة عددهم، فقد قرروا كسب الأعضاء الجدد عن طريق الزيارات الفردية والدروس فى المساجد، إلا أن مهمتهم كانت عسيرة فالناس لازالوا مشدودين لعبدالناصر[٤].

وضع الإخوان فى هذا اللقاء خطة لتحركهم، ،وكانت أهدافها كما يلى[٥]:

١- محو الصورة الإخوانية التى رسمها العهد الناصرى فى أذهان الناس، وتجلية صورة جديدة مشرقة.

٢- الانتشار فى المجتمع بعد ذلك الانكماش الطويل.

٣- تحديد الموقف من الاحتلال وتحديد مسيرة الإخوان ورأيهم فيما يجرى.

٤- ربط إخوان القطاع بإخوان الضفة الغربية حيث يتم ذلك لأول مرة.

وقد ناقش الإخوان فى ذلك الاجتماع القضية الملحة والمطروحة منذ ذلك الوقت، وهى الدعوة للقيام بأعمال عسكرية فى مواجهة الاحتلال، وقرروا عدم القيام بأى عمل عسكرى وذلك للأسباب التالية[٦]:

---

(١) المرجع السابق.
(٢) حماد الحسنات (أحد قادة الإخوان فى قطاع غزة) من مخطوط كتبه فى «مرج الزهور».
(٣) محمد حسن شمعة (أحد مؤسسى حماس) مقابلة شخصية، فى «مرج الزهور» ٣/٦/١٩٩٣م.
(٤) عبدالفتاح دخان (أحد مؤسسى حماس)، مقابلة شخصية فى «مرج الزهور» ٣/٦/١٩٩٣م.
(٥) حماد الحسنات، مرجع سابق.
(٦) المرجع السابق.

١- كان الإخوان فى حالة من الضعف كماً وكيفاً لا تمكنهم من القيام بأى عمل ناجح ومستمر فى ذلك الوقت، واتفقت الآراء على أن الهدف الرئيسى يجب أن يكون إعادة البناء.

٢- ضعف الإخوان فى البلاد العربية فى ذلك الوقت وخاصة التنظيم الأم فى مصر، مما سيحرم المقاومة الإسلامية فى الأرض المحتلة من عمق ومساعدات ضرورية.

٣- إن أى عمل عسكرى ضد اليهود دون الإعداد النفسى والروحى والمادى سيكون مصيره الفشل.

٤- العمل ضد اليهود الآن ودون مشاركة الشعب (المهزوم والمحبط) سيكون لا طائل من ورائه.

قرر المجتمعون أن إمكانياتهم تساعدهم فقط فى نشر الدعوة والتوجه إلى المساجد للعمل فيها بما يتوفر من إمكانيات، وفى نفس الشهر توجهت مجموعة من القياديين لزيارة الضفة الغربية بهدف بناء العلاقات مع الإخوان هناك وربط الخيوط مع مناطق الضفة الغربية التى لم تكن مرتبطة بعضها ببعض لأنها كانت جميعاً تتصل بقيادة الإخوان فى الأردن قبل ١٩٦٧م، واستمرت الزيارات إلى الضفة الغربية للتعاون وتبادل الخبرات حيث بدأ الإخوان فى الضفة الغربية يمارسون العمل السرى، كما تم الاتفاق على لقاء شهرى يجمع مسئولى جميع المناطق، حيث ظهر إلى الوجود المكتب القطرى أو «مكتب فلسطين»، وفى عام ١٩٦٨م سافر بعض أعضاء الهيئة الإدارية للإخوان فى القطاع إلى عمان، واتصلوا بالقيادة هناك حيث بدأ التنسيق مع الإخوان فى الأردن منذ ذلك الوقت[١]. وقد تكون فى قطاع غزة إلى جانب الهيئة الإدارية، «مجلس الشورى العام» الذى اجتمع لأول مرة عام ١٩٦٨م[٢] ويذكر الأستاذ حسن شمعة أن عدد الإخوان فى قطاع غزة ١٩٦٩م كان حوالى خمسين شخصاً.

مراحل العمل:

تجمع المصادر الإخوانية[٣] على أن الحركة الإسلامية تحت الاحتلال وفى العشرين سنة الأولى من بداية الاحتلال إلى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية قد مرت فى مراحل ثلاث:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٣) «حماس بين الحقيقة والوجود»، مخطوط، ص ص ٤-٦ وخليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت ١١/٨/١٩٨٨م.

- مرحلة الدعوة والكسب والانتشار.
- مرحلة بناء المؤسسات.
- مرحلة النفوذ السياسى واستكمال الأجهزة واختبار القوة.

ولا توجد خطوط فاصلة دقيقة تفصل بين هذه المراحل حيث كانت لابد من بعض التداخل، ولكن السمة العامة لكل مرحلة كانت واضحة.

(أ) مرحلة الدعوة والانتشار (١٩٦٧م - ١٩٧٦م):

يطلق كراس «حماس بين الحقيقة والوجود»[١] على هذه المرحلة اسم «التعريف وبناء الأنوية الصلبة» ويجعل مهمتها الأساسية بناء الأنوية الصلبة التى تحملت أعباء الدعوة وبناء الهياكل وزيادة الانتشار، وإزالة آثار الحملة التى شنها عبدالناصر على الإخوان المسلمين، ويؤكد أن النشاط فى هذه المرحلة استمر بصعوبة بالغة.

كان أبرز سمات هذه المرحلة عمل الشيوخ والوعاظ فى المساجد فى نشر الدعوة الإسلامية بين الناس وخصوصاً الشباب، حيث يقوم المختصون بالعمل التنظيمى بتجنيد الشباب الصالح والذى تنطبق عليه الشروط. وقد ساهم فى نجاح العمل عدد من الشيوخ المعروفين مثل الشيخ حامد البيتاوى والأستاذ أحمد الحاج على فى نابلس والشيخان فضل صالح وإبراهيم أبو سالم فى منطقة رام الله حيث قاما بنشر الدعوة أيضاً فى القرى، بالإضافة إلى محاضرات الشيخ بسام جرار الفكرية المتميزة فى رام الله والبيرة.

وقد ظهر الاهتمام المبكر فى نشر الدعوة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة حيث أرسل الشيخ أحمد ياسين إلى هناك محمد أبو هانى سنة ١٩٧٠م لينشر الدعوة فى مدينة الناصرة، إلا أن هذا العمل قام بصورة مكثفة على أيدى شيوخ الضفة الغربية حامد البيتاوى ومحمد فؤاد أبو زيد وأحمد الحاج على.

كان الشيخ أحمد ياسين فارس هذه المرحلة، كما كان فيما بعد الفارس الأول لجميع المراحل فقد برع الشيخ فى استقطاب الفتيان والشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٢٠ سنة وكون له قاعدتين دعويتين: الأولى فى مسجد المخيم الشمالى، والثانية فى مسجد العباس بحى الرمال فى مدينة غزة[٢]. وكانت الجلسات الأسبوعية بداية لتنظيم هؤلاء الشباب الذين سيحملون على عاتقهم مهمة العمل الإسلامى فى الجامعات المصرية وفى دول

(١) المرجع السابق، المخطوط، ص٤.
(٢) خليل القوقا، مرجع سابق.

الغرب، كما سوف يصبحون قادة حركة حماس داخل الأرض المحتلة، ويشارك بعضهم في قيادتها في الخارج.

ومع التقيد بالعمل الدعوى في هذه المرحلة، إلا أن إشارات ذات مغزى، كانت تظهر أحياناً تكشف عن نوايا الإخوان وتطلعاتهم، وفي مقدمتهم الشيخ ياسين الذى سمى ولده الأول «عائد» قبل حرب ٦٧، ولما توفي وجاءه الثانى سماه أيضاً عائد الذى توفى أيضاً، وجاءت البنت الأولى ليسميها عائدة، هذه الإشارات تجلت في أوضح صورها عام ١٩٧٠م عندما أسندت سلطة الاحتلال قيادة قطاع غزة والمنطقة الجنوبية إلى الجنرال «شارون» الذى استخدم كل أساليب القمع والإرهاب للقضاء على العمل الفدائي في قطاع غزة والذى وصل إلى قمته في ذلك الوقت.. «حوصر مخيم الشاطئ للاجئين عدة أسابيع، فوقف الشيخ أحمد ياسين على منبر مسجد العباس في خطبة الجمعة ليلهب حماس الناس، وتخرج المظاهرة الحاشدة عقب الصلاة من المسجد إلى المخيم، تتحدى جبروت الاحتلال، وتطالب بكسر الطوق عن المخيم، فيأمر الاحتلال بمنع الشيخ عن الخطابة»[١].

(ب) مرحلة العمل المؤسسى (١٩٧٦م - ١٩٨٢م):

بدأ الإخوان المسلمون يدخلون مرحلة جديدة بعد اطمئنانهم لنجاح المرحلة السابقة ولو بصورة جزئية، وقد ساعدهم على ذلك مواكبة هذه المرحلة للمد الإسلامى الذى أصبح ظاهرة عالمية بنجاح الثورة الإسلامية في إيران وبداية الجهاد الأفغاني وانتشار الجماعات الإسلامية في مصر وغيرها.

أنشأ الإخوان المسلمون مؤسساتهم الجماهيرية ابتداء من «المُجَّمع الإسلامى» في غزة الذى تأسس عام ١٩٧٣م، وحصل على ترخيص من السلطات الإسرائيلية عام ١٩٧٩م كجمعية عثمانية تقوم بالأعمال الخيرية[٢] ثم أسسوا «الجمعية الإسلامية» عام ١٩٧٦م، كما يمكن اعتبار «الجامعة الإسلامية» التى تأسست عام ١٩٧٨م واحدة من هذه المؤسسات، كما حاول الإخوان اختراق المؤسسات الوطنية الأخرى، بالإضافة إلى نشاط شبابهم البارز في الساحة الجامعية حيث تأسست الكتل الإسلامية في الجامعات، وخاضت انتخاباتها وحصلت على نتائج متقدمة فاجأت الجميع بما فيهم الحركة الإسلامية نفسها، كما لا ننسى أن هذه الفترة كانت المرحلة الذهبية لنشاط «الجماعة الإسلامية» داخل السجون والمعتقلات وقد تميزت هذه

---

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٢) (نشرة المجمع الإسلامى)، غزة: مطبعة النصر، بدون تاريخ.

المرحلة بالانتشار والتوسع في القاعدة التنظيمية وزيادة المؤيدين والأنصار، كما تميزت أيضاً بالاحتكاك والتنافس والصدام مع التيارات الأخرى.

وكانت أهم المؤسسات مؤسسة «المسجد» الذى يدير المنطقة، ففيه جماعة المسجد والمكتبة والأنشطة الرياضية ودروس تحفيظ القرآن ودروس الفقه ودروس النساء ولجنة الزكاة ومعرض الكتاب الإسلامي ودروس التقوية لطلاب المدارس والمسابقات الثقافية والاحتفالات الدينية وتنظيم الزيارات الجماعية للمسجد الأقصى المبارك، كما برزت في شهر رمضان ظاهرة الإفطارات الجماعية وظاهرة الاعتكافات التي عمت الكثير من مساجد الضفة الغربية وقطاع غزة. ولأهمية هذه المرحلة وأثرها الكبير فسوف نتوسع فيها ونناقشها في المبحث القادم.

(جـ) مرحلة النفوذ السياسي واستكمال ا لأجهزة واختبار القوة (١٩٨٢م - ١٩٨٧م):

دخل الإخوان هذه المرحلة أكثر عدداً وأفضل تنظيماً وأكثر قوة، كما استمرت أيضاً أعمال المرحلتين السابقتين والتي ساعدت بدورها في إنجاح أهداف هذه المرحلة، «كانت مرحلة غنية في حياة الدعوة.. وقد تميزت في التوسع في البناء التنظيمي واستكمال الإعداد الجدى وإنشاء أجهزة مختصة.. وأصبح للحركة ثقل سياسي واضح»[١].

وقد تم في هذه المرحلة تطوير الهياكل التنظيمية وترسيخ العلاقة بين قطاع غزة والضفة الغربية كما كان من أهم مميزات المرحلة اختبارات القوة التي دخلتها الحركة بإرادتها أحياناً، ومضطرة أحياناً أخرى، «فكان لابد من اختبارات لسلامة الطريق والتثبت من متانة التنظيم عن طريق تسخين الجو بإعداد المظاهرات وإصدار البيانات والاشتباكات مع الجيش وجهاً لوجه»[٢].

كما بدأت في هذه المرحلة الاستعدادات للعمل الجهادى المسلح بجمع السلاح وإجراء التدريبات مما أدى إلى اعتقال الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٤م ومعه مجموعة من قيادات الحركة، وضبط معهم أكثر من أربعين قطعة سلاح، كما تأسس الجهاز العسكرى «المجاهدون الفلسطينيون» والجهاز الأمني «مجد».

---

(١) (حماس بين الحقيقة والوجود)، مرجع سابق، ص ص ٥-٦.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثانى
المؤسسات والجامعات

المؤسسات:

(أ) المجمع الإسلامى فى غزة:

لقد أثبتت السنوات التى تلت تأسيس «المجمع الإسلامى» أن تلك الخطوة كانت عملية ثورية وتغييراً جوهرياً فى نمط التفكير لدى قيادة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة، فلم يكن سهلاً الخروج من قوقعة الانعزال ومن الإحساس بتآمر جميع الأطراف على الإخوان بعد سنوات من الملاحقة والضعف والدعاية ضد الإخوان وأهدافهم، لقد كانت عملية جريئة أن يخرج الإخوان إلى الشارع، يخوضون العمل الشعبى والاجتماعى، ويتعاملون مع الناس جميعاً على اختلاف أفكارهم، لقد استفاد الإخوان من تجربة المجمع فائدة عظيمة «فقد وفر المجمع الذى تأسس بشكل قانونى نمطاً وشكلاً من أشكال الحماية لنشاطات جماعة الإخوان المسلمين فى القطاع، وأصبح الإخوان يمارسون كافة نشاطاتهم من خلال المجمع»[1].

وقد تعددت نشاطات المجمع من تنظيم المحاضرات وإقامة المكتبات الإسلامية وإقامة المعرض السنوى للكتاب الإسلامى، وإعادة طبع بعض الكتب الإسلامية محلياً، وإنشاء رياض الأطفال التى تهتم بالتنشئة الإسلامية، كما تم إنشاء مدرسة تحفيظ القرآن عام ١٩٧٦م، وعقدت دورات تقوية فى المساجد للطلاب، وأسس المجمع لجنة لجمع الزكاة والصدقات، وأسس بجانبها صندوقاً لمساعدة الطالب الفقير فى إكمال دراسته داخل القطاع أو خارجه، كما قام بمساعدة طارئة للعائلات التى تتعرض لنكبات مثل نسف البيوت أو اعتقال العائل الوحيد للأسرة، كما اهتم المجمع بالعمل التطوعى وخصوصاً فى الإجازات الصيفية للطلاب من إقامة أسبوع للنظافة والمساهمة فى نشر الوعى الصحى ومساعدة الأسر التى تعرضت بيوتها للأضرار الجسيمة نتيجة المطر الشديد عام ١٩٨١م، مما ترك أثراً طيباً فى نفوس الناس، كما ركز المجمع على الخدمات الصحية وتقديم الأدوية بأسعار رمزية وأحياناً بالمجان وأسس عدة عيادات فى أنحاء القطاع، بل قام بإنشاء بنك الدم الذى قدم المساعدات للعديد من المرضى حيث يطلب من الشباب التبرع بدمائهم عند الحاجة، بالإضافة إلى ذلك كله اهتم المجمع

---

(١) زياد أبو عمرو (الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة)، مرجع سابق، ص ص ٣٣-٣٤.

بالأنشطة الرياضية المختلفة كالسباحة وركوب الدراجات وألعاب القوى وألعاب الكرة، وكذلك بالنشاط الكشفى وتنظيم رحلات الشباب إلى داخل فلسطين لتعريفهم بوطنهم المغتصب، كما أقام المعسكرات الصيفية على شاطئ البحر، وأسس المجمع فرقة فنية لتنظيم حفلات الزواج غير المختلط وتقديم النشيد الإسلامى والمسرحية الهادفة، كما اهتم بالمرأة فأقام لها الدروس ومعارض الزى الإسلامى، وإنشاء عام ١٩٨٢م «مركز تأهيل الفتاة المسلمة» حيث تقام دورات الحياكة والتطريز[1].

وقد اعتمد المجمع فى تمويله على الهبات والتبرعات المالية أو العينية بالإضافة إلى الصدقات وأموال الزكاة من المحسنين داخل القطاع وخارجه سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات، يضاف إلى ذلك موارده الذاتية من اشتراكات الأعضاء أو أثمان الكتب والملابس والرسوم الرمزية فى العيادات ورياض الأطفال.

أما عن أعضائه «فيتراوح عددهم بين ١٢٠٠ و ٢٠٠٠ عضو وذلك باختلاف المصادر»[2]، وما أن تحل السنوات الأولى من الثمانينيات حتى يصبح المجمع الإسلامى فى غزة صرحاً مهماً له مؤيدوه وناقدوه من الاتجاهات السياسية الأخرى، ولقد ظل الناس يعرفون الحركة الإسلامية بـ«جماعة المجمع» إلى أن دخلت الانتفاضة وعلا نجم «حماس»، وكان قد ترأس المجمع الشيخ أحمد ياسين الذى اعتقل عام ١٩٨٤م، وخلفه الصيدلى إبراهيم اليازورى وكلاهما من مؤسسى «حماس» فى ديسمبر ١٩٨٧م.

(ب) الجمعية الإسلامية فى غزة:

«تأسست سنة ١٩٧٦م كجمعية خيرية من أجل تنمية الوعى الدينى، وهى تشجع الطلاب على تلاوة القرآن وحفظه وتوزع الأشرطة الدينية وأفلام الفيديو، وتدير مستوصفاً فى مخيم الشاطئ وتمنح مساعدات مالية لحوالى ٦٠٠ عائلة فقيرة»[3] وإذا تصفحنا نشرات الجمعية الإسلامية نجدها تعمل على غرار المجمع الإسلامى من نشر الإسلام وخدمة المجتمع.

وقد ترأس الجمعية الأستاذ خليل القوقا الذى تخرج من المعهد الدينى فى غزة ثم أكمل

---

(١) نشرة المجمع الإسلامى، ص٤.

(٢) جان فرانسوا ليغران، (الإسلاميون الفلسطينيون)، إصدار م. ت. ف (مركز التخطيط)، تونس: ١٩٨٩م.

(٣) سعيد الغزالى، الحركة الإسلامية فى مواجهة حركة التحرير الوطنى: تعاون أم حالة حرب، (الفجر) المقدسية ٦/ ٨/ ١٩٨٧م، ص٨.

دراسته الجامعية فى جامعة بيروت العربية، وكان يعمل خطيباً للمسجد الشمالى ومدرساً فى وكالة الغوث إلى أن صدر حكم عسكرى بإبعاده فى ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، ونفذ الحكم فى ١١ / ٤ / ١٩٨٨م على أساس أنه أحد قيادات حماس فى غزة[١].

(جـ) الجامعة الإسلامية فى غزة:

«نتيجة لتوقف قبول خريجى الثانوية العامة بالجامعات المصرية منذ عام ١٩٧٧م واندفاع الكثير من الشباب إلى سوق العمل الصهيونى تحت ضغط الحاجة، قام بعض الرجال من قطاع غزة - بمساندة الحركة الإسلامية - بالتوجه إلى عمان والسعودية ودول الخليج ليروجوا لفكرة الجامعة ويجمعوا لها الأموال والدعم، وتعاون معهم بعض الشخصيات من أبناء القطاع فى الخارج حيث تكونت هيئة المؤسسين للجامعة من أربعة وعشرين عضواً وأصبحت فيما بعد «هيئة المشرفين» على الجامعة»[٢] وقد تم افتتاح أول كليتين وهما الشريعة وأصول الدين فى العام الجامعى ٧٨ / ١٩٧٩م.

وقد اعتبر الجميع الجامعة الإسلامية واحدة من مؤسسات الإخوان المسلمين، لذلك خاض الإخوان المسلمون معارك وصراعات مريرة وطويلة مع كافة الاتجاهات السياسية من أجل الحفاظ على اسم الجامعة وطبيعتها، وقد شارك طلاب الجامعة فى المواجهات والمظاهرات ولطالما حوصرت من الجيش الإسرائيلى حتى جاءت الانتفاضة ليكون للجامعة فيها دورها البارز ويسقط الشهداء من طلابها ويكثر المعتقلون.

(د) الجمعية الخيرية الإسلامية - الخليل:

وهى جمعية عريقة وموجودة فى الخليل قبل وجود الاحتلال، حيث كان يديرها الإخوان المسلمون، وتقوم بالأنشطة الدعوية والخيرية، وكانت إدارتها من قيادات الإخوان فى الخليل، وكان لها مستوصف طبى أغلقه اليهود فى ٢ / ٥ / ١٩٨٠م[٣].

(هـ) جمعيات أخرى:

انتشرت الجمعيات الإسلامية فى الضفة الغربية والقطاع، واتسعت أنشطتها، ومنها جمعية «الصلاح» فى دير البلح، وبعض فروع جمعية الشبان المسلمين فى الخليل والرام

---

(١) خليل القوقا، مرجع سابق.

(٢) (الجامعة الإسلامية - رسالة ومسيرة)، بدون تاريخ أو دار نشر، ص٤.

(٣) مخطوط الخليل، مرجع سابق.

وغيرها، كما انتشرت لجان الزكاة فى المدن والقرى والخيمات. ومن بينها أيضاً «جمعية العلوم والثقافة» فى القدس والتى كان أمين سرها الشيخ جميل حمامى «الذى زار الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف لجمع التبرعات من أجل شراء عقار فى القدس لدار تحفيظ القرآن الكريم وكان للجمعية روضة أطفال ومدرسة ابتدائية..»[1] وقد اعتقل الشيخ جميل حمامى عدة مرات بعد اندلاع الانتفاضة بتهمة قيادة حماس فى الضفة الغربية والاتصال بالشيخ أحمد ياسين فى غزة.

كما انتشرت دور القرآن الكريم فى القطاع والضفة منذ أن بدأت عام ١٩٧٤م على يد الأستاذ شحادة ناجى حمدان بـ ٢٥ طالباً من مختلف المناطق يدرسون فى ساحة المسجد الأقصى، حتى انتشرت عشرات الدور فى كل المناطق، إلى أن أصبح العدد الإجمالى للطلاب يزيد عن أربعة آلاف طالب وطالبة[2].

الكتل الطلابية فى الجامعات:

كانت الجامعات التى انتشرت فى الأرض المحتلة منابر للاتجاهات الوطنية، حيث كانت الأماكن الوحيدة التى يستطيع الشباب أن يتجمع فيها بصورة قانونية، وكانت التيارات السياسية تجد فى الجامعات ساحة خصبة لنشر أفكارها واستقطاب الأنصار وتنظيم الأعضاء وتجلى ذلك فى وجود الكتل الطلابية التى كانت إلى جانب نشاطها النقابى تهتم أكثر بالجانب السياسى والفكرى نظراً لظروف الاحتلال.

وقد بلغ عدد الجامعات فى الضفة الغربية وقطاع غزة ست جامعات: الجامعة الإسلامية فى غزة وجامعة النجاح الوطنية فى نابلس وجامعة بيرزيت فى منطقة رام الله بالإضافة إلى جامعة الخليل وجامعة القدس وجامعة بيت لحم، يضاف إلى ذلك عدد من الكليات والمعاهد العالية والمتوسطة.

وقد نشط الطلاب الإسلاميون فى الجامعات، وبرزت الكتلة الإسلامية منافساً قوياً للكتل الأخرى، «ففى عام ١٩٨١م أصبح ثمانية من عشرة معاهد تعليمية فوق الثانوية تحت سيطرة الإسلاميين»[3] وقد ظل طلاب الإخوان المسلمين يسيطرون على مجلس الطلبة فى الجامعة

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية، ١٠/٥/١٩٨٧م.

(٢) حسن يوسف داود، دور القرآن الكريم، (مخطوط)، مرج الزهور ٧/٦/١٩٩٣م.

(٣) Sahliyeh, Emile. IN Search of Ieadership, West Bank Politics since 1967. Washington D.C. The brookings Institution, 1988. p. 126.

الإسلامية طيلة الوقت وكانت لهم الغلبة فى أكثر الأحيان فى جامعة الخليل والقدس وينافسون بقوة فى بيرزيت، إلا أنهم كانوا أضعف فى جامعة بيت لحم لطبيعة الجامعة التى تقع تحت السيطرة المسيحية.

وبالنسبة للإدارات الجامعية، ففيما عدا الجامعة الإسلامية فى غزة، ظلت إدارات الجامعات الأخرى تقع تحت سيطرة الاتجاهات الأخرى، فجامعة بيت لحم لم يكن فيها تأثير إسلامى إطلاقاً فهى تمول بالكامل من الفاتيكان، أما فى بيرزيت فقد ظلت مواقع الإدارة دائماً مع النصارى والعلمانيين، وفى جامعة النجاح الوطنية كانت الإدارة تحت هيمنة الحاج حكمت المصرى الذى يستمد نفوذه من أمواله ونفوذ عائلته وعلاقاته مع السلطات الأردنية وقيادة فتح، وكذلك كان الحال أيضاً فى جامعتى القدس والخليل حيث يختلط الولاء للأردن مع الولاء لـ (م. ت. ف).

وكانت أبرز الكتل الطلابية المتنافسة خمسة:

١- الاتحاد التقدمى للطلاب وهى مؤيدة للشيوعيين.

٢- الجبهة التقدمية للعمل الطلابى وهى مؤيدة للجبهة الشعبية.

٣- الوحدة الطلابية وهو مؤيدة للجبهة الديمقراطية.

٤- حركة الشبيبة الطلابية وهى مؤيدة لحركة فتح.

٥- الكتلة الإسلامية وهى مؤيدة للإخوان المسلمين.[١]

كان من أبرز سمات العمل الطلابى أن الكتل اليسارية وكتلة فتح التى كانت تتنافس بقوة فيما بينها تتحد جميعاً فى مواجهة الكتلة الإسلامية، «أما فى جامعة بيت لحم حيث الوجود الإسلامى لا يصل إلى حد المنافسة فإن الكتل الأربع لم تتحد أبداً»[٢] وقد لوحظت هذه الظاهرة أيضاً خارج الساحات الطلابية فى الانتخابات النقابية وغيرها.

(أ) الجامعة الإسلامية فى غزة:

فى أول عامين دراسيين لم يكن هناك وجود كتلى أو انتخابات طلابية، فقد تبلورت بشكل واضح سنة ١٩٨٠م وبرزت الكتلة الإسلامية كأقوى تجمع طلابى حيث فازت بجميع مقاعد مجلس الطلاب، وظلت تفوز بها جميعاً فى كل الانتخابات بعد ذلك[٣].

---

(١) Ibid .

(٢) Ibid .

(٣) إسماعيل هنية (أحد قادة حماس فى غزة)، مخطوط.

وقد كان للجامعة مكانة هامة، فهي الجامعة الوحيدة في قطاع غزة الذي يغصّ بالسكان وبالطلاب، وقد قامت الكتلة بنشاطات متعددة في الاحتفالات والمهرجانات الدينية والوطنية وفي التنسيق مع الكتل الإسلامية في جامعات الضفة للرباط في المسجد الأقصى المبارك بهدف مواجهة محاولات المنظمات اليهودية المتطرفة للاستيلاء على المسجد، كما أسهم طلاب الجامعة في المظاهرات ضد قوات الاحتلال وخاصة مظاهرات ١٩٨٢م التي سميت بـ «ثورة المساجد».

وقد تميزت علاقة الجامعة بالمجتمع حيث كان الطلاب دائماً يوجهون الدعوة إلى الجماهير لحضور احتفالات ومهرجانات الجامعة، حيث يأتي الألوف من جميع أنحاء القطاع، «مما جعل اليهود يضعون نقاط تفتيش في الطرق المؤدية للجامعة، وكانوا يعتقلون حافلات بكاملها أثناء مغادرة الحفل»[١].

وقد امتدت علاقتها بالمجتمع إلى الضفة الغربية حيث قام أعضاء مجلس الطلاب عام ١٩٨٤م بزيارة الطالبات المتسمّمات في «جنين» وقد تم اعتقالهم، وحوكموا بالسجن لمدة ستة شهور، وكان من بينهم «يحيى السنوار» الذى سيصبح فيما بعد قائداً لمنظمة «مجد» الذراع الأمني للحركة والذى اعتقلته السلطات الصهيونية بعد أن حكمت عليه بالسجن عدة مؤبدات.

وقد قدم مجلس الطلاب المساعدات للمحتاجين في القطاع ومن أبرزها التبرع بالدم، كما قام شباب الكتلة ببناء بيوت كاملة بسواعدهم للأسر الفقيرة، وأعادوا بناء بيوت تضررت من سيول الأمطار الغزيرة، وشاركوا في حملات قطف الزيتون في رفح وجمع البرتقال في بيت حانون وبيت لاهيا.

فلم يكن غريباً أن تقف معهم الجماهير عندما يواجهون الحصار من جنود الاحتلال، ولعل أبرز مثل على ذلك ما حدث من مواجهات عنيفة عام ١٩٨٦م مع جنود الاحتلال حيث أطلق الجنود النيران، وحاصروا الجامعة، ومنعوا الطلاب من مغادرتها، وحينما توجهت النداءات للجماهير عبر ميكرفونات المساجد، هب الناس ولبوا نداء الكتلة وتحركوا بمسيرات حاشدة ومظاهرات عارمة تحاصر الجيش الذى يحاصر الجامعة، وتشتبك الجماهير مع جيش الاحتلال مما يخفف الحصار عن الجامعة.

أما الصراعات داخل الجامعة مع التيارات الأخرى في الجامعة الإسلامية وغيرها فإننا سنبحثها عند بحث العلاقات بين الحركة الإسلامية والتيارات الأخرى.

---

(١) المرجع السابق.

(ب) جامعة بيرزيت:

تأسست كمدرسة تبشيرية، عام ١٩٢٤م، ثم تطورت فيما بعد إلى كلية متوسطة ثم إلى جامعة تمنح درجة البكالوريوس، وأغلب مجلس أمنائها وإدارتها من المسيحيين، أما المدرسون فمعظمهم من النصارى أو الأجانب أو أصحاب الفكر الماركسي أو العلماني[١]. وكانت الحركة الطلابية في الجامعة تحت سيطرة الماركسيين من الشيوعيين أو الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية.

يقول أحد المؤسسين للكتلة الإسلامية في بيرزيت «إنّ معرضاً للكتاب أقيم في أواخر عام ١٩٧٨م، وكانت الكتب الإسلامية أكثر الكتب مبيعاً مما أعطى مؤشراً عن وجود قاعدة إسلامية في الجامعة، وفي أبريل عام ١٩٧٩م قررنا لأول مرة دخول الانتخابات بأربعة أسماء (عدد أعضاء المجلس في ذلك الوقت)، باسم «كتلة العمل الطلابي»، كان الآخرون متفرقين كعادتهم، ولم تنجح محاولات الإدارة في توحيدهم مما هيأ فرصتنا في الفوز، ولكن الجامعة أغلقت لأول مرة بعد مظاهرات ضد الاحتلال، واستمر الإغلاق من ٢ / ٤ / ٧٩ إلى ١٥ / ٩ / ١٩٧٩م، في هذه الفترة استطاعت جميع الأطراف أن توحد صفوفها بما في ذلك شبيبة «فتح» التي كانت جديدة في الجامعة واعتمدت على شباب خرجوا من السجن وتم توجيههم إلى الجامعة، ولم يكتفوا بذلك بل غيروا الدستور حيث أصبح ينص على أن مجلس الطلاب يتكون من ٣٧ عضواً، وأصبح الأمر بالنسبة لنا صعباً، وجمعنا العدد بصعوبة، وواجهنا حملة من التشويه أهم بنودها النظرة المتخلفة للإسلام وموضع المرأة واتهام الإخوان أنهم خارجون على الوحدة الوطنية، وقامت أول انتخابات نشارك فيها وتحصل الكتلة على ٤٣٪ في مواجهة كل الفصائل، وفي انتخابات سنة ١٩٨٠م دخلت الكتلة باسمها الصريح وبعناصر أكثر انضباطاً وولاء[٢]، «وحصلت على ٣٦٪ مقابل الكتلة الوطنية الموحدة»[٣].

يقول الأستاذ بسام جرار: «أن يفوز الإسلاميون في انتخابات بيرزيت بنسبة ٤٢-٤٣٪ من مجموعة الأصوات فهذا نصر كبير ونسبة ضخمة إذا افترضنا أن نسبة النصارى ٣٠٪ في الجامعة وهي لا تقل عن ذلك أبداً، فتكون نسبة أصوات الكتلة الإسلامية ٤٢ / ٧٠ أي

---

(١) جامعة بيرزيت (مخطوط)، مرج الزهور.

(١) جميل الدلو، مقابلة شخصية، هيوستن (أمريكا)، ٣ / ١٩٩٠م.

(٢) ربعي المدهون، (الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٢٨م - ١٩٨٧م)، شئون فلسطينية، العدد ١٨٧، أكتوبر ١٩٨٧م. ص٣٦.

٦٠٪»[١]، وإذا وضعنا في الاعتبار أيضاً أن نسبة الطالبات المسلمات المتدينات في بيرزيت هي أقل منها في النجاح أو الخليل، لأن الأسر المحافظة لا تقبل عادة بإرسال بناتها إلى بيرزيت، فتكون بذلك الكتلة الإسلامية في بيرزيت هي أقوى الكتل حتى حينما حصلت في انتخابات ٨١ على نسبة ٣٦٪ من أصل ٧٠٪ فإنها حصلت على أكثر من نصف الأصوات.

لقد جاءت قوة الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت والجامعات الأخرى لعوامل أهمها:

١- انتشار الصحوة الإسلامية.

٢- صدى الثورة الإسلامية في إيران.

٣- التحدي السياسي من فصائل (م. ت. ف).

ويضاف إلى تلك العوامل عاملان لعبا دوراً مهماً في جامعة بيرزيت على وجه الخصوص، هما:

١- التحدي الأخلاقي: فقد كان العصرنة والحفلات المختلطة وسفور معظم الطالبات يمثل استفزازاً للطلاب الإسلاميين يشجعهم على مواصلة العمل.

٢- التحدي العقائدي: فمناهج التعليم في بيرزيت مضادة للتعاليم الإسلامية، «فالمواد الثقافية المقررة على كل التخصصات كان يدرسها حوالي أحد عشر مدرساً لا يوجد منهم إسلامي واحد، وكان مدرس الدراسات الإسلامية إما يساري أو حامل دكتوراه في اللاهوت»[٢].

قام طلاب الكتلة الإسلامية بنشاطات واضحة، ففي عام ١٩٨٠م أقاموا احتفال المولد النبوي في القاعة الكبيرة للجامعة لأول مرة في تاريخها، وقد تجاوب معهم الإخوان في كل مكان فأرسلوا حافلات بالجمهور من غزة والضفة وفلسطين المحتلة، و كانت محاضرة الأربعاء في مسجد بيرزيت بعد صلاة المغرب معلماً إسلامياً رئيسياً حيث يحاضر الشيخ فضل صالح في الجانب الإيماني، ويحاضر الشيخ بسام جرار في الجانب الفكري[٣].

كما بدأت الكتلة عملية التنسيق مع الكتل الإسلامية الأخرى في جامعة النجاح والخليل وبيت لحم لإنشاء اتحاد طلابي إسلامي عام، وعقد الاجتماع الأول في المسجد الأقصى المبارك تحت اسم «المؤتمر الأول لاتحاد الطلبة المسلمين في فلسطين» عام ١٩٨١م[٤].

---

(١) الأستاذ بسام جرار، مقابلة شخصية، مرج الزهور، ٨/٦/١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق وجامعة بيرزيت، مرجع سابق.

(٣) جميل الدلو، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق.

(جـ) جامعة النجاح الوطنية:

هى جامعة أهلية فى مدينة نابلس، أنشئت كمدرسة عام ١٩٨١م، ثم تحولت إلى معهد عال متوسط، حتى عام ١٩٧٧م حيث اتخذ القرار بتحويلها إلى جامعة مع بقاء معهدها يعمل بالنظام القديم[١]. تكون مجلس أمنائها من ١٨ شخصية من الأرض المحتلة، منهم شخصيتان إسلاميتان والباقون يلتزمون بصورة أو بأخرى بمنظمة التحرير الفلسطينية أو ارتباطاتهم العائلية، ويرأس المجلس السيد حكمت المصرى نائب رئيس مجلس الأعيان الأردنى سابقاً والمعروف بعلاقاته القوية بالأردن ومنظمة التحرير أيضاً فيما بعد.

أما بالنسبة للكتل الطلابية فكانت الكتل الثلاث الرئيسية هى: الكتلة الإسلامية وكتلة الشبيبة وكتلة اليسار بكل فئاته وهى أضعف الكتل[٢]، بدأ نشاط الكتل الطلابية منذ العام الدراسى الثانى، ٧٨ / ١٩٧٩م، حيث برزت كتلتا «فتح» واليسار، وكان الإسلاميون قليلى العدد، تجمع بينهم صلاة الظهر فى أحد أروقة الجامعة، تبلورت منهم مجموعة تطالب بإنشاء الكتلة الإسلامية، وكان أول عمل لها المطالبة بوجود مصلى فى الجامعة، وكانت هذه المطالبة صراعاً أدى إلى تنامى الشعور الإسلامى، وانتهت بالحصول على غرفة صغيرة للصلاة، وكانت بمثابة مقر الكتلة، وانطلق العمل منذ يناير ١٩٧٩م بصلاة الجماعة والأذان ودرس المسجد ولوحة الحائط، وتحرك نفر من الشباب الإسلامى وأصحاب الفطرة السليمة من شباب القرى وخاضوا الانتخابات باسم «الكتلة المستقلة»، وقد نزلت الكتل الأخرى منفصلة، وكانت المفاجأة أن فازت الكتلة بعشرة مقاعد من أحد عشر مقعداً.

وفى انتخابات عام ٨٠ / ١٩٨١م فازت «الكتلة الطلابية الموحدة» بستة مقاعد بينما فازت «الكتلة الإسلامية المستقلة» بخمسة مقاعد، مما أتاح الفرصة للإسلاميين فى العمل المشترك والتعرف على الآخرين، وفى انتخابات عام ٨١ / ١٩٨٢م شعرت كتلة الشبيبة - فتح - بالثقة فلم تتوحد مع الكتل اليسارية الأخرى ونزلت منفردة باسم «كتلة الزيتون»، بينما نزل الإسلاميون لأول مرة باسمهم الصريح «الكتلة الإسلامية»، وكانت النتيجة أن اكتسحت الكتلة الإسلامية جميع مقاعد المجلس الأحد عشر، وفى انتخابات ٨٢ / ٨٣ توحدت الفصائل الوطنية واستفادت من مشاعر التعاطف بسبب اجتياح لبنان، حيث حصلت الكتلة الإسلامية على أدنى نسبة لها حتى الآن، ٣٨,٥٪»[٣]

---

(١) جامعة النجاح الوطنية، مرجع سابق.

(٢) جمال منصور، مقابلة شخصية، مرج الزهور، ٩ / ٦ / ١٩٩٣م.

(٣) جامعة النجاح الوطنية، مرجع سابق.

قامت الكتلة بنشاطات واضحة حيث احتفالاتها بالحشد الكبير ، كما كان لها معرضها الدائم للكتاب والقرطاسية ولها فرقها الرياضية وصيامها وإفطارها الجماعى وأعمالها الطوعية فى موسم قطاف الزيتون . كما كان لها حضورها الدائم فى الأنشطة المناهضة للاحتلال ، واعتقل الكثيرون من أعضائها وجرح آخرون ، وكان أبرز إسهام لها تلك المواجهات العنيفة مع المستوطنين عام ١٩٨٦م داخل مدينة نابلس . ولا ننسى هنا أن الكتلة أصدرت مجلة إسلامية شهرية سياسية متميزة «المنطلق» والتى صدرت لمدة ١٨ شهراً حيث أصبحت مرجعاً سياسياً لمواقف الحركة الإسلامية .

المبحث الثالث
تجربة السجون - الجماعة الإسلامية

تجربة السجون تجربة غنية فى حياة الحركة الوطنية الفلسطينية ، اكتسبت منها الخبرة بالعدو وأساليبه ، وتعرفت فيها على كثير من الأخطاء ومواطن الخلل فى عملها ، كانت السجون مدرسة نضالية ، يدخلها الشاب غضاً بسيطاً فى كثير من الأحيان ، ويخرج منها ناضجاً مثقفاً صلباً ، نتيجة لتبادل التجربة والخبرات ، وللنقاشات الفكرية والسياسية داخل التنظيم الواحد أو بين التنظيمات التى تختلف فى أفكارها أو أساليب عملها .

بدأت السجون تغص بالرجال والشباب الذين رفضوا الاحتلال منذ بدايته ، وقاوموه بالمنشور السياسى والمظاهرات والإضرابات أو بالقنبلة والكلاشنكوف ، وكان نزلاء السجون واحداً من أربعة :

أولئك الذين ينتمون إلى حركة «فتح» ، ثم الذين ينتمون إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قبل أن تصبح جبهتين فى عام ١٩٦٩م ، بالإضافة إلى الوطنيين الذى يعتقلون ويحاكمون لمواقفهم الوطنية أو امتلاكهم السلاح ، وهناك فريق رابع من الذين يعتقلون من الشوارع إثر كل عملية عسكرية أو أولئك الذين يشتبه بهم ، وغيرهم الذين يدخلون الأرض المحتلة للعمل بدون تصاريح .

وكان هناك تنظيم لعب دوراً مهماً فى قطاع غزة ، وقد تخصص بالعمل العسكرى واعتقل منه الكثيرون ، هو «قوات التحرير الشعبية» التى تشكلت من بقايا جيش التحرير الفلسطينى أو الذين تدربوا على السلاح بإشراف الجيش قبل هزيمة ١٩٦٧م ، وقد قاموا

بعمليات عديدة وناجحة أوجعت جيش الاحتلال، وقد حوكم الكثيرون منهم، ونقلوا إلى سجون الداخل: المجدل، بيت ليد، الرملة، وبير السبع الذى أنشئ فيما بعد.

كانت المنافسة الشديدة داخل السجون تجرى بين «فتح» والجبهة الشعبية، كانت سباقاً شديداً وأحياناً عنيفاً، على استقطاب المعتقلين المحايدين الذين لا ينتمون لأى تنظيم، كما كانت المنافسة فكرياً، خاصة أنه وبعد وقت قصير أعلن فى الأردن عن حل قوات التحرير الفلسطينية، بل وأكثر من ذلك وصلت المنافسة إلى حد محاولة كل تنظيم استقطاب عناصر من داخل التنظيم الآخر.

كانت عناصر الجبهة الشعبية أكثر نشاطاً، كانوا يستغلون ما يتمتعون به من ثقافة سياسية وقدرة على الإقناع، بالإضافة إلى انتشار الأفكار الماركسية فى ذلك الوقت بصورة سريعة بين الشباب الذى فقد الأمل ووجد عزاءه وقدوته فى جيفارا وكاسترو وهوشى منه، أما عناصر فتح فقد كانت تستغل كثرتها وقيادتها لمنظمة التحرير واستقلاليتها عن القوى العربية والدولية وتمثيلها للآمال الفلسطينية فى مواجهة العدوان الصهيونى والظلم العربى والدولى، بالإضافة إلى إمكانياتها المادية وبطولات رجالاتها وكثرة عملياتها فى استقطاب الشباب.

كان السجناء يعدون النشرات ويديرون النقاش والحوار، ولكن بصورة محدودة فقد كانت ظروف السجن يومها أكثر قسوة، ولم يتمتع السجناء بأية حقوق إلا بعد صراع طويل ومرير وإضرابات عن الطعام وتضحيات قدمها الكثيرون، فمنهم من استشهد، ومنهم من أصيب بعاهة ظلت تلازمه.. كانت مطالب المضربين دائما تتراوح بين تحسين المعاملة وتحسين صور المعيشة وطلب النظافة والصابون والملابس وزيادة كمية الطعام وزيارة الأهل للسجن، بالإضافة إلى طلب الكتب والدفاتر والصحف وسماع الأخبار.. ولم يتقدم المضربون أبداً بطلبات تخص الصلاة أو الأذان أو وجبات شهر رمضان أو غيرها مما يحمل دلالات دينية، فالإسلام كفكرة والتزام ومنهج سياسى لم يكن موجوداً فى السجن، فالحركة الإسلامية لم تدخل السجون مدة ثلاثة عشر عاماً من عمر الاحتلال، فقد كانت فى طور إعادة البناء ونشر الدعوة، كما أنها قررت عدم القيام بأى عمل عسكرى فى بداية الاحتلال لانعدام شروط نجاحه.

لكن الإسلام – عقيدة الأمة والمخبوء فى وعيها، وطريقها إذا سدت فى وجهها كل الطرق – خرج من السجن نفسه ومن داخل التنظيمات الوطنية والعلمانية وفصائل (م. ت. ف)،

فتأسست «الجماعة الإسلامية» في السجون على أيد رجال لم يكونوا في يوم من الأيام على صلة بالحركة الإسلامية، «فتأسست الجماعة الإسلامية في سجن المجدل غرفة رقم ١٦ في القسم (د) سنة ١٩٧٢م»[١].

كانت القاعدة الأساسية التي تكونت عليها «الجماعة الإسلامية» هي عناصر قوات التحرير الشعبية التي حلت نفسها في الخارج، وانقسم أفرادها في السجن، فمنهم من دخل «فتح» ومنهم من دخل الجبهة الشعبية، والكثيرون منهم كانوا أساس الجماعة الإسلامية، بالإضافة إلى عدد جاء للجماعة من «فتح» أو من القيادة العامة أو من الجبهة الشعبية.

كان «جبر علي عمار» ضابطاً في جيش التحرير الفلسطيني، دخل إلى قطاع غزة في بدايات الاحتلال متسللاً عن طريق البحر ليقود قوات التحرير الشعبية هناك، كان جبر عمار مخلصاً صادقاً متحمساً ، أضيف إلى مشاعره الوطنية أنه عاش يتيماً في كفالة جدته بعد أن قتل اليهود أباه وهو طفل[٢]، كان يحمل همة عالية وشخصية قوية وعنيدة بالإضافة إلى فطرة صافية نقية، انهمك جبر عمار في دراسة الكتب الإسلامية وخاصة تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب حتى تمكنت أفكار سيد قطب من قلبه وعقله، وبدأ ومعه مجموعة من المعتقلين يدعو إلى الإسلام كمنقذ وتكونت «الجماعة الإسلامية».

خاضت الجماعة «صراعاً لإثبات وجودها، صراعاً مع إدارة السجن وصراعاً آخر مع فصائل (م. ت. ف) وقويت الجماعة وانتشرت في بقية السجون، قامت الجماعة ومنذ إنشائها سنة ١٩٧٢م بالإضراب عن الطعام مع أفراد الفصائل الأخرى احتجاجاً على سوء المعاملة والضرب والشتم رافضين العمل الإجباري داخل السجن... وقد حضر وزير الشرطة الإسرائيلي إلى السجن واجتمع مع جبر لأنه أعلى رتبة عسكرية داخل السجن، واستجاب الوزير لأكثر مطالب المضربين»[٣].

كما قامت الجماعة منفردة بإضراب سنة ١٩٧٣م للمطالبة بالسماح للأذان في السجن وإعفاء اللحى وغير ذلك من المطالب الدينية، وقد استجابت الإدارة بعد أن استمر الإضراب عشرين يوماً، كما شاركت الجماعة في أكبر إضراب عرفته السجون والذي بدأ في ١١ / ١٢ / ١٩٧٦م وانتهى في ٢٤ / ١ / ١٩٧٧م وفيه تشكلت لجنة للإشراف على الإضراب

---

(١) أبو العز القترى (من مؤسسي الجماعة الإسلامية)، مقابلة شخصية، مرج الزهور ٩/ ٦/ ١٩٩٣م.
(٢) جبر علي عمار (أمير الجماعة)، مقابلة شخصية، الخرطوم: ٧/ ١١/ ١٩٩١م.
(٣) أبو العز القترى وآخرون، الجماعة الإسلامية في السجون، (مخطوط) مرج الزهور.

من مهدى بسيسو عن فتح، وعبدالله العجرمى عن الشعبية، وجبر عمار عن الجماعة الإسلامية ورابع عن الجبهة الديمقراطية، كما شاركت الجماعة فى إضراب عام ١٩٨٥م، الذى شمل معظم السجون، واستجابت الإدارة إلى مطالب السجناء بإدخال الراديو والتليفزيون والساعات والملابس الرياضية[١].

وكان أبرز أعمال الجماعة دورها فى عملية «الجليل» لتبادل الأسرى التى تمت بين السلطات المحتلة والجبهة الشعبية - القيادة العامة، فحافظ الدلقمونى أحد أمراء الجماعة فى السجون والذى حرر فى تبادل سابق «عملية النورس» كان عضواً مسئولاً فى لجنة التبادل مع الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وكان الشيخ محمد أبو طير مشرفاً على اللجان داخل السجون، وكان أكثر أعضاء اللجان داخل السجون ممن ينتمون إلى الجماعة الإسلامية.

وتنجح أكبر وأفضل عملية للتبادل، حيث تحرر أكثر من ألف معتقل ممن حكم عليهم بالمؤبدات والسنوات الطويلة، ويخرج كثير من المحررين لأول مرة إلى الأرض المحتلة، ومن بينهم الشيخ أحمد ياسين الذى لم يكمل سنة من الحكم الصادر ضده، ومن بينهم أيضاً الشاب محمد نصار الذى دخل السجن بتهمة «فتح»، وتركها داخل السجن لينضم إلى الجماعة الإسلامية، ثم يلتقى داخل السجن بالشيخ أحمد ياسين ليصبح واحداً من أخلص تلامذته ومريديه، ويتفق مع الشيخ على العمل العسكرى، ليكون بعد ذلك أول فرسان حماس وينفذ أخطر وأجرأ وأول عملية عسكرية باختطاف جندى إسرائيلى بكامل أسلحته، ثم بعد شهور قليلة ينفذ عملية أخرى مماثلة.

ظلت «الجماعة الإسلامية» ترفع راية الإسلام الجهادى والسياسى داخل السجون حتى عام ١٩٨٠م حينما جاء إلى السجون أعضاء أسرة «الجهاد» المرتبطون بالإخوان المسلمين داخل فلسطين المحتلة بقيادة الشيخ «عبدالله نمر درويش» وهناك «استقبل هؤلاء كأبطال من قبل آلاف العرب المحكومين بأعمال «تخريبية» ضد إسرائيل.. ولقد أصبحت الجماعة الإسلامية القوة المسيطرة فى سجنى الجدل والرملة من قبل وصول أسرة الجهاد»[٢].

وفى نوفمبر ١٩٨٣م تم اعتقال أفراد من الجهاد الإسلامى التابعين للشيخ أسعد التميمى، وفى أكتوبر من نفس العام سبقهم «شباب الإسلام الثورى» التابعين لفتحى الشقاقى[٣]، ثم

---

(١) المرجع السابق.

(٢) توماس ماير، (صحوة المسلمين فى إسرائيل) ترجمة عبدالفتاح زحالقة، الناصرة: المطبعة الشعبية، ١٩٩٨م، ص٣٧.

(٣) أبو العز القترى وآخرون، مرجع سابق.

جاء اعتقال المجموعة القيادية للإخوان المسلمين بتهمة حيازة الأسلحة والعمل على تدمير إسرائيل عام ١٩٨٤م وكان على رأسهم الشيخ أحمد ياسين.

وضعت الجماعة الإسلامية لنفسها نظاماً وهيكلاً متقدماً، فقد حددت شروط العضوية وانتخبت مجلساً للشورى يرأسه الأمير صاحب أعلى الأصوات في انتخابات سرية، «ويتقاسم أعضاء مجلس الشورى وهم من خمسة إلى سبعة أعضاء مسئوليات الأمن والمالية والثقافة وتمثيل الجماعة أمام الإدارة والفصائل الأخرى والقضاء وغير ذلك. كما يعين مجلس الشورى أميراً لكل غرفة، وتحددت مدة المجلس بستة شهور، أما الأمير فلا يتم تغييره إلا إذا انتقل من السجن، وقد تم انتخاب جبر عمار أميراً عاماً للجماعة الإسلامية في السجون الإسرائيلية».(١)

ومع ذلك فقد عانت الجماعة الإسلامية داخل السجن من نقاط ضعف أساسية مما أدى إلى تفككها ثم نهايتها سنة ١٩٨٨م، كانت الجماعة وليدة السجون، ولم تستطع أن تغادر السجن، فليس لها امتداد تنظيمي خارج السجن لا في الأرض المحتلة ولا خارجها، فهي كانت تشبع حاجات أعضائها داخل السجن كرد على الفكر العلماني وكإطار يجمع التائبين أو الراجعين إلى الله، لكن لم يظهر لها أفق واستراتيجية محددة وخطة عمل تفيد في استمرارية الانتماء داخل السجن أو خارجه، وسرعان ما دخلت إلى صفوفها أفكار التيارات الإسلامية الأخرى، وآثار فكر التكفير وآثار التيار السلفي، لكن الذى عصف بالجماعة كان وصول فكر الإخوان المسلمين وحركة الجهاد الإسلامي إلى صفوفها، لم يكن أمراء الجماعة قد حددوا وجهتهم فسرت الأفكار الأخرى «وانقسمت الجماعة إلى جماعتين: واحدة تميل للإخوان وأخرى للجهاد».(٢)

ونتيجة لخروج قادة الجماعة في عمليات التبادل ووصول أعضاء الجهاد الإسلامي - الشقاقي إلى السجون قبل الإخوان المسلمين، فقد سيطر الجهاد على الجماعة من عام ٨٥ إلى ١٩٨٨م، ثم كثر المعتقلون من الإخوان المسلمين بعد إعلان حركة «حماس»، وتقاسم الجهاد وحماس الجماعة الإسلامية منذ ١٩٨٨م، حيث انتهت «الجماعة الإسلامية» في السجون.

---

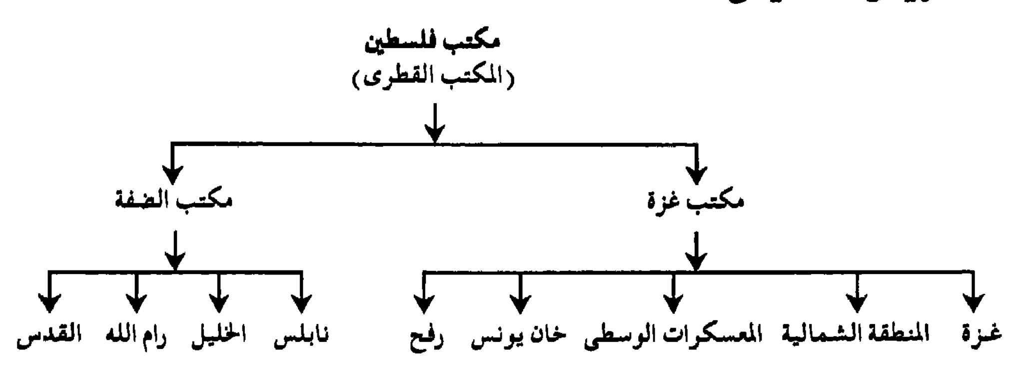
(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

المبحث الرابع
الهيكل التنظيمي واستكمال الأجهزة

على الرغم من اندماج الإخوان فى قطاع غزة والضفة الغربية مع الأردن تحت لواء تنظيمى واحد كما يروى زياد أبو عمرو عن يوسف العظم أحد قيادات الإخوان فى الأردن[1]، فقد ظل الإخوان فى قطاع غزة والضفة الغربية يعملون حسب ما تقتضيه ظروفهم، ولم يتم تمثيلهم فى مجالس الإخوان فى الأردن أو فى الجهاز العام لفلسطين فيما بعد، وكانت لهم خططهم وطموحاتهم التى يعملون لها باستقلال تام، اللهم إلا بعض التشاور فى بعض الأحيان، وكانوا يحتفظون دائماً بمشاعر الود لإخوانهم فى الخارج الذين يمدونهم بالأموال التى يجمعونها من التبرعات أو عن طريق نفوذهم فى المؤسسات الخيرية فى الكويت والسعودية ودول الخليج والتى تصب فى دعم المؤسسات التى أنشأها الإخوان فى جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، ولعل صلتهم بالإخوان الفلسطينيين فى أمريكا وأوربا كانت أفضل بسبب سهولة الاتصالات الهاتفية ولوجود عدد من طلاب الأرض المحتلة يدرسون فى الجامعات الأمريكية والأوربية.

الهيكل التنظيمى:



مكتب فلسطين: حيث كان يعقد اجتماعاً شهرياً يحضره ممثلان عن كل منطقة وكان ممثلا غزة يلتقيان مع ممثلين عن نابلس والخليل ورام الله والقدس، فلم يكن فى بداية الأمر مكتب الضفة قد مد نفوذه وإشرافه على مكاتب مدن الضفة الغربية، كما لم يكن هناك مجلس شورى عام يمثل غزة والضفة معاً، بل لم يكن هناك مجلس شورى عام لمنطقة الضفة الغربية،

(١) زيادة أبو عمرو، مرجع سابق، ص٢٨.

بل كانت كل منطقة من مناطق الضفة الغربية تنتخب لها مجلساً للشورى وهيئة إدارية، أما في منطقة قطاع غزة فقد كان هناك مجلس شورى عام يمثل محل مناطق القطاع وكذلك مكتب إدارى يشرف على قيادة الحركة[1].

مكتب غزة: قسّم الإخوان قطاع غزة إلى سبع مناطق هى رفح وخان يونس والمنطقة الوسطى والمنطقة الشمالية بالإضافة إلى مدينة غزة التى قسمت إلى ثلاث مناطق، تنتخب كل واحد منها «مجلس شورى المنطقة»، ثم يقوم مجلس الشورى بانتخاب الهيئة الإدارية، أما «مجلس الشورى العام لقطاع غزة» فإن كل منطقة تأخذ حصتها فيه وفقاً لعدد المنتظمين فيها، بمعدل عضو واحد عن كل خمسين أخاً، ويقوم كل مجلس شورى محلى بانتخاب ممثليه فى مجلس الشورى العام والذى يقوم بدوره بانتخاب المجلس التنفيذى (مكتب القطاع) المكوّن من سبعة أفراد على أساس أن كل منطقة يمثلها عضو واحد[2]. ويوزع أعضاء الهيئة الإدارية لكل منطقة فيما بينهم مهام العمل ما بين مسئول تربوى ومسئول مالى ومسئول عن الطلاب... إلخ.

مكتب الضفة: كان فى الضفة الغربية عدة مكاتب فى المدن مثل مكتب نابلس ومكتب الخليل وغيرها، وتقسم كل منها إلى مناطق حسب حجمها والقرى التابعة لها، فمثلاً قسمت نابلس إلى أربع مناطق هى: المدينة الشرقية - المدينة الغربية - القرى الشرقية - القرى الغربية، وكانت كل منطقة تنتخب مجلس الشورى المحلى والهيئة الإدارية، ثم ينتخب مجلس الشورى العام لنابلس أو الخليل أو القدس أو غيرها وينتخب مجلس الشورى العام المجلس التنفيذى[3].

وبدخول الانتفاضة وانهماك الإخوان المسلمين فى فعالياتها باسم حركة «حماس»، تغيرت هذه الهياكل، ونشأت هياكل جديدة، وظلت تتغير وتتطور كلما ازدادت أعباء العمل، أو كلما وقعت حملة اعتقالات جديدة.

الأجهــــزة:

لقد اتضح فيما بعد أن الشيخ أحمد ياسين وقيادات الإخوان فى قطاع غزة كانوا قد خطوا خطوات مهمة فى تأسيس أجهزة سرية خاصة، استعداداً لتصعيد نشاطاتهم فى مواجهة الاحتلال، فقد قاموا بتأسيس جناحين سريين الأول منهما عسكرى باسم «المجاهدون الفلسطينيون» والثانى أمنى باسم جهاز «المجد» وظلت هذه الأجهزة سراً مدفوناً لا تعلم به

---

(١) قيادات منطقة نابلس، مرجع سابق ومحمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٢) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٣) قيادات منطقة نابلس، مرجع سابق.

السلطات العسكرية المحتلة، كما أن الباحث لم يجد إشارة واحدة لا في اللقاءات ولا في تحقيقات السجون تدل على أن الإخوان في الضفة أو الأردن أو الخارج كانوا يعلمون بذلك، إلى أن انكشف الأمر في تحقيقات السجون بعد حملة الاعتقالات التي جرت في مايو ١٩٨٩م، وتم التحقيق مرة أخرى مع بعض أعضاء هذه الأجهزة السرية الذين كانوا في السجون بسبب تهم أخرى أقل خطورة.

(أ) الجهاز العسكري – المجاهدون الفلسطينيون:

أسس الشيخ أحمد ياسين هذا الجهاز عام ١٩٨٢م بهدف جمع السلاح والتدريب عليه والقيام بأعمال عسكرية ضد جنود الاحتلال، وبعد انكشاف أمر الأسلحة واعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد محدود جداً من قيادات الحركة عام ١٩٨٤م، توقف عمل الجهاز إلى أن خرج الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٥م بعد عملية تبادل الأسرى ليعيد بناء الجهاز على أسس جديدة، ولعل اعتقال الشيخ وعدد قليل معه من القيادات وتوقف الأمر عند هذا الحد، حيث ظل التنظيم محافظاً على هيكله وأمنه ووجوده، يدل على درجة السرية الكبيرة التي عومل فيها هذا الجهاز، لذلك جاء في بعض المصادر الإخوانية نفسها أن الجهاز تأسس عام ١٩٨٥م[١]، وجاء في بعضها الآخر أنه تأسس عام ١٩٨٦م مستندين على لوائح الاتهام رقم ١١٥ / ٨٩ الموجهة ضد صلاح شحادة الذي كان قائد الجهاز عند دخول الانتفاضة[٢]. لكن الأقرب إلى الصحة أن الجهاز تأسس عام ١٩٨٢م بدليل اعتقالات ١٩٨٤م وبدليل آخر وهو ما جاء في البند الرابع من الاتهامات الموجهة للشيخ أحمد ياسين في المحكمة العسكرية المنعقدة في غزة «أن المتهم المذكور في المنطقة ومنذ بداية عام ١٩٨٢م أسس تنظيم المجاهدين الفلسطينيين، وفي سنة ١٩٨٧م سوية مع صلاح شحادة أعاد بناءه من جديد[٣]، وقد قام الجهاز بعدة عمليات طعن وإطلاق نار قبل الانتفاضة لم يعلن عنها[٤].

(ب) الجهاز الأمني «منظمة الجهاد والدعوة»:

تتفق المصادر[٥] على أنه تأسس عام ١٩٨٦م ذلك الذي عرف باسم «مجد» الحروف

(١) (دراسة عن حماس)، (مخطوط)، إصدار معتقلي حماس في سجن غزة المركزي، ص٢.
(٢) (حماس بين الحقيقة والوجود)، مرجع سابق، ص٢٣.
(٣) لائحة الاتهام الموجهة للشيخ أحمد ياسين، ملف المحكمة رقم ٨٩ / ١١٥٢٥.
(٤) لوائح الاتهام إلى الشيخ أحمد ياسين، صلاح شحادة، محمد الشراتحة.
(٥) لوائح الاتهام، مرجع سابق ومخطوطات السجون و(ف. خ) أحد أعضاء الجهاز، مقابلة شخصية (مرج الزهور) في ٦ / ٦ / ١٩٩٣م.

الأولى من منظمة الجهاد والدعوة، حيث قام بتأسيسه أيضاً الشيخ أحمد ياسين نفسه، وأوكل مهمة قيادته إلى يحيى السنوار من خان يونس.

كان «مجد» بمثابة جهاز استخبارات وردع وكانت أهدافه ما يلي:[1]

١- حماية صفوف الحركة من الاختراق سواء من قبل العدو أو التنظيمات الأخرى.

٢- رصد تحركات العدو العسكرية والمدنية والوجود الاستيطاني.

٣- جمع معلومات عن ظواهر الفساد في المجتمع من خلال المشبوهين أو تجار المخدرات واللصوص وبيوت الدعارة والفساد.

٤- نشر الوعي الأمني العام داخل المجتمع عن طريق إصدار النشرات توضح فيها أساليب العدو.

٥- التحقيق مع العملاء وتأديبهم أو تصفيتهم.

وقد تبين فيما بعد أن الجهاز قام بتنفيذ بعض الأعمال قبل دخول الانتفاضة مثل قتل عملاء خطرين أو مهاجمة أماكن مشبوهة.

المبحث الخامس
مقارنة بين العمل فى الداخل والعمل فى الخارج
«ملاحظة ختامية»

بعد دراستنا لتجربة الإخوان المسلمين في العشرين سنة الأولى من عمر الاحتلال في كل من الأرض المحتلة وخارجها، نستطيع أن نقول إن معظم الظروف والمؤثرات والعوامل جعلت الحركة في داخل الأرض المحتلة أكثر نضجاً وقوة وتأثيراً وتماسكاً.

لقد توفرت للحركة في الداخل عوامل حُرمت منها الحركة في الخارج، فقد ولدت وكبرت في تربتها وعلى أرضها، فلم يكن لها ارتباط بمشاكل خارجية ولا التزامات إدارية مع آخرين اللهم إلا المشورة وتلقي الأموال، لكنها تدير عملها باستقلال حسب وضعها هي مع تحديات الاحتلال والتيارات المنافسة، وقد كانت المعاناة والمكابدة والاحتكاك مع الآخرين والصراع معهم على الجامعة في الانتخابات الطلابية والنقابية ومواجهة الحملات الضارية والاتهامات العنيفة بالإضافة إلى مواجهة الاحتلال والاشتراك في المظاهرات، كان كل ذلك تجربة غنية

---

(١) (حماس بين الحقيقة والوجود) مرجع سابق، ص ص ٢٠ - ٢١.

واختبارات قوة ودوافع لتصحيح المسار وتقوية الصف، ثم تجربة السجون في السنوات الأخيرة التي سبقت الانتفاضة، كل هذه الأشياء لم تتوفر للحركة الإسلامية في الخارج التي لم تعرف معاناة ولا صراعاً ولا سجوناً.

أصبح الإخوان المسلمون في الأرض المحتلة رقماً سياسياً مهماً ينافس فصائل (م.ت.ف) على الشارع والجماهير والجامعات والنقابات ويفوزون مرة ويفوز مرة ويحتدم الصراع بينهم ويصل إلى حد الاعتداء الجسدي المتبادل، أما الإخوان الفلسطينيون في الخارج فلا يسمع بهم أحد ولا أثر لهم إطلاقاً في الخريطة السياسية الفلسطينية في الخارج، ولا في مداولات الفصائل داخل (م.ت.ف) أو خارجها، حتى أنه وبعد الانتفاضة حينما اضطرت قيادة (م.ت.ف) أو بعض الفصائل فيما بعد أن تجلس مع الإخوان المسلمين في الخارج، بفعل قوة الإخوان في الداخل، لم تكن تعرف طريقها إلى الإخوان، وذهب ياسر عرفات يتباحث مع الإخوان في مصر مرة وفي الكويت مرة أخرى، وفي كل مرة يسأل أين الإخوان الفلسطينيون، وكانت قيادات «فتح» تبحث في ذاكرتها عن رجال الإخوان الذين كانوا زملاءهم قبل ثلاثين سنة وهم لا يعرفون هل بقي هؤلاء في الإخوان، وإذا بقي أحدهم داخل الإخوان فهل له صلة بقيادتهم؟

لقد أعطت تجربة الداخل والعمل في المؤسسات للإخوان المسلمين قيادات ورموزاً شعبية قوية كان لها الأثر الكبير في قيادة الشارع وقيادة الحركة ودفع مسيرة «حماس» فيما بعد، وبينما لم يتهيأ ذلك للإخوان خارج الأرض المحتلة حيث لم يبرز لهم رمز واحد.

وكان عمل الأجهزة في الداخل، العسكرية والأمنية إضافة أخرى لتجربة الأرض المحتلة، وهذه الأجهزة وإن وجد مثيلها في الخارج قبل الانتفاضة إلا أن وجودها كان نظرياً دون أن يلامس الخطر كما في الأرض المحتلة، كما أن خطة العمل الفلسطيني كما قلنا في السابق كانت طويلة المدى حيث افترضت عشر سنوات للإعداد والتجهيز.

هكذا كانت قيادات الإخوان المسلمين الفلسطينيين في الخارج ممن فوجئ باشتراك الإخوان في الانتفاضة وبإنشاء حركة «حماس»، وظلوا عدة أسابيع يستبعدون ذلك، إلى أن جاءت الأخبار والبيانات والرسل، وعندها تبنى الإخوان الانتفاضة وبدأوا يوزعون أخبارها على الأسر التنظيمية؛ نشط خطباؤهم في المساجد في تأييد الانتفاضة وجمع التبرعات.

تجربة المؤسسات وآثارها:

كان الاتجاه إلى عمل المؤسسات الشعبية والعامة مفيدا للحركة الإسلامية بصورة كبيرة، مكّنها من التطور وتراكم الخبرات والاحتكاك بالجماهير والعمل من أجلها ومن ثم كسبها واستقطاب جزء مهم منها، كما جعلها بمنأى عن كثير من المشاكل والأمراض التي تفتك بالتنظيمات المعزولة الجامدة، ولعل أفضل ما يوضح هذه المسألة هي نظرية الشيخ أحمد ياسين في الماء الجاري والماء الراكد حيث كان يقول: «نحن حركة إما أن نكون كالماء الراكد يجمدنا الخوف ولا نتحرك بحجة المحافظة على أمن التنظيم، وحينها نتعرض كالماء للعفن والأمراض، وإما أن نتحرك كالماء الجاري والمتجدد فنتطور وننتشر . كان يرد الشيخ على أصوات محافظة تتذرع بالمحافظة على سلامة الدعوة بينما رأى الشيخ أن سلامة الدعوة في حركتها وظهورها»[1]، وقد استفادت الحركة الإسلامية من هذه التجربة على المستويين التنظيمي الداخل وعلى المستوى الخارجي.

١- على المستوى التنظيمي الداخلي:

أعطى العمل الشعبي عن طريق المؤسسات، فرصة ذهبية للتنظيم للاحتكاك بالناس والتعرف عليهم واختيار العناصر الملائمة وإعدادها وتهيئتها، مما يسر على التنظيم زيادة أعضائه كماً وكيفاً. كما وفر هذا العمل المؤسسي الإمكانية للعناصر القيادية وذات الكفاءة أن تجد لها أدواراً فعالة تكشف عن بعض قدراتها ومواهبها، كما تساعد على تطويرها، بالإضافة إلى أن العمل الشعبي نفسه ساعد على إبراز قيادات جديدة وأتاح لها الفرصة للمشاركة المناسبة وأصبح المجال مفتوحاً لكل أصحاب المواهب والطاقات والقدرات القيادية أن تجد لها دوراً.

كما وفر هذا العمل أيضاً إحساساً بالرضا لدى العاملين، فهم يعملون لتحقيق أهداف مرحلية ملموسة يعلمونها، ورغم العقبات والمشاكل يشعرون بالانتصار لتحقيق هذه الأهداف أو بعضها، ومن ثم يسعون لتحقيق أهداف جديدة.

بينما نرى في التنظيمات المنعزلة والتي لا تملك مؤسساتها الشعبية ولا تحتك بالجماهير ولا تنهمك في العمل العام نموذجاً لما سماه الشيخ أحمد ياسين « بالماء الراكد» حيث تنتج عنه الأمراض الكثيرة، فالتنظيمات الإخوانية الفلسطينية التي يعد الواحد منها بالمئات في

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

بعض الساحات لا تجد سوى البرامج التربوية فى الغرف المغلقة والتى ترضى رغبات المنتظمين الجدد لسنة أو سنوات قليلة لتعرفهم على الجديد، ثم يبدأ القادمون الجدد بالتساؤل: وماذا بعد؟ وتبدأ المطالبة بالعمل والحركة من القواعد، لكن القيادة التى لا تملك سوى البرنامج الداخلى تحاول فى أحسن الأحوال أن تضيف إلى المنهج الثقافى شيئاً جديداً أو تكثر من تنظيم الرحلات الجماعية ودروس الصبر والابتلاء وتآمر الدنيا على المسلمين.

وتبرز مشكلة «الفتور» التى تعانى منها كل التنظيمات الراكدة، ويبدأ التنظيم فى دراسة هذه الظاهرة وأسبابها ومظاهرها وعلاجها، لكن دون جدوى، وتبدأ معظم العناصر الجديدة تتعايش مع الوضع التنظيمى والفكرى والتربوى، وتصبح كماً مضافاً إلى الجموع التى رضيت بهذا المجتمع الجديد من اللقاء على الطاعات والعلاقات الأخوية الخاصة والتكافل الاجتماعى والإحساس بالرضا، واللقاء الأسبوعى على منهج دينى وفكرى مكرر لا يحسن التعامل معه فى معظم الأحوال، يساعد على ذلك كله ما يتصف به الإخوان المسلمون من صفات التعاون والتزاور والطاعة للقيادة والولاء للجماعة.

والكثير من الشباب الطموح المتفتح الموهوب والمخلص ينجذب للحركة الإسلامية، لما تمثله فى خاطره من حل شامل لمشكلات الإنسان والمجتمع والعالم كله، يتحول أكثرهم فى سنوات قليلة إلى أدوات طيعة لا تتحرك ولا تبادر إلا بالأوامر التنظيمية، أما القليل منهم الذين يحافظون على حماستهم وطموحهم يصبحون واحداً من أربعة:

- إما يجهرون دائماً بما يحلمون به، ويطالبون بالعمل والحركة وغير ذلك، وتكون النتيجة أن يوصفوا بالتطرف أو عدم التوازن أو الغرور وحب القيادة وحظ النفس أو أنهم يجيدون الكلام ولا يقومون بأعمالهم، فهم إما ينسحبون من التنظيم أو يتم تهميشهم وعزلهم جانباً.

- والنوع الثانى يتعايش مع الواقع دون التخلى عن حماسته وطموحه ومطالبه مستخدماً أسلوب التصحيح من الداخل وبالوسائل المعقولة غير المرفوضة، مبرراً لنفسه أن جماعته مع كل ما فيها هى أفضل الجماعات، وأن الخروج منها خسارة، والدخول فى غيرها خسارة أكبر.

- أما النوع الثالث فإنه يفقد الانتماء الحقيقى للجماعة فى نفسه وأحاسيسه، ويظل انتماؤه شكلياً فى المشاركة ببعض الأنشطة ودفع الاشتراكات وحضور اللقاءات والمجاملات التنظيمية، يربطه بالكثير من الإخوان مصاهرة أو عمل أو صداقة، ومجتمع الإخوان مجتمع مريح من حيث الأخلاق والتعاون والعلاقات.

- أما النوع الأخير، وهم قليل، فهو كلما رأى سلبيات يزداد مدحه للتنظيم، وكلما رأى تجاوزاً أو قسوة من القيادة ازداد تقرباً لها، يكون أكثر الناس طاعة، لكن داخله يمتلئ بالنقد الذى لا يُطلع عليه أحداً، إلا فى أضيق الحدود أو للتقرب إلى قيادى يختلف مع قيادى آخر، فتمضى السنوات القليلة ليصل إلى أعلى الدرجات دون استحقاق.

فى التنظيم الساكن المنعزل عن المجتمع وقضاياه لا تجد جموع الشباب مجالاً للتعبير عن ذاتها لا فى برامج الحركة ولا فى هياكلها، فيكثر القيل والقال وينشغل الناس بأنفسهم، أما فى التنظيم الذى ينطلق فى العمل العام، ويقيم المؤسسات ويتفاعل مع المجتمع وقياداته السياسية والاجتماعية، عملاً وبناءً وخصومة وتنافساً وعداءً - كما فى الأرض المحتلة - فلا يكون الفتور مشكلة، وتصبح المشكلة أن الأعمال أكثر من الأوقات، ولا تصبح المواهب مشكلة، لأن مشكلة الحركة حينذاك ستكون قلة الطاقات والعناصر القيادية اللازمة لتلبية حاجات الحركة فى قيادات المناطق والمؤسسات والنقابات والكتل الطلابية وغير ذلك.

وهكذا كان الخروج للعمل العام وبناء المؤسسات نعمة على الصف التنظيمى الداخلى، ومحركاً له فى اتجاه التطوير واستفزاز الطاقات وأصبح مجلس إدارة مؤسسة أو جمعية أو كتلة طلابية أو لجنة زكاة أو غير ذلك يجد لنفسه برنامجاً حافلاً وأهدافاً متعددة ورضا نفس فى أنه يقدم خدمة لدينه ووطنه وشعبه وحركته. لقد كان التنظيم أحياناً - فى التنظيمات الجامدة - لا يستطيع ولا يريد استيعاب بعض العناصر ذات المكانة الاجتماعية أو النقابية، لكن العمل الشعبى والمؤسسات الجماهيرية أوجدت لكل النوعيات مكانها.

٢- على المستوى الخارجى:

كان أهم ما فى العمل المؤسسى أنه جعل الحركة الإسلامية جزءاً مهماً من الشعب يتفاعل معها وتتفاعل معه، بدلاً من أن تكون طائفة منعزلة، صورتها فى أذهان الناس مشوشة، ترسمها حكايات وأقلام الخصوم أو المعادين، وأصبح الناس يعرفون الجماعة بالمجمع والجمعية والجامعة، وأصبحت الجماهير حرة فى موقفها من الحركة الذى تبنيه بناء على ممارسات الحركة الظاهرة والمعروفة، وكان على الحركة أن تقدم للناس نفسها بالصورة الحسنة الجميلة، التى تتفق مع مبادئها، بالخدمات الخيرية، والتعليمية، بالرجال المحترمين ذوى السمعة الحسنة، بالطبيب المتدين الذى يخدم الناس ويقدم الخدمات الطبية مجاناً إلى الفقراء، بإمام المسجد الذى يتابع أبناء منطقته ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم، بالوجه الاجتماعى الذى يصلح بين

المتخاصمين، بالسياسي الذى لا يهادن المحتلين ويقاوم مهما كانت التكاليف، بالشباب الخلوق المتفاني في خدمة المنطقة، بالمحسنين الذين يقدمون الأموال للمحتاجين، بالطلاب المتفوقين، بالصيدلي، بالتاجر، بالمدرس، بالمعتقل.

ولم يعد رجال الحركة وقياداتها يخضعون للمعايير الداخلية الخاصة في التقويم فقط، وإنما أضيفت إليها معايير مهمة وحاسمة، وهي حكم المجتمع ورأى المجتمع، لقد ولت المرحلة التي كانت فيها قيادات الحركة في التنظيم الجامد لها كلمتها النافذة واحترامها داخل التنظيم، وقد تكون داخل المجتمع شخصيات عادية لا يؤبه لها، وقد لا تستطيع التأثير حتى في البيت أو مجال العمل.

وفي التنظيمات الجامدة تؤول القيادة إلى أشخاص حسب سابقتهم التنظيمية أو علاقاتهم الودية مع أعضاء التنظيم وهدوء طبعهم وغير ذلك.. أما في زمن المؤسسات، في زمن العمل العام والخروج إلى الجماهير، فإن الرموز والقيادات تفرض نفسها في المجتمع على الجماهير وحتى على التنظيم، رموز وقيادات تأخذ مكانتها حسب نشاطها وحماستها وجرأتها وصدقها يتابعها المجتمع ويراقبها فإما أن يفرضها أو يرفضها.

في الماضي لم يكن للحركة الإسلامية رموز شعبية وسياسية، لذلك كان الخصوم هم الذين يختارون رموزاً كثيراً ما تكون كاريكاتيرية وسيئة التعبير عن الحركة، وهي إما لا تُمت للحركة بصلة، أو أنها قطعت صلتها بالحركة منذ سنوات، أو أنها لاتزال داخل الحركة دونما مسئولية، لكن لم يكن باستطاعة الحركة أبداً مواجهة مثل هذه الادعاءات، فمن الذى سيعلن أن هؤلاء لا يمثلون الإخوان؟ لأنه سيكون مضطراً للإجابة على السؤال الأكثر صعوبة: ومن هم قادة الإخوان؟ وهذا لم يكن ممكناً في فترات الركود والجمود والعزلة، وبوجود المؤسسات والعمل الشعبي أصبحت الجماهير رقيباً على نشاط الحركة وعلى رموزها، تؤيد وتعارض، تتحفظ وتهاجم، ترفع وتخفض، مما ساهم في تسديد العمل، وأصبح النقد والذى يتعذر كثيراً في أغلب الساحات الإخوانية، أصبح متاحاً بصورة مجانية لأنه يجرى على ألسنة الناس في المسجد والحارة والمدرسة والجامعة والبيت.

وقد أفاد هذا العمل الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة بصورة أخرى مهمة، فقد أتاح للحركة فرصة التعرف والاحتكاك بالتيارات السياسية الأخرى ومعرفة أساليبها وأفكارها والرد عليها، كما أتاح للآخرين وبمرور الزمن التعرف بصورة أفضل على الحركة الإسلامية، فقد كان كل من الطرفين قد كوّن صورة عن الآخر رسمها بنفسه وحسب خلفياته الفكرية

وليست صور الآخر الحقيقية، مما جعل الحركة الإسلامية مستقبلاً قادرة على التعامل مع الآخرين: فمن الخصومة والاقتتال الدامي والتجريح المتبادل إلى إمكانيات اللقاء والحوار، بل والتحالف.

وهكذا تدخل الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة مرحلة الانتفاضة وهي تملك مقومات القوة والاستمرار، بنضج تنظيمي، والتفاف جماهيري، وقيادات مجربة، ورموز شعبية وسياسية ناجحة، وشباب وأعضاء تم اختبار صلابتهم وولائهم في مناسبات كثيرة، ومؤسسات تخدم الحركة، وسلامة الصف التنظيمي الداخلي، وزعماء صنعتهم التجربة كالشيخ أحمد ياسين والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي وغيرهما كثير، بينما يدخل الإخوان الفلسطينيون في الخارج مرحلة الانتفاضة وهم غير مستعدين لها، غير مناسبين لها، اللهم سوى تشكيلات الجهاز العام لفلسطين وقسم فلسطين الذي لم تختبر أعماله تحت ضوء الشمس، بل ظلت حبيسة الغرف المغلقة ●

الفصل الثالث

العلاقات مع القوى الأخرى .

اتسمت علاقة الإخوان المسلمين بجميع القوى السياسية والدينية - منذ بروز الحركة فى أواسط السبعينيات وحتى اندلاع الانتفاضة فى أواخر ١٩٨٧م - بالعداء والتناحر والتشويه المتبادل والذى بلغ إلى حد الاقتتال والضرب ، وكان الاختلاف الفكرى والمنهجى فى التعامل مع القضايا المطروحة واحداً من أهم أسباب ذلك العداء : فالإخوان المسلمون لهم رأيهم الخاص فى القضية الفلسطينية ، وفى أسباب التعامل معها ، والإعداد لخوض معركتها ، وتحقيق الأهداف الكاملة من إنهاء الدولة اليهودية وتأسيس الدولة الإسلامية فى فلسطين ، وهم لا يكتمون قناعتهم بفشل وعجز وأحياناً تآمر القوى الأخرى ، بينما نجد القوى الوطنية الفلسطينية بشقيها العلمانى واليسارى ، وقد واجهت الإحباط نتيجة للمآسى المتكررة التى واجهتها ، وآخرها الخروج من لبنان ، ترى رأياً مختلفاً بصورة كلية ، فحواه أنه لابد من التعامل مع الواقع والانخراط فى العملية السلمية وما تجرّه من مفاوضات وصلح ، وكانت خلال ذلك تطرح تساؤلاتها حول الإخوان المسلمين الذين يريدون تحرير كل فلسطين ، ولا يحملون السلاح ، ولم يشاركوا قط فى الكفاح المسلح . وكانت حركة الجهاد الإسلامى بما مثلته من شق إسلامى للحركة الوطنية ، تعلن عن اختلافها مع الإخوان المسلمين فى فهم حقيقة الصراع ، وتعلن رفضها لأساليب الإخوان وطريقة الإعداد وتأجيل المشاركة المسلحة فى مواجهة الاحتلال .

وكان الصراع على النفوذ فى الجامعات والمؤسسات سبباً مهماً ثانياً من أسباب ذلك العداء ، مع ما يولده من الشك المتبادل وافتراض كل طرف سوء النية لدى الطرف الآخر ، حيث كان يرى فيه عدواً يريد أن يزيحه نهائياً من الساحة .

يضاف إلى ذلك سبب مهم ثالث وهو الصورة المشوهة التى يحملها كل طرف عن الآخر ، فكل فريق يعرف الفريق الآخر من خلال خلفيات وقناعات سياسية كوّنها فى داخله عن الآخر ، لا يستند أكثرها إلى المعرفة والتجربة والموضوعية ، حتى أن كل طرف حرم الطرف الآخر من الوطنية ، وكثرت الشائعات والاتهامات ، حتى الاحتلال الذى يستهدف الجميع ويلاحق الجميع ويضرب الجميع ، لم يشكل عاملاً للوحدة والتحالف أو على الأقل لتناسى

الخلافات أو تأجيلها، بل إن المعتقلات فيما بعد والتى جمعت بين أبطال الانتفاضة من جميع الأطراف لم تمنع الصراعات وحوادث الاقتتال والضرب داخل السجون تحت مرأى ومسمع العدو، والذى كان بلا شك يعمل لإشعال الصراع كلما هدأ.

المبحث الأول
العلاقة مع المنظمات اليسارية

الخلافات الفكرية:

لم يوجد فى تلك الفترة ما يجمع بين الإخوان المسلمين الذين يعتنقون الإسلام ويعملون به وله حسب فهمهم، وبين التنظيمات اليسارية التى اعتنقت الفكر الماركسى اللينينى الذى يتعارض كلية مع مبادئ الإسلام، بل ويعادى كل منهما الآخر.

كان الإخوان المسلمون يأخذون على فتح عدم تبنيها المنهج الإسلامى، ويأخذون عليها تحالفها مع اليسار الذى يعمل لتغيير وجه منظمة التحرير ووجهتها، ومع ذلك ومع شعور الكثيرين من قيادة فتح وقيادة الإخوان بإمكانيات التقارب بينهما، إلا أن هذا لم يحدث إلا فى حالات نادرة وقصيرة العمر، أما علاقة الإخوان بالتنظيمات الماركسية كالحزب الشيوعى والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، فلم تعرف تقارباً أو لقاءً أو حواراً.

يتهم الإخوان المسلمون الشيوعيين بالكفر، ويعيدون إلى الأذهان مواقف الشيوعيين المؤيدة لقيام «دولة إسرائيل»، ويصرّحون فى خطبهم ونشراتهم أن التخلص من هذا الفكر الإلحادى ومن معتنقيه لابد أن يسبق التخلص من الكيان الصهيونى، بل هو شرط من شروط عودة الشعب إلى دينه وعقيدته التى لن ينتصر بدونهما.

أما الشيوعيون والماركسيون فيتهمون الإخوان بالرجعية والتخلف والعمالة وشق الصف الوطنى، ويجيرون صحفهم وأقلامهم فى الداخل والخارج للهجوم على الإخوان المسلمين، ومثال ذلك ما كتبته مجلة يسارية عربية[1] تحت عنوان «الإخوان فى الداخل: ممارسات مشبوهة ودعم متعدد الجهات»، كما نشرت فى نفس العدد بياناً باسم المؤسسات الوطنية فى الداخل تحت عنوان «جماهير الداخل ومؤسساتها الوطنية تستنكر ممارسات عصابة الإخوان».

---

(١) مجلة (الطليعة) الكويتية، عدد ٧٩٩ فى ٢٩ / ٦ / ١٩٨٣م.

وفي بيان صادر عن «جبهة العمل الطلابي» المؤيدة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في جامعة بيرزيت، وبعد أن رفض البيان حجج الإخوان في عدم التحالف مع (م. ت. ف) مع أنهم يدخلون برلمانات الأردن ومصر يقول: «أليس كل هذا بدليل على عمق ارتباط هذه الجماعة المستسلمة والخانعة بأنظمة الخيانة العربية وتوثقها بِرباط التبعية للمخابرات الإمبريالية»[1].

وتقول صحيفة يسارية أخرى: «لقد رفعت جماعة الإخوان المسلمين رايتها ضد (م. ت .ف) بتغذية مباشرة من الأنظمة الرجعية العربية وخاصة السعودية ومصر والأردن وبعض دول الخليج العربي، وبتواطؤ من قبل سلطات الاحتلال، حيث مارس هذا الاتجاه عملية تخريب منهجية منظمة بلغت ذروتها في بعض الأوقات عبر الاعتداءات المباشرة على المؤسسات والشخصيات الوطنية»[2].

انتخابات الهلال الأحمر الفلسطيني:

كانت انتخابات الهلال لسنة ١٩٧٩م أول مواجهة عملية وديمقراطية يشارك فيها الإخوان ضد الشيوعيين، كما كانت أول محاولة تحالف بين الإخوان و«فتح» ولعلها الأخيرة، حيث اندلع الصراع سريعاً عام ١٩٨٠م بين «فتح» والإخوان المسلمين على الجامعة الإسلامية في غزة. جاءت مبادرة التحالف من حركة «فتح» على يد واحد من أهم رجالها في قطاع غزة، حيث اتصل بالإخوان أسعد السفطاوي أحد مؤسسي «فتح»، والذي كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين في النصف الأول من الخمسينيات، «أخبرهم أنه ينسق معهم بناء على طلب من ياسر عرفات نفسه، فليس من المعقول أن يظل الهلال الأحمر تحت سيطرة الشيوعيين»[3].

كان الشيوعيون ولازالوا يسيطرون على الهلال، يستخدمونه كمقر لهم ولأنشطتهم الأدبية والثقافية، وكان ولايزال يرأس مجلس إدارته الدكتور حيدر عبدالشافي الذي رأس الوفد الفلسطيني المفاوض في مدريد وواشنطن فيما بعد.

---

(١) زياد أبو عمرو، (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩م، ص٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٧٠ - ٧١.

(٣) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

اتفق الإخوان المسلمون و«فتح» على قائمة مشتركة تضم بالإضافة إليهم عدداً من المستقلين في مقابل القائمة اليسارية المشكلة من تحالف الشيوعيين والجبهتين الشعبية والديمقراطية، وكان يقوم بالتنسيق من جانب الإخوان كل من إبراهيم اليازورى ومحمد حسن شمعة، ومن جانب «فتح» أسعد السفطاوى[1]، تنافست القائمتان على واحد وعشرين مقعداً، حصل اليساريون منها على سبعة عشر بينما حصل تحالف «فتح» والإخوان على أربعة مقاعد فقط احتلها كل من: «إبراهيم اليازورى مرشح الإخوان الوحيد وأسعد السفطاوى من «فتح» ووفا الصايغ، بعثى، وسامى أبو شعبان، مستقل»[2].

كانت هذه أول المشاكل، فالإسلاميون و«فتح» لم يقبلوا بالنتيجة واعتبروها مزورة، ويؤكد الدكتور محمود الزهار - أحد أبرز قادة حماس - أن التزوير لم يحدث فى الصناديق، فقد كان هو عضواً فى اللجنة الانتخابية التى كانت نزيهة، لكن التزوير جاء حينما كان رئيس مجلس قروى جباليا يجلس خارج القاعة ومعه بطاقات عضوية وختم الهلال يعطيها لأنصار الكتلة اليسارية الذين جاءوا دون أن يكونوا أعضاء[3]. انتبه الإسلاميون وبدأوا التسجيل فى عضوية الهلال استعداداً للجولة القادمة، التى لم تحدث أبداً، حيث عطلت الإدارة أية محاولة انتخابات جديدة، وظل مجلس ١٩٧٩م هو الذى يدير الهلال حتى الآن[4].

الصدام:

كان حادث الهجوم على مقر الهلال الأحمر فى مدينة غزة وإشعال النار فيه، الذى قام به الإخوان المسلمون ومناصروهم فى مساء ٧ / ١ / ١٩٨٠م، أول حادث عنف يحمل مدلولاً سياسياً، وقد كانت له آثاره الكثيرة على مجمل العلاقات بين الإخوان من جهة والقوى السياسية الأخرى من جهة ثانية.

جاءت الأحداث نتيجة الصراع على إسلامية الجامعة، كانت القوى السياسية الأخرى تريدها جامعة علمانية، وتحالفت قوى اليسار مع «فتح» ومع بعض الشخصيات العامة، وأثمرت جهودهم وضغوطهم دعوة لاجتماع مجلس أمناء الجامعة، وطلب من الشيخ محمد

(١) المرجع السابق.
(٢) د. محمود الزهار (أحد قادة حماس فى غزة)، مقابلة شخصية فى (مرج الزهور)، ٣٠/٦/١٩٩٣م.
(٣) المرجع السابق، (لم يكن الزهار فى ذلك الوقت عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين).
(٤) المرجع السابق.

عـواد رئيس المجلس أن يسـتـقـيـل، لإعـادة تكويـن المجلس، وقف الإخـوان المسلمـون مع الشـيـخ محمد عواد، وظل الطلاب معتصمين فى الجامعة إلى أن أجبروا المجلس أن يعلن سحب استقالة الشيخ بعد غروب الشمس، كان الشباب متحمسين للدفاع عن إسلامية الجامعة، يطلقون الهتافات ويرددون الأناشيد الإسلامية ويستمعون إلى الخطب الحماسية، وثارت فى نفوسهم عداوة الشيوعيين «المتآمرين على الإسلام»، وكانت لاتزال آثار انتخابات الهلال فى نفوسهم واتهامهم للشيوعيين بالتزوير، فبدأت الدعوة إلى مهاجمة «مقر الأوثان» و«منبع الكفر والشر والفساد». وقام القادة الميدانيون من الشباب بدور كبير فى تهييج المشاعر الهائجة أصلاً وانطلقت المظاهرة الحاشدة باتجاه مقر الهلال الأحمر وأشعلت النار فيه وأتلفت محتوياته، وعرّج البعض على دور السينما وأماكن اللهو بغرض «تغطية الهجوم على الهلال»[1] أو بسبب من المشاعر الدينية الهائجة.

استغل الشيوعيون وكل خصوم الإخوان المسلمين هذا الحادث استغلالاً كبيراً، وكانوا يملكون وسائل إعلام كثيرة ومتعددة، بالإضافة إلى خبرتهم فى العمل السياسى، وبدأت الحملة الإعلامية فى الداخل والخارج تتهم رجال «المجمع» بالإرهاب، وبدأت تتوافد إلى مقر الهلال الأحمر وفود المتعاطفين من الضفة الغربية ومن فلسطين المحتلة بالإضافة إلى القطاع، وبدأ الشيوعيون يعرضون المصاحف المحروقة التى كانت فى مقر الهلال[2].

يقول أحد قادة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة: «لقد وقعنا فى الحرج، ولا ندرى كيف نخرج من الورطة، ليس لنا تجربة، وبدأت عناصرنا وقياداتنا تنكشف بسبب التقدم لعضوية الهلال والاشتراك فى الانتخابات ثم الصراع مع الشيوعيين»[3]. والحقيقة أن هناك كثيرين من الإخوان المسلمين فيما بعد رأوا فى ذلك فائدة وخبرة للحركة، فهذه الحادثة - فى اعتقادهم - وصدامات بعدها فى الجامعات، أعطت الإخوان المسلمين مهابة ومكانة، وأصبح الجميع يعمل لهم ألف حساب[4].

أما الدكتور حيدر عبدالشافى فقد أجاب إجابة ذكية حينما نسب العمل إلى المخابرات الإسرائيلية[5]، فهو من جهة يظهر حرصه على الوحدة، كما أنه لا يريد أن يصبح الصراع

---

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) كثير من الإخوان تحدثوا مع الباحث بهذا الخصوص.
(٥) جريدة (الفجر) المقدسية، ٧/ ١٠/ ١٩٨٠.

بين الدين والشيوعيين، فيكونوا هم الخاسرين، بالإضافة إلى أن ذلك اتهام للطرف الآخر بخدمة الأهداف الصهيونية.

وتذكر مصادر التيار الوطني أنه في ١٩ / ٢ / ١٩٨٤م هاجمت عناصر إسلامية عدداً من الطلاب في جامعة النجاح الوطنية في نابلس أثناء احتفال أقاموه بمناسبة الذكرى الثانية لتأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني كما تم في سبتمبر من العام ذاته اختطاف إمام مسجد مخيم «الدهيشة» بسبب خطبة ألقاها[١]، وحدثت صدامات عديدة - سنتناولها في المبحث القادم - شاركت فيها التيارات اليسارية إلى جانب عناصر حركة «فتح».

كما جرت حوادث عنف من يونيو إلى أكتوبر عام ١٩٨٦م بين الإخوان المسلمين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تقول مصادر الإخوان المسلمين[٢] أن الاستفزازات بدأت من بنات الجبهة، وتلخصت بالتهجم على إدارة الجامعة وتجاوز القوانين الجامعية بترتيب حفلات واستدعاء شخصيات من خارج الجامعة دون إذن، وقد تزعمت هذه الحركة طالبة من «بيت حانون» تم طردها من الجامعة بعد التحقيق معها، فقامت زميلاتها ومعهن نساء من خارج الجامعة بمظاهرات واعتصامات كانت نتيجتها أن طُردن من الجامعة، وقامت عناصر من الجبهة الشعبية رداً على ذلك بضرب طالبة إسلامية من جباليا بسكين في وجهها، تصاعدت الأحداث حيث قام شباب الكتلة الإسلامية في الجامعة بمحاصرة طلاب الجبهة وملاحقتهم وضربهم، وخرج الصراع من الجامعة حيث هاجمت عناصر من الجبهة الدكتور إبراهيم اليازوري، وقام نفر من شباب الإخوان بمهاجمة الدكتور رباح مهنا في غزة حيث نقل إلى المستشفى للعلاج من كسور في عظامه.

وقد قامت الجبهة الشعبية بعد ذلك بمحاولة لاغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي في خان يونس أثناء عودته متأخراً إلى البيت[٣]. وقد ظلت هذه الأحداث المؤسفة والمشاعر المتوترة حتى ديسمبر ١٩٨٧م حينما اندلعت الانتفاضة، وقام الجميع بمهاجمة جنود الاحتلال.

---

(١) ربعي المدهون، (الحركة الإسلامية في فلسطين، ١٩٢٨ - ١٩٨٧م)، (شئون فلسطينية)، العدد ١٨٧، أكتوبر ١٩٨٧م، ص٣٢.

(٢) إسماعيل هنية، مقابلة شخصية (مرج الزهور)، ٥ / ٦ / ١٩٩٣م، ومحمود الزهار، مرجع سابق.

(٣) د. عبدالعزيز الرنتيسي، مقابلة شخصية في مرج الزهور، ٩ / ٦ / ١٩٩٣م.

المبحث الثانى
العلاقة مع «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية

الخلافات الفكرية والتنافس على النفوذ:

اختلف الإخوان المسلمون مع حركة «فتح» التى تقود (م. ت. ف) وتشكل العمود الفقرى لها على مسائل كثير فيما يخص القضية الفلسطينية، اختلفوا على الأهداف وعلى وسائل تحقيقها، على طريقة التعامل مع الدول العربية واليسار الفلسطينى والحلول الدبلوماسية المطروحة وأشياء أخرى، وكان ذلك طبيعياً، فالإخوان المسلمون يريدون أن تكون المنظمة إسلامية ولا مساومة فى ذلك، و«فتح» تريدها علمانية تشمل جميع التيارات الفلسطينية فى مرحلة التحرير الوطنى، ولا تراجع فى ذلك.

رفض الإخوان منهج (م. ت. ف)، واعتبروا «أن عدم تبنى المنظمة للفكر الإسلامى أفقدها انخراط ملايين المسلمين فى الجهاد»[1] وكما يعارض الإخوان دعوة المنظمة لقيام دولة ديمقراطية علمانية فى فلسطين على اعتبار أن أرض فلسطين إسلامية خالصة وأن اليهود جاءوها مغتصبين من أوربا وآسيا وأفريقيا، كما يعارض الإخوان إقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة، يكون ثمنها الصلح مع اليهود والاعتراف بدولتهم والتنازل عن الحقوق الثابتة للفلسطينيين فى وطنهم، كما يعارض الإخوان انخراط (م. ت. ف) فى محاولات التوصل إلى حل دبلوماسى عن طريق المفاوضات، «ويعارض الإخوان (م. ت. ف) لأنهم يعتقدون أنها من صنع الأنظمة العربية حيث قام كل نظام حكم بتشكيل فصيل تابع له أيديولوجياً ومالياً وسياسياً، ثم عمل على ضمه إلى جهاز المنظمة.. وبذلك أصبح قرار المنظمة قراراً نابعاً من سياسات الأنظمة وتابعاً لها»[2].

وقد حدد الإخوان موقفهم بأنه «لا يجوز بعد الآن احتكار العمل الفلسطينى من قبل التيارات التى أثبتت فشلها خلال العشرين عاماً الماضية على ساحة العمل الفلسطينى، ولا يجوز كذلك إبعاد الإسلام بفاعليته الحية عن ساحة الصراع».[3]

---

(١) Emile Sahliyeh. op. cit., 151.

(٢) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص٥٦، عن (م. ت. ف. من محنة إلى محنة)، (المنطلق)، العدد ١٦، تشرين ثانى (نوفمبر) ١٩٨٦م، ص٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٥ عن (الحقيقة الغائبة)، كتاب أصدره الإخوان فى الأرض المحتلة، بدون مؤلف أو ناشر أو تاريخ، ص٥٤.

ولم يتوقف الأمر عند حد الاختلافات السياسية والفكرية، فقد «اتهم مؤيدو الحركة الإسلامية أنصار المنظمة بمحاولة إجهاض العمل الإسلامي وتشويه الحركة.. وأن المؤسسات العلمانية تحرمهم حق التعبير عن النفس».[١] كما اشتكى الإسلاميون من طريقة توزيع الأموال التى أقرها مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٨م، وأن اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة تستغل ذلك في شراء النفوذ السياسي بدلاً من صرفها على المحتاجين وعلى المشاريع الاقتصادية والثقافية.[٢]

أما حركة «فتح» داخل الأرض المحتلة ومعها فصائل (م. ت. ف) فقد اتهمت الإخوان المسلمين بعدم الشرعية لأنهم خارج مؤسسات (م. ت. ف) التى كرست شرعيتها بالبندقية، وأنهم يعملون فى نفس الاتجاه الذى تعمل فيه القوى المعادية للشعب الفلسطينى، والتى تريد إضعاف (م. ت. ف) وإيجاد بديل عنها يرضى بالحلول التى لا تحقق أدنى المطالب الفلسطينية، كما «أتهموهم بالعمالة لأمريكا وإسرائيل».[٣]

وكانت حركة «فتح» كغيرها من الفصائل تعقد المقارنات بين الإخوان فى مصر الذين وجدوا حرية العمل فى عصر السادات لضرب القوى الوطنية والناصرية وبين الإخوان فى الأرض المحتلة الذين أتاحت لهم إسرائيل حرية العمل لإضعاف (م. ت. ف)، ويقول كتيب أصدرته «حركة الشبيبة الطلابى» التابعة لـ«فتح»: «فتح السادات فى مصر حرية العمل للإخوان لأنهم الوحيدون القادرون على الحد من خطر خصومه فى الحركة الوطنية المصرية التى تهدد نظامه..»[٤]

نقلت مجلة التايمز فى وقت مبكر عن أحد كوادر (م. ت. ف) فى القدس «أن هذا النمو الفجائى لحركة الجماعات الإسلامية يشكل تهديداً خطيراً لنا»[٥]، وتطورت هذه الاختلافات الفكرية والسياسية ثم الاتهامات المتبادلة لتصل إلى مرحلة التنافس على النفوذ فى الجامعات والمؤسسات والذى وصل إلى حد إسالة الدماء، وقد كانت جامعات الأرض المحتلة أبرز ساحات التنافس الشديد بين الإخوان المسلمين من جهة والفصائل الفلسطينية بقيادة «فتح» من جهة أخرى، وكانت أوضح ما تكون فى الصدامات التى جرت فى أكبر ثلاث جامعات - الإسلامية والنجاح وبيرزيت.

(١) Emile Sahliyeh, p.167.

(٢) Ibid.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٦.

(٤) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص٦١.

(٥) جريدة (القبس) الكويتية ٢٢/٢/١٩٨٢م.

محاولات التقارب بين «فتح» والإخوان:

كانت تجمع بين «فتح» والإخوان عوامل تقارب تدفع كل فريق باتجاه الآخر، أو على الأقل تمنعه من التوغل في العداوة، فأغلب قيادات «فتح» ومؤسسيها كانوا من الإخوان المسلمين، وقد ظل الكثير منهم يحتفظ بعلاقة ود شخصية مع رموز الإخوان الفلسطينيين وكبارهم في الخارج وخاصة كل من ياسر عرفات وخليل الوزير وسليم الزعنون، كما كانت قيادة «فتح» على علاقة طيبة بالإخوان المصريين والكويتيين وبالجبهة الإسلامية في السودان.

وكان الإخوان دائماً يقولون في دوائرهم الخاصة أن «فتح» هي أقرب الفصائل إلى الإخوان، لدرجة أن الشيخ أحمد ياسين وفي سنة ١٩٨٨م يوصي خليل القوقا بعد الحكم بإبعاده ألا يهاجم «فتح»[١]، فالإخوان يرون في «فتح»، وإن لم تنتهج الإسلام، ضمانة في هذه المرحلة لمنع سيادة الفكر اليساري، كما كانت «فتح» تعمل لتوظيف قوة الإخوان المتزايدة في صراعها مع قوى اليسار.

أما عوامل التباعد بين الفريقين فقد كانت أكثر جذرية، فالإخوان لا يقبلون سوى الإسلام فكراً وقائداً لمنظمة التحرير، ويبدو أنهم صمموا على إدخال الإسلام وبقوة ليقود الشعب كله لا أن يكون واحداً من تياراته، أما حركة «فتح» فإنها تتمسك بقيادة الشعب الفلسطيني وتصر على علمانية المنظمة لتكون إطاراً لكل الاتجاهات يمينية أو يسارية.

أما الجيل الجديد عند كل من الطرفين فقد كان يدفع باتجاه التباعد، فشباب الإخوان المسلمين الذين تشجعهم أخبار الصحوة الإسلامية في كل مكان وتلهمهم نجاحات الثورة الإسلامية في إيران وبطولات الجهاد الأفغاني ضد السوفيت، كانوا يصرون على التميز، كانوا لا يرون في «فتح» إلا نموذجاً للسلطة العربية المتمسكة بسيطرتها على الجماهير.

وكان شباب «فتح» أيضاً يرون في الإخوان المسلمين نموذجاً للقوة الدخيلة التي بعثت للحياة مرة ثانية لتعرقل مسيرة العمل الوطني، وكانوا يسترجعون كل الأدبيات الناصرية واليسارية في الهجوم على الإخوان، عملاء الإمبريالية والسعودية والأردن، ولم تقم قياداتهم أبداً بمحاولة الدفاع عن الإخوان أمام القواعد، وليس دقيقاً قول أحد الباحثين عندما وصف العلاقة بين «فتح» والإخوان «بعلاقة الحب والكراهية في آن واحد»[٢] فقد ظلت الغلبة في معظم الأحيان لعوامل التباعد.

---

(١) خليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت ١١/٨/١٩٨٨م.

(٢) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص٥٤.

ومع ذلك فقد أسفرت عوامل التقارب عن بعض المحاولات والدلالات، وكان أولها محاولة أسعد السفطاوى وبطلب من ياسر عرفات عام ١٩٧٩م للتنسيق مع الإخوان فى انتخابات الهلال الأحمر فى مواجهة الشيوعيين واليساريين، حيث دخل الإخوان و«فتح» فى قائمة انتخابية واحدة، ولعل قول الإخوان له «إننا نخشى أن تنقلبوا علينا بعد ذلك»[١]، يظهر مدى الشكوك المتبادلة، ولم تمض شهور بعد ذلك التحالف، حتى دخلت «فتح» مع اليسار فى تحالف ضد الإخوان من أجل السيطرة على الجامعة الإسلامية.

وفى سنة ١٩٨١م وفى أعقاب الصدامات العنيفة بين أنصار «فتح» وأنصار الإخوان فى جامعة النجاح بنابلس، طلبت قيادة «فتح» فى الخارج من أتباعها عدم حرق الجسور مع الإخوان، لأن «فتح» بحاجة إليهم كورقة ضاغطة على سوريا[٢]، وفى يونيو ١٩٨٢م وبعد اجتياح لبنان، وقف خطباء الإخوان فى جميع مساجد الأرض المحتلة مع المقاومة الفلسطينية، وقاموا بتعبئة الجماهير وإقامة صلاة الغائب على أرواح الشهداء.

وفى عام ١٩٨٣م وبعد الانشقاق داخل حركة «فتح» فى لبنان، وقف الإخوان المسلمون مؤيدين لقيادة (م. ت. ف)، وقد نظمت جمعية الإصلاح الاجتماعى فى الكويت مهرجاناً خطابياً حاشداً لتأييد «فتح» واستنكار المواقف السورية ومواقف المنشقين، وقد تحدث فى المهرجان سليم الزعنون نائب رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى، «وقد تجلى موقف الإخوان المسلمين المتعاطف مع «فتح» فى إدانتهم لعملية الانشقاق، ووصفها بأنها عمل إجرامى، وفى اتهام المنشقين بأنهم أدوات تحركها سوريا وليبيا للسيطرة على القرار الفلسطينى... كما وصفوها بأنها تعود إلى تآمر القوى اليسارية الفلسطينية والماركسيين العرب.. بهدف تقويض «فتح» من الداخل وتصفية القضية الفلسطينية وإلغاء الخيار العسكرى.. كما ناشدوا «فتح» أن تطهر صفوفها من العناصر الماركسية.. وأن تتعاون مع الجماعات الإسلامية.[٣]

قد قامت «فتح» من جانبها بمحاولات جادة لاحتواء الاتجاه الإسلامى، «ووصلت محاولات الاحتواء أوجها عندما قامت «فتح» بإدخال ثلاثة أعضاء جدد، اعتبرتهم من ممثلى الإخوان، إلى المجلس الوطنى الفلسطينى الذى عقد فى الجزائر فى شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٧م».[٤]

(١) حماد الحسنات، مخطوط كتبه فى مرج الزهور.

(٢) زياد أبو عمرو، ص٧٦.

(٣) Emile Sahliyeh, op., cit., p. 154, from "Al-Muntalaq", Sep. 1983 Em.

(٤) زياد أبو عمرو، ص٧٧.

والواقع أنه لم يتم الاتفاق مع الإخوان المسلمين على ذلك، ويؤكد زياد أبو عمرو أن الثلاثة لم يكونوا من الإخوان المسلمين، ودخلوا المجلس كشخصيات إسلامية، وهم جميعاً أعضاء في «هيئة المؤسسين» للجامعة الإسلامية في غزة.[1]

كانت حركة «فتح» تريد الاستفادة من جهد الإخوان في مسيرة العمل الوطني كما تراه قيادة (م. ت. ف) وتعمل له، وكانت أيضاً تريد إضعاف التيارات اليسارية التي كانت تشاغب عليها وفوق ذلك كله كانت «فتح» تريد تأكيد قيادتها للشعب الفلسطيني كله باتجاهاته السياسية جميعاً، وكان هناك دائماً خط أحمر لا تتعداه وهو هيمنة «فتح» وهيمنة أسلوبها على مسيرة العمل.

وكان الإخوان المسلمون يريدون إضعاف التيارات اليسارية، ودفع «فتح» باتجاه الإسلام، فقد كان بعض قيادات الإخوان يأمل أن تعود «فتح» إلى المنهج الإسلامي بعد أن تفشل كل المحاولات السياسية، فحركة «فتح» في تركيبها تمثل جميع شرائح الشعب الفلسطيني ولم تنتهج نظرية أيديولوجية محددة.

كانت محاولات الطرفين إما مصلحية آنية أو عاطفية، لذلك كانت الغلبة للتباعد والتناحر، خاصة أن التنافس بين «فتح» والإخوان يأخذ وجهة خطيرة في تصور «فتح» وهو التنافس على قيادة الشعب الفلسطيني، وهو أخطر من كل مظاهر التنافس مع المنظمات القومية واليسارية طيلة عشرين سنة مضت، لذلك كان لابد من الصدام والذى كان أكثر عنفاً من صدام الإخوان المسلمين مع الشيوعيين واليساريين.

الصدام:

وقعت الصدامات ومعارك الأيدى والقضبان الحديدية بين أنصار الإخوان المسلمين وأنصار «فتح» منفردة، كما وقعت أيضاً مع «فتح» متحدة مع الفصائل اليسارية الأخرى، وقد وصلت ذروتها حينما أقدمت عناصر من حركة «فتح» على اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب المحاضر في الجامعة الإسلامية في غزة طبقاً لمصادر الإخوان.

وقد انتشرت الصدامات في كثير من المناطق، لكننا هنا سنركز على أهمها وأخطرها والتي حدثت في أكبر ثلاث جامعات في الأرض المحتلة: الجامعة الإسلامية في غزة وجامعة بيرزيت في قضاء رام الله وجامعة النجاح الوطنية في نابلس.

---

(١) زياد أبو عمرو، ص٧٧.

(أ) الجامعة الإسلامية فى غزة:

بدأ الصراع على الجامعة الوحيدة فى قطاع غزة بين الإخوان المسلمين الذين أسسوها ويصرون على إسلاميتها من جهة وبين كافة الاتجاهات السياسية وخاصة «فتح» التى تريد أن تسميها «جامعة غزة» من جهة أخرى، وقد فشلت المحاولة الأولى عام ١٩٨٠م كما ذكرنا من قبل، وبدأ الجميع يعمل ألف حساب للقوة الإسلامية، لكن «فتح» التى ترى نفسها ممثلة الشرعية الفلسطينية تعتبر الجامعة مؤسسة وطنية لابد أن تدخل حظيرة الشرعية، لذلك بدأت تخطط للاستيلاء على الجامعة وخاصة حينما أجبر طلاب الجامعة مجلس الأمناء على طرد أول مدير لها والذى كان قريباً من «فتح»، وبقدوم د. محمد صقر لرئاسة الجامعة انسجمت الإدارة مع مجلس الطلاب فى ترسيخ إسلامية الجامعة.

فى شهر يناير عام ١٩٨٢م عبر الإخوان عن استيائهم لقيام «فتح» بالتحالف مع الفصائل الوطنية الأخرى فى الأرض المحتلة والتوقيع على بيان سياسى يدين الإخوان المسلمين[١]، وجاء عام ١٩٨٣م ليحمل فى طياته أكثر الاشتباكات عنفاً، حينما تحالفت جميع التنظيمات بما فيها «الجهاد الإسلامى»[٢] ضد جماعة الإخوان المسلمين، وأراد التحالف الاستيلاء على الجامعة من خلال «لجنة العاملين» التى أنشأوها على أساس أن الغالبية فيها لهم، ولكن إدارة الجامعة رفضت الاعتراف بهذه اللجنة التى «نظمت إضراباً استمر ثلاثة أسابيع، وقد قام عدد من العناصر ينتمى إلى الجماعات الإسلامية بالتعاون مع الحراس بمهاجمة المضربين والاعتداء عليهم»[٣].

ولما لم تنجح هذه المحاولة، اتفقت جميع القوى الأخرى على مهاجمة الجامعة والاستيلاء عليها بالقوة وذلك بهجوم مباغت فى صباح يوم السبت ٤ / ٦ / ١٩٨٣م، وساندهم حافلات تحمل الطلاب العلمانيين من جامعة بيرزيت فى الضفة الغربية، ناموا فى القطاع ليلة الحادث، وفى الصباح هاجموا الجامعة «بقنابل المولوتوف وصفائح البنزين وأجهزة الأكسجين»[٤] والسلاسل والقضبان الحديدية. وتقول مصادر الإخوان[٥] إنهم علموا بالخطة واستعدوا لها وكمنوا لهم فى المساجد المجاورة مثل مسجد السلام ومسجد الكتيبة وتصدوا لهم وضربوهم

---

(١) المرجع السابق، ص٧٤.

(٢) إسماعيل هنية، مرجع سابق.

(٣) إسماعيل هنية، مرجع سابق، ص٣٢.

(٤) بيان صادر عن المؤتمر الشعبى المنعقد فى ١٥ / ٦ / ١٩٨٣م فى مدينة خان يونس.

(٥) محمود الزهار، مرجع سابق وإسماعيل هنية، مرجع سابق.

وأخذوا منهم بعض الأسرى وحققوا معهم فعرفوا أن بعضهم من بيرزيت، «وطبقاً لبيان صادر عن الاتجاه الوطني فإن أكثر من ٢٠٠ طالب أصيبوا بجروح»[١]، وقد تبادل الطرفان الاتهامات فيما عرف بيوم «السبت الأسود».

أحداث عام ١٩٨٤م (اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب):

بعد خروج أبو على شاهين من سجون الاحتلال إلى قطاع غزة، أصبح مشرفاً على لجان الشبيبة فى الأرض المحتلة ومسئولاً لحركة «فتح»، وقد بذل ومن معه جهوداً كبيرة للسيطرة على الجامعة الإسلامية، «ابتداء بالانتخابات التى أعدوا لها إعداداً جيداً وتحالفوا مع الجميع وكانوا يأملون بالفوز، وكانت نتيجة الانتخابات صدمة لهم»[٢] حيث فاز الإخوان المسلمون بجميع المقاعد. «ومع بداية العام الدراسى قامت الشبيبة بتوزيع العديد من النشرات دون استئذان مجلس الطلبة منها (اليقين) و(الإسراء) و(الإدارة)، وكلها طعن وتشويه وتشهير بالاسم بقيادات الإخوان من هيئة التدريس، كما قام أبو على شاهين بزيارة الجامعة وعمل ندوات فيها دون إذن من أحد ولما تصدى له إسماعيل الخطيب بصفته القائم بأعمال رئيس الجامعة، رفض الاستئذان بحجة أن الجامعة مؤسسة وطنية وهى بالتالى واحدة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية»[٣].

كانت الجامعة تغلى وكذلك القطاع حتى أقدمت عناصر من «فتح» ١٦ / ١١ / ١٩٨٤م على اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب أمام زوجته وأبنائه التسعة كما تقول مصادر الإخوان، وأشاعوا أنه يتعاون مع المخابرات الإسرائيلية وأنه اشترك مع الشيخ حسن الترابى فى مؤامرة تهريب (الفلاشا)[٤].

وقد أقام الإخوان المسلمون للخطيب أكبر جنازة فى تاريخ القطاع، حيث استنفروا أعضاءهم ومناصريهم من جميع أنحاء الأرض المحتلة فى مسيرة طويلة بالسيارات من الجامعة الإسلامية فى غزة إلى مدينة خان يونس بمسافة أكثر من ثلاثين كيلو متر، وقد صورت الجنازة وكلمات التأبين فى شريط فيديو وزعه الإخوان[٥] ألقت السلطات القبض على الفاعلين وقيل إنهم اعترفوا أنهم تلقوا الأوامر من «أبو جهاد»، بينما أنكرت قيادة منظمة التحرير

---

(١) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص٧٢.

(٢) ردود على افتراءات، ص٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) حصل الخطيب على درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية.

(٥) شهادات عدد من الإخوان بالإضافة إلى شريط فيديو يصور الجنازة والتأبين.

مسئوليتها عن الحادث المؤسف، وفتحت له بيت عزاء في عمان، وصرفت لأسرته بعض المال.

استمرت الاتهامات والتهديدات والصدامات في عام ١٩٨٥م حيث ضربت عناصر الإخوان أسعد السفطاوى فى ٥ / ٣ / ١٩٨٥م[١]، أحد قادة حركة «فتح» فى قطاع غزة.

(ب) جامعة بيرزيت:

لقد كان حصول الكتلة الإسلامية فى انتخابات عام ٧٩ على نسبة ٤٣٪ فى هذه الجامعة التى يسيطر على إدارتها النصارى ويسيطر على طلابها الشيوعيون والجبهتان الشعبية والديمقراطية مفاجأة مذهلة، طبعت الحياة الطلابية فيها بطابع التشهير المتبادل.

ولعل أهم أحداث بيرزيت كانت تلك الصدامات التى حدثت فى الخامس من يونيو حزيران عام ١٩٨٣م، حيث طلبت الكتلة الإسلامية الإذن من مجلس الطلبة بعمل مسيرة تعبر عن سخطهم على الهزيمة والاحتلال، يقول أحد قادة الكتلة: «اشترك فى المسيرة حوالى ثلاثمائة شاب يتقدمهم شعار الكتلة الإسلامية وسط خريطة فلسطين، وكان الآخرون قد استعدوا وجهزوا القضبان الحديدية والهراوات وبدأوا بمهاجمة المسيرة من كل جانب، وحوصرت بنات الكتلة الإسلامية فى الكافيتريا واشترك فى الهجوم عدد من أهالى بيرزيت لينتقموا لأبنائهم الذين عادوا من غزة مضروبين بعد هجومهم الفاشل على الجامعة الإسلامية»[٢]، وقد اتهم بيان الكتلة الإسلامية إدارة الجامعة وأهالى البلدة المسيحية بالتواطؤ مع الاتجاه الوطنى فى هذا الهجوم.[٣]

(جـ) جامعة النجاح الوطنية[٤]:

تصاعدت الخلافات داخل الجامعة إثر فوز الكتلة الإسلامية بجميع مقاعد مجلس الطلبة فى انتخابات ٨١ / ٨٢، فالتقت الكتل الأخرى وأعلنت تشكيل «اللجنة الطلابية الموحدة» التى أعلنت أن مجلس الطلبة الإسلامى لا يمثلهم، وأنها هى الجهة الشرعية التى تمثل الطلاب لأنها تمثل فصائل (م. ت.ف) الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطينى، استولت اللجنة على مقر لها فى أحد بنايات الجامعة وبدأت تمارس الأنشطة العامة مخالفة بذلك نظام مجلس الطلبة.

---

(١) محمود الزهار، مرجع سابق.

(٢) جميل الدلو، مقابلة شخصية، هيوستن (أمريكا) فى ٢، ٣ /٧/ ١٩٩٠م.

(٣) زياد أبو عمرو، مرجع سابق.

(٤) جمال منصور، «جامعة النجاح الوطنية» (مخطوط)، مرج الزهور، يونيو ١٩٩٣م

وحدثت مشاكل وصدامات كان أهمها أحداث يوم ٩ / ١ / ١٩٨٢م حينما دخلت عناصر الكتلة الإسلامية غرفة المدرس محمد صوالحة، الذى قفز من الطابق الثانى مما سبب كسراً فى رجله، فقامت قيامة القوى الوطنية، وعملت المؤتمرات، وبدأت بالهجوم الإعلامى على الكتلة الإسلامية.

المبحث الثالث
العلاقة مع الجهاد الإسلامى

نشأة حركة الجهاد:

تقول حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين: «نحن لم نخرج من «فتح» رغم أن قليلاً أو بعضاً من إخواننا عاشوا التجربة الوطنية بكامل أبعادها، كما لم نخرج من تنظيم (الإخوان المسلمين)، كما ظن الكثيرون، رغم أن بعض كوادرنا الهامة عاشت التجربة..»[1] لقد تكونت حركة الجهاد فى الثمانينيات من عناصر خرجت من الإخوان المسلمين وبدأت تروج لفكرتها بين الشباب فاستقطبت عدداً من المعتقلين ممن كانوا ينتمون إلى «الجماعة الإسلامية» أو فتح أو قوات التحرير الشعبية أو غيرها، وخاصة حينما اعتقل عام ١٩٨٣م مؤسس الحركة ومفكرها، الدكتور فتحى الشقاقى، كما نشطت الحركة فى قطاع غزة، فضمت إليها الكثير من الشباب الذين لم يسبق لهم الانتماء لأى تنظيم.

ولعل أكثر ما يهمنا فى بحث العلاقة بين الجهاد والإخوان هو إلقاء الضوء على أهم شخصيتين فى الجهاد، واللذين كانا عضوين نشطين فى جماعة الإخوان المسلمين، تركا الجماعة غاضبين عليها وغاضبة عليهما.

كان عبدالعزيز عودة طالباً فى كلية دار العلوم بالقاهرة، وكان مسئول القيادة الطلابية للإخوان المسلمين هناك، كان معروفاً بذكائه وسعة اطلاعه وقدرته على الحوار، وقد رأى بعض الطلبة الإخوان «أن قيادة التنظيم قد شطت بعيداً عن الناحية الروحية إلى الناحية الفكرية، فقد كانوا يسهرون حتى الفجر فى حوارات ونقاشات كما كانوا بالإضافة إلى ذلك يتساهلون فى بعض الأمور مثل التدخين»[2] وكانت هناك مشاكل شخصية مع عبدالعزيز عودة،

---

(١) (مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين)، من منشورات حركة الجهاد الإسلامى، بيروت: بيت المقدس للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص٦.

(٢) د. م. م مقابلة شخصية، (لندن) ١٢/٧/١٩٨٩م.

وتفاقمت الأمور حتى استطاع بعض الطلاب أن يصلوا إلى حلقة الوصل مع الكبار وينقلبوا على قيادتهم الطلابية التى تم تنحيتها عن قيادة العمل الطلابى عام ١٩٧٣م، ليخرج من ذلك الوقت بشير نافع الذى أصبح فيما بعد واحداً من الكتاب الفلسطينيين الإسلاميين القلائل الذين يتناولون المشكلة الفلسطينية بوعى إسلامى متقدم، كما يغادر عبدالعزيز عودة جماعة الإخوان المسلمين، ثم يغادر مصر إلى الإمارات العربية والتى لم نعرف نشاطه فيها، إلا أنه بالتأكيد تعرف فيها على الفقه الشيعى، والفكر الثورى الشيعى عند شريعتى والخمينى، ويعود إلى غزة ليعمل محاضراً فى الجامعة الإسلامية حوالى عام ١٩٨٠م ليصبح أبرز رجال الجهاد الإسلامى، وأكثرهم حركة فى المساجد والمنتديات، داعياً إلى فكرته منتقداً جماعة الإخوان المسلمين حتى وصف «بالمرشد الروحى» لجماعة الجهاد.

أما الدكتور فتحى إبراهيم الشقاقى، مؤسس الحركة ومفكرها والأمين العام لها، فقد كان واحداً من شباب مخيمات اللاجئين فى رفح الذين صدمتهم هزيمة يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م، وقد شغلته أزمة الأمة فوجد ضالته فى فكر الإخوان المسلمين، فى حركية حسن البنا وشجاعته واستشهاده، وفى إبداع سيد قطب الذى رسم للشباب المسلم معالم الطريق، مميزاً بين الإسلام وعزته والجاهلية وأنظمتها التى تسببت فى ضعف الأمة وتفككها، تعرف الشقاقى على الشيخ أحمد ياسين وأصبح مبكراً من أوائل الشباب الذين انتموا للجماعة بعد الحرب، ودرس فى بيرزيت وتعرف على الأفكار السياسية لحزب التحرير، كما اطلع على تجربة الأحزاب اليسارية الأخرى، وكثرت تساؤلات فتحى ومطالبته للإخوان بالاهتمام بالوعى السياسى والعمل للقضية الفلسطينية.

ويصل الشقاقى إلى مصر سنة ١٩٧٤م ليدرس الطب فى جامعة الزقازيق، وكانت لاتزال آثار الانقلاب الطلابى الذى أطاح بعبدالعزيز عودة وبشير نافع وغيرهما، لم يكن يعلم أن توصية سبقته من قيادة الإخوان فى غزة إلى قيادة الطلاب فى القاهرة بألا يعطى مرتبة قيادية، لأنه ليس مأموناً من الناحية الفكرية[١]

كان الشقاقى أكبر من سنه بأربع سنوات لتأخره فى بيرزيت وفى الوظيفة كمدرس، كما كان أكبر من سنه من حيث ثقافته الواسعة وقدرته على الحوار، كما كان أسبق فى التنظيم من قيادة الطلاب فى القاهرة، ولم تجد قيادة الطلاب مبرراً لإسناد مسئولية الزقازيق لغيره، فلم يكن غيره هناك سوى طالبين اثنين. كان تعامله مع قيادة الطلاب يتم بهدوء، ولكنه كان

---

(١) المرجع السابق.

دائماً يعبر عن آرائه فى التركيز على قضية الوعى السياسى والنشرات السياسية وضرورة أن تكون الحركة الإسلامية حركة سياسية وضرورة أن تكون فلسطين هى القضية المركزية للحركة الإسلامية[1].

حاول الإخوان كثيراً معه، وكانت تدور المناقشات بينه وبين الشيخ أحمد ياسين فى الإجازات الصيفية، أما فى مصر فقد كان أقوى حجة من شباب الإخوان الذين استعانوا لمحاورته بالشيخ أحمد نوفل والشيخ راجح الكرد وخاصة فى موضوع تأييد الثورة الإيرانية.

وكان الموقف من الثورة الإيرانية هو العامل الحاسم الذى جعل فتحى الشقاقى يترك الجماعة، لقد استبشر شباب الإخوان بالثورة الإسلامية وأيدوها، أما هو فقد ابتعد كثيراً عن الإخوان فى تأييده للخمينى، ومطالبته بالبيعة للإمام الخمينى، ألف كتاباً بعنوان «الخمينى، الحل الإسلامى البديل» فاعترض الإخوان على نشره، لكن فتحى نشره فى القاهرة، مما جعل الإخوان يصدرون قراراً بتجميد فتحى عن العمل التنظيمى - ولم يصله هذا القرار حتى الآن - لأن سلطات الأمن المصرية كانت قد اعتقلته، وبعد خروجه من المعتقل يزداد نشاطه، ويتصل بالجهاد الإسلامى المصرى، ويبدأ فى تجميع الشباب فى مصر حول أفكاره، فينضم إليه عدد منهم، كما يصل إلى مصر فى نفس الفترة الدكتور بشير نافع لإكمال دراسته العليا فيلتقى مع فتحى الشقاقى زميله وصديقه من أيام الدراسة فى بيرزيت، وتلتقى الأفكار بين فتحى المغادر لجماعة الإخوان، وبين بشير الذى كان واحداً من القيادة الثلاثية لطلاب الإخوان والتى أطيح بها عام ١٩٧٣م.

ويتمكن فتحى الشقاقى من مغادرة مصر إلى غزة عام ١٩٨٠م، ويبدأ هناك بالتعاون مع عبدالعزيز عودة ومن كان معهم فى مصر فى الدعوة المتحمسة لأفكارهم بين الشباب فى المساجد وفى الجامعة، ودخلوا تنافساً مع الإخوان المسلمين زاد فى اشتعاله ما يعتمل فى النفوس من خلفيات الماضى القريب.

الاختلاف فى الفكر والأسلوب:

اختلفت رؤية الجهاد الإسلامى للمشكلة الفلسطينية، عن رؤية الإسلاميين السائدة والتى مثلها الإخوان المسلمون وغيرهم، فبينما يرى الإخوان المسلمون أن المشكلة الأساسية التى تواجه الأمة هى غياب الدولة الإسلامية الواحدة «الخلافة»، وأن مشكلة فلسطين هى إحدى

---

(١) المرجع السابق.

المشاكل الفرعية لهذا الغياب، سيتم حلها بعد قيام الدولة الإسلامية، فإن حركة الجهاد الإسلامي اعتبرت قضية فلسطين القضية المركزية للمسلمين.

ويورد فتحي الشقاقي نصاً من كتاب «حيران وعمر التلمساني» نشر في الوطن المحتل في ١٩٨٢ / ١٩٨٣م جاء فيه: «عندما نقول هذه القضية (أي فلسطين) فرعية لهذا يعني أن هناك قضية كلية أصلية، لا تجد القضية الفرعية لها حلاً إلا بعد حل القضية الكلية.. والتي هي قيام حكم الله في الأرض، وبالأخص في الأرض المجاورة لفلسطين».(١)

ويؤكد الشقاقي أن الحركة الإسلامية لم تحقق أهدافها في إقامة الدولة الفلسطينية، بل تراجعت كثيراً من مقارعة الحكام والطغاة إلى الصمت في أحسن الأحوال أو مشاركة الحكام في برلماناتهم ووظائفهم وسلطتهم، على أمل إحداث تغيير إسلامي، من خلال هذه المشاركة(٢) ويعزو الشقاقي ذلك إلى أن الحركة الإسلامية لم تستطع أن تحدد بدقة معنى «الظاهرة الإسرائيلية» وأبعادها الشاملة وعلاقتها الجدلية بغياب الخلافة، فاعتبرت أن إسرائيل مشكلة فرعية عارضة كعشرات المشاكل التي تواجه المسلمين هنا وهناك(٣).

وهكذا كانت المسألة الفلسطينية وعدم وجود إجابات شافية لدى جماعة الإخوان المسلمين حول الموقف منها هي الدافع الأساسي لتفكير هؤلاء الشبان وقرارهم بالخروج من الجماعة(٤)، وهكذا تتالت انتقادات الجهاد واتهامها للحركة الإسلامية «التقليدية» بالعجز وعدم الوعي لحقيقة الصراع، فحركة الإخوان في وجهة نظرهم: «تفتقد الرؤية الحية والصائبة للتاريخ وتتعامل معه كأنه أجزاء مبعثرة لا يملكها إطار أو قانون... كما أنهم يركزون على التربية والإعداد في مواجهة التيار الوطني الذي يركز على الكفاح المسلح، وكما يقول عبدالعزيز عودة، لقد اختار الإخوان «طريق الهدى»، ولم يختاروا طريق الجهاد، بينما اختار الاتجاه الوطني «طريق الجهاد» وابتعد عن طريق الهدى، وتكمن خصوصية الجهاد الإسلامي في التركيز على العلاقة الجدلية بين طريق الجهاد وطريق الهدى(٥).

ويرى الشقاقي أنه إذا كان غياب الحركة الإسلامية مفهوماً ومبرراً في فترة الخمسينيات والستينيات.. فإنه لا يمكن فهم أو تبرير هذا الغياب المذهل للحركة الإسلامية الآن عن

---

(١) فتحي إبراهيم (المنهج: مقدمة حول مركزية فلسطين)، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٩م، ص٤٣.
(٢) المرجع السابق، ص ص ٥١-٥٢.
(٣) المرجع السابق، ص٥٩.
(٤) زياد أبو عمرو، ص١١٣.
(٥) المرجع السابق، ص١٢٥.

احتلالها موقعها الحقيقي في قيادة المرحلة وتوجيه أحداثها[1] ويعتقد قادة الجهاد الإسلامي أن هذا التأجيل لعملية الانخراط في المقاومة كان سبباً مهماً في ضعف الحركة وجمودها، «ذلك لأن مناهج التكوين التي تبناها الإخوان كانت معظمها سكونية تقريرية، حسابية، منخلعة عن الواقع الموضوعي المحيط»[2] كما تسبب هذا الجمود في وجهة نظرهم إلى غياب روح النقد وتشجيع الفكر والانفتاح الثقافي مما أسماه عبدالعزيز عودة «إفلاس أخلاقي أصاب الجماعة»[3].

كما تختلف وجهات النظر حول الحركة الوطنية وطريقة التعامل معها، وحول الأنظمة العربية والثورة الإسلامية في إيران، فحركة «فتح» عند الجهاد الإسلامي «وليدة محاولة إسلامية للإجابة على أزمة التيار الإسلامي في مرحلة (١٨٥٥م - ١٩٥٨م).. وهي ليست فقط كبرى الحركات الفلسطينية، وليست فقط أم الثورة المسلحة المعاصرة، وإنما هي أساساً نموذج مصغر للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، بكل ماضيه وحاضره، تفاعلاته وحساسياته وتناقضاته، وهي بسبب من ذلك كانت على الدوام في قلب اهتمامات الشعب الفلسطيني في كل مواقعه وانتماءاته»[4].

وهكذا فإن طريقة التعامل مع «فتح» اختلفت فلم تصطدم الجهاد معها في تلك الفترة، بل حدث أحياناً بينهم نوع من التحالف، ويوضح ذلك قول عبدالعزيز عودة، والذي ربما يغمز من قناة الإخوان المسلمين الذين دخلوا صراعات طويلة ومريرة مع «فتح» والفصائل الأخرى فيقول: «إن خلافاتنا السياسية والعقائدية مع (م.ت.ف) لا يبرر العنف ضد أعضاء الحركة الوطنية، إننا نحترم آراء كل التنظيمات الوطنية، نظراً لأننا نؤمن بالحوار كأسلوب وحيد من أجل التوصل إلى تفاهم مشترك»[5].

وقد دارت أحاديث كثيرة عن صلة الجهاد الإسلامي بـ«فتح»، أنكرتها مصادر الجهاد، وروجتها مصادر «فتح»، «إلا أن الجهات الأمنية الإسرائيلية تؤكد هذه الصلة»[6]، وقد أبدت

---

(١) (معركة بيروت: التجربة الفلسطينية من منظور إسلامي)، (بدون مؤلف أو تاريخ أو دار نشر)، ص٤

(٢) المرجع السابق، ص١٣.

(٣) زياد أبو عمرو، ص١١٤.

(٤) المرجع السابق، ص ص ١٣٥-١٣٦.

(٥) سعيد الغزالي (التيار الإسلامي في الأرض المحتلة)، الفجر، المقدسية ٦/٨/١٩٨٧م، ص٨.

(٦) خالد عايد، (الانتفاضة الثورية في فلسطين - الأبعاد الداخلية)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص٧٥ نقلاً عن صحيفة (دافار) الإسرائيلية ٢٦/٨/١٩٨٧م.

المصادر الإسرائيلية عموماً تخوفها من هذا التعاون المحتمل، فقد نشرت (يديعوت أحرونوت) العبرية في ١٨ / ١٠ / ١٩٨٧م مقالاً مطولاً عن الجهاد تحت عنوان (جهاد الآن)، تحدثت فيه «عن الدمج الخطير بين التعصب الديني والتطرف الوطني كمثل الصيغة الكيماوية المضمونة الانفجار بطاقة شديدة لم يعرف مثلها حتى الآن»[١].

أما بالنسبة للأنظمة العربية، فقد ظلت حركة الجهاد ترى في «نظام التجزئة» وجهاً آخر للدولة الصهيونية لابد من محاربتهما معاً، وتعيب على الإخوان المسلمين مهادنتهم لأنظمة الحكم ومشاركتهم في مجالسها النيابية، أما بالنسبة للموقف من الثورة الإسلامية في إيران، فقد اعتبرتها حركة الجهاد الإسلامي مركز الثورة الإسلامية العالمية التي يتوجب بيعتها والاندماج فيها واعتبار الخميني إمام المسلمين، بينما تحفظت جماعة الإخوان المسلمين على ذلك.

ومن جهة أخرى فقد اتهم الإخوان المسلمون حركة الجهاد بأن أفرادها تنقصهم التربية الروحية والالتزام الدقيق بالمنهج الإسلامي والسلوك الإسلامي، مما جعل أفكار الجماعة تخلط الإسلام بغيره، ولا تميز الموقف الإسلامي الصحيح، فهي تلتقي مع «فتح» حتى أطلق عليها بعض الإخوان «فتح إسلامية»، وهي تلتقي بالشيوعيين - من وجهة نظر الإخوان - كما اعتبروهم أداة إيرانية في المنطقة، وأطلقوا عليهم لفظ الشيعة والخمينيين.

التنافس والصدام:

لم تعرف العلاقة بين الإخوان المسلمين وجماعة الجهاد الإسلامي إلا الخصومة والعداء والتشهير المتبادل طيلة الفترة من بداية الثمانينيات - تأسيس الجهاد - وحتى الانتفاضة في ديسمبر ١٩٨٧م، فقد بدأ شباب الجهاد نشاطهم، يملؤهم الحماس لترويج ما آمنوا به، وفي نفوسهم شيء من الخصومة لجماعة الإخوان المسلمين، «فلقد كان هناك شبه ثأر بين عبدالعزيز عودة والإخوان، لطبيعته البدوية فليس من السهل أن ينسى»[٢]، أما الإخوان المسلمون فقد رأوا في هذه المجموعة خطراً يشوش على مسيرتهم ويكشف أعضاءهم و«منافساً خطيراً على الشرعية الإسلامية»[٣].

وبدأت الاتهامات للإخوان المسلمين بالتقاعس عن العمل الوطني والعمالة وتلقي الأموال

---

(١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، السنة الرابعة عشر، العدد ١١، نوفمبر ١٩٨٧م، ص ص ٨٥١-٨٥٢.
(٢) د.م.م، مرجع سابق.
(٣) صالح عوض، (الانتفاضة الثورة، دراسة الداخل)، تونس: الزيتونة للإعلام والنشر، ١٩٨٩م، ص٤٩.

من السعودية والأردن بالإضافة إلى التخلف الفكرى والجمود التنظيمى، وأصبح عدد من المساجد ساحة لهذا الصراع الذى انتقل أيضاً إلى الجامعة الإسلامية فى غزة. وبدأت هذه المجموعة تعمل تحت أسماء مختلفة مثل «شباب المؤسسة» و«المستقلون» و«الجماعة الإسلامية»[١]، و«حركة النضال الإسلامى» و«الشباب الإسلامى الثورى»[٢] وجماعة «الطليعة» كما وقعت بعض بياناتها باسم «حركة أبناء القرآن» و«أبناء الأقصى»[٣] وجاء اسم «الجهاد الإسلامى فى فلسطين» متأخراً أى بعد عام ١٩٨٥م.

بدأ الصراع على «مؤسسة الإصلاح» التى أنشأها الحاج صادق المزينى - من قدامى الإخوان - وأعطاها للمجمع، وبدأ الشيخ عودة ينتقل بين المساجد لإلقاء الدروس التى يتهجم فيها على الإخوان أحياناً، ويقوم شباب الإخوان بمنعه من الحديث، وتحدث المشاكل فى المساجد[٤]. كما حدث نزاع آخر على مسجد فى «بيت لاهيا» بين الإخوان ويمثلهم خليل القوقا وبين الجهاد ويمثلهم عبدالعزيز عودة، واستطاع عودة ومن معه أن يحصلوا على قرار لجنة تحكيم محلية بإعطائهم المسجد[٥]، ليصبح مسجد «عز الدين القسام» ذلك المجاهد الذى جعلته جماعة الجهاد رمزاً للإسلام والوطنية، ثم حدث عراك بالأيدى فى الشارع بين الشيخين خليل القوقا من الإخوان وعبدالعزيز عودة من الجهاد، ويبدو أن سبب التنازع كان على مسجد بيت لاهيا.

ويأتى الحادث الذى يمثل أعلى درجات الصراع، حينما اعتدى بعض شباب الإخوان بالضرب على الشيخ عبدالعزيز عودة، الذى رقد بالمستشفى عدة أيام، وكان الاعتداء مخططاً وبناء على قرار من الإخوان للانتقام للشيخ خليل القوقا، وقد استغلت جماعة الجهاد ومعها فصائل (م. ت. ف) هذا الحادث أحسن استغلال فى تشويه صورة الإخوان[٦]، يضاف إلى ذلك مصادمات متفرقة بين شباب الإخوان وشباب الجهاد داخل الجامعة الإسلامية فى غزة.

كان الإخوان يتهمون جماعة الجهاد بأنهم شيعة، وأنهم يمثلون جسراً لإيران فى المنطقة، ويتلقون الدعم من الحكومة الإيرانية، ولذلك بدأ الإخوان فى قطاع غزة يوزعون الكتب

---

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.
(٢) إبراهيم سربل، (حركة الجهاد الإسلامى)، عمان: دار النشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص١٩.
(٣) مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين، ص١٧.
(٤) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.

السلفية التى تكفر الشيعة بهدف تطويق جماعة الجهاد، كما كانوا يتهمونهم بأنهم لا يهدفون إلى الجهاد ضد اليهود بقدر ما يعملون لعرقلة مسيرة الحركة الإسلامية التى يحملون لها الحقد الشخصى، وكان الإخوان كثيراً ما يشيرون إلى عدم مصداقية الجهاد بسرقتها أعمال الغير، فقد كان هناك مجموعة «الجهاد الإسلامى» فى الضفة الغربية وغزة تنفذ العمليات العسكرية وتنسبها مجموعة عودة - الشقاقى لنفسها[1].

كما اتهموها بالتحالف مع القوى العلمانية ضد الإخوان المسلمين، والحقيقة أن الاتجاهات الوطنية استفادت كثيراً من هذا الخلاف، فالنقد والهجوم الذى يشنه رجال الجهاد على الإخوان والمجمع هو أكثر تأثيراً من هجوم المنظمات العلمانية، لأنه ينطلق من أساس الإسلام، فهو هجوم من داخل البيت. وكانت المنظمات الوطنية واليسارية تمتدح جماعة الجهاد - الصغيرة نسبياً - فى معرض التعريض والطعن بالإخوان المسلمين - المنافس القوى - والذين ينتشر أنصارهم فى كل مكان، فهذا كاتب من حركة الجهاد يقول: «ظلت العلاقة بين حركة الجهاد الإسلامى وفصائل (م. ت.ف) ولاسيما الشبيبة (فتح) تتسم بالاحترام المتبادل طيلة فترة ما قبل الانتفاضة»[2].

الخلاصة:

إن الدراسة الموضوعية للعلاقات بين الطرفين تنتهى إلى تحميل كل منهما مسئولية الصراعات والصدامات والتجريح المتبادل، ولعل كل طرف كان مدفوعاً بعوامل كثيرة فى اتجاه الخصومة، فقد كان الطرفان هما الخاسرين الوحيدين من هذا الصراع الذى استفادت منه التيارات المنافسة، كما استفادت منه سلطات الاحتلال من جهة أخرى.

فالإخوان يرون أن هذا الصراع قد عرقل مسيرتهم، وأثار المتاعب داخل الجماهير المتوجهة إلى الإسلام، كما كشف أعضاءهم وهتك سرية الكثير من أعمالهم فى المساجد والمؤسسات والمناطق، مما أخر مسيرتهم وعرقل تنفيذ خطتهم[3]. أما حركة الجهاد «فإنها تعزو تأخرها فى مباشرة العمل المسلح إلى حملة المحاصرة التى شنها الإخوان المسلمون ضد حركة الجهاد والتى بدأت بعد عام ١٩٨١م»[4].

(١) إبراهيم سربل، ص ص ١٨-٢٥.
(٢) صالح عوض، ص٤٩.
(٣) محمد حسن شمعة.
(٤) زياد أبو عمرو، ص ص ١٥٧-١٥٨.

وأخيراً ماذا سيحدث بعد الانتفاضة، حينما تسقط كثير من المسلمات عن عدم مشاركة الإخوان في الجهاد، وتتقدم حركة حماس في أعمال الانتفاضة والمواجهات والمظاهرات ثم في العمل العسكري المتميز والمتواصل.

وحتى في الجانب النظرى تصبح حركة حماس، قريبة جداً من فهم التيار الجهادى للقضية الفلسطينية، وتركز حماس على مركزية القضية الفلسطينية وضرورة قتال اليهود، بل وتقوم بالعبء الأكبر في ذلك، مما يثير تساؤلات داخل الجهاد نفسها وخارجها: هل هناك مبرر لوجود الجهاد واستمرارها بعيداً عن حماس.

المبحث الرابع
شبهات حول الإخوان المسلمين

إسرائيل ساعدت الإخوان المسلمين.

كانت هذه أخطر وأهم شبهة روجها خصوم الإخوان المسلمين فترة طويلة، لكننا وبالبحث الموضوعى لم نجد دليلاً واحداً على صحة هذه الشبهة، خاصة أن كل الحجج والمبررات التى سيقت لإلصاق هذه التهمة بالإخوان، انطبقت على جميع التيارات السياسية، فهل قامت سلطات الاحتلال بتقديم العون والمساعدة والتشجيع لجميع المنظمات والتيارات الوطنية؟!

بالإضافة إلى أن الأيام فيما بعد أظهرت تهالك هذه الشبهة وعدم مصداقيتها، خاصة بعد تأسيس حركة المقاومة الإسلامية - حماس - ومشاركتها في الانتفاضة منذ ساعاتها الأولى، ثم تواصل العمليات العسكرية لكتائب عز الدين القسام ضد الأهداف الصهيونية، ثم انخراط غالبية خصوم حماس في العملية السلمية من مدريد إلى واشنطن إلى الحكم الذاتى في غزة وأريحا، ومع ذلك فإن خصوم التيار الإسلامى ظلوا يرددون أن الاحتلال أتاح الفرصة للإخوان المسلمين كي يضعف التيارات الوطنية، لكن الإخوان انقلبوا أخيراً على الاحتلال، بالضبط كما فعل السادات الذى شجع التيار الإسلامى وقُتل على يديه.

أول هذه الحجج أن «إسرائيل» أتاحت للحركة الإسلامية حرية التعبير والحركة وإنشاء المؤسسات، وهى بالتالى لم تطاردهم أو تعتقلهم كما فعلت مع التيارات الوطنية الأخرى. والمعروف أن الحركة الإسلامية بدأت عملها بالدعوة إلى الالتزام بتعاليم الإسلام والعودة إلى

الله بواسطة الوعظ والدروس فى المساجد، والعمل على انتشار الظاهرة الإسلامية من تشجيع الكتاب الإسلامى والزى الإسلامى ونشر دور تحفيظ القرآن الكريم، ثم إقامة المؤسسات الاجتماعية والخيرية.. ولم يشكل هذا كله خرقاً للقوانين الإسرائيلية التى تسرى على الجميع دون استثناء، فلم يكن باستطاعة الاحتلال - حتى لا يتيح الفرصة للصعود الإسلامى - أن يغلق المساجد، وأن يمنع الخطب والدروس المسجدية وحلقات تحفيظ القرآن ومشروعات التكافل التى تقوم بها المؤسسات الخيرية من كفالة الأيتام والأرامل وتوزيع الزكاة والصدقات على المحتاجين، وليس بمقدوره أن يغلق رياض الأطفال الإسلامية أو بعض المستوصفات التى تقدم الخدمات العلاجية.

وأبرز الأمثلة التى يقدمها خصوم التيار الإسلامى، أن الاحتلال سمح بقيام «المجمع الإسلامى» و«الجمعية الإسلامية» فى غزة، والحقيقة أن المجمع الإسلامى والذى تأسس سنة ١٩٧٣م حسب القوانين السارية، لم يحصل على الترخيص من السلطات العسكرية إلا فى سنة ١٩٧٩م، أما الجمعية الإسلامية فقد ظلت فى صراع مرير مع الإدارة العسكرية التى استدعت الشيخ خليل القوقا الأمين العام للجمعية فى ٣ / ١ / ١٩٨٥م[١]، وطالبته بإخلاء مبانى الجمعية، وهددت بهدمها اعتباراً من يوم ٦ / ١ / ١٩٨٥م[٢]، كما قامت السلطات بإغلاق مستوصف الجمعية الخيرية الإسلامية فى مدينة الخليل واستولت على المكان فى ٢ / ٥ / ١٩٨٠م علماً بأنه رُخص من دائرة الصحة[٣].

لقد سمحت إسرائيل بقيام الكثير من الجمعيات والنوادى والمؤسسات والجامعات والكليات والاتحادات والنقابات والمكاتب الصحفية المنتشرة فى كل مكان، وكلها تحت إشراف رجال (م. ت. ف) أو الفصائل الوطنية، وكلها تمارس العمل السياسى العلنى وتعلن تأييدها لمنظمة التحرير، يضاف إلى ذلك الصحف والمجلات التى تصدر فى القدس وكثير منها يعبر عن تأييده للمنظمة، ويتلقى منها الدعم المالى، وبعضها يعبر عن الحزب الشيوعى الذى تأسس فى الضفة الغربية بصورة علنية، ولم يكن للحركة الإسلامية صحيفة واحدة، كما أن شخصيات ورموز حركة «فتح» والمنظمات اليسارية معروفة فى الأرض المحتلة، وتمارس نشاطها فى عمل الندوات والتحدث إلى وسائل الإعلام المحلية والخارجية.

---

(١) جريدة (القدس)، ٦ / ١ / ١٩٨٥م.

(٢) جريدة (القدس)، ٢١ / ١ / ١٩٨٥م

(٣) قيادات منطقة الخليل، مخطوط كتب فى «مرج الزهور».

ولعل أبرز مثال هنا على «تسامح» السلطات المحتلة مع التيارات الوطنية، هو إنشاء «حركة الشبيبة» التابعة لـ«فتح» عام ١٩٨٠م، وقيامها بالعمل السياسي والاجتماعي العلني وإشرافها على كثير من المؤسسات والنوادي. كما جاء ذلك على لسان إحدى مجلات منظمة التحرير الفلسطينية: «منذ تأسيسها في بداية عام ١٩٨٠م، بمبادرة من نشيطي حركة «فتح» الذين أمضوا فترات اعتقال مختلفة داخل السجون الإسرائيلية، عمدت حركة الشبيبة «إلى تطوير آلاف الفلسطينيين وعملت على ضمهم إلى أطرها المختلفة..» وتقول أيضاً «أنه بمجرد الإعلان عن لا قانونية حركة (الشبيبة) وحظر نشاطاتها في ١٩ / ٣ / ١٩٨٨م، والتهديد باعتقال ومحاكمة كل شخص يستمر في عضويتها، سارعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية إلى إغلاق العديد من نوادي الحركة، ومؤسساتها ومقراتها الاجتماعية ومراكزها الشبابية والرياضية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (مركز الشباب الاجتماعي في مخيم بلاطة، جمعية الشبان المسلمين في أبو ديس - شرقي القدس، مراكز الشباب التابعة لوكالة الغوث في طولكرم ونقابة عمال طولكرم أيضاً)، وتسع مؤسسات ونواد أخرى، حسب تأكيدات راديو العدو الإسرائيلي»[١].

ولعل السبب الذي يكمن وراء هذه الاتهامات غير الموضوعية، هو ذلك النجاح الذي حققته المؤسسات الإسلامية إذا قورن بعمل المؤسسات الأخرى، يؤكد ذلك باحث محسوب على التيارات الوطنية فيقول في معرض حديثه عن مؤسسات حماس الخدمية: «لقد وفرت بدائل عالية التنظيم والفاعلية لمثيلاتها (الوطنية) وتمايزت عن معظمها في نوعية الخدمة المقدمة، والمتسمة بقلة التكاليف المطلوبة من المواطن من جهة، والممزوجة بدماثة في خلق العاملين وحسن معاملتهم للمواطن من جهة أخرى، وابتدأ الكثيرون من الفلسطينيين، ولاسيما من عامة الشعب، يجد في مؤسسات (حماس) متنفساً للحصول على الخدمة والرعاية غير الممزوجة بالفئوية والتناحر السياسي أو الاستعلاء العقائدي، أو التكسب والارتزاق المستشري في الظاهرة (الدكاكينية) الملازمة للكثير من المؤسسات الوطنية»[٢].

ويتساءل أنصار الحركة الإسلامية: إذا كان الاحتلال قد قام بتشجيع الإخوان المسلمين وتشجيع مؤسساتهم، فلماذا ظلت الإدارة العسكرية لا تعترف بشهادة الجامعة الإسلامية في

---

(١) «سلطات الاحتلال تحظر نشاط حركة الشبيبة» (صوت البلاد)، العدد ١٠م، ١ / ٤ / ١٩٨٨م، ص٣٢.

(٢) على الجرباوى «حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية»، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، ص ص ٧٤-٧٥.

غزة منذ تأسيسها وحتى قبيل تسليم غزة لإدارة الحكم الذاتي، وبالتالي تحرم خريجيها من الوظائف في الإدارات التعليمية وفي وكالة الغوث أيضاً، بينما تعترف بشهادات الجامعات الأخرى في الأرض المحتلة.

الواقع أن الخصومة والمكايدات والتعصب هو الذي أنشأ هذه الاتهامات، فالاحتلال ينفذ سياسة تخدم مصلحته أولاً وأخيراً، وهو لم يتسامح مع الحركة الإسلامية ولا مع منظمة التحرير بكافة فصائلها، فإسرائيل ليست معنية بمصلحة (م. ت. ف) أو غيرها، وهي لن تعمل على تنامي قوة (م. ت. ف) أو الحركة الإسلامية، بل هي أرادت أن تضعف الجميع، لتسهل سيطرتها على الأرض المحتلة طبقاً لسياسة «دايان» المشهورة «أن دع العرب يتكلمون فإنهم لن يعملوا وإذا عملوا سنحاسبهم»، كانت سلطات الاحتلال لا تريد أن تحشر التيار الوطني في الزاوية حتى لا تفجّر المخزون لدى الجماهير، وكانت أكثر حرصاً بالنسبة للاتجاهات الدينية التي تعلم أن انفجار المشاعر الإسلامية لدى الجماهير أكثر خطورة.

يقول أحد أقطاب الحركة الإسلامية وأبرز مفكريها في الداخل: حينما تفتح إسرائيل الباب للكلام، يبرز المستور فوق السطح ويصبح أولئك لا يمثلون خطورة حيث تجرى متابعتهم، وتظل الخطورة فيمن هم تحت السطح، كانت إسرائيل تريد أن تكشف الجميع ومن بينهم الحركة الإسلامية التي كانت لغزاً يريدون حل طلاسمه، فقد كانت إسرائيل تدرك أنه يتوجب عليها ألا تمس الجانب الديني لأن انفجاره سيكون مدمراً»[1].

أما عن عدم اعتقال الإسلاميين، فالمعروف أن سلطات الاحتلال تعتقل ذوى النشاط العسكري أو النشاط التنظيمي السري الموجه للاحتلال، بينما ركزت الحركة الإسلامية في تلك المرحلة على الدعوة وأسلمة المجتمع، ولكن في الأحوال التي كانت ترى فيها مخالفة من الإسلاميين فإنها تعتقلهم، فقد نسبت «رويتر» إلى ضابط إسرائيلي عام ١٩٨١م أن إسرائيل اعتقلت خمسة رجال دين من جماعة الإخوان المسلمين الذين تراقب السلطات نفوذهم المتزايد عن كثب، لكنه قال إن إسرائيل لا تفكر في اتخاذ أية إجراءات ضد جماعة الإخوان المسلمين[2].

وكانت إسرائيل قبل ذلك في عام ١٩٨٠م قد اعتقلت أعضاء «أسرة الجهاد» التابعة للإخوان المسلمين داخل فلسطين المحتلة، ثم اعتقلت الشيخ أحمد ياسين وآخرين سنة ١٩٨٤م

---

(١) الشيخ بسام جرار، مقابلة شخصية، مرج الزهور، ٦/٦/١٩٩٣م.

(٢) جريدة (الوطن) الكويتية، ٧/٢/١٩٨١م.

في قضية الأسلحة، ويقول الشيخ بسام جرار: «إن إسرائيل كانت تتعامل بحذر مع التيار الإسلامي وتعاملت مع هذه الحالة على اعتبار أنها تجاوزت الخط العام ولم يكن تحولاً في وجهة نظرها»[1]، ويستطرد قائلاً: «هل سيعتقلونني بتهمة أنني رجل متدين؟ ومع ذلك جاءت الانتفاضة والشيخ فضل صالح في السجن، وقبل سجنه فرضت عليه الإقامة الجبرية في بلدته (دورا)، وكذلك الشيخ إبراهيم أبو سالم اعتقل إدارياً ولم يكن لهما أي طرح سياسي».

كما كان من بين هذه التهم «أن سلطات الاحتلال تسمح للإسلاميين بجلب الأموال من الخارج، لتغطية نشاطهم في الوقت الذي مُنع فيه الآخرون من هذا الامتياز»[2]، وترد مصادر الإخوان المسلمين قائلة: «أين هي المؤسسات الإسلامية التي يغض الاحتلال الطرف عنها.. إننا نشير بأصابع الاتهام إلى ذلك الإغضاء الذي تمارسه السلطة عن المؤسسات الحزبية الصريحة لكل الفئات عدا الإسلاميين، مع علم السلطة الكامل بمصادر تمويلها واتصالاتها الدائمة.. بل إن الاحتلال يسهل وصول الأموال إليها، فها هي عشرات المكاتب الصحفية ومؤسسات البحث والإقراض والمعاهد والجامعات الخاصة والمصانع المدعومة والجرائد والمجلات التي تسبح بحمد بعض الجهات صراحة (يقصد م. ت. ف) وتنال مباركة السلطة أو تسهيلاتها..»[3].

وتزداد حدة الاتهامات لتصل إلى أن إسرائيل تقدم دعماً مالياً للحركة الإسلامية، وينقل د. زياد أبو عمرو عن ديفيد شبلر قوله: «لقد ذكر لي البريغادير جنرال إسحق سيجيف – الحاكم العسكري لقطاع غزة – ذات مرة، كيف أنه موّل الحركة الإسلامية كقوة مناهضة لمنظمة التحرير والشيوعيين، فإن الحكومة الإسرائيلية تعطيني ميزانية، والحكم العسكري يعطي للمساجد»[4] ويضيف أبو عمرو: «أن دائرة الأوقاف في قطاع غزة تخضع لإشراف (الإدارة المدنية) التابعة للحكم العسكري الإسرائيلي، وهذه الإدارة هي التي تقوم بالإنفاق على «دائرة الأوقاف» من أموال الأوقاف نفسها»[5]، فكيف يمكن اعتبار ذلك تمويلاً إسرائيلياً للحركة الإسلامية.

ومن الحجج التي يسوقها خصوم الحركة الإسلامية أيضاً للتدليل على مساندة إسرائيل

---

(١) بسام جرار، مرجع سابق.

(٢) ربعي المدهون، مرجع سابق، ص٣١.

(٣) «شبهات وردود»، نشرة صادرة عن الكتلة الإسلامية بجامعة النجاح الوطنية، تموز (يوليو) ١٩٩٢م، ص٣.

(٤) زياد أبو عمرو، ص٦٤.

(٥) المرجع السابق.

للحركة الإسلامية، أن السلطات العسكرية كانت تقف دائماً مع الإخوان المسلمين في الاشتباكات التي تدور بينهم وبين الفصائل الوطنية، «وأن سلطات الاحتلال وقفت مكتوفة الأيدي، وهي ترى بأم عينها عناصر إخوانية تطعن وطنيين وتقدميين فلسطينيين بالمدى والسكاكين.. وفي مثل هذه الحالة، كان جنود الاحتلال يكتفون بمحاصرة مكان الاشتباك خشية وصول نجدة للعناصر الوطنية والتقدمية»[1]، فهل سمحت سلطات الاحتلال بوصول نجدة للإسلاميين ولو في حادث واحد؟ كما ينتقد خصوم الإخوان وصول عدة باصات من غزة إلى بيرزيت ويعتبرونه دليلاً على تواطؤ إسرائيل وإعطاء حرية الحركة للإسلاميين، ولكنهم لا يفسرون كيف وصلت إلى غزة ثلاثة باصات محملة بالشباب من بيرزيت ورام الله من أنصار التيار الوطني بهدف مهاجمة الجامعة الإسلامية في غزة مع رفاقهم من القطاع في حادث «السبت الأسود»، كما أن السلطات العسكرية لم تتدخل حينما حوصر شباب الكتلة الإسلامية وبناتها داخل جامعة بيرزيت من قبل طلاب الفصائل الوطنية ومواطنين من قرية بيرزيت.

كانت سلطات الاحتلال تتفرج على هذه الأحداث وتنظر إليها بعين الرضا، فهي المستفيد الوحيد من هذا الانحدار والخطأ الذي شارك فيه ويتحمل مسئوليته الطرفان. وكانت هي الفائزة دائماً أياً كان المغلوب الوطنيين أم الإسلاميين.

السعودية والأردن ودول الخليج تدعم الإخوان المسلمين:

ومن الشبهات المهمة التي أثارها التيار الوطني واليساري حول الإخوان المسلمين، أنهم يتلقون الدعم والمساعدات المالية من السعودية والأردن ودول الخليج العربي، وهم بذلك يريدون إحياء وتأكيد الاتهامات القديمة التي وجهها النظام الناصري وغيره إلى الإخوان بارتباطهم مع الأنظمة الرجعية والإمبريالية العالمية، وقد تكررت هذه الاتهامات في كثير من أدبيات الفصائل الفلسطينية التي تؤكد على «الدعم المادي والمعنوي الذي حصل عليه التيار الديني المحافظ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين من أطراف خارجية متعددة يعتقد أن الأردن والسعودية من ضمنها»[2].

---

(١) عبدالقادر ياسين (حماس، حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٠م، ص ص ٣١-٣٢.

(٢) علي الجرباوي (الانتفاضة القيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة - بحث في النخبة السياسية)، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٠٨٠م، ص٥٣.

الذين يروّجون هذه الاتهامات لا يستندون إلى أدلة، فإذا كان «للأردن مصلحة في إضعاف نفوذ (م. ت. ف) في الأراضي المحتلة»[1] فليست له مصلحة في تنامي قوة الحركة الإسلامية، وإذا «كانت الأردن قد قدمت مساعدات مالية وسياسية للفعاليات الإسلامية (ويفسرون ذلك) بأن الأردن مولّت إدارة الوقف الديني الإسلامي في القدس»[2] ومع أن الحكومة الأردنية استمرت طيلة فترة الاحتلال ولأكثر من عشرين سنة في إرسال الرواتب للموظفين في الضفة الغربية في جميع الإدارات إلى أن أعلنت الأردن فك ارتباطها الإداري بالضفة الغربية عام ١٩٨٨م، لكنها أبقت على ارتباطها وتمويلها لإدارة الأوقاف في الضفة، وللمقدسات الإسلامية في القدس لأسباب تخص الحكومة الأردنية وحدها، من التزامات دينية وتاريخية، ولأجل تقوية نفوذها داخل الأرض المحتلة، وللأردن هناك رجاله وأنصاره الذين يرتبطون به برباط التاريخ والمصالح.

إن الإشراف على إدارة الأوقاف وتمويلها وإعطاء الرواتب للموظفين لا يعتبر دعماً للإخوان المسلمين، فموظفو الأوقاف والشئون الدينية فيهم من يوالون الأردن، ومنهم من يوالون (م. ت. ف) كما فيهم من يوالون الإخوان المسلمين، وفيهم الكثيرون دون ولاءات أو انتماءات سياسية، كما أن الإشراف على الإدارات الأخرى، تعليمية وصحية واجتماعية وغيرها، وإعطاء الرواتب لموظفيها الذى استمر حتى سنة ١٩٨٨م ليس مساعدة ودعماً لمنظمة التحرير وفصائل اليسار التى لها موظفون كثيرون فى تلك الإدارات.

ويضيف باحث آخر: «أن وزارة الأوقاف الأردنية التى تشرف على تعيين الوعاظ لمساجد الضفة تعطى الأفضلية فى المعاملة للإخوان لأنها تريد إضعاف منظمة التحرير»[3]، والواقع أنه ليس عند الشيوعيين واليساريين من يمكن أن يعملوا وعاظاً، أما الإخوان فإنهم يتقدمون كغيرهم لهذه الوظائف بصفتهم الفردية وبمؤهلاتهم الشرعية. ومن الطبيعى أن يكون منهم الكثيرون المؤهلون لهذه الوظائف التى يحصلون عليها دون تنسيق أو اتفاق، بل إن الإخوان فى العادة يحافظون على سرية انتمائهم، كما أنه ليس من المستبعد أن يكون أحد المسئولين فى الإدارة من الإخوان فإنه بالتأكيد يسهل توظيف إخوانه.

أما عن دول الخليج وخاصة السعودية فإنها قد مولت عدداً من المؤسسات الإسلامية فى

---

(١) Sahliyeh, p.143 .

(٢) Ibid .

(٣) Mohammad Shadid, "The Muslim Brotherhood Movement in the West Bank and Gaza Strip" Third world Quarterly, VI. 10, No. 2, April. 1988, p.675.

الأرض المحتلة مثل المجمع الإسلامى فى قطاع غزة الذى يشرف على عدد من دور الحضانة والمدارس الإسلامية، ومع أن المجمع الإسلامى ينفى ذلك جملة وتفصيلاً ويقول فى بيان صادر عنه: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[1]، فإن من المعروف أن كثيراً من المؤسسات والمستشفيات والكليات والمكتبات الجامعية فى الضفة الغربية والتى يشرف عليها أنصار (م. ت. ف) قد تم تمويلها بأموال المؤسسات السعودية والكويتية شعبية كانت أو رسمية.

وتوضح الكتلة الإسلامية فى جامعة النجاح كثيراً من الأمور فى هذه المسألة: «إننا من حيث المبدأ لا نقبل مساعدة أو تبرعاً أو منحة إلا من عضو أو صديق أو محب نعرف دينه ولا شبهة فى أمواله، ونتحدى أية جهة كانت أن تثبت تلقى الإسلاميين لمساعدات حكومية من أية جهة كانت.. فالحركة الإسلامية بامتداداتها العالمية تتكافل فيما بينها بحكم الإخوة الإسلامية، ولا ننكر تضامن الإسلاميين فى كل بقاع الأرض مع طلائع الإسلام الصاعد فى فلسطين.. ثم نشير بأصابع الاتهام إلى الأطراف الأخرى فنقول: عجيب كل العجب أن يتكلم فى المسألة المالية من بذّروا المليارات من أموال الشعب الفلسطينى وأهدروا إمكانياته.. (وتضيف) أليست دول الخليج هى التى تلزم كل الفلسطينيين العاملين لديها بدفع نسبة من دخلهم لكم كضريبة تحرير.. أليست السعودية هى التى تقدم مساعدات دورية - ثابتة - تنال مدحكم المتواصل - وكذلك كل دول الخليج[2]. وهكذا أيضاً فإن هذه الشبهة لا تقوم على أدلة ثابتة كما أنها وإن صحّت، مع إنكار الحركة الإسلامية لذلك، فإن حركة «فتح» خاصة ومنذ تأسيسها قامت على أموال السعودية ودول الخليج.

والذى لا تنكره الحركة الإسلامية أن الإسلاميين الفلسطينيين وغيرهم خارج الأرض المحتلة قد نشطوا فى جمع التبرعات وتأسيس اللجان، والجمعيات المناصرة للشعب الفلسطينى، والتأثير على الجمعيات والمؤسسات والأثرياء المسلمين من أجل دعم المؤسسات والمشاريع الإسلامية داخل الأرض المحتلة، ولعل أكثر الأموال كانت تأتى من السعودية والكويت ودول الخليج.

عدم الاعتراف بـ (م. ت. ف) والخروج عن الوحدة الوطنية:

كانت فصائل (م. ت. ف) فى الأرض المحتلة تستند دائماً إلى شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطينى، تلك الشرعية التى أقرها واعترف بها الرؤساء العرب فى مؤتمرات

---

(١) بيان «المجمع الإسلامى» بدون تاريخ.

(٢) شبهات وردود، مرجع سابق، ص٣.

القمة، كما اعترفت بها كثير من دول العالم بالإضافة إلى المحافل الدولية وخاصة هيئة الأمم المتحدة التى تمثل فيها (م. ت. ف) الشعب الفلسطينى بصفة مراقب، كما يمثلها المجلس الوطنى الفلسطينى الذى يضم فى عضويته ممثلين عن كل القوى التى شاركت فى الكفاح المسلح إلى جانب ممثلين عن الاتحادات الشعبية والنقابية الفلسطينية وكذلك كثير من الشخصيات والكفاءات الفلسطينية باسم «المستقلين». وكانت الحركة الوطنية دائماً ترى أن الحركة الإسلامية بعدم وجودها فى مؤسسات (م. ت. ف) إنما تخرج عن الوحدة الوطنية والإجماع الوطنى الذى تعمَّد بالدماء والدموع.

أما الإخوان المسلمون فإنهم - وطبقاً لتصريحاتهم - لا يعادون المنظمة ولا ينكرون عليها إنجازاتها ومكاسبها وشهداءها وإنما يتحفظون على بعض الأمور الأساسية، يطالب الإخوان أن تمثل المنظمة الشعب الفلسطينى أصدق تمثيل من حيث تبنى عقيدة الشعب ودينه وتاريخه، ليكون الإسلام أيديولوجية المنظمة بدلاً من واقع المنظمة الذى يتبنى الأفكار العلمانية مع كثير من المؤثرات الماركسية التى تمثلها الفصائل الأخرى.

كما يرفض الإخوان طريقة تركيب المجلس الوطنى الفلسطينى ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية المفروضة بناء على موازين القوى داخل المنظمة، والتى تجعل القيادة فى (م. ت. ف) حرة الحركة أمام مؤسسات هى أشبه بالديكور، وهم بذلك يردون على المقولات المتكررة لدى (م. ت. ف) والتى تعجب لماذا يدخل الإخوان البرلمانين الأردنى والمصرى، ولا يدخلون البرلمان الفلسطينى، وعلى الرغم أن القياس الذى يغفل الظروف المختلفة هو قياس غير علمى، فحركة الإخوان العالمية تلتزم كلها بخطوط عريضة لا يجوز تخطيها، أما بالأمور التفصيلية فهى أمور اجتهادية بحسب ظروف كل قطر، وقد تتغير فى القطر الواحد بتغير الظروف، فما يجوز هنا قد لا يجوز هناك، وما قد جاز فى الماضى قد لا يجوز فى الحاضر ولا نستطيع أن نقطع الآن بجوازه أو عدم جوازه فى المستقبل. وعموماً فإن الإخوان المسلمين أجازوا دخول رجالهم فى المجالس النيابية حسب ما يراه الإخوان فى كل قُطر.

والإخوان المسلمون فى الأردن وفى غيرها حملهم إلى البرلمان أصوات الناخبين من الشعب، فلم يدخلوه بقرار أو بناء على صفقة، ولم يكونوا مطالبين بتقديم مقابل، وطالما أن الأمور تعود إلى الشعب (بغض النظر عن تفاوت درجات النزاهة فى الانتخابات) فإن المسئولية تقع على الشعب، فإن كان الإخوان فى البرلمان أقلية فإنهم يقولون كلمة الحق التى يؤمنون بها ولا ذنب لهم إذا أرادت الأغلبية غير ذلك أما فى الحالة الفلسطينية فإن المجلس

الوطني الفلسطيني لم يأت أبداً عن طريق الانتخاب، وسوف يُلام الإخوان إذا رضوا أن يكونوا ديكوراً وأقلية عند اتخاذ القرارات الجذرية والجوهرية التي يرى فيها الإسلاميون وغيرهم تناقضاً مع العقيدة ومع مصالح الشعب.

وبذلك تكون معارضتهم من خارج مؤسسات (م. ت. ف) أكثر أثراً وأبعد شبهة. وتأكيداً لتمثيلهم قطاعاً من الجماهير الفلسطينية في رفضها لمسيرة المنظمة وسياساتها، قلّت هذه الجماهير أو كثرت، وبذلك لا تكون قرارات المنظمة «الجذرية» ملزمة للشعب الفلسطيني كله.

وبناء على ذلك، يرفض الإسلاميون وبشدة الفكرة التي تقول أن من يخالف المنظمة يخالف الشعب الفلسطيني، «ترفض الحركة هذا المنطق الذي يشبه النهج التقليدي للأنظمة العربية الديكتاتورية في مصادر الحقيقة واحتكار الصواب بادعاء أن من يخالف الحزب الحاكم أو الرئيس الفرد فإنما يعادي الشعب، ونحن فلسطينياً نرفض تمرير هذه السياسة بادعاء أن من يخالف المنظمة فهو في صف الاحتلال»[1].

كما يرفض الإخوان المسيرة السياسية لمنظمة التحرير وجنوحها نحو الحل السياسي منذ الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة عام ١٩٧٤م والتي أقرت مشروع السلطة الوطنية إلى الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة ثم مؤتمر مدريد والاعتراف بإسرائيل وتطبيق اتفاقية الحكم الذاتي. ويضيف الإخوان المسلمون إلى تحفظاتهم رفضهم لتلك النزعة القطرية التي غذتها (م. ت. ف) في الفلسطينيين بالمشاركة مع الأنظمة العربية التي لاحقت الفلسطينيين وأساءت معاملتهم في السفر والإقامة والعمل والدراسة، ويرى الإخوان أن المنظمة بذلك تحرم قضية فلسطين من تأييد ومناصرة ومشاركة مئات الملايين من المسلمين بل إن مواقف المنظمة الدولية في وجهة نظر الإخوان كانت كثيراً ما تسيء إلى مشاعر المسلمين كموقفها من الحكم الشيوعي في أفغانستان ومن الجهاد الأفغاني، ومن النزاع بين الهند وباكستان، والصراع على قبرص بين الأتراك واليونان.

«ومع ذلك فإن الإخوان المسلمين يعتبرون منظمة التحرير كإطار ومؤسسة مكسباً فلسطينياً هاماً إلا أنهم يرفضون النهج الأيديولوجي والنهج السياسي وأسلوب تشكيل المنظمة»[2]. ويأتي في أغسطس ١٩٨٨م ميثاق حركة حماس ليؤكد «أن منظمة التحرير

---

(١) المرجع السابق، ص٢.

(٢) (ميثاق حركة المقاومة الإسلامية)، (مادة ٢٧).

الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية.. ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كنهج حياة، فنحن جنودها..»[1].

وعلى هذا كان موقف الإخوان المسلمين من منظمة التحرير يتلخص بأنهم لا يعلنون اعترافهم بها كممثل للشعب الفلسطيني، وفي نفس الوقت لا يعلنون عدم اعترافهم بها، على اعتبار أن المستقبل قد يبعد بينهما أو يقرب بينهما، وكانوا يأملون في الثانية.

ويلاحظ أن الخلاف لم يكن حواراً فكرياً بقدر ما تسببت عوامل كثيرة في جعله اتهامات متبادلة وصراع وصل إلى حد الاقتتال بالأيدي والآلات الحادة، ووصل إلى حد اتهام الحركة الإسلامية بالعمالة لإسرائيل على أساس الأهداف المشتركة التي تجمع بينهما، «وهكذا حدد الطرفان (الإخوان وإسرائيل) موقفيهما انطلاقاً من العداء المشترك للمجموعات الوطنية، وتطور مستوى درجة هذا العداء في كل مرحلة، وقد أدى هذا التوافق «المؤقت» في الأهداف إلى ظهور تعاون غير معلن بين الطرفين..»[2]، ووصل الأمر بكاتب شيوعي أن جعل إسرائيل تشجع الدعوة إلى مكارم الأخلاق التي تدعو إليها الجماعة بعيداً عن مقاومة الاحتلال[3]، بل وصلت الاتهامات التي لا تقوم على أساس إلى درجة «أن تشيع بعض الأوساط الوطنية أن الشيخ أحمد ياسين، زعيم المجمع الإسلامي في القطاع كان قد أقسم على المصحف أمام المحقق الإسرائيلي أن ما ضبط في حوزته من أسلحة عام ١٩٨٤م كان سيستخدم ضد القوى اليسارية.. ويرد الإخوان: «هل إلى هذا الحد تحرص السلطات الإسرائيلية على حياة وسلامة الشخصيات الوطنية حتى تعتقل من يريد قتلهم»[4]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ أحمد ياسين تعرض لضغوط شديدة من قبل سلطات الاحتلال، وساوموه كثيراً على أن يقول أن هذه الأسلحة ليست بهدف قتال إسرائيل، من أجل أن يخففوا عنه الحكم أو يفرجوا عنه.. لكن الشيخ قاوم التعذيب ورفض هذه المساومات[5].

واستمر الحال كذلك حتى بعد اندلاع الانتفاضة، بدلاً من الحوار والحجة ومحاولة البحث عن التفاهم والتكامل استخدم كل من الطرفين أساليب الاتهام والتجريح وذلك بسبب

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ربعي المدهون، مرجع سابق، ص ص ٣٠-٣١.

(٣) عبدالقادر ياسين، (حماس - حركة المقاومة الإسلامية)، ص٤٦.

(٤) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص٦٢.

(٥) د. عبدالعزيز الرنتيسي، مرجع سابق.

الحساسية الشديدة لدى قيادات (م. ت. ف) وخاصة حركة «فتح» فى موضوع قيادة الشعب الفلسطينى وبسبب الموقف المتشدد للحركة الإسلامية والذى لا يخلو أحياناً من التعصب وسوء التقدير ومشاعر الاستعلاء الفكرى والتى يشجعها الكسب الواسع على مستوى الجماهير، وفوق هذا كله أيدى الاحتلال التى لا تغيب فى مثل هذه الأحوال.

التأخر عن الجهاد وتأجيله وإهمال العمل السياسى:

كانت هذه الشبهة من أكثر الشبهات التى تحرج الإخوان المسلمين، وخاصة شبابهم فى الجامعات فى النصف الأول من الثمانينيات الذين كان عليهم أن يواجهوا يومياً سؤالاً محدداً: «أين كنتم فى الستينيات والسبعينيات، وأين أنتم الآن من مواجهة الاحتلال؟» ومع أنهم كانوا يجادلون فى ذلك ويتحدثون عن القمع الناصرى لهم وتآمر القوى الدولية والمحلية عليهم، ويجدون فى بطولات الإخوان فى حرب ١٩٤٨م وتشكيلاتهم الفدائية بعد الحرب، دليلاً على وطنية الإخوان وقتالهم، كما يضيفون إلى ذلك تجربة معسكرات الشيوخ فى الأردن فى سنتى ١٩٦٩م، ١٩٧٠م إلا أن عدداً كبيراً منهم كانوا فى قرارة أنفسهم غير مقتنعين فى ذلك ويشعرون بالتقصير.

ثم جاءت من بعد ذلك مساهمة حركة الجهاد الإسلامى فى التعرض المستمر لهذه القضية، لتزيد من انتشار هذه الشبهة وتعطيها فهماً إسلامياً جديداً، وتشيع بين الناس «أن جماعة الإخوان المسلمين بعد مؤسسها البنا وبعد مفكرها الكبير سيد قطب انتهت إلى الجمود والتقوقع ومهادنة الأنظمة»(١).

ولعل من أهم الأسباب التى جعلت الإخوان يتأخرون عن المشاركة الفعلية والشاملة مدة عشرين سنة من عمر الاحتلال، بالإضافة إلى ما آمنوا به من ضرورة الإعداد والتهيئة وتكوين جيل مؤمن يضمن استمرار المواجهة ونجاحها، هو قوة منظمة التحرير الفلسطينية، والتفاف الفلسطينيين حولها، وتعليق آمالهم عليها، فمنذ هزيمة حزيران والجماهير الفلسطينية ومعها العربية قد أكبرت حركة المقاومة الوطنية، تلك القوة الصاعدة التى تواجه العدو لوحدها بعد هزيمة أقوى الجيوش، وجّه الشعب الفلسطينى طاقاته وشبابه وآماله باتجاه حركة المقاومة التى كانت بانتصاراتها تقرّب الشعب منها أكثر، وحتى بهزائمها يقترب الشعب أكثر وأكثر،

---

(١) فتحى إبراهيم، (مقدمة حول مركزية فلسطين)، مرجع سابق، ص٦٤.

وكل ما يمكن أن يكون سلبيات فإنه يدفع بالتعاطف نحو منظمة التحرير وقيادتها، فالخروج من بيروت تراه الجماهير تقصيراً بل تآمراً عربياً، والاقتتال المسلح بين الفصائل الفلسطينية يجعل الجماهير تلتف حول (م. ت.ف) ضد التدخلات العربية. وهكذا كان يصعب على الناس أن يسمعوا صوتاً آخر أو خطاباً سياسياً مختلفاً عن صوت (م. ت. ف) وصوت من يؤيدها ويساندها.

ولقد كان أهم أسباب نجاح الإخوان المسلمين فى الأرض المحتلة فى فترة الإعداد والكسب أن خطابهم كان دينياً بحتاً، ولم يظهر خطابهم السياسى واضحاً إلا فى السنوات الخمس الأخيرة قبل الانتفاضة، فى الفترة التى بدأت فيها مظاهر الضعف على منظمة التحرير وسياستها ومؤسساتها وصراعاتها الداخلية، وبدأ كثير من الناس ييأس منها، ويبحث عن مخرج وطريق جديد، وكانت الصحوة الإسلامية، لا فى فلسطين وحدها بل فى العالم الإسلامى كله، ويضاف سبب مهم ثالث لتأخر الإخوان عن الجهاد ألا وهو الصراعات والمعارك الكلامية واليدوية التى نشأت بين الإخوان المسلمين من جهة والفصائل الوطنية جميعها من جهة أخرى، كذلك ما دار بين الإخوان والجهاد من صراعات أخرى. ونخلص إلى القول أن الإخوان تأخروا فعلاً، وهم أكثر من يتحمل مسئولية ذلك ويشاركهم فى هذه المسئولية جميع التيارات الوطنية سواء كانت علمانية أو إسلامية.

العنف والإرهاب:

كل من يطّلع على أدبيات التيارات الوطنية ومنشوراتها وأحاديثها وحتى بعض كتابات وأبحاث المتعاطفين معها، يخرج بتصور واحد، هو أن الحركة الإسلامية هى التى تبدأ العدوان دائماً، وهى التى تنتهج العنف والإرهاب أسلوباً دائماً فى مواجهة القوى الوطنية الديمقراطية. أما من يستمع إلى أنصار الحركة الإسلامية، ويقرأ منشوراتها فيخرج أيضاً بانطباع واحد، هو أن كل القوى وأكثرها ملحدة أو حاقدة تعادى الإسلام كدين ولا تريد للحركة الإسلامية أن تنطلق فى مسيرتها، لذلك يقلبون الحقائق ويروجون الأكاذيب، ويحاصرون الحركة ويعتدون عليها.

والواقع أن التصورين بعيدان عن الحقيقة، وأن الطرفين مسئولان عن هذه الأحداث المؤسفة، ويمكننا أن نشير بأصابع الاتهام إلى الطرفين فى أربعة حوادث هامة جرت كلها فى

مدينة غزة يتقاسم فيها الطرفان المسئولية في البدء بالاعتداء. لقد أخطأت التيارات الوطنية حينما قامت بعض عناصر من «فتح» باغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب، المحاضر بالجامعة الإسلامية، والقائم بأعمال رئيس الجامعة في غيابه، فقد أدخلت «فتح» في الصراع أسلوباً خطيراً كان من الممكن أن يؤدى إلى مأساة وطنية لو بدأ مسلسل الاغتيالات المتبادلة. كما أخطأت التيارات الوطنية حينما جمعت عناصرها من القطاع وآخرين من الضفة الغربية لتهاجم الجامعة الإسلامية، فيما عرف بيوم «السبت الأسود» ٤ / ١ / ١٩٨٣م.

أما الإخوان المسلمون فقد أخطأوا حينما أقدم بعض شبابهم على الاعتداء بالضرب على الشيخ عبدالعزيز عودة، أحد أهم قادة الجهاد الإسلامي، في عملية كان الأحرى بالمسلمين أن يبتعدوا عنها مع الجميع وخاصة مع داعية إسلامي أيضاً، مهما كانت المعاذير. أما الخطأ الثاني فهو الهجوم على مقر الهلال الأحمر الفلسطيني في غزة في أول عام ١٩٨٠م وإحراقه وتخريبه بحجة أنه مقر الحزب الشيوعي، فقد كانت خطورة هذا العمل تتمثل في أنه أول أعمال العنف الكبيرة التي لا مبرر لها ومع أن بعض المصادر الشيوعية واليسارية تشير إلى أن لـ«فتح» يداً في هذا الحادث[(١)] إلا أنه ظل ملتصقاً بالإخوان المسلمين كدلالة على عدم إيمانهم بالحوار الديمقراطي وجنوحهم للعنف، ولا ينفع في ذلك تبرير بعض الإخوان للدوافع والأسباب وتحميلهم مسئولية ذلك العمل لقيادات الشباب الميدانية[(٢)].

عموماً لقد أخطأ الطرفان حيث كان ميدان التنافس الحقيقي لكسب الجماهير وزيادة النفوذ هو مقاتلة الاحتلال من جهة، وخدمة الجماهير من جهة أخرى، من دون صدام أو احتكاك إلا بالحوار والجدال بالتي هي أحسن.

تضخيم الإعلام الغربي للظاهرة الإسلامية:

لقد تجاهلت وسائل الإعلام العربية والفلسطينية الظاهرة الإسلامية في الأرض المحتلة تجاهلاً كاملاً، فإعلام (م. ت. ف) أو الفصائل الأخرى صمت صمتاً مطبقاً عن النشاط الإسلامي في الداخل، كأنه يريد أن يقول أنه لا يوجد عند الفلسطينيين سوى منظمة التحرير، أما الإعلام الغربي فله أسبابه الداخلية الخاصة في مواجهة الإسلاميين، بالإضافة إلى علاقاته مع منظمة

---

(١) عبدالقادر ياسين، ص٣١ (والفجر) المقدسية، ٦ / ٩ / ١٩٨٧م.

(٢) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

التحرير، فلم يتطرق مطلقاً إلى الصحوة الإسلامية فى فلسطين، وحتى بعد انطلاقة الانتفاضة وانطلاقة حماس ظل الإعلام العربى والفلسطينى يتجاهلها لشهور طويلة إلى أن فرض التيار الإسلامى نفسه على وسائل الإعلام الغربية بصورة يومية، مما جعلنا نرى أحياناً فى بعض الصحف العربية أخباراً عن حماس أو ترجمات عن الصحف الغربية.

ولما فرض التيار الإسلامى نفسه ولم تستطع وسائل (م. ت. ف) تجاهله، بدأت تعترف بوجوده مؤكدة أن حجمه صغير تضخمه وسائل الإعلام الغربية بهدف إضعاف (م. ت. ف)، والحقيقة أننا لو عدنا لباحث فرنسى متميز وجاد فإنه يؤكد أنه «حتى عام ١٩٨٦م كان عدد المقالات عن التيار الإسلامى فى فلسطين فى الصحافة الدولية عدداً هزيلاً»[١]. وقد أرجع هذا الباحث «تحفظات وتكتم» عدد من المراقبين الغربيين حول التيار الإسلامى إلى «رغبتهم بالحفاظ على مثال جسد التقدمية الثورية والكفاح التحررى الوطنى الذى يقوم به بصورة ممتازة شعب مسلح»، ويؤكد الباحث «أن اهتمام الصحافة الدولية بالإسلاميين بدأ يظهر فقط فى خريف ١٩٨٦م، بعد سلسلة العمليات المذهلة التى وقعت ضد الإسرائيليين تحت «الجهاد»، وهكذا اكتشفت الصحافة بافتتان وذهول، وجود الإسلاميين فى المجتمع الفلسطينى»[٢].

ملاحظات ختامية:

يتضح لنا أن مجمل العلاقات بين الإخوان المسلمين من جهة وكافة الفصائل الوطنية والجهاد الإسلامى من جهة أخرى كانت غير صحية، وأضرّت بالأطراف جميعها، ولم يستفد منها سوى الاحتلال كان دور التعصب والتشنج والإثارة أكثر كثيراً من دور العقل والحكمة والمصلحة الوطنية، وتتحمل كافة الأطراف مسئولية ذلك بنسبة أو أخرى، الغريب أننا لم نجد محاولة واحدة، من أى طرف كان، للنقد الذاتى فى تعامله مع الأطراف الأخرى، فكل طرف يمثل الحق كله وخصمه يمثل الباطل كله، ولم نعثر على إنصاف واحد من طرف لآخر، ولا على مساندة، اللهم إلا حينما وقفت الحركة الإسلامية فى الأرض المحتلة وخارجها مع حركة «فتح» ومنظمة التحرير فى نزاعها مع المنشقين وسوريا وفى حرب المخيمات بالتأييد

(١) جان فرانسوا ليغران (الإسلاميون الفلسطينيون) (م. ت. ف)، مركز التخطيط، تونس: ١٩٨٩م ص٢.
(٢) المرجع السابق.

بالنشرات والخطب والمهرجانات، فى نفس الوقت الذى حدث فيه تحالف فى لبنان بين «فتح» والإخوان المسلمين الفارين من سوريا، أو تحالف «فتح» مع «حركة التوحيد الإسلامى»، ويستطيع البعض أن يعزو هذه الوقفة لأسباب أخرى منها العداء لسوريا وليبيا، ومنها العداء الدينى لـ«الكتائب»، والخلاف المذهبى مع الشيعة وبالتالى مع «حركة أمل»، ومع ذلك لا نستطيع أن نجردها من المشاعر الوطنية فقد كان الإخوان يرون فى «فتح» أقرب الفصائل إليهم.

ويجدر بنا حينما نتحدث عن الإخوان المسلمين أو غيرهم من التنظيمات الإسلامية، أن نؤكد على أن الإسلام كدين خاتم منزل لإصلاح شأن الدنيا والآخرة، وأن التزام مبادئه والعمل على هداه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً هو أمر لاشك فيه خير المسلمين ونجاحهم، ولكن هذا لا يعطى كل العاملين باسم الإسلام شهادة الصواب فى كل عمل يعملونه، فلا شك أن كل عمل أو قول بشرى قابل للصواب كما أنه قابل للخطأ والانحراف: خطأ فى فهم المطالب الدينية وتفسيرها، خطأ فى تنزيل هذا الفهم - إن صحّ - على أرض الواقع، خطأ فى التنفيذ، وأخطاء ميدانية هنا أو هناك، وكذلك الحال بالنسبة للتنظيمات التى لا تتخذ الإسلام منهجاً أو تلك التى تتخذ منهجاً يناقض الإسلام، فلعل احتمالات الخطأ تكون عندها أكثر.

لقد أخطأ الإخوان وأخطأت «فتح» حينما تمادى الطرفان فى العداوة، وأخطأ الإخوان وأخطأت حركة الجهاد حينما لم يلتقوا على القواسم المشتركة الكثيرة وتواجهوا على أسباب الاختلاف القليلة، وأخطأ الإخوان وأخطأ الشيوعيون حينما لم يجدوا فى الاحتلال سبباً للتعاون مع أنهم تحالفوا سنة ١٩٥٥م لإسقاط مشاريع التوطين، كما أخطأ الإخوان وأخطأ اليسار ممثلاً بالجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية حينما لم يبحثوا عن خطوط تلاق، مع أنهم وجدوا هذه الخطوط فيما بعد فى تحالف «الفصائل العشرة».

وأصبح الهدف الأساسى لكل طرف تشويه الطرف الآخر دون تحرى الدقة والموضوعية، حتى وقعت فى هذا الشرك بعض الأبحاث بل أكثرها. فكل الأعمال التى يمكن أن تسىء للحركة الإسلامية يتهم بها الإخوان المسلمون، فالاعتداء على الأعراس المختلطة وعلى النساء اللواتى لا يلبسن الزى الإسلامى كانت تقوم بها جماعات سلفية لا تكتم خلافها ولا تجريحها للإخوان، أما انتقاد الإخوان لتأجيلهم الجهاد بحجة اعتقادهم أنهم يعيشون «الفترة المكية» وأن الجهاد يأتى بعد مرحلة الخلافة، فهذا خلط واضح لأنه اعتقاد «حزب التحرير» الإسلامى

وليس الإخوان، ولما كانوا يريدون أن يشوهوا فهم الإخوان للوطنية فإنهم يستعيرون أيضا وجهة نظر لم يقل بها الإخوان، انظر ما يقوله أحد الكتاب: «وبحسب أحد كتاب الإخوان في الضفة، صبرى أبو ذياب فى كراس أصدره قبل زهاء ثمانى سنوات، فإن الأرض، كل الأرض، إما أن تكون أرض كفر أو أرض إسلام، ولا وجود لأرض عربية، أو فلسطينية، أو يهودية، أو ما شابه ذلك».. وبعد أن نسف أبو ذياب أوليات الوطنية وبديهاتها، يتوجه بالسؤال إلى القارئ، قائلا: «فما بالك لو أمعنت النظر بنقطة لا تكاد ترى على الخريطة (يقصد فلسطين) ويُتعصب لها وتجعل آلهة تعبد من دون الله من قبل المتشدقين بالوطنية؟!»[1]. والمعروف أن هذا ليس من فكر الإخوان ولا نظرتهم إلى الوطنية عامة وإلى فلسطين خاصة، كما أن من المعروف أن الكاتب المذكور هو من شيوخ حزب التحرير الإسلامي والذى يرى في الإخوان ما رآه مالك فى الخمر.

والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن المهم أن كل كاتب أو متحدث بعد ذلك ينقل ما قاله الآخرون كحقائق دون التثبت منها، ومن مظاهر عدم الموضوعية أيضاً أن خصوم الإخوان المسلمين يريدون أن يجردونهم من أى عمل وطني ولو كان كالشمس، فهذه المؤسسات الناجحة والتى تخدم الناس بصورة لا محسوبية فيها، هى نتاج أموال مشبوهة تأتى من أعداء الشعب الفلسطيني، واعتقال الشيخ ياسين فى قضية الأسلحة ليس عملاً وطنياً لأن هذه الأسلحة كانت ستوجه للزعامات الوطنية والديمقراطية.. وإن قام الإسلاميون بعمل بطولى لا يستطيع أحد تجويره فإنه ينسب للجهاد الإسلامي التى لا يخشون منافستها فى ذلك الوقت، وقد كانت معظم الشبهات تخرج من مصادر إسرائيلية ويتم ترويجها دون النظر إلى المصدر، فالصحيفة التى تنتقد الفصائل الوطنية هى صحيفة معادية أو عميلة، لكن نفس الصحيفة حينما تنتقد التيار الإسلامي تصبح مرجعاً يؤخذ عنه.

وهكذا أيضاً كان موقف الإخوان المسلمين.

وكان لابد من حدث كبير، زلزال يرج الأرض، حتى تصحو جميع الأطراف وتغير منهجها وأسلوبها، فجاءت انتفاضة الجماهير فى ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، فهل تغيرت الأساليب وانشغل الجميع بالعدو المشترك؟ هذا ما سنراه فى فصول قادمة ●

---

(١) عبدالقادر ياسين، ص ص ٣٢-٣٣.

الباب الثالث

حركة المقاومة الإسلامية « حماس »

الفصل الأول : الانتفاضة وانطلاقة «حماس» .

الفصل الثانى : حركة «حماس» والإعلام .

الفصل الثالث : حركة «حماس» والمواقف السياسية .

الفصل الرابع : هياكل حركة «حماس» .



الفصل الأول

الانتفاضة وانطلاقة «حماس»

المبحث الأول

«الانتفاضة»

أسباب الانتفاضة:

لقد كُتب الكثير في هذا الموضوع، وتكاد تتفق جميع المصادر على الخطوط العريضة للأسباب التي أدت إلى الانفجار، وما يهمنا هنا هو ما يتصل بموضوع البحث ويمهد له، ويوضح الصورة العامة، مما يربط بين التفاصيل في لوحة واحدة وشاملة ومترابطة.

إن عملية بهذا الشمول والاستمرار، يشارك فيها الشعب كله بمختلف الأعمار والفئات والشرائح الاجتماعية والتوجهات السياسية، لا يمكن أن تكون نتيجة لأسباب بسيطة فجائية لم تكن في الحسبان، فصحيح أن حادث المقطورة الإسرائيلية التي صدمت سيارتي أجرة على حاجز «إيرز» الفاصل بين قطاع غزة وفلسطين المحتلة، وأدت إلى استشهاد أربعة من العمال الفلسطينيين وجرح تسعة آخرين في يوم ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، كانت شرارة البداية لانتفاضة عارمة وشاملة وعنيفة ستستمر عدة سنوات، لكنها بالتأكيد لم تكن لوحدها كافية، لولا أنها كانت عود الثقاب الذي أحرق أكواماً متراكمة من القهر عمرها عشرون سنة، فقد سبق هذا الحادث عدة حوادث مماثلة كان أكبرها ما حدث قبل الانتفاضة بأربع سنوات حيث صدمت شاحنة إسرائيلية حافلة عمال كبيرة، وأدت إلى مقتل ثلاثة عشر فلسطينياً وجرح آخرين ومرت تلك الحوادث قضاءً وقدراً، ولم تحدث ردود فعل ذات بال.

ولأن الانتفاضة هي انتفاضة الشعب كله، قادها بنفسه ونفذها بأيدي أبنائه وبناته ورجاله ونسائه في كل المخيمات والمدن والقرى، وليست من فعل أو قيادة أو تخطيط تنظيم واحد أو عدة تنظيمات - مع إقرارنا بالدور الكبير الذي قامت به جميع التنظيمات السياسية في الأرض المحتلة - فكان لابد أن تأتي إشارة البداية من الشعب نفسه، الشعب الذي أدمته جروح الاحتلال المستمر منذ عشرين سنة، وفجعته أرواح الضحايا الذين سقطوا على نقطة تفتيش

«إيرز» فانطلق الشعب كله فى انتفاضته واضعاً الأسس لجميع القوى السياسية كى تضع برامجها لاستمرار الانتفاضة وتصعيدها، معلناً استعداده الكامل لكل ما يطلب منه وأكثر، من بذل وتضحية وصمود ومواجهات مع العدو. ولقد كانت وراء الانتفاضة أسباب خارجية وأخرى محلية، استمرت تراكماتها بطول سنوات الاحتلال.

(أ) الأسباب الخارجية:

تتلخص الدوافع الخارجية بكلمة واحدة، وهى «اليأس»، اليأس من كل ما يأتى من خلف الحدود، فقد كان قدر الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال أن ينتظر الفرج يأتيه من الخارج، صحيح أن الشعب لم يظل ساكناً منتظراً، فقد قاوم وقاتل وتظاهر وأضرب وواجه واحتج وعانى من البطش والسجون ومصادرة الأراضى وهدم البيوت وحظر التجول وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، لكنه كان يؤمن أن الفرج الكامل والحل النهائى لا يأتى إلا مع الجيوش القادمة من خلف الحدود.. وماتت أكثر آماله بموت جمال عبدالناصر، وتعلقت الآمال والأحاسيس بأبنائه الذين يشكلون حركات المقاومة المسلحة، وينفذون الأعمال البطولية، ويرفعون رايته، ويؤكدون على هويته الوطنية فى مواجهة محاولات الطمس والإفناء.

ولكن الأزمات بدأت تعصف بحركة المقاومة، فمن مأساة الأردن عام ١٩٧٠م، إلى مآسى أخرى متكررة ومتنوعة فى لبنان، انتهت بإخراج المقاتلين وتوزيعهم على أماكن تبعد آلاف الكيلو مترات عن الوطن، بالإضافة إلى ما صاحب ذلك أو تبعه من انشقاقات واقتتال فلسطينى داخلى، خلّف فى النفوس الكثير من المرارة واليأس.

كان الشعب الفلسطينى دائماً فى الأرض المحتلة وخارجها يزداد التفافاً حول أبنائه ومنظماته ومقاتليه، محملاً مسئولية هذه الانتكاسات المتلاحقة للأنظمة العربية التى انشغلت بمصالحها القطرية الضيقة، أو ارتبطت بالدوائر الأجنبية، فلاحقت الحركة الفلسطينية بالضرب والحصار والتشويه، أو الاستقطاب والاستدراج.. ومع ذلك فقد كانت النتيجة أن الجماهير فى الداخل قد يئست أيضاً من الحل الذى يأتى عن طريق فلسطينيى الخارج.

يضاف إلى ذلك أن الجماهير لمست أن معظم الحكومات العربية تسعى فى اتجاه الصلح مع العدو، والتضحية بالفلسطينيين وقضيتهم من أجل الحفاظ على بقاء الأنظمة الحاكمة، وكان أكثر ما سبّب اليأس والإحباط، اتفاقية «كامب ديفيد» ومعاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل، فقد ظل الفلسطينيون ينظرون إلى مصر بمثابة الأخ الأكبر والأمل بالخلاص، مقدرين لها الدور الكبير الذى قامت به لنصرتهم وما تحمّلته فى سبيل ذلك من أعباء، ومسترجعين دورها فى

تحرير فلسطين من التتار ثم من الصليبيين.

ويأتي مؤتمر القمة العربي الذى انعقد في عمان قبل شهر واحد بالضبط من اندلاع الانتفاضة، ليضع النقاط كلها على الحرف، فلم تعد فلسطين وشعبها هى القضية الأولى للدول العربية، ولو على موائد المؤتمرات، وأصبحت الأولوية عند الحكومات العربية لمواجهة إيران وتدعيم أركان الأنظمة.

وجد الشعب الفلسطيني نفسه تحت الاحتلال أنه بين خيارين لا ثالث لهما، خيار مستحيل وآخر ممكن، أما المستحيل فهو أن ييأس ويستسلم، وأما الممكن والذى ينسجم مع طبيعته وتاريخه أن يأخذ الدور كاملاً، ونيابة عن الحكومات العربية لعلها تراجع حساباتها، ونيابة عن الشعوب العربية لعلها تنتفض هي الأخرى، فتغير أوضاعها، وتسهم في معركة الخلاص، ونيابة عن منظمة التحرير الفلسطينية المحاصرة، لعلها تفك قيودها وتستمد القوة من شعبها.

أما هيئة الأمم المتحدة ومواقف الدول العظمى فقد يئست منها الجماهير قبل ذلك بكثير... يئس الشعب من الجميع وامتلأ ثقة فى نفسه، فهو صاحب الثورات المتصلة منذ سبعين عاماً، لقد نظم أكبر إضراب عرفه التاريخ عام ١٩٣٦م ضد بريطانيا العظمى، ودحر الاحتلال الصهيوني عن قطاع غزة عام ١٩٥٧م، وقبر كل مشاريع التوطين، وفجر الثورات والانتفاضات طيلة العشرين سنة الماضية من الاحتلال، ومع كل هذا فقد كان يرى فى بطولات المقاومة الإسلامية اللبنانية والعمليات الاستشهادية التى أخرجت الأمريكان والإسرائيليين من لبنان، مثلاً مضيئاً يأتيه من الخارج.

(ب) الأسباب الداخلية:

كانت العشرون سنة تحت الاحتلال سبباً كافياً لاندلاع الانتفاضة، فقد لعب الاحتلال - رغماً عنه - دوراً مهماً في التحضير للانتفاضة، وذلك بسياسة القمع والإذلال والإبعاد والتهجير ومصادرة الأراضي، والاستيطان الذى يسحب الأرض من تحت أقدام أصحابها، بالإضافة إلى محاربة التعليم والاقتصاد الوطني، وفرض الضرائب الخيالية وتقييد حرية الانتقال والسفر، ومحاربة القيم والعمل على نشر الفساد.. وثقلت وطأة الاحتلال فى الفترة الأخيرة حتى أصبح - كما يقول الشيخ خليل القوقا : «جاثماً كله على كل فرد من الشعب على حده».[١]

(١) خليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت: ١١/٨/١٩٨٨م.

وكانت الحركة الوطنية قد اكتسبت خبرة طويلة في التعامل مع الاحتلال والتعرف على نقاط ضعفه، وازدادت أعداد الشباب المثقف، وانتشرت المؤسسات الوطنية، بشقيها العلماني والإسلامي، مما سبب رقياً في تنظيم الجماهير، وأسهم في إبراز قيادات شعبية لها كلمتها المسموعة، كما كان لعملية تبادل الأسرى التي نفذتها «الجبهة الشعبية - القيادة العامة» عام ١٩٨٥م أثراً مهماً حيث أطلق سراح ألف معتقل من ذوى الأحكام العالية وذوى الخبرة التنظيمية والنضالية وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، توزعت خبراتهم على جميع مناطق الأرض المحتلة.

وكان حضور الغائب أو المغيب، أى الحركة الإسلامية، وبروزها الفاعل في السنوات العشر التي سبقت الانتفاضة سبباً قوياً في إضافة البعد الأكثر أهمية للصراع مع الاحتلال، وأصبح الإسلام يحرك القطاعات الكبيرة من الجماهير، ودخلت جماعة «الإخوان المسلمين»، الساحة السياسية بكل قوة، بما تملكه من تاريخ، وما تستند إليه من مفردات تجمع الناس عليها، وما تعتمد عليه من أنصار يتواجدون في كل مكان من الأرض المحتلة، بالإضافة إلى امتداداتها الكثيرة والمتعددة من الإخوان المسلمين الفلسطينيين والعرب وأنصارهم في كل مكان في هذا العالم، وكانت الانتفاضات وثورات المساجد والمواجهات في المدن والجامعات والمخيمات بمثابة تدريب للشعب وللتنظيمات السياسية جميعها، أعطتهم الخبرة والثقة.

والشعب الفلسطيني الذى حرم طويلاً - ولايزال - من السلاح والتدريب، وكان عليه دائماً أن يقدم الشهداء والضحايا، يعطى أهمية بالغة واحتراماً أبلغ للعمليات العسكرية البطولية التي تترك فيه أبلغ الأثر. لذلك تعلقت عواطفه بأبنائه في قطاع غزة والضفة الغربية الذين يضربون أروع الأمثلة في القتال والاستشهاد تحت الراية الإسلامية، فقد كانت عمليات «حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين»، تبث روحاً جديدة في شعب الأرض المحتلة لقوتها وجرأتها وحجم الخسارة التي سببتها في صفوف العدو، وكانت أبرز هذه العمليات «عملية البراق» في ١٥ / ١٠ / ١٩٨٦م حيث هاجم الشباب المسلم مئات الجنود الصهاينة الذين كانوا يحتفلون بتخرجهم عند «حائط المبكى» في القدس الشريف وأصابوا العشرات منهم، كما نفذ أبطال «حركة الجهاد» في مايو ١٩٨٧م أجرأ عملية خروج من السجن في تاريخ الاحتلال، حيث استطاع ستة منهم أن يحرروا أنفسهم من أكثر السجون تحصيناً «سجن غزة المركزى»، ولم يحاول هؤلاء مغادرة الأرض المحتلة بحثاً عن السلامة، إنما اتخذوا قطاع غزة قاعدة لهم يضربون قوات الاحتلال ويشتبكون معها إلى أن سقط أربعة شهداء منهم في

«معركة الشجاعية» الشهيرة، وكان أحدهم مصباح الصورى الذى يحفظ كتاب الله، فالتهبت الأرض المحتلة وصدرت البيانات الملتهبة ونفذت الإضرابات، مما جعل جميع مصادر وأدبيات حركة الجهاد الإسلامى تؤرخ للانتفاضة من تاريخ ٦ / ١٠ / ١٩٨٧م، يوم استشهاد المجاهدين الأربعة فى الشجاعية، وقبل الموعد المعروف والمتفق عليه للانتفاضة بشهرين.

وهكذا كانت أسباب الانتفاضة وأدواتها وإمكانياتها وروحها المتحفزة جاهزة تنتظر فقط إشارة البداية، لتأتى حادثة المقطورة ويحدث الانفجار.

الانفجــار

وقعت الحادثة على مرأى ومسمع من آلاف العمال الذين ينتظرون دورهم فى التفتيش كما يحدث لهم كل يوم، هؤلاء العمال عادة يعودون إلى بيوتهم فى كل مدينة وقرية ومخيم فى قطاع غزة، وفى هذا المساء ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م الذى يخبئ فجراً جديداً، حمل العمال إلى أهلهم أخبار الحادث «المتعمد» فليس معروفاً كيف شاع بين الناس أن سائق المقطورة اليهودى افتعل الحادث بصورة متعمدة انتقاماً لليهودى الذى طعن بالأمس فى «غزة»، لم يكن أحد فى قطاع غزة مستعداً للتحقق من كون الحادث مدبراً أو جاء قضاء وقدراً، فالكل كان ينتظر هذه الشرارة التى تفجر فى نفسه مخزون الغضب.

ونام القطاع كله والغليان يسرى فى كل أوصاله، إلا مخيم «جباليا» للاجئين الذى لم ينم تلك الليلة، كما أنه خطف النوم من عيون جنود الاحتلال الذين يتمركزون فيه، شيع المخيم شهداءه فى مسيرات حاشدة ملتهبة خرج إليها الناس جميعاً، «كان الإخوان المسلمون قبل ذلك بسنوات خمس قد أعطوا تعليماتهم لجميع أعضائهم بالمشاركة فى أى فعالية ضد الاحتلال، أما فى عام ١٩٨٥م فقد قرر مجلس الشورى أن يبادر الإخوان فى مناطقهم فى صنع المظاهرات والمواجهات مع الاحتلال، علاوة على مشاركتهم لأية مواجهة يبادر بها أى فصيل وطنى آخر»[١].

وانطلقت جماهير جباليا فى مسيرتها وفى مقدمتهم شباب المساجد، الذين سقط أحدهم شهيداً، لينضم «حاتم السيسى»[٢] ابن الحركة الإسلامية إلى الشهداء الأربعة على أثر مواجهة دامية مع جنود الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة، وفى صباح اليوم الثانى

---

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٢) أعلنت الجبهة الديمقراطية عدة مرات أن الشهيد حاتم السيسى من عناصرها.

٩ / ١٢ / ١٩٨٧م تشرق على مدينة غزة شمس جديدة، ويتدافع طلاب الجامعة الإسلامية بناء على نداء من مجلس الطلبة، الذى علق الدراسة، يتوجهون إلى مستشفى «الشفاء» بغزة للتبرع بالدماء لإسعاف عشرات الجرحى والمصابين، ولما كان المستشفى محاصراً من قوات الاحتلال، فقد اندلعت الاشتباكات والمواجهات بين الطرفين لتسقط أعداد جديدة من الجرحى، ويسقط شهيد غزة الأول، الطالب، «رائد شحادة» أحد النشيطين العاملين من الشباب المعروفين بانتمائهم إلى الإخوان المسلمين».(١)

عاد طلاب الجامعة الإسلامية - بعد إغلاقها فى اليوم الأول - إلى مدنهم وقراهم ومخيماتهم فى جميع أنحاء القطاع ليقودوا التظاهرات والمواجهات فى كل مكان، وليجعلوا مع إخوانهم من الشباب من المساجد إذاعات شعبية تبث الأناشيد الحماسية، والنداءات إلى الناس وهتافات «الله أكبر» التى لا تنقطع، ولتصبح المساجد قواعد انطلاق للشباب يصممون فيها الشعارات واللافتات، وتعم الانتفاضة كل مناطق القطاع، وتصل بعد أيام قليلة إلى مدينة نابلس ومخيمات «بلاطة» و«الدهيشة» ثم كل الضفة الغربية.(٢)

وقد أصدرت حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين بيانها الأول فى الانتفاضة بتاريخ ١١ / ١٢ / ١٩٨٧م، ودعت إلى إضراب شامل فى اليوم الثانى(٣)، كما وزع الإخوان المسلمون بيانهم الأول فى الانتفاضة فى جميع مساجد قطاع غزة فى يوم ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧م بتوقيع «حركة المقاومة الإسلامية»(٤)، كما قاموا بتوزيع بيانهم الثانى فى قطاع غزة والضفة الغربية فى الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر نفسه.(٥)

وبدأت الأنباء تنقل عن الانتفاضة طابعها الإسلامى، فرئيس دولة «إسرائيل» حاييم هرتزوغ صرح فى ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧م: «أن الانتفاضة مجرد حركة تقودها عناصر دينية متزمتة بتأييد من الخارج»(٦) وبدأ مراسلو وكالات الأنباء والصحافة الغربية يرسلون

---

(١) زئيف شيف واهود يعارى (انتفاضة: الانتفاضة الفلسطينية - الجبهة الإسرائيلية الثالثة) - ترجمة دافيد سجيف، القدس: دار شوكن، ١٩٩٠م، ص١٢٢.

(٢) غسان حمدان (الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد) الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٨م (أحداث الأسبوع الأول، ص ص ٣٦-٥٥.

(٣) (مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين)، من منشورات حركة الجهاد الإسلامى - فلسطين، بيروت: بيت المقدس للصحافة والنشر، ١٩٨٩م، ص٣٢.

(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية - حماس) الجزء الأول - إصدار المكتب الإعلامى، ص١٧.

(٥) المرجع السابق، ص١٩.

(٦) (فجر الإسلام فى فلسطين)، الانتفاضة، بيروت: ١٩٨٨م، ص ص ٧٩-٨٠.

بتقاريرهم عن هذا الزلزال المفاجئ، فقد أفادت وكالة الأسوشيتدبرس للأنباء في ١٧ / ١٢ / ٨٧ «أن الحمى الإسلامية المتصاعدة في قطاع غزة هي التي أوقدت الاشتباكات في كانون أول (ديسمبر)، وأن الموجة الأصولية تستفحل كالفطر على الأشجار، وتجعل الشباب العربي وبشكل متزايد أقل خوفاً من مواجهة رصاص الإسرائيليين»[١]، أما وكالة الأنباء الفرنسية في تقرير لها بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٧م فقد أكدت أن «الأصوليين المسلمين، ورثة حركة الإخوان المسلمين المصرية، الأكثر عدداً والأكثر نشاطاً في قطاع غزة، هم وراء الانتفاضة، وهم وقودها الحقيقي»[٢]، أما «التايمز» البريطانية فتقول: «إن الإسلام بدأ يحل بسرعة محل الوطنية كقوة موحدة يعتقد الفلسطينيون أنها قد تساهم في التحرك نحو النصر».[٣]

ويقول «جون لافين» الخبير بشئون الشرق الأوسط والمؤرخ العسكري المعروف: «إنني أعتقد أن الانتفاضة كانت تلقائية تماماً، مهما كان السبب المعجل لحدوثها... ثم أصبحت ذات طابع ديني بعد فترة قصيرة جداً، حسب ما شاهدت بنفسي وأخبرتني بذلك مصادر أخرى من الضفة الغربية وغزة.. وقد كان لحركة «حماس» الحركة الأصولية المحلية يد في ذلك فأصبحت الانتفاضة جزءاً من حرب مقدسة ضد إسرائيل».[٤]

وفي الأسبوع الخامس من الانتفاضة ظهر المنشور الأول باسم «القيادة الوطنية الموحدة»[٥]، ومع بداية الشهر الثاني للانتفاضة، كانت الأحداث والمواجهات قد عمت الأرض المحتلة جميعها وانخرطت في نشاطاتها جميع التنظيمات السياسية.

التسابق في تبني الانتفاضة:

وعلى الرغم من المساهمة الفعالة التي قام بها الجميع في الانتفاضة، وعلى الرغم من أن ميدان التسابق الفعلي كان يجب أن يكون في مواجهة اليهود، إلا أن كل طرف أراد أن ينسب الانتفاضة لنفسه، ويشيع عن تأخر الأطراف الأخرى عن الانتفاضة... وتمادت جميع

---

(١) المرجع السابق، ص٨٠.

(٢) خالد عز الدين، (الانتفاضة الفلسطينية في الصحافة العبرية)، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، ١٩٩١م، ص٤٨.

(٣) جريدة (الوطن) الكويتية، عدد ٤٩١٨، ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٧م.

(٤) خالد عز الدين، ص٤٨.

(٥) قيل أن البيان الأول للقيادة الموحدة صدر في ٨ / ١ / ١٩٨٨م، وقيل في ١٠ / ١ / ١٩٨٨م.

الأطراف فى عدم موضوعيتها وخاصة عند تناول مشاركة الأطراف الأخرى ودورها وفعاليتها .

(أ) حركة حماس :

تؤكد المقاومة الإسلامية - حماس - وعلى لسان قادتها وفى أدبياتها أنها هى التى أشعلت الانتفاضة وقادتها من لحظاتها الأولى، بل إنها حددت ساعة الصفر فى بعض التصريحات، يقول الشيخ أحمد ياسين فى أحد اللقاءات الصحفية بعد مرور أربعة أشهر على الانتفاضة : «إن العنصر الفعال فى الانتفاضة والأساسى هو العنصر الإسلامى مع مشاركة التوجهات الأخرى فيها بشكل أو بآخر»، ويستدل على ذلك بتصريحات القيادات اليهودية والهتافات والشعارات ودور المسجد، وكذلك بهوية الشهداء والجرحى والمعتقلين حيث تؤكد غالبيتها الساحقة على انتمائهم الإسلامى.(١)

وفى مقابلة أخرى يقول الشيخ ياسين عن القوى المحركة للانتفاضة فى القطاع، بأن «الكل موجود لكن التيار الإسلامى فى الأول، ويؤكد أنه هو الذى بدأ الانتفاضة، ثم دخلت بعد ذلك الجهات الوطنية»(٢)، ويؤكد مصدر آخر من مصادر الحركة الإسلامية «أنه لم يكن للقيادة الموحدة أى دور فاعل فى إشعال الانتفاضة، وأن أول بيان لها صدر بعد أسبوعين ونصف من البيان الأول لقيادة حماس»(٣)، ويقول الشيخ خليل القوقا : «إن الانتفاضة ليست وليدة لحظة ولا شهر ولا سنة واحدة.. إنما هى وليدة تجربة عاشتها الحركة الإسلامية.. كل العوامل اجتمعت لتضع الإنسان الجديد.. عبر حركة «حماس» التى أعلنت راية الجهاد وأخذت على عاتقها زمام التفجير منذ صباح ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م».(٤)

وفى كتاب صدر فى الخارج عن أحد الإخوان الفلسطينيين لعله جاء متسرعاً وعاطفياً يقول : «لقد اعتبرت الحركة الإسلامية هذا الحادث (المقطورة) ساعة الصفر المنتظرة لتنفيذ قرارها المتخذ سابقاً باعتباره فرصة مواتية»(٥) ويقول فى مكان آخر : «إن الجهة التى اتخذت

---

(١) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدى)، دبى: دار الأمة للنشر والتوزيع ١٩٩٠م، ص ص ٩٣-٩٤، نقلاً عن مجلة «إلى فلسطين» العدد (٣٠)، ٢٥ / ٣ / ١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢، عن مقابلة شخصية مع التليفزيون الإسرائيلى.

(٣) أحمد بن يوسف، (حركة المقاومة الإسلامية - حماس - خلفيات النشأة وآفاق المسير)، شياغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م، ص٦٠.

(٤) خليل القوقا، مجلة (الإصلاح) الاماراتية، العدد ١٢٩.

(٥) جهاد محمد جهاد، (الانتفاضة المباركة ومستقبلها)، الكويت مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص٤٢.

قرار المبادرة وأعدت له عدته وحددت أى طرف فلسطينى آخر»، ويستطرد قائلاً: «تكاد تكون حركة «حماس» هى الحركة الوحيدة الفاعلة والقادرة على قيادة الجماهير فى قطاع غزة، وتتواجد عدة قوى أخرى إلى جانبها، غير أن حجم جماهيرها لا يكاد يذكر»(١).

أما أبرز مظاهر عدم الموضوعية فى مصادر الإخوان المسلمين، فى الداخل والخارج، فهو تجاهلها التام لحركة الجهاد الإسلامى ودورها فى الانتفاضة وما قبل الانتفاضة، لدرجة أن مصادر الإخوان تنسب عمليات حركة الجهاد التى سبقت الانتفاضة إلى (الإسلاميين) أو إحدى المجموعات الإسلامية(٢)، فبعد أن يشرح مصدر آخر مراحل العمل التى قام بها الإخوان المسلمون فى الأرض المحتلة، هذا العمل الذى «أسس هذا البناء المتين القواعد الشامخ الأهداف» والذى كان «هو الذى دفع الشباب المسلم لخوض عمليات جهادية بطولية كعملية «حائط البراق» وعملية «الشجاعية»»(٣)، يقول نفس الكاتب فى موضع آخر فى الكتاب: «هذا الاتساع (فى المد الإسلامى) دفع بمجموعات شبابية إسلامية - ربما لا تنتمى لتنظيمات عريقة.. لتقوم بعمليات عسكرية نوعية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً»(٤)، وهكذا لدرجة أن بعض الإسلاميين أراد أن ينسب لنفسه دوراً أساسياً فى الانتفاضة بالتركيز على الدور القيادى الذى قامت به الجامعة الإسلامية فى غزة حيث يعمل فى إدارتها.(٥)

(ب) حركة الجهاد الإسلامى:

أما حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين فهى بدورها - وعلى حد قولها - الوحيدة التى فجرت الانتفاضة وقبل موعدها المعروف بشهرين إذ تُجمع مصادر الجهاد جميعاً على أن أول أيام الانتفاضة هو يوم ٦ / ١٠ / ١٩٨٧م يوم استشهاد المجاهدين الأربعة فى معركة «الشجاعية»، ويقول أحد هذه المصادر: «فمنذ ذلك التاريخ حتى منتصف يناير ١٩٨٨م وبيان حركة الجهاد الإسلامى هو البيان السياسى الوحيد الذى يوجه الانتفاضة بالأرض المحتلة»(٦) وهو يتجاهل تماماً بيان حركة حماس الأول الصادر بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧م،

(١) المرجع السابق، ص١٠٢.
(٢) غسان حمدان، ص٣٠.
(٣) جهاد محمد جهاد، ص٢٧.
(٤) المرجع السابق، ص٤٢.
(٥) تقرير خاص، الانتفاضة، حقائق وأرقام، أرشيف الحركة، ص٢٥.
(٦) صالح عوض، (الانتفاضة الثورة: دراسة من الداخل)، تونس: دار الزيتونة للإعلام والنشر، ١٩٨٩م، ص٤.

وبعد اندلاع الانتفاضة بخمسة أيام، «فحركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسم جديد انبثق في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٨٨م أى بعد مضى ثلاثة أشهر على الانتفاضة».[١]

أما الكتاب الصادر عن الحركة فهو يتحدث عن البيان الأول في الانتفاضة فيقول: «إن كان على البعض أن يؤرخوا لها منذ ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، فإن بيان الجهاد كتب يوم الأربعاء ٩ / ١٢ / ١٩٨٧م، وتمت طباعته وتوزيعه بكميات هائلة يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٨٧م واليوم الذى يليه»[٢]، كما قامت مصادر الجهاد بنسبة شهيد الجامعة الإسلامية «رائد شحادة» إليها[٣]، مع أن حركة حماس قد نسبته أيضاً إليها.

وهناك أيضاً حركة الجهاد الإسلامى - بيت المقدس - التى تحتكر الانتفاضة لنفسها، وتتهم بقية الأطراف بالتأخر، وأنها دخلت الانتفاضة مجبرة، تقول هذه الحركة: «فعندما يكتب التاريخ بعيداً عن الأهواء.. سيكون الفضل فى إشعال فتيل الانتفاضة (ثورة المساجد) لحركة الجهاد الإسلامى»[٤] وتضيف وبعد أن شعرت حركة الجهاد الإسلامى بقبول كافة تيارات شعبنا لفكر الثورة ومؤازرته، أعطيت الإشارة إلى الإخوة فى مدن ومخيمات وقرى الضفة الغربية»[٥] أما الحركات الأخرى «فبعد شهرين من الانتفاضة تقريباً شاركت معظم التنظيمات الفلسطينية رسمياً فى موجة الانتفاضة، منها لكى يلحق بركب الشعب، ومنها من كان دخوله مجبراً حتى لا يسحب البساط من تحت قدميه ويكون فى الطرف المناقض للشعب الفلسطينى المجاهد، وبدأت بياناتهم تنزل باسم القيادة الوطنية الموحدة (أى فصائل م. ت. ف) وباسم حركة المقاومة الإسلامية التابعة للإخوان المسلمين.. علماً بأن بعض هذه الجهات فى بداية الأمر كان يصر على اتهام الانتفاضة بأنها من صنع أمريكا واليهود»[٦].

نخلص إلى القول أن الانتفاضة كانت من صنع الشعب الفلسطينى كله تحت الاحتلال، وأن الشعب هو صاحب الفضل الأول فى اندلاعها واستمرارها، فمن هو التنظيم الذى يمكن

---

(١) المرجع السابق.
(٢) مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين، ص٢٣ (البيان، ص ص ٣٢-٣٦).
(٣) المرجع السابق، ص٢٤.
(٤) إبراهيم سربل، (حركة الجهاد الإسلامى)، عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص٤٤.
(٤) المرجع السابق، ص٤٨.
(٦) المرجع السابق.

أن يحرك النساء والأطفال والرجال وحتى كبار السن" أما الشمول والاستمرار فكان لا يمكن أن يحدث دون مشاركة القوى السياسية المنظمة ومن اللحظات الأولى، وتبنيها للانتفاضة ووضع البرامج لها. بل والتنافس على إبراز حجم كل قوة مما زادها اشتعالا واستمرارا. ولما شارك الشعب كله في كل مناطقه فقد كان من الطبيعي ألا يتخلف أكثر الشباب المنتمين للحركات والفصائل، وأن يشاركوا في الفعاليات قبل أن تصلهم الأوامر التنظيمية، فهم جزء من الشعب، بل ويعتبرون أنفسهم قادته وطليعته.

أما الحركات والمنظمات السياسية. فمن الواضح أنها شاركت جميعاً بجهدها وعلى قدر إمكانياتها، منها من شارك منذ اللحظات الأولى ومنها من تأخر قليلاً.. لكن الجماهير جذبت الجميع، فالمعتقلون والمصابون والشهداء في الأيام الأولى للانتفاضة دليل واضح على مشاركة الجماهير غير المنضوية تحت أية حركة، وكذلك دليل على توقيت دخول كل حركة لساحة الانتفاضة

لقد كانت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وحركة المقاومة الإسلامية - حماس - هما الحركتين اللتين شاركتا في الانتفاضة منذ لحظاتها الأولى، كل حسب قدرته وإمكانياته وانتشاره وخبرته السياسية، وكان هذا أمراً طبيعياً ينسجم مع مسيرة الحركتين وتصاعد الخط الجهادي لدى كل منهما، كما أن كلاً منهما يملك حرية اتخاذ القرار، ويقود تنظيمه دون الرجوع لأوامر من الخارج.

وكان طبيعيا أن تتأخر فصائل (م. ت. ف) أياماً في محاولة لاستيعاب المفاجأة، ودراسة أبعادها وإمكانيات استمرارها، تقيدها التحركات الدبلوماسية التي عولت عليها والاتصالات الأمريكية العربية لإيجاد حل سلمي للصراع، ولكنها من جهة أخرى تجد نفسها مدفوعة باتجاه الانتفاضة تحت ضغط الوجه الإسلامي البارز للانتفاضة وضغط بعض شبابها الذين نزلوا إلى الشوارع قبل صدور التعليمات، وتحت ضغط الإعلام العالمي الذي أشار إلى عدم وجود (م. ت. ف) ولا صور زعمائها في الانتفاضة.. وكان على القيادات المحلية أن تتشاور مع القيادات في الخارج فأنشئت «القيادة الوطنية الموحدة» في بداية الشهر الثاني للانتفاضة، لكنها ومع الاختلافات في صفوفها برزت بقوة وانتظام هادفة لقيادة الانتفاضة وجعلها تسير في المسارات التي تتفق مع السياسة العليا لـ(م. ت. ف).

المبحث الثاني
تأسيس حماس ودورها في الانتفاضة

تأسيس «حماس»

من الطبيعي لأية حركة سياسية لها تشكيلاتها العسكرية والأمنية وفي ظل الاحتلال الذي يمتلك وسائل أمنية متطورة وعيوناً مبثوثة في كل مكان، وخاصة في مرحلة الإعداد والبناء وقبل أن تدخل في صراع شامل ومكشوف مع العدو، أن تستخدم أسماء مستعارة من أجل المحافظة على أمن وتنظيم وسرية أعمالها، وإرباك أجهزة الأمن المضادة، حتى لا تتجه أجهزة الأمن المضادة بكل قواتها للبحث عن الحركة المعنية... من هنا فقد قام الإخوان المسلمون في فترة ما قبل الانتفاضة بتوقيع بياناتهم بأسماء مختلفة مثل «المرابطون على أرض الإسراء» و«الاتجاه الإسلامي في فلسطين» و« حركة المقاومة الإسلامية»، بل إنهم «لم يعلنوا مطلقاً عن عمليات لهم قام بها الجهاز الأمني من قتل بعض العملاء أو الاشتباك مع جنود الاحتلال»[١] تقول بعض المصادر أنه في ١٦ / ١٠ / ١٩٨٦م وزع الإخوان المسلمون في قطاع غزة بياناً بتوقيع «المرابطون على أرض الإسراء» دعوا فيه إلى إضراب عام وليوم واحد احتجاجاً على مظاهر الإهانة والتنكيل التي تمارسها سلطات الاحتلال في قطاع غزة[٢]، وقد علقت مجلة «المنطلق» الصادرة عن الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية، على نجاح الإضراب قائلة، «من الواضح أن المحتلين شعروا بمقدار التحدي الذي يمكن أن يدفع الأخوة في غزة إلى إعلان انتفاضة لا يستطيع اليهود تحمل نتائجها».[٣]

وقد ظهر اسم «حركة المقاومة الإسلامية» قبل الانتفاضة مرتين طبقاً لما أورده زئيف شيف الذي يستقي معلوماته من أجهزة الأمن الإسرائيلية، «كانت المرة الأولى في آذار (مارس) ١٩٨٧م في منشور أنذر فيه الصيادلة بوجوب مد يد العون لمكافحة المخدرات، والثانية في منشور وزع في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧م ودعا فيه إلى اتقاء مناورات مصلحة الأمن العام»[٤].

---

(١) (ف. خ) أحد الذين عملوا في الجناح الأمني لحماس، مقابلة شخصية (مرج الزهور) ٦/٦/١٩٩٣م.
(٢) خالد عز الدين، ص٤٦.
(٣) المنطلق، العدد ١٦، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٨٦م، ص١٥.
(٤) زئيف شيف، ص٢٥٨.

ويؤكد أحد كوادر «حركة المقاومة الإسلامية» مشاركة الإخوان فى الانتفاضة ومواجهة الاحتلال قبل شهرين من اندلاعها على الرغم أنه حاول أن يحرم قيادات الإخوان المسلمين من هذه المبادرة فيقول: «كان واضحاً أن قطاعاً واسعاً من (جماعة الإخوان) قد انخرط فى الانتفاضة منذ السابع من أكتوبر عام ١٩٨٧م، ولكن ذلك كان يتم دون قرار رسمى»(١).

وفى صباح اليوم التالى لحادث المقطورة قام مجلس الطلاب فى الجامعة الإسلامية بتعليق الدراسة والطلب من الطلاب التوجه إلى مستشفى «الشفاء» بغزة للتبرع بالدم ثم العمل على استمرار المواجهات ضد الاحتلال، كل فى منطقته، وفى نفس اليوم أى ٩ / ١٢ / ١٩٨٧م اجتمعت الهيئة الإدارية للإخوان المسلمين (مكتب قطاع غزة) فى منزل الشيخ أحمد ياسين وبحضور كامل الأعضاء وهم:

١- الصيدلى إبراهيم اليازورى، الأمين العام للمجمع الإسلامى منذ اعتقال الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٤م، وهو من قدامى الإخوان ومن مواليد قرية «بيت دراس» المحتلة منذ ١٩٤٨م.

٢- الأستاذ محمد حسن شمعة، وهو أيضاً من قدامى الإخوان، والذى سيكون واحداً من أهم قيادات المبعدين فى «مرج الزهور» بجنوب لبنان، وهو أيضاً من مواليد مدينة «المجدل» التى احتلها اليهود عام ١٩٤٨م.

٣- الأستاذ عبدالفتاح دخان، وهو من الرعيل الأول ومن مفكرى الحركة وقادتها الأساسيين، ويعتقد أنه كان الرجل الثانى فى الحركة، ويمتاز بسعة اطلاعه وقدرته على الكتابة، فهو الذى وضع ميثاق الحركة، بالإضافة إلى صلابته المعروفة، فقد كان أحد قادة المبعدين فى مرج الزهور وهو أيضاً من مواليد قرية «عراق سويدان» التى احتلت عام ١٩٤٨م.

٤- الشيخ صلاح شحادة، عميد شئون الطلاب فى الجامعة الإسلامية، وهو من الجيل الثانى الذى أعدته الحركة للقيادة، وقد سبق أن اعتقل مع الشيخ أحمد ياسين ١٩٨٤م فى قضية التنظيم العسكرى وحيازة السلاح، وهو المتهم بقيادة الجناح العسكرى للحركة، وهو من مدينة يافا المحتلة عام ١٩٤٨م.

٥- المهندس عيسى النشار، وكان يعمل مهندساً فى بلدية رفح، وهو من الجيل الثانى أيضاً فى القيادة وكان مسئولاً عن منطقة رفح التى ولد فيها.

---

(١) صالح عوض، ص ٤٠.

٦- الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى، يحمل شهادة الماجستير فى طب الأطفال، وهو أيضاً من الجيل الثانى الذى أعدته الحركة للقيادة، فهو إلى جانب ملكاته القيادية فى الإطار التنظيمى، يمتلك قدرات خطابية، كما أنه نموذج فى الصلابة والقوة يقتدى به الشباب، حتى أنه قام بضرب ضباط المخابرات الذين اقتحموا غرفة نومه لاعتقاله، اتهم بصياغة البيان الأول لحركة المقاومة الإسلامية، كما أنه أصبح معروفاً على المستوى العالمى «كناطق رسمى باسم المبعدين»، وقد أدار معركة المبعدين بنجاح فائق، ولعله صاحب الفضل الأكبر فى الصمود والتحدى حتى تحقق لهم النصر والعودة وهو أيضاً من مواليد قرية «يبنا» المحتلة عام ١٩٤٨م.

دارت المداولات فى هذا الاجتماع كلها حول استغلال حادث المقطورة وما تسبب عنها من غليان شعبى فى تصعيد المواجهات وانخراط الإخوان بالكامل فى أعمال الثورة الشعبية، وتحويل الجسم التنظيمى وما حوله من الأنصار والمؤيدين إلى هيكلية مناسبة، فقرر المجتمعون إنشاء جهاز خاص بالانتفاضة أطلق عليه اسم «جهاز الأحداث»، يضطلع بمهمة وضع الحواجز والمتاريس وقذف الحجارة وإدارة المصادمات وكتابة الشعارات وتوزيع البيانات ومنع العمال من التوجه إلى العمل داخل فلسطين المحتلة، كما قرروا توصيل التعليمات إلى جميع أعضاء الحركة فى كل قطاع غزة بالمشاركة فى تشييع الشهداء، وإلى الخطباء بوجه خاص لتعبئة المشاعر ضد الاحتلال والحث على مواصلة الانتفاضة.

ويذكر الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى أن من الأفكار التى طرحت للمناقشة فى هذا اللقاء تخوف البعض من أن هذه الأحداث قد تساعد (م. ت. ف)، وتقوى موقفها الذى ضعف كثيراً فى الآونة الأخيرة، كما أنها قد تحاول أن تستثمر الانتفاضة لتقوية موقعها فى العملية السلمية، لكن الشيخ أحمد ياسين كان يرى أننا بحاجة إلى (م. ت. ف) قوية، كما أن علينا أن نرحب ونعمل على مشاركة المنظمات كلها فى هذه الانتفاضة لتوزيع الأعباء، حتى لا نتحملها لوحدنا فإن المنظمة القوية التى تستمد القوة من شعبها المنتفض سوف ترفض الحلول الاستسلامية الهزيلة.

وهكذا تقرر فى هذا الاجتماع العمل تحت اسم «حركة المقاومة الإسلامية» كجناح سياسى وإعلامى يختص بالانتفاضة وتطويرها والإشراف على فعالياتها من خلال «جهاز الأحداث» بالإضافة إلى الجهازين السابقين اللذين تم تأسيسهما قبل ذلك والمتصلين مباشرة بالشيخ أحمد ياسين، وهما:

- الجناح العسكرى «المجاهدون الفلسطينيون» الذى أسسه الشيخ ياسين فى عام ١٩٨٣م،

ثم أعاد تشكيله فى أواخر عام ١٩٨٦م مسنداً مسئوليته إلى الشيخ صلاح شحادة.

- والجناح الأمنى «مجد» والذى أسسه الشيخ ياسين ١٩٨٥م، وكان من أهم من عمل فيه الأخ يحيى السنوار الذى يقضى حكماً بالسجن مدى الحياة[١].

وهنا تجدر الإشارة إلى سر لعله ينشر لأول مرة، ففى اجتماع مجلس الشورى للإخوان المسلمين فى قطاع غزة فى نهاية عام ١٩٨٥م، وعند دورته الجديدة لانتخاب «مكتب القطاع»، ألحَّ الشيخ أحمد ياسين على إخوانه وبإصرار أن ينتخبوا رجلاً غيره ليكون مسئولاً عن التنظيم، ولم يتسن لنا معرفة الدوافع الحقيقية وراء هذا الطلب، لأن ذلك يحتاج إلى توضيح من الشيخ ياسين نفسه، المعتقل منذ مايو ١٩٨٩م، كما أن الشيخ معروف بصمته وتكتمه الشديد وحسابه لكلماته.

فلعله كما قال يريد أن يتفرغ للدعوة العامة بين الشعب كله، فقد كانوا يطلبونه فى كل مكان للاستماع إلى مواعظه وأحاديثه، كما كانوا يأتونه فى كل وقت من الليل والنهار للفصل بين المتخاصمين، ولهذا كان يريد أن يتحلل من تفاصيل العمل التنظيمى المرهق.

ولعله كان يريد أن يتفرغ للعمل العسكرى والعمل الأمنى، فخيوط هذه الأعمال كلها بين يديه، ولقد ثبت لى من طرق كثيرة ومختلفة أن الشيخ أحمد ياسين كان أكثر الإخوان اندفاعاً باتجاه مواجهة الاحتلال بجميع الأشكال وخاصة العسكرية، وقد روى لى أحد الإخوان القدامى أن الشيخ قال أمامه سنة ١٩٦٨م، «سأقاتل إسرائيل عندما أمتلك مسدساً واحداً».

ولعله كان يريد أن يطمئن على مسيرة الحركة فى حياته، وأن يسلم الراية للجيل الثانى الذى أشرف بنفسه على تنمية القدرات القيادية عندهم، ووجد فيهم ما يرضيه من عقيدة وإصرار على مواجهة الاحتلال، وانطلاق متحرر من أثقال الماضى، وانفتاح وتعامل مع كل مستجد.. ولكن لطبيعة الشيخ الأبوية والأخوية للجميع، فقد كان أكثر الناس حرصاً حتى على مشاعر الطفل الصغير، فلم يكن ليعبر عن رغباته بوضوح للمحافظة على سلامة الصدور. فترك الأمر للإخوان وهو بين صفوفهم يشرف ويراقب ويرشد.

انتخب مجلس الشورى أحد الإخوة القدامى المعروف بصلابته وتشدده وذكائه، وظل الشيخ معهم أحد الأعضاء الستة إلى جانب الرئيس، وعلى الرغم مما يتمتع به الشيخ عبد

---

(١) تفاصيل الاجتماع مأخوذة من مقابلات شخصية مع كل من د. عبدالعزيز الرنتيسى وعبد الفتاح دخان ومحمد حسن شمعة فى «مرج الزهور» فى الفترة من ٣-٩ يونيو ١٩٩٣م.

الفتاح دخان - المسئول الجديد - من قوة ودراية وخبرة، فقد ظل الإخوان، قواعدهم وقياداتهم يعودون للشيخ أحمد ياسين في كل أمورهم.

وعندما اندلعت الانتفاضة عادت الأمور كلها إلى الشيخ بصورة تلقائية وبدون قرار، فقد كان هو الرجل الأول دائماً، حتى عندما تخلى عن مسئولية التنظيم، وباندلاع الانتفاضة تحقق للشيخ ما كان يعمل له بصبر وحسن تخطيط من تهيئة الإخوان للدخول في مواجهة شاملة مع الاحتلال، كما تحقق له بروز أعداد من القيادات الجديدة التي أفرزها العمل الميداني.

بدأت «حركة المقاومة الإسلامية» في توزيع بيانها الأول في فجر ١٤ / ١٢ / ٨٧ في جميع أنحاء القطاع، وجاء بيانها الثاني في الأسبوع الأخير من نفس الشهر ووزع في الضفة الغربية إلى جانب قطاع غزة، وفي البيان الثالث أضافت الحركة إلى التوقيع كلمة «فلسطين»، وظهرت الحروف المختصرة للاسم في البيان الرابع على هذه الصورة (ح. م. س)، أما كلمة حماس فقد ظهرت لأول مرة في البيان السابع المؤرخ في شباط (فبراير) سنة ١٩٨٨م، واستقر هذا التوقيع منذ البيان السابع طيلة الانتفاضة ليصبح على هذه الصورة:

حركة المقاومة الإسلامية «حماس»

فلسطين

أما الإعلان عن انتماء حركة حماس لجماعة الإخوان المسلمين فقد ظهر في البيان السادس بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٨م وتكرر ذلك في البيان رقم (١٥) بتاريخ ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٨٨م، وثم جاء تأكيد ذلك في «الميثاق» الذي صدر بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨٨م.

حركة «حماس» في الضفة الغربية:

كانت البداية في نابلس ومخيم «بلاطة» للاجئين، فقد كان الأستاذ عبدالفتاح دخان، أحد أبرز قادة الإخوان المسلمين، يحضر جلسات مكتب نابلس منذ شهور بصفته ممثلاً «لمكتب فلسطين»، يشرف على اجتماعاته ليطمئن على سير العمل وحسم الخلافات السابقة داخل الساحة النابلسية، وقد أشرف على الانتخابات التي أفرزت الهيئة الإدارية الجديدة، وفي أول اجتماع لهم بعد الانتفاضة وضعهم في صورة الأحداث التي تجري في قطاع غزة، فقد كانوا لا يعرفون حقيقة ما يحدث، وحقيقة دور الإخوان المسلمين في الأحداث هناك، شرح لهم «أبو أسامة»، وانتهى بمطالبة الإخوان المسلمين في نابلس والضفة الغربية عموماً بالمشاركة، وكان مما قاله «أن إخوانكم في غزة يقولون لكم إن لم تكن عندكم حجارة فسيرسلونها لكم من غزة».

اجتمع «مكتب نابلس» وقرر المشاركة فى فعاليات الانتفاضة وتقاسم العبء مع إخوانهم فى غزة، كانوا لا يملكون الخبرة الكافية فى هذه الأمور، وتوصلوا إلى فكرة استخدام المساجد، فهم ينشطون فى حوالى أربعين مسجداً فى نابلس، ولكل مسجد لجنة، فأصدروا أوامرهم إلى الشباب بإشعال الانتفاضة فى المساجد، وفى أول جمعة ١١ / ١٢ / ١٩٨٧م بدأ الإخوان بالتكبير من داخل مسجد مخيم «بلاطة»، وخرج كل المصلين وهم يكبرون، وحدثت اشتباكات مع الجيش استشهد على أثرها وأصيب حوالى ستين شخصاً، فتكهرب الجو فى المدينة والمخيم وأعلنت البلدية إضراباً مدته ثلاثة أيام مما أشرك الناس جميعاً فى الفعاليات.

تقول قيادات الإخوان فى نابلس إن كل هيكلية الإخوان من المكتب الإدارى إلى القواعد شاركت فى الانتفاضة بقوة، «كان الهيكل جاهزاً، كل ما عملناه أن أعطينا الإشارة وغيرنا الاسم ووزعنا المهمات وأنشأنا جهازاً خاصاً للانتفاضة سميناه «جهاز الطوارئ» شبيه «بجهاز الأحداث» فى غزة[١].

وبالنسبة لمنطقة رام الله يقول الشيخ إبراهيم أبو سالم، أحد قادة الإخوان هناك، إن «الأمور كانت هادئة نسبياً حتى جاءنا الأمر بالمشاركة، فانخرط الإخوان بالكامل فى أنشطة الانتفاضة»[٢]، وكان الشيخ أحمد ياسين قد التقى مع الشيخ جميل الحمامى فى بداية عام ١٩٨٨م، وكلفه بإنشاء جهاز حركة فى الضفة الغربية[٣]، وقد جاء موعد الاجتماع الدورى للمكتب القطرى «مكتب فلسطين» والذى يحضره قادة العمل فى قطاع غزة ومناطق الضفة الغربية، والذى انعقد فى مدينة القدس بتاريخ ٨ / ١ / ١٩٨٨م حيث استعرض الإخوان مسيرة الانتفاضة ومشاركة الإخوان فيها فى مختلف المناطق وقرروا العمل على أن تصل الانتفاضة إلى كل المدن والقرى فى الضفة الغربية[٤].

ولعلنا نستطيع أن نستخلص أن تأسيس حركة حماس ودخولها الانتفاضة بقوة كان إعلاناً بأن مرحلة جديدة قد بدأت فى مسيرة الإخوان المسلمين فى الأرض المحتلة، وكان الفضل فى ذلك يعود إلى الشيخ أحمد ياسين شخصياً، ثم غالبية القيادات التاريخية للإخوان التى ساهمت مساهمة فعالة فى أنشطة الانتفاضة وقاست التعذيب والسجون على الرغم من كبر السن والأمراض، كما يعود الفضل إلى الجيل الجديد من الإخوان المسلمين الذى يتحرق لهذا

---

(١) قادة نابلس، مقابلة شخصية (مرج الزهور) ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.
(٢) إبراهيم أبو سالم – أحد قادة منطقة رام الله – مقابلة شخصية فى مرج الزهور ٥ / ٦ / ١٩٩٣م.
(٣) لوائح الاتهام الموجهة للشيخ أحمد ياسين وملف التحقيق مع الشيخ جميل حمامى (أرشيف الحركة).
(٤) مخطوط كتبه بعض قادة مبعدى الخليل فى مرج الزهور.

اليوم، والذى انتمى لحركة الإخوان المسلمين تحت الاحتلال إيماناً من أن طريق الإسلام وسبيل الجهاد هى الكفيلة لتحقيق النصر، كانوا ينتظرون الأمر بالمواجهة تصديقاً لهتافهم الدائم «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا»، كما كانوا يريدون أن يظهروا لخصومهم من التيارات الأخرى كيف يقاتل المسلم وكيف يواجه المسلم وخاصة أنهم طالما اتهموا شباب الحركة بعدم مقاومة الاحتلال، وحول هذه النقطة تقول صحيفة «دافار» الإسرائيلية فى عددها الصادر فى ٥ / ٥ / ١٩٨٩م : «إن هذا التغير الحاصل فى موقف الإخوان المسلمين لم يكن معبراً عن الحاجة للجهاد الإسلامى فقط بل عبر أيضاً عن التغير الاجتماعى الذى حصل فى صفوف الإخوان المسلمين فى سنوات الثمانينيات، إذ أصبح الذين يرفعون راية الحركة فى القطاع هم من الطبقات المثقفة... فحركة «حماس» لم تكن ظاهرة نتجت عن الانتفاضة، وإنما تعبير عن التغير الذى حدث فى صفوف الإخوان المسلمين»[١].

أما بالنسبة للأجيال الجديدة وآلاف الشباب الذين انخرطوا فى صفوف الحركة الإسلامية من خلال الانتفاضة وفعالياتها، فقد جذبهم فى الأساس الإحساس الوطنى والرغبة فى مواجهة اليهود، وشجعهم على ذلك أكثر، أن هذا النضال وهذه المواجهة تتم تحت الراية الإسلامية بما يكمن تحتها من الصدق والتضحية ومعانى الأخوة فى الله والتكافل وعدم المحسوبية والتمييز، بالإضافة إلى ما يستقر فى قلوبهم من أنهم يكسبون الأجر والثواب أو الشهادة فيفوزون فى الآخرة.

ولعل الدكتور على الجرباوى أصاب كثيراً حينما تحدث عن المكاسب الاستراتيجية التى حققتها جماعة الإخوان المسلمين بتأسيس حماس والانخراط بالانتفاضة حيث أعطى تشكيل حماس دفعة تنظيمية قوية مما أردف الإخوان المسلمين بعناصر يصعب تقدير حجمها، كما ساهم فى الانتشار المنظم للجماعة فى مختلف أرجاء الأرض المحتلة من مدن وقرى ومخيمات، بالإضافة إلى أنه كان إسهاماً رئيسياً فى عملية بلورة قيادة مركزية للإخوان على صعيد الأرض المحتلة، ولعل أهم هذه المكاسب جميعاً على أهميتها أن تشكيل حماس فتح المجال واسعاً أمام حركة الإخوان المسلمين لفرض شرعيتها السياسية داخل الحلبة السياسية الفلسطينية[٢].

---

(١) خالد عز الدين، ص٤٤.

(٢) على الجرباوى (الانتفاضة والقيادات السياسية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، بحث فى النخبة السياسية)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص ص ١٢٤ - ١٢٥.

دور الحركة فى الانتفاضة وتنامى قوتها:

قامت حركة حماس بدورها الكبير في فعاليات الانتفاضة وفي العمل على استمرارها وانتشارها وقد كان ذلك واضحاً لكل مراقب، ومع الوقت لم يعد أحد يستطيع أن يتجاهل دورها أو ينكره، ظهر ذلك في تواجدها في جميع أرجاء الأرض المحتلة وفي بياناتها المستمرة ودعوتها للإضرابات الناجحة، وبروز دور المسجد الأساسي في حركة الانتفاضة، وكذلك في دورها الاجتماعي البارز بالإضافة إلى العمليات العسكرية التي نفذها شبابها، مما أعطى الانتفاضة روحاً جديدة من التحدى، كما أن الحجم الكبير للاعتقالات في صفوف الحركة يعطى دلالة واضحة على دورها الفاعل ومشاركتها الرئيسية.

ومما يعطى الدلالة أيضاً على قوة حماس وأنها أصبحت قوة سياسية لا يمكن تجاهلها، تصريحات المسئولين الإسرائيليين وتقارير الصحف الإسرائيلية والأجنبية بالإضافة إلى ذلك تصريحات المسئولين الفلسطينيين حول حركة حماس والتي اتسمت بالتضارب الواضح من عصبية وغضب إلى محاولات التقرب والاحتواء، ومن التشويه والاتهام ومحاولة تقليل دورها، إلى الاعتراف بجهدها الوطني ومحاولة ضمها إلى المؤسسات الرسمية الفلسطينية.

ولما كانت حركة «حماس» محرومة من وسائل الإعلام في الداخل والخارج، فقد مثل المسجد بالنسبة لها وسيلة الإعلام الناجحة على المستوى المحلي، ولم يقتصر دوره على ذلك، بل تعداه ليصبح المسجد محوراً أساسياً في حركة الانتفاضة يقوم بدوره بالتعبئة الحماسية، بل إن أكبر المظاهرات وأعنف الصدامات كانت تبدأ من المسجد، حيث كانت أيام الجمع خصوصاً تضيف للانتفاضة زخماً وحرارة جديدة، كما قام المسجد أيضاً بدوره الاجتماعي من التكافل وتوزيع المواد التموينية عن طريق لجان الإغاثة الإسلامية التي شكلتها حركة «حماس»، وقد لعب المسجد وبجدارة دور التعليم البديل بعد إغلاق المدارس والجامعات، كما أن ظاهرة توبة العملاء والجواسيس كانت تشير إلى قوة المسجد ونفوذ حركة «حماس» حيث كان العملاء يختارون المساجد لإعلان توبتهم، وهكذا لم تسلم المساجد من القمع والاقتحام والإغلاق واعتقال الأئمة.[1]

كما كان انتظام بيان الحركة الدوري رغم كل الاعتقالات يدلل على قوة الحركة والتي

---

(١) إبراهيم محمد، (الأذان الحزين: المسجد في ظل الانتفاضة والاعتداءات الصهيونية)، لندن: مركز الدراسات المعاصرة ١٩٩٠م، (للتفاصيل انظر ص ص ١٠-١٤).

ملأت شعاراتها الجدران في كل مكان، كما كانت أول حركة سياسية تصدر نشرات خاصة عن الانتفاضة، حيث ظهرت نشرة «حماس» السرية في مارس سنة ١٩٨٨م.[١]

ومما يدلل على قوة حركة حماس وانتشارها وثقة الجماهير بزعمائهاورموزها أنها كانت الطرف الأهم في تكريس العدالة وحل المنازعات بين الناس وخاصة بعد استقالات رجال الشرطة العرب، فقد ذكرت جريدة الأنباء الكويتية نقلاً عن مراسل «فرانس برس» تحت عنوان (حركة حماس قاض وشرطة في غزة) أن «جميع النزاعات بين الأشخاص والخلافات العقارية والمالية بين سكان قطاع غزة تمر الآن بين أيدي قادة حماس».. ونقل المراسل عن الدكتور حيدر عبدالشافي - أهم شخصية يسارية في القطاع - «إن حماس كانت في الأيام الأخيرة فاعلة جداً في توليها زمام العدالة».[٢]

ولعلي لا أجانب الحقيقة إذا جعلت شهر آب (أغسطس) ١٩٨٨م، أي الشهر التاسع للانتفاضة نقطة فاصلة في تاريخ حركة «حماس» وعلاقاتها بالأطراف الأخرى وخاصة (م. ت. ف)، والاحتلال، فقد أضافت حركة «حماس» لقيظ الصيف في أغسطس حرارة جديدة ومن لون جديد، فقد أجبرت جميع الأطراف على عدم التمادي في تجاهلها وإنكار دورها، وصعدت من وجودها وفعالياتها المتنوعة في الداخل والخارج.

ففي أغسطس أعلنت حركة «حماس» عن إضراب منفرد في جميع الأرض المحتلة بمناسبة ذكرى محاولة إحراق المسجد الأقصى[٣]، وعلى الرغم من محاولات التيارات الوطنية، وخاصة حركة فتح، المستميتة لإفشال الإضراب في الضفة الغربية، إلا أنه نجح بصورة كاملة، مما ساهم في كشف زيف الادعاءات التي تقول إن حركة «حماس» موجودة فقط في قطاع غزة، وأن الضفة الغربية بالكامل تقع تحت سيطرة (ق. و. م).

وفي أغسطس هذا أيضاً دعت الحركة إلى مواجهات وصدامات مع قوات الاحتلال في ذكرى الهجرة النبوية، كانت الأعنف في تاريخ الانتفاضة، وخاصة في الضفة الغربية، كما نفذت مجموعة من شباب حماس هجوماً على الجيش الإسرائيلي في مدينة نابلس[٤] قذف الرعب في قلوب السلطات المحتلة وجعلها تراجع حساباتها من جديد.

---

(١) صالح عبدالجواد، ص١٢٩.
(٢) «حماس قاضي وشرطة»، (الأنباء) الكويتية، ٢٧/١٠/١٩٨٨م.
(٣) خالد عز الدين، ص١٩٥.
(٤) المرجع السابق.

وفي أغسطس أيضاً صدر في الأرض المحتلة «ميثاق حركة المقاومة الإسلامية» ليحدث دوياً هائلاً، تتناقله وسائل الإعلام الأجنبية، وتكثر حوله التحليلات، فقد كان صدور الميثاق صدمة للعدو الصهيوني، كما كان صدمة أخرى لـ (م. ت. ف)، فقد كرس «الميثاق» مقولة إسلامية فلسطين من البحر إلى النهر، وأنها أرض وقف إسلامي لا يجوز لأحد التنازل عن ذرة من ترابها، كما أكد رفضه للدولة العلمانية والفكر العلماني، وطالب (م. ت. ف)، الالتزام بالمنهج الإسلامي للتحرير.

كان «الميثاق» بعد تسعة أشهر من الانتفاضة وتأسيس «حماس» إيذاناً بأن هذه الحركة ولدت لتبقى وتكبر، وأنها مصممة على الاستمرار، مما جعل سلطات الاحتلال تدرك أن محاولاتها لتحييد الإسلام عن الصراع، وحذرها الشديد في التعامل مع الظاهرة الإسلامية، حتى لا تمتد وتتسع قد باءت كلها بالفشل، مما جعلها تبدأ خطواتها القاسية وغير المحسوبة في مواجهة حركة «حماس»، أما (م. ت. ف) فقد استشعرت الخطر الحقيقي الذي ينافسها على قيادة الشعب الفلسطيني.

وفي أغسطس هذا أيضاً، ظهر صوت «حماس» لأول مرة مدوياً خارج الأرض المحتلة، على لسان الشيخ خليل القوقا، أحد قادة حماس الذي أبعدته السلطات الصهيونية، كما نشطت اللجان الخيرية الإسلامية في الخارج في جمع التبرعات للأرض المحتلة وظهرت في الشهر نفسه لجان جديدة، مما جعل (م. ت. ف) تشعر أن حركة «حماس» بدأت تقتحم عليها مناطقها المغلقة.

عمليات «حماس» العسكرية:

كانت العمليات العسكرية وعمليات الطعن ذات أثر كبير في دفع الانتفاضة وإشعالها كما كانت عوامل قوة أخرى لحماس أسهمت في زيادة شعبيتها وانتشارها، يقول الدكتور زياد أبو عمرو: «وبالإضافة إلى الفعاليات المعتادة للانتفاضة، كانت حركة «حماس» الجهة الأكثر انخراطاً في أعمال مسلحة ضد أهداف إسرائيلية».[1]

ففي مدينة نابلس وفي صباح يوم ١٤ / ٨ / ١٩٨٨م، ذكرى الهجرة النبوية - هاجم أربعة شباب من حركة حماس مركز الشرطة في المدينة، حيث يتجمع حوالي خمسين جندياً إسرائيلياً، وبدأوا يقذفونهم بالزجاجات الحارقة التي أصابت جنديين وأحرقت ثلاث خيام

---

(١) زياد أبو عمرو، حماس: خلفية تاريخية سياسية، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، العدد ١٣، ص٩٦.

وانسحبوا بسلام وسط ذهول وذعر الجنود[1] وفى بيت لحم قام شاب آخر بطعن جندى إسرائيلى عدة طعنات سببت له الموت[2] وفى عملية الثأر لشهداء مسجد الرضوان فى غزة توجه عضو حماس، طلال قويدر لمهاجمة دورية إسرائيلية قتل ثلاثة من الجنود قبل أن يستشهد[3]، وفى ١٤ / ١١ / ١٩٨٩م هاجم مسلحون من حماس بالأسلحة الأتوماتيكية دورية صهيونية فى منطقة الشيخ عجلين فى غزة أسفرت عن مقتل جنديين وانسحب المهاجمون بسلام[4].

كما قام الشباب المسلم بعمليات أخرى أحدثت أثرها الهائل فى النفوس وكان أبرزها عملية «ياسر الخواجا»، عضو حركة الجهاد الإسلامى الذى هاجم فى ٨ / ٧ / ١٩٨٨م عدداً من الضباط والجنود على بوابة سجن غزة متسلحاً بالخنجر، أما الشاب عبدالهادى غنيم الذى لم ينتم لأى تنظيم[5] فقد قام بعملية نادرة فى ٥ / ٧ / ١٩٨٩م حيث ركب فى حافلة إسرائيلية وفى منطقة جبلية سيطر على عجلة القيادة وقذف بالحافلة إلى الوادى مما أدى إلى مقتل ١٦ إسرائيلياً وأصاب ٢٤ آخرين بجروح.

أما أبرز هذه العمليات فى تلك الفترة، بل لعلها من أبرز العمليات فى تاريخ المقاومة الفلسطينية لليهود فقد كانت عملية خطف الجنود الإسرائيليين بكامل أسلحتهم فى داخل فلسطين المحتلة، والاستيلاء على أسلحتهم ووثائقهم وملابسهم وقتلهم ودفنهم دون أن يعلم أحد. وقد دلت هذه العمليات على خطورة الحركة والجرأة المتناهية فى التنفيذ إلى جانب حسن التخطيط، مما أربك أجهزة الأمن الإسرائيلية وأشعرها بالهزيمة وزاد ثقة الجماهير بنفسها وبحركة «حماس» فقد كان مسئول المجموعة «محمد يوسف الشراتحة» والذى يقضى الآن عدة أحكام بالسجن المؤبد فى سجون إسرائيل هو الذى أعد المسدسين وأبلغ منفذ العملية موافقة الحركة على خطته، كما وجه عنصرين آخرين لسرقة سيارة إسرائيلية جديدة ووضعها فى المكان المتفق عليه، أما الرجلان اللذان قاما بتنفيذ العملية فهما محمود المبحوح الذي يجيد قيادة السيارات بالإضافة إلى كونه ميكانيكياً ماهراً، ليحسن التصرف فى

---

(١) خالد عزالدين، ص ١١٠.
(٢) المرجع السابق.
(٣) أحمد بن يوسف، حركة المقاومة الإسلامية (حماس: حدث عابر أم بديل دائم)، ص٣٦.
(٤) خالد عز الدين، ص١٤٣.
(٥) قامت عدة تنظيمات بالزعم أن عبدالهادى غنيم عضو فيها، وتقول مصادر حماس أن عبدالهادى التزم بحركة حماس داخل المعتقل.

الظروف الصعبة، ومحمد نصار صاحب الفكرة ومنفذها، ويرتدى محمد نصار ذو الملامح الغربية الشقراء ملابس حاخام يهودى ويسير به المبحوح فى السيارة الإسرائيلية الجديدة - المسروقة - على طريق يتواجد فيه الجنود العائدون من ثكناتهم فى الإجازة ينتظرون المواصلات، وفى يوم ١٦ / ٢ / ١٩٨٩م تقف السيارة ليركب خلف السائق الرقيب «آفى ساسبورتاس»، وبعد أن تبتعد السيارة يطلق محمد نصار رصاص أحد مسدسيه على رأس ساسبورتاس ويأخذونه فى داخل الغابات ويدفنوه ويعودان إلى غزة، ولم تكتشف السلطات الإسرائيلية فقدان الجندى إلا بعد عدة أيام وترتبك الأجهزة الأمنية ولا تستطيع أن تصل لشيء وخاصة أن المنفذين كانوا قد قذفوا بحذاء الجندى على الطريق المؤدى لمدينة الخليل.

وبعد هذه العملية بأقل من ثلاثة أشهر وفى تاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨٩م يكررون نفس العملية مع الجندى «إيلان سعدون» التى لاتزال جثته مجهولة المكان حتى الآن[١]، أما جثة الأول فيبدو أن حفرته لم تكن عميقة، فقد أظهرتها سيول الأمطار.

وبعد انكشاف العملية واعتقال محمد الشراتحة مسئول المجموعة ظل نصار والمبحوح مطاردين عدة أشهر داخل غزة حتى استطاعا مغادرة الحدود إلى مصر من وسط الأسلاك الشائكة فى عملية هى الأخرى بطولية.[٢]

كان محمد نصار نموذجاً للشباب الفلسطينى الذى سرت فى دمه روح المقاومة والتحدى فانتمى إلى حركة فتح وعلى أثر قيامه بتفجير قنبلة يدوية على دورية إسرائيلية يتم اعتقاله ويحكم عليه بالسجن المؤبد وهو لم يكمل السابعة عشرة من عمره، وفى السجن يؤمن أن الإسلام هو طريق المقاومة الصحيح فينضم للجماعة الإسلامية التى أسسها جبر عمار، ثم يلتقى مع الشيخ أحمد ياسين فى السجن ليصبح واحداً من أقرب حوارييه وينضم لصفوف الإخوان المسلمين ويدخره الشيخ لأيام قادمة.

الاعتقالات فى صفوف حركة «حماس»:

ومما يدلل على قوة حماس ومشاركتها الفعالة فى الانتفاضة، أن الاعتقالات طالت عناصرها وأنصارها وقيادتها منذ البداية وعلى طول السنوات الثلاث الأولى (مدة البحث) من الانتفاضة، فقد اعتقل العشرات من راجمى الحجارة وكتاب الشعارات الذين يشغلهم

---

(١) عثر أخيراً على الجثة فى صيف ١٩٩٦م.

(٢) تفاصيل عمليات الاختطاف تعود إلى لائحة الاتهام الموجهة إلى محمد يوسف الشراتحة، ومقابلة شخصية مع منفذ العمليتين فى (فبراير ١٩٩١م).

جهاز الأحداث من الأيام الأولى للانتفاضة، كما تم اعتقال بعض القادة وأبرزهم الشيخ خليل القوقا الذى اعتقل فى يوم ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٧م وحكم عليه بالإبعاد، لكن لمتانة التنظيم وصمود المعتقلين، كانت الاعتقالات تقف عند حدود المعتقلين أنفسهم، ولما اشتدت الانتفاضة وبرز الدور القيادى للمسجد فيها كما أعلن عن ارتباط حركة «حماس» بالإخوان المسلمين قامت السلطات باعتقال العشرات من أئمة المساجد والخطباء والوجوه الإسلامية البارزة اعتقالات احترازية، ومن أبرز هؤلاء المعتقلين الشيخ بسام جرار والشيخ فضل صالح والشيخ حسن يوسف والشيخ إبراهيم أبو سالم بالإضافة إلى الشيخ محمد فؤاد أبو زيد (أحد خطباء المسجد الأقصى) من الضفة الغربية والشيخ أحمد نمر حمدان والدكتور محمود الزهار وغيرهما من قطاع غزة.

ومع هذه الاعتقالات المستمرة إلا أن مصادر الحركة تؤرخ للضربات الجماعية الكبيرة. فالضربة الأولى حدثت فى مايو ١٩٨٨م، عندما أعلنت مصادر عسكرية إسرائيلية عن اعتقال جميع قادة حركة حماس بغزة (الستة المؤسسين ما عدا الشيخ أحمد ياسين)، كما تم اعتقال الشيخ جميل الحمامى الذى كان يمثل حلقة الوصل بين القطاع والضفة وكذلك اعتقل أعضاء الجهاز الإعلامى فى غزة وعدد من مسئولى المناطق[١] ويقول الدكتور الرنتيسى أن القيادة ضربت ولم تعترف على غيرها ولم تكن الضربة مؤثرة كما تصور البعض، فقد ظهرت قيادة جديدة واستمر العمل واتسع.[٢]

وكان من أسباب عدم تأثير الضربة الأولى على جسم الحركة وفعالياتها، أن الضربة ظلت فى حدودها ولم يتم التعرف على بقية العناصر وذلك بسبب قوة هيكلية حماس ومتانة التنظيم وسريته، كما كان صمود الشباب والقادة أمام التحقيق سبباً مهماً فى ذلك، يضاف إلى ذلك ارتباك أجهزة الأمن الإسرائيلية فى الشهور الأولى للانتفاضة وقيامها بالاعتقال العشوائى للمئات من الشعب، بالإضافة إلى حذرها المعروف ورغبتها فى منع الانفجار الإسلامى أو تأخيره على الأقل، فقد كانت لاتزال تأمل فى إبعاد الإسلام عن الصراع وتطويق هذه الظواهر فى مهدها.

وبعد صدور «الميثاق» فى أغسطس ١٩٨٨م لم تستطع السلطات الإسرائيلية أن تستمر فى أوهامها فى محاولة إبعاد الإسلام عن الصراع، «فقد جاء فى النيويورك تايمز فى عددها

(١) خالد أبو عز، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.
(٢) د. عبدالعزيز الرنتيسى، مصدر سابق.

الصادر بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٨٨م أن كل القياديين الإسلاميين فى قطاع غزة اعتقلوا مباشرة بعد صدور «الميثاق» وجاء فى نفس الصحيفة أيضاً أن القوات الإسرائيلية قامت باعتقال وسجن العشرات من الأساتذة والوعاظ الذين يعتقد بأنهم يكونون الصف الوسط لقيادة الحركة، كما تم اعتقال العشرات من طلاب وأساتذة الجامعة الإسلامية فى غزة»[١] واستمرت الاعتقالات فى جميع المناطق فعلى سبيل المثال «تم فى يوم ١٤ / ١١ / ١٩٨٨م اعتقال خمسين شخصاً فى منطقة نابلس ينتمون إلى حركة حماس»[٢].

وجاءت الضربة الثانية التى أريد لها أن تكون القاضية، فى مايو ١٩٨٩م، فى حملة استمرت عدة أيام بلغت فيها أعداد المعتقلين ١٥٠٠ معتقل[٣]، من جميع مناطق الأرض المحتلة، ففى يوم ١٩ / ٥ / ١٩٨٩م تم اعتقال الشيخ أحمد ياسين والدكتور محمود الزهار وجميع الرموز الإسلامية الموجودة خارج السجون، وكان أن اعتقل الشيخ بسام جرار فى رام الله بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٨٩م بتهمة قيادة حركة «حماس» فى الضفة الغربية، وقد وصلت أعداد المعتقلين حتى يوم ٢١ / ٥ / ١٩٨٥م إلى ٩٥٠ معتقلاً حسب مصادر الأنباء فى الأرض المحتلة، و ٣٥٠ معتقلاً حسب وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) و ٢٥٠ حسب المصادر العسكرية الإسرائيلية[٤] وقد أكثرت الصحف الإسرائيلية من الحديث عن الضربة القاصمة المميتة التى وجهت لحركة حماس وتوقعت عودة الهدوء إلى الأرض المحتلة.

ويعزو الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى اتساع رقعة الاعتقالات فى ضربة عام ١٩٨٩م إلى عاملين اثنين، «أولهما اهتمام العدو بمواجهة حركة حماس بهذه القوة واستخدام أبشع أساليب التعذيب مع الشباب، حتى الشيخ أحمد ياسين لم يسلم من التعذيب القاسى، وقد رأيتهم وهم ينتفون لحيته ويضربونه فى وجهه، أما العامل الثانى فهو التنظيم الهرمى الذى كان متبعاً بحيث إن اعتراف أى مسئول يجر ما بعده، كما أن الأجهزة كانت مفتوحة نوعاً ما وبعض الأخوة يعمل فى جهازين وغير ذلك».[٥] ورغم قوة الضربة واتساعها، إلا أن حركة حماس تستعيد قوتها بسرعة، وينزل بيانها الدورى فى موعده بعد أيام قليلة من الاعتقالات وتستمر فعالياتها وأنشطتها وتزداد عملياتها العسكرية.

---

(١) خالد عز الدين، ص١٥٣.

(٢) جريدة (النهار) المقدسية، عدد ٦٣٠، ١٥ / ١١ / ١٩٨٨م.

(٣) تقارير حركية.

(٤) خالد عز الدين، ص١٥٥.

(٥) عبدالعزيز الرنتيسى، مرجع سابق.

وبعد انتهاء الفترة المحددة لهذا البحث وفي الأيام الأولى للسنة الرابعة يقوم «أشرف البعلوجي» و«مروان الزايغ» من شباب حماس بطعن ثلاثة إسرائيليين في مدينة «يافا» حيث كانت السبب المباشر في الضربة الثالثة التي طالت المئات من عناصر حماس ومؤيديها.

وخلاصة القول أن حماس أعطت الانتفاضة قوة واتساعاً وشمولاً، كما أعطتها الانتفاضة أيضاً قوة وتطوراً واتساعاً، ولم يعد أحد يستطيع أن ينكر دورها وحجمها ونفوذها السياسي، وها نحن نورد ما يقوله ثلاثة مدرسين للعلوم السياسية في جامعة بيرزيت تميزت كتابتهم بالطابع الأكاديمي مع اقترابهم الأيديولوجي من التيارات الوطنية.

يقول الدكتور زايد أبو عمرو: «إن الحركة الإسلامية أصبحت طرفاً أساسياً لا يمكن تجاهله، وأصبحت هذه الحركة تنازع الاتجاه الوطني في السيطرة على الشعب الفلسطيني وقيادته في الأرض المحتلة»[1]، ويقول في دراسة أخرى: «إن حقيقة الأمر هي أن حماس شاركت في الانتفاضة وفعالياتها على قدم المساواة مع فصائل (م. ت. ف) ونظراً لكون «حماس» أكبر من سائر الفصائل (ماعدا فتح) حجماً فقد اتسمت مشاركتها بالانتظام والاتساع وتعدد أشكال فعالياتها، فحماس شأنها في ذلك شأن حركة فتح، تتمتع بوجود فعلي في جميع أنحاء الأرض المحتلة.. وبسبب هذا الوجود لم تؤد حملات الاعتقالات المتكررة لأنصار حماس إلى تعطيل مشاركتها في الانتفاضة»[2]، ويعود ليؤكد أنه «ليس هناك من شك أن دور حماس في الانتفاضة كان من أهم عوامل استمرارها.. كما فاقت قدرة حماس على استيعاب الضربات الإسرائيلية قدرة غيرها من القوى المشاركة في الانتفاضة»[3]، ويضيف: «أن حماس كانت الجهة الأكثر انخراطاً في أعمال مسلحة ضد أهداف إسرائيلية»[4].

ويقول الدكتور علي الجرباوي: «لقد أثبتت جماعة الإخوان المسلمين عبر «حماس».. الحنكة السياسية والقدرة على إجراء التحولات التكتيكية اللازمة في ضوء المتغيرات والمستجدات على الساحة الفلسطينية»[5].

أما د. صالح عبدالجواد فيقول: «لدينا اعتقاد أن حركة حماس تأتي في المرتبة الثانية من

---

(١) زياد أبو عمرو، (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩م، ص٩٤.

(٢) زياد أبو عمرو، (حماس: خلفية تاريخية وسياسية)، مرجع سابق، ٩٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ص٩٦.

(٥) علي الجرباوي، حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، مرجع سابق، ص٨٣.

حيث القوة السياسية والتأثير بعد حركة فتح، وهى القوة السياسية الوحيدة عدا (ق. و. م) التى استطاعت ومازال تنفيذ إضرابات شاملة فى جميع أنحاء الضفة والقطاع»[١]، وقد كتب جدعون سامت فى صحيفة (هآرتس) تعليقاً على اعتقالات مايو ١٩٨٩م يقول: «إن الحركة الإسلامية ليست رافداً صغيراً وبعيداً عن الشارع الفلسطينى... وحركة حماس هى عنصر من العناصر الفلسطينية الأساسية، ولن يقضى عليها مهما اشتدت الضربات حتى لو ألقى بكل نشيطيها فى السجون فهى حركة واسعة النطاق، جذورها ممتدة إلى الأعماق...»[٢].

دور الإخوان فى الخارج:

غطت أخبار الانتفاضة مساحات شاسعة من الإعلام الدولى وانتشرت المواجهات البطولية التى يقوم بها شعب أعزل إلا من الحجارة والإرادة فى مواجهة جيش مدجج بأحدث الأسلحة، والتفت الجماهير العربية والإسلامية حولها مؤيدة مشجعة وفى مقدمتهم الفلسطينيون فى المنافى العربية والأجنبية.

ففى مصر صرح المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين فى ٢١ / ١٢ / ١٩٨٧م «أن الجهاد هو الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وأن المشكلة الفلسطينية تهم جميع المسلمين وليس الفلسطينيين فحسب»... كما انطلقت مظاهرة حاشدة من الجامع الأزهر فى يوم ١ / ٨ / ١٩٩٨م بعد صلاة الجمعة تردد الهتافات الإسلامية، وقامت قوات الشرطة بتفريقها»[٣].

أما فى لبنان فقد قامت المسيرات والاحتفالات والبيانات التى تدعم الانتفاضة وتؤكد إسلاميتها واستمرت فى تواصل منذ ١٦ / ١٢ / ١٩٨٧م إلى ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٧م بمبادرات من العلماء والخطباء السنة والشيعة، ومن حزب الله «الجماعة الإسلامية» وغيرها[٤].

وفى إيران سارت مظاهرات حاشدة بعد صلاة الجمعة يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٧م، حيث ألقى الخطبة السيد هاشمى رفسنجانى وشارك فى المظاهرة جميع مسئولى الدولة[٥].

---

(١) صالح عبدالجواد، ص١٦٠.
(٢) خالد عز الدين، ص١٦٠.
(٣) (فجر الإسلام فى فلسطين)، ص١٠٨.
(٤) المرجع السابق، ص ص ٩٥- ١٢٠.
(٥) المرجع السابق.

وبدأ خطباء المساجد يشيدون بالانتفاضة ويؤكدون إسلاميتها وقد برز منهم كل من الدكتور أحمد نوفل والشيخ عبدالمنعم أبو زنط من رموز الإخوان المسلمين فى الأردن. أما الإخوان المسلمون جميعاً وخاصة الفلسطينيين منهم فقط كانوا مثل الجماهير العربية مشدودين للانتفاضة، متفاعلين معها بمشاعرهم، دون موقف تنظيمى، إلا ما صدر من تصريحات عن قادة الإخوان فى مصر والأردن أو بيانات تحدث عادة فى معظم الأحداث التى تهم المسلمين جميعاً، فلم يكن أحد منهم يعرف أن إخوانهم فى قطاع غزة ثم فى الضفة الغربية هم من الأبطال الأوائل لهذه الانتفاضة، وأن كثيراً من الشهداء الذين سقطوا فى بداية الانتفاضة هم من الإخوان المسلمين، حتى «الجهاز العام لفلسطين» والذى يفترض أنه مختص بذلك وأنه على اتصال بالإخوان فى الأرض المحتلة، كان مثله مثل (م. ت. ف) ينظر إلى الأحداث على اعتبار أنها هبة شعبية قد تستمر أياماً أو أسابيع، بل إن المنظمة بما تتحمله من مسئولية لا تستطيع أن تغيب عن أحداث مهمة كهذه، فلابد أن تدرس وترقب وتحلل وتتصل بالداخل وتبحث عن الوسائل المناسبة لاستغلال أى حدث بما يفيد خطتها وبرنامجها، أما الجهاز العام لفلسطين فى حركة الإخوان المسلمين، فإنه لازال فى خطواته الأولى يخطط ويعد على أمل أن يقود الشعب الفلسطينى أو على الأقل أن يشارك بقوة تحت الراية الإسلامية بعد تنفيذ خطة من عشر سنوات من الإعداد والتجهيز، ولم يتم حتى ذلك الوقت إعداد تلك الخطة، ولن يتم إعدادها أبداً، لأن الإخوان فى قطاع غزة قد اختصروا هذه السنوات العشر إلى شهور عشر، فلم يكن يعلم أحد بتأسيس «حركة المقاومة الإسلامية» وانخراطها فى الانتفاضة منذ بدايتها.

وبدأت فى النصف الثانى من شهر يناير ١٩٨٨م تصل بعض الأخبار من الداخل تقول: إن الإخوان هم الذين أشعلوا الانتفاضة، إلى أن جاء أحد الإخوة القياديين من الأرض المحتلة، وشرح للإخوان تفاصيل الأحداث ومدى مشاركة الإخوان فيها.. تبنى الإخوان فى الخارج الانتفاضة، واندفعوا بحماس ونشاط فى الإطارين الداخلى والخارجى يعملون للتعبئة ودعم الانتفاضة، ولعله من المفارقات العجيبة أن قيادات الجهاز العام فى الخارج اعترضوا على التحليل السياسى الذى صدر فى النشرة التنظيمية السرية والذى كتبه المؤلف لنشره ١ / ١ / ١٩٨٨م بحجة أنه يبالغ فى الحديث عن دور الإسلام فى الانتفاضة وضرورة تبنيها، بينما بدأوا ومنذ نشرة فبراير يبالغون فعلاً فى دور حماس وتجاهل دور المنظمات الوطنية والجهاد الإسلامى.

وبدأ العمل فى الإطار التنظيمى الداخلى عن طريق النشرات الخاصة والأخبار والمحاضرات واللقاءات، وكذلك فى الإطار العام عن طريق خطب المساجد وإقامة المهرجانات والندوات والأمسيات الشعرية والأناشيد الإسلامية التى تتغنى بالانتفاضة وبحركة «حماس»، وكان من أبرز الخطباء الشيخ أحمد القطان فى الكويت والذى أطلق على منبره اسم «منبر الدفاع عن المسجد الأقصى»، وجعل كل خطبة تدور حول الانتفاضة وشهدائها وتضحياتها ودور حركة «حماس» فيها، ونشط «قسم فلسطين» فى تزويده، بالبيانات وقصص البطولة وكرامات الشهداء والتكافل الاجتماعى والقصائد الشعرية وغيره مما يشد المستمعين، وكان يحضر خطبته حوالى خمسة آلاف مصل، ويصل عدد الذين يستمعون إلى أشرطته عن الانتفاضة عشرات الألوف بل أكثر فى الدول العربية وأمريكا وأوروبا، حتى وصلت أشرطته إلى الأرض المحتلة نفسها.

وبدأ خطباء الإخوان فى الأردن ودول الخليج وفى المهاجر الأجنبية يطالبون المسلمين بدعم الانتفاضة والدفاع عن الراية الإسلامية التى ترفعها، كما نشطت حملات جمع التبرعات الشعبية لدعم الانتفاضة الإسلامية فى جميع دول الخليج وبين الجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا.

ودبت الحياة والحماسة فى قسم فلسطين وأصبح الجهد الإعلامى والسياسى والتثقيفى له معنى وطعم جديد، وأصبح للتنظيم قضية حية يعايشها يومياً ويعمل لها ويتحرك من أجلها، بل طالبت الحركة جميع الأعضاء بالتبرع من أموالهم لدعم حركة «حماس»، وأذكر أن بعض الإخوة الأثرياء دفعوا مبالغ كبيرة، كما أن عدداً ليس قليلاً من الإخوة الموظفين دفع الواحد منهم حوالى ثلاثة آلاف دولار، بالإضافة إلى مئات الإخوان الذين دفع الواحد منهم مئات الدولارات.

وكانت نفوس الإخوان متوثبة وكأنها تنتظر هذا اليوم من زمن طويل، وتبدأ الجمعيات الإخوانية فى دول الخليج والأردن والغرب والهند والباكستان تنظم المؤتمرات والندوات والأمسيات الشعرية والأناشيد الإسلامية خدمة للانتفاضة، وتحولت المؤتمرات السنوية للتجمعات الإسلامية التى يبرز فيها دور الإخوان المسلمين إلى مؤتمرات تأييد ودعم للانتفاضة الإسلامية، ويبدأ «قسم فلسطين» ينسق مع هؤلاء وأولئك ويرسل الخطباء والمحاضرين والشعراء إلى كل مكان.

ويتعاون القسم مع بعض المجلات الإسلامية لتزويدها بالبيانات والأخبار والمقالات مثل مجلة «لواء الإسلام» المصرية، «والإصلاح» الإماراتية، «والبلاغ» الكويتية، و«المجتمع» الكويتية التى يعين فيها القسم كاتباً ثابتاً يغطى الانتفاضة وأحداثها ودور حركة

«حماس»فيها . . . وتبدأ مجلة «فلسطين المسلمة» التي تصدرها في بريطانيا منذ سنوات «الرابطة الإسلامية للطلبة الفلسطينيين» في محاولاتها للارتقاء بأدائها شكلاً ومضموناً لتواكب الأحداث . . . كما قام بعض الإخوة بتشجيع من «القسم» بإصدار بعض الكتب في الكويت والتي جاء أكثرها متسرعاً وعاطفياً، إلا كتابين صدرا لغسان حمدان[1]، ثم صدرت بعد ذلك في الولايات المتحدة كتب أفضل سدت فراغاً في المكتبة الحماسية.

وكان أغلب الخطاب الإخواني الفلسطيني في الخارج وفي كل الساحات الخارجية يعطي انطباعاً أن حركة «حماس» وحدها هي التي تقود الانتفاضة، ولعل ذلك مرده تجاهل وسائل الإعلام العربية وخاصة الفلسطينية لحركة «حماس» تجاهلاً كاملاً بالإضافة إلى ما تسببه الحزبية والتعصب عادة من إغفال دور الآخرين.

ويصل إلى الكويت في أواخر يوليو ١٩٨٨م، الشيخ خليل القوقا، أحد أبرز قيادات حماس في الداخل، بعد إبعاده خارج فلسطين، ليضيف زخماً وبعداً جديداً لعمل حركة «حماس»، في الخارج، وليقوم بدور كبير لم يستطع أن يقوم به أحد في الخارج حتى ذلك الوقت، في التعريف بالحركة، والدفاع عنها واستقطاب الجماهير حولها، فقد ظلت قيادات الإخوان الفلسطينيين في الخارج ومعها قيادات «الجهاز العام لفلسطين» تتحاشى الظهور، وتتخفى خلف الخطباء والشعراء إلى ما بعد أزمة الكويت «أغسطس ١٩٩٠م» حيث بدأ يظهر القليل منها بقدر بطيء جداً.

وانطلق صوت القوقا لأول مرة من الكويت كأول ناطق «غير رسمي» باسم حركة حماس في الخارج، وأقيمت له الندوات، وألقى الخطب الحماسية في المساجد، وعمل مؤتمراً قامت بتغطيته كل الصحف الكويتية، وقد تسابقت الصحف والمجلات على عمل لقاءات صحفية معه . . . كما ذهب إلى دولة الإمارات العربية وقام بنفس الدور بقوة وصلابة.

في تلك الفترة لم تظهر لحركة حماس قيادات في الخارج مطلقاً على المستوى العلني، وحتى في المستوى السري واللقاءات المغلقة مع الأطراف الأخرى، فكانوا يلتقون بحركة فتح مثلاً عن طريق وسطاء ينكرون صلتهم التنظيمية بالحركة، كما تم لقاء مع قيادات حركة الجهاد الإسلامي عقد في دولة الإمارات، في أوائل عام ١٩٩٠م وكان وفد حركة حماس يحمل أسماء مستعارة.

---

(١) غسان حمدان: (الانتفاضة)، مرجع سابق، وكتاب (التطبيع) لسلمان الصالحي، والأسماء كلها مستعارة والمؤلف هو غسان دوعر.

المبحث الثالث

حركة «حماس» و«القيادة الوطنية الموحدة»

تأسيس «القيادة الوطنية الموحدة» ودورها.

مضى شهر كامل على الانتفاضة، ولم يظهر مطلقاً أى بيان أو إشارة، للقيادة الوطنية الموحدة، ولا لأى تنظيم أو فصيل من فصائل (م. ت. ف)، كما أننا بعد ذلك لم نستطع العثور على أى شيء فى كل ما استطعنا أن نطلع عليه من أدبيات (م. ت. ف) وغيرها. ولعل أقرب تفسير لذلك هو ما وجدناه فى المجلة الصادرة عن (م. ت. ف) وبعد ثمانية شهور من الانتفاضة الذى تقول فيه: «إن التشكيل التنظيمى الموحد (القيادة الوطنية الموحدة) تم الانتقال به ومن خلاله، من النضالات العفوية المتفرقة، التى سادت فى المرحلة الأولى من الانتفاضة، إلى مرحلة العمل النضالى المنظم، وربط القيادة الجديدة، سريعاً، بالحركة الأم فى الخارج»[1]. ولئن كان هذا اعترافاً بالتأخير لمدة شهر عن الانتفاضة، فإنه يحمل إنكاراً وتجاهلاً لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين التى كانت قد أصدرت بيانين قبل ذلك، ولحركة المقاومة الإسلامية «حماس» التى كانت قد أصدرت ثلاثة بيانات فى الانتفاضة.

على كل حال فقط ظهر اسم «القيادة الوطنية الموحدة» (ق. و. م) لأول مرة على البيان الصادر بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٨٨م، وحمل رقم (٢) باعتبار أن البيان الأول هو الذى صدر قبل ذلك بيومين بتوقيع «القوى الوطنية لتصعيد الانتفاضة»[2]، وقد تكونت القيادة الوطنية الموحدة من كل من حركة فتح، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية، والحزب الشيوعى الذى قيل «إنه من نيسان (أبريل) ١٩٨٨م ابتعد عن القيادة الموحدة».[3]

ولعله كان من الطبيعى ألا تترك (م. ت. ف) وفصائلها المختلفة عملاً بهذا الحجم دون أن تشارك فيه، وتعمل على قيادته وهى التى قادت العمل الفلسطينى بكل جوانبه لعشرين سنة أو أكثر، وما كان للمنظمة أن تغيب عن هذه الأحداث الكبيرة وهى «الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى» فى الداخل والخارج، وقد خاضت حروباً كثيرة وقدمت ضحايا

---

(١) ربعى المدهون، «ستة شهور فى الاتجاه الصحيح»، مجلة (شئون فلسطينية)، العدد ١٨٤ تموز (يوليو) ١٩٨٨م، ص٤.

(٢) راجع، صالح عوض، ص٤٠ وعلى الجرباوى، (الانتفاضة والقيادات السياسية)، مرجع سابق، ص١٣١.

(٣) فرانسوا ليغران، (الإسلاميون الفلسطينيون)، تونس: (م. ت. ف) مركز التخطيط ١٩٨٩م، ص٢٦.

واستخدمت كل الوسائل الممكنة فى الخارج والداخل، وكانت دائماً حريصة على إفشال كل مخططات العدو الصهيونى فى إنشاء قيادات بديلة داخل الأرض المحتلة، سواء من الوجهاء والقيادات التقليدية أو من العملاء والمرتبطين بالعدو أو من الشخصيات البرجوازية المثقفة.

أضيف إلى ذلك عامل مهم آخر، هو تنامى القوة الإسلامية وازدياد نفوذها والذى سبق الانتفاضة بسنوات وتكرس أكثر باندلاع الانتفاضة، ومما زاد فى تحفيز (م. ت. ف) على اللحاق بالأحداث والعمل على السيطرة عليها ما تناقلته وكالات الأنباء فى بداية الانتفاضة عن الدور الإسلامى فى إشعالها وقيادتها والتركيز على غياب شعارات (م. ت. ف) وصور قادتها عن المظاهرات.

ولعل جميع الأطراف تستشعر الخطر من تنامى قوة الإسلام السياسى والجهادى لأنها ترى فيه بديلاً لهاجميعاً، وهذا ما سوف يجعل جميع أطراف القضية على ما بينهم من صراعات واختلاف فى المصالح يقتربون من بعضهم أكثر وأكثر بمرور الوقت وتنامى قوة الإسلام السياسى الذى ترى فيه الأطراف كلها بديلاً لها.

ولنفس الدوافع نرى أن جميع الاتجاهات الفلسطينية العلمانية يمكن أن تتوحد فى مواجهة التيار الإسلامى لأنها تعتقد أنه سيأخذ أدوارها جميعاً، وهذا ما يفسر عملية تكوين «القيادة الموحدة» من حركة فتح والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعى، بالرغم من الخلافات التاريخية والفكرية والتنظيمية بين جميع هذه الحركات.

ولئن كانت سمة العلاقة الدائمة بينهم هى التنافس ولم تفلح كل الجهود لتوحيد مواقفهم ما عدا الجبهة الديمقراطية التى كانت كثيراً ما تقترب من حركة «فتح»، فإن قوة التيار الإسلامى قبل الانتفاضة هى السبب الأهم الذى كان يجمعهم جميعاً فى انتخابات الكتل الطلابية وغيرها، وكانوا فى الأمكنة القليلة التى يكون فيها التيار الإسلامى لا يملك القدرة على المنافسة، ويعودون إلى تنافسهم وصراعهم فيما بينهم، ولعل هذا المنهج يمكن تطبيقه على معظم الحركات الوطنية والقومية واليسارية فى الدول العربية أيضاً.

كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هى التى تمثل المنافس التاريخى لحركة «فتح» فى الخارج وفى الداخل أيضاً، ولكن الأمور ومن البداية كانت تحسم لصالح «فتح» لما تملكه من رصيد جماهيرى وفعل نضالى وعناصر وأتباع أكثر بكثير من غيرها بالإضافة إلى علاقاتها الأقوى مع معظم الحكومات العربية، وإمكانياتها الكبيرة وتحكمها فى ميزانية (م. ت. ف) والحصص المالية للمنظمات الأخرى، وقبل الانتفاضة بكثير وصلت الجبهة الشعبية إلى اليأس

من إمكانية منافسة حركة «فتح»، ورضيت لنفسها بالمركز الثاني، وبالمعارضة المهذبة حيث تعلن براءتها من بعض المواقف السياسية للمنظمة. وكان اليسار الفلسطيني عموماً أكثر حساسية تجاه التيار الإسلامي للخلافات الجذرية بين الطرفين، كما كان يخشى أى تقارب بين حركة «فتح» والتيار الإسلامي لأن ذلك سيفقدهم الكثير.

وهكذا جاءت «القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة» باتفاق تام على تجاهل الحركة الإسلامية، والتغطية على دورها والعمل على إضعاف نفوذها... ولكنها عاشت فى داخلها نوعاً من الصراع والتنافس يدل عليه صدور طبعات مختلفة للبيان الواحد حيث يعمل كل فصيل على إضافة العبارات والأفكار التى لا يوافق عليها الآخرون، كما يحذف العبارات التى لا تتمشى مع منهجه، وقد ظهر هذا فى البيانات (١٠)، (١٧)، (٢٩)[١]، (٣٥)[٢]، «فقد كان الحزب الشيوعى يصر على الشرعية الدولية والتعاون مع القوى التقدمية الإسرائيلية وعلى الهجمات العنيفة ضد الأردن والرجعية العربية»[٣].

ومما سبب توترات حادة داخل القيادة الموحدة تلك النداءات التى صدرت فى مارس (آذار) إلى النواب الفلسطينيين فى البرلمان الأردنى حيث كان هذا موجوداً فى النسخ التى وزعت فى القدس من بيانى (١١، ١٠) بينما حذفت ذلك رقابة «فتح» كما رقابة الجبهة الديمقراطية فى الخارج[٤] ولم يمض وقت طويل ولأسباب متعددة حتى استطاعت حركة «فتح»، أن تفرض سيطرتها الكاملة على القيادة الوطنية الموحدة، مع أن ذلك لم يمنع الاختلافات بل الصدامات فيما بعد بين عناصر التنظيمات المشتركة فى القيادة الموحدة.

كما نشأ صراع من نوع آخر، حيث أرادت قيادات الداخل أن تكرس قوتها ودورها فى اتخاذ القرار، إلا أن هذا حسم وبسرعة، فقد ذكر لطفى الخولى فيما سماه «إشكالية» تحديد مسئوليات كل طرف، «أن لقيادات الداخل حرية تقرير القيام بالأعمال الجماهيرية وذلك فى نطاق محلى (قرية، مدينة صغيرة، جامعة...) ولمدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، وأن عليها ألا تتورط فى إجراء اتصالات سياسية من أى نوع مع سلطات العدو أو حلفائه «أمريكا بالذات» دون إذن واضح مسبق»[٥].

---

(١) على الجرباوى، ص١٣٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ليغران، ص٢٦.

(٤) المرجع السابق. ص٢٧.

(٥) لطفى الخولى، مرجع سابق، ص٣٦.

وكان أبرز ما أكدته بيانات (ق. و. م) وكررته دائماً حصرية التمثيل في (م. ت. ف)، كما بدأت بياناتها منذ البيان الثالث باسم (م. ت. ف) إلى جانب القيادة الموحدة، وأصبحت تبدأ بياناتها بعبارات: «لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة، لا صوت يعلو فوق صوت شعب فلسطين - شعب منظمة التحرير الفلسطينية».

وهكذا بدأت (ق. و. م) منذ النصف الثاني من يناير تعمل بكل قوة ونشاط للسيطرة على فعاليات الانتفاضة وقيادتها وتوجيهها، ساعدها على ذلك إمكانياتها الكبيرة وخبرتها السياسية العريقة، وعناصر حركة «فتح» والشبيبة المنتشرون في معظم الأماكن بالإضافة إلى عناصر التنظيمات الأخرى المشاركة في القيادة الموحدة، ومع أن هذا كله لم يستطع تحييد أو إلغاء دور الحركة الإسلامية الواسع في الانتفاضة أو إضعافه، إلا أن السند الخارجي الكبير الذي قدمته (م. ت. ف) من إعلام قوي وإذاعات خاصة من بغداد وغيرها، وتأثير على إذاعات أخرى مثل «إذاعة مونت كارلو» وغيرها، وانسياق الإعلام العربي وراء ذلك، جعل الساحات الخارجية تكون انطباعاً أنه لا يوجد سوى «القيادة الوطنية الموحدة»، خاصة في ظل عدم وجود إعلام إسلامي، والواقع أن مساهمة (ق. و. م) وبطولات عناصرها وتنظيمها لكثير من فعاليات الانتفاضة كان واحداً من أهم الأسباب التي أدت إلى قوة الانتفاضة واتساعها واستمرارها.

محاولات التنسيق بين (ق. و. م) وحركة حماس:

كان من أهم أهداف «القيادة الموحدة» عند إنشائها كذراع (م. ت. ف) في الأرض المحتلة، الحرص الشديد على تأكيد قيادة (م. ت. ف) للشعب الفلسطيني وتمثيلها لكافة تياراته واتجاهاته وعلى التأكيد أن كل العاملين لخدمة القضية الوطنية: وطنيين أو يساريين أو إسلاميين إنما ينطلقون من أرضية واحدة ومن بيت فلسطيني واحد هو (م. ت. ف).

واتجهت (ق. و. م) في البداية إلى حركة الجهاد الإسلامي وذلك لأسباب منها أن العلاقة بين عناصر الطرفين لم تصل إلى الصدام طيلة العشر سنوات التي سبقت الانتفاضة ومنذ تأسيس حركة الجهاد، لكونها اكتسبت سمعة دولية وجماهيرية في أعمالها الجهادية... ولم تفلح تلك المحاولة، ومع ذلك أشيع أن حركة الجهاد تعمل في إطار (ق. و. م)، لكن الحركة نفت ذلك بشدة.[1]

---

(١) (مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين)، ص٢٥.

وبعد أن اتضح دور الإخوان المسلمين الفاعل في الانتفاضة حاولت (ق. و. م) أن تضم حركة «حماس» إليها، يقول د. عبدالعزيز الرنتيسي، إن القيادة الموحدة حاولت في لقاء مع الشيخ أحمد ياسين إقناعه بانضمام حركة «حماس» إليها أو على الأقل التنسيق في مواقف مشتركة وإصدار بيان واحد للانتفاضة، وقد حدد الشيخ أحمد ياسين شروطاً لم تقبلها القيادة الموحدة، منها مثلاً أن البيان المشترك يتم توقيعه من (ق. و. م) وحركة «حماس» معاً بينما كانوا هم يريدون أن يكون التوقيع باسم «القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة»، كان هدفهم إذابة حركة «حماس» واحتواءها[1]. وكانت قيادات حركة «حماس» ترى أن حركة «فتح» على وجه الخصوص، تفهم الوحدة الوطنية وكل مرادفاتها من التنسيق والتعاون والمواقف المشتركة، إنما هو في الحقيقة هيمنة حركة «فتح» وسيادة منهجها، وكانت تدعم نظرتها هذه بتجربة (م. ت. ف) وفصائلها الطويلة مع حركة «فتح».

١- الاعتبار الفكري: حيث تختلف «حماس» عن التنظيمات الفلسطينية الأخرى في منطلقاتها الفكرية للتعامل مع القضية الفلسطينية الذي جعل هناك افتراقاً - منذ البداية - في التصور... حيث تعتقد حماس أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية... وأن الحرب مع اليهود إنما هي حرب عقائدية بكل جذورها وأصولها، وذات أبعاد حضارية بكل تفرعاتها»[2].

ونسب للشيخ أحمد ياسين في نفس الموضوع قوله: «يجب أن تكون هناك أرضية أساسية مشتركة تقوم على الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية وعدم انتهاكها في فترة المقاومة، كما يجب الاتفاق سلفاً على أن يكون نظام الدولة بعد التحرر هو الإسلام.. فإذا قبلنا بالإقرار بالدولة العلمانية نكون قد خرجنا عن الإسلام»[3].

٢- الاعتبار السياسي: وهو ينطلق تلقائياً من الاعتبار الأول، وهذا يجعل هامش المناورة السياسية لحماس منضبطاً في إطار فهمها الإسلامي وليس منفلتاً من كل الضوابط والثوابت[4]، وعليه فإن الحركة ترفض التنازل عن أي جزء من فلسطين، وبالتالي ترفض جميع قرارات الأمم المتحدة، وترفض المفاوضات المحكومة سلفاً بإملاءات العدو نظراً لموازين القوى المختلفة بصورة فاضحة، ولذلك فلا تستطيع الحركة أن تصب جهدها كله من أجل

---

(١) عبدالعزيز الرنتيسي مقابلة، مرجع سابق.

(٢) خالد عز الدين، ص١٨٩.

(٣) زياد أبو عمرو، ص٩٥.

(٤) خالد عز الدين، ١٨٩.

الوصول إلى حلول تتعارض كلية مع مبادئها وموقفها السياسي.

٣- الاعتبار الأمني: وذلك لعدم التجانس التنظيمي في تركيب (ق. و. م)، وسرعة انكشاف عناصرها وقياداتها، فقد «كان واضحاً أن حركة (حماس) أكثر انضباطاً في هيكليتها من (القيادة الموحدة)، الأمر الذي يفسر عدم توجيه ضربات قاتلة لحركة «حماس» من أجهزة الأمن الإسرائيلية»[١]، فقد كانت حماس حريصة على سرية أعمالها وقياداتها وعناصرها، يضاف إلى ذلك ما تذكره مصادر الحركة عن ظهور حالات اختراق متعددة في صفوف التنظيمات الأخرى.

ومع ذلك فقد أظهرت حركة «حماس» حرصها على وحدة الشعب الفلسطيني وتماسك جبهته الداخلية حيث التزمت من جانبها باحترام كل الفعاليات والإضرابات التي دعت لها (ق. و. م)، كما سارعت إلى تطويق كل حادث أو ممارسة خاطئة وإلى حل كل الإشكالات بالتي هي أحسن[٢].

وظلت حركة «حماس» تدعو إلى التنسيق وتوجيه كل القوى ضد الاحتلال طيلة السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة - وما بعدها - وقد ورد هذا في معظم بيانات الحركة، وعلى الأخص البيانات، ٣٥، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٥٦، حيث طالبت فيها (ق. و. م)، ترجمة شعاراتها الداعية إلى الوحدة إلى واقع ملموس، وألا تكون لمجرد الاستهلاك الإعلامي وكسب المواقف، كما أعلنت حماس في بياناتها هذه أنها قدمت العديد من المذكرات واللوائح الداعية إلى التعاون والتنسيق مع (ق. و. م) ولكنها لم تتلق أي رد حتى الآن مما يشير إلى عدم جدية القيادة الموحدة في دعوتها للتعاون، أما بيان حركة حماس رقم (٦٦) فقد طالب الجماهير بالتأكيد على تنفيذ فعاليات القيادة الموحدة الواردة في بيانها رقم (٦٤)[٣].

وأخيراً نجد أنفسنا أمام مفهومين مختلفين متباعدين للوحدة الوطنية، فالقيادة الوطنية الموحدة ومن خلفها (م. ت. ف) وعلى الأخص حركة «فتح» التي تقود الطرفين ترى في الوحدة الوطنية ولقاء كافة القوى السياسية أن يكون تحت مظلة فكرها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وفي الجهة الأخرى نرى أن مفهوم الوحدة عند حركة «حماس» يقوم على أساس فكرها

---

(١) صالح عوض، ص٤٢.

(٢) خالد عز الدين، ص١٩٣.

(٣) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج٣، ص٨٦.

وبرنامجها السياسي، مع إعرابها عن استعدادها أن تعمل تحت قيادة (م. ت. ف)، كما جاء في المادة السابعة والعشرين من ميثاق «حماس»: «ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة فنحن جنودها ووقود نارها التي تحرق الأعداء»[1].

المناوشات ومحاولات الوقيعة:

وعندما فشلت محاولات التنسيق منذ البداية أو كما تسميها مصادر حركة «حماس» «محاولات الاحتواء»، فقد لجأت عناصر القيادة الموحدة إلى أعمال متعددة لمحاصرة دور حركة حماس من طمس لشعاراتها على الجدران، وإلى اتهامها بالعمالة وخدمة الاحتلال، إلى محاولات إفشال فعالياتها، إلى «حالة التمايز التنظيمية التي تمارسها حركة «فتح» في المناطق المحتلة، حيث تحرم أبناء (حماس) وجماهيرها من حصتهم في الدعم المادى المخصص للانتفاضة، كما قامت بقطع رواتب العاملين في الجامعة الإسلامية لأكثر من أربعة شهور دون غيرهم من أبناء الجامعات الأخرى»[2].

وقد قام الإعلام الإسرائيلي بمحاولات تضخيم الخلافات مستغلاً حالة عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين والتركيز على أن حركة حماس تتمدد على حساب نفوذ (م. ت. ف)، وقد وجهت حركة حماس الدعوة إلى كافة الفصائل التنظيمية إلى عدم الالتفات إلى ما تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية، والذى غالباً ما يقصد به الكذب والدس على الحركة.[3]

كما قامت أجهزة الأمن الإسرائيلية بواسطة عملائها بمحاولة إذكاء نار الفتنة وشحن الأجواء بالتوتر، حيث يتلثم العملاء منتحلين اسم حماس مرة و«فتح» مرة أخرى أو الحزب الشيوعي، يطمسون الشعارات على الجدران أو يهاجمون عنصراً من هذا الطرف أو عنصراً من الطرف الآخر، يضاف إلى ذلك ما كانت توزعه السلطات المحتلة من بيانات مزورة تكتبها وتنسبها لطرف يهاجم الطرف الآخر، وطبقاً لما جاء في مجلة (اليوم السابع) فإن أول هذه البيانات المزورة كان بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٨٨م، وكان بتوقيع «المرابطون على أرض الإسراء» يهاجم الحزب الشيوعي الفلسطيني ويصفه بالحزب الكافر الملحد الذى أنشأته اليهودية العالمية، وفي يوم ٤ / ٢ / ١٩٨٨م قذفت إلى الشارع ببيان مزور آخر بتوقيع الحزب الشيوعي

---

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، السنة الأولى، ص١٦٠.

(٢) جهاد صالح (إعداد)، (حركة المقاومة الإسلامية، حماس: بين آلام الواقع وآمال المستقبل)، شيكاغو: المركز العالمي للبحوث والدراسات، ١٩٩١م، ص٣٠.

(٣) خالد عز الدين، ص٢٠٦.

يهاجم رجال الدين[1]، وكانت جميع الأطراف تتنبه لذلك وتوزع بيانات توضح حقيقة الأمور، وقد أعلنت حماس أن بيانها الشهرى هو المرجع الأساسى لمواقف الحركة.

وهكذا كما يقول أحد الكتاب: «ظل الخلاف بين القيادة الموحدة وحركة «حماس» المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين يدور على نار هادئة طيلة أربعة أشهر تقريباً، لم تخل من احتكاكات بين مؤيدى الطرفين إلى أن انفجر فى ٢١ آب (أغسطس) ١٩٨٨م[2].

الصـــدام

كان يوم الحادى والعشرين من آب (أغسطس الساخن) عام ١٩٨٨م نقطة فاصلة فى تاريخ العلاقة بين حركة «حماس» و(ق. و. م)، كما كان يوماً حاسماً فى إظهار قوة حماس ونفوذها فى جميع مناطق الأرض المحتلة وذلك للنجاح الكبير الذى حققه الإضراب الشامل فى ذلك اليوم بمناسبة الذكرى السنوية لمحاولة إحراق المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين، حيث أغلقت جميع المحلات وتوقفت حركة المرور فى جميع مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية بالإضافة إلى قطاع غزة وهو ما اتفق على تسميته «بالإضراب المنفرد» الذى دعت إليه حماس فى جميع المصادر التى وصل الباحث إليها، فلسطينية أو عربية أو أجنبية، وكل الكتب والمقالات والبحوث وحتى الأكاديمية منها.

والواقع أن حركة «حماس» قد فرضت إضراباتها المنفردة منذ بداية الانتفاضة فى قطاع غزة حيث كان الناس يستجيبون لدعوة الإضراب الصادرة عن حركة «حماس» كما يستجيبون لتلك الصادرة عن (ق. و. م) أو حركة الجهاد الإسلامى، بل كانت جميع الأطراف تسهم فى إنجاح الإضراب الذى يدعو إليه أى طرف منفرد.

ولما لم يعد من الممكن إنكار دور حركة «حماس» فى الانتفاضة، فقد ركز الإعلام الفلسطينى ومن خلفه الإعلام الأجنبى على أن حركة «حماس» موجودة فى قطاع غزة فقط وأن أثرها فى الضفة الغربية محدود، ولم يكونوا فى ذلك مناقضين لظواهر الأمور، فقد ساعدهم على تكوين هذا الانطباع ومن ثم ترويجه «أن قيادات حماس فى الضفة الغربية ولاعتبارات متعددة كانوا يحذفون من البيان الذى يصلهم من غزة كلمة «إضراب» ويضعون بدلاً منها كلمة «تصعيد» فيقال لجح الإضراب فى غزة فقط، وكنا نعلن عن الإضرابات التى

---

(١) مجلة (اليوم السابع)، (باريس) عدد ٢٧٢، ٢٤/٧/١٩٨٩م.

(٢) خالد عايد (الانتفاضة الثورية فى فلسطين - الأبعاد الداخلية)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ص ٧١-٧٢.

تدعو إليها القيادة الموحدة، وكان الشباب غير راضين عن ذلك[1]. وتحت إلحاح الشباب بالتميز لإظهار قوة حماس مع رغبة قيادة الحركة في التأكيد على نفوذها في الضفة الغربية أيضاً، جاء أول إضراب منفرد تعلنه «حماس» في الضفة الغربية وذلك يوم الجمعة ٨/٧/١٩٨٨م وفي منطقة نابلس فقط، وقد نجح الإضراب بصورة كبيرة[2].

وفي ١٨/٨/١٩٨٨م تم توزيع ميثاق حركة المقاومة الإسلامية وخاصة في القدس والضفة الغربية، ذلك الميثاق الذي أقام الدنيا ولم يقعدها، وزاد على ذلك أن وزعت الحركة في نفس اليوم بيانها رقم (٢٨) الذي يدعو إلى الإضراب الشامل يوم الأحد ٢١/٨/١٩٨٨م، وظلت نسخ البيان التي وزعت في الضفة الغربية تحمل هذه الدعوة، واستعد أنصار حركة «حماس» وقياداتها وعناصرها لإنجاح الإضراب، وكان الإضراب المنفرد الأول للحركة في مناطق الضفة الغربية.

أرادت (ق. و. م) وفصائلها أن تؤكد مقولتها أن حماس موجودة في غزة فقط، فبذلت جهوداً كبيرة لإفشال الإضراب، «وحاول شباب «فتح» كسر الإضراب، وإجبار أصحاب المحلات على فتح محلاتهم وكسر أقفال المحلات المغلقة مما اضطر أصحابها للوقوف أمام محلاتهم لحمايتها من السرقة»[3]، وفي مدينة رام الله قامت مجموعة من شباب (ق. و. م) بضرب أحد عناصر حماس بثلاث زجاجات حارقة أدخل المستشفى على إثرها، وقام آخرون برجم شباب حماس بالحجارة كما قاموا بتحريض التجار وأصحاب المحلات التجارية بعدم الالتزام بالإضراب، وكتبوا على الجدران أنه لا يوجد إضراب وأشاعوا بين الناس أنه لا يوجد شيء اسمه حماس، وليس هناك إلا القيادة الموحدة، وفي العديد من المدن والقرى كانوا يهددون التجار ويفتحون المحلات بالقوة»[4].

فَمَنْ مِنَ الطرفين الذي يتحمل مسئولية الصدام والتصعيد في الخلافات؟ وهل من حق طرف أن يحتكر لنفسه منطقة ما، خاصة إذا كانت بحجم الضفة الغربية؟ ولماذا لم تتعامل القيادة الموحدة مع الإضراب بنفس الطريقة التي تتعامل بها في قطاع غزة؟ بل ولماذا لم تشارك فيه وتدعو إليه وتعمل على إنجاحه وخاصة أنه بمناسبة تخص الجميع كما تخص المسلمين جميعاً وهي «إحراق المسجد الأقصى ١٩٦٩م».

---

(١) قادة منطقة نابلس، مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) خالد عز الدين، ص١٩٥.

إن هناك حقيقة يعرفها أهل الأرض المحتلة جميعاً وهى أن نجاح الإضراب الشامل ليس دليلاً كافياً على قوة الجهة الداعية إليه بقدر ما هو دليل على درجة الوعى السياسى لدى الشعب وأصحاب المحلات، وعلى درجة الحماس والرغبة فى التعبير عن رفض الاحتلال، وقد دعت تنظيمات صغيرة إلى إضرابات ونجحت هذه الإضرابات على الرغم من عدم وجود عناصر لهذا التنظيم أو ذاك فى كل المناطق لينفذوا الإضراب، وكان يكفى أن تظهر دعوة للإضراب على الجدران، أو يمر صبى صغير على الشارع التجارى فى أية مدينة ليعلن أن اليوم إضراب.

لكن المهمة تكون صعبة على من يريد كسر الإضراب وإفشاله، وقد قامت بهذا قوات الاحتلال مراراً فى البداية، لكنها يئست من ذلك، وهكذا فإن قيل أن حركة حماس قد فرضت إضرابها بالقوة فى الضفة الغربية، فهذا لا يعنى مطلقاً أنها أجبرت أصحاب المحلات على تنفيذ الإضراب، وإنما يعنى أن عناصر الحركة اضطرت للمواجهة والاشتباك مع العناصر التى تحاول إفشال الإضراب ولعل هذا وليس نجاح الإضراب هو الدليل على قوة الحركة وانتشارها فى كل مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية والتى استطاعت بعناصرها ومؤيديها أن تنجح الإضراب رغم كل محاولات إفشاله.

وفى محاولة يبدو أنها غير مدروسة جيداً، ودون النظر إلى مصلحة الجماهير، والمحافظة على قدرتها وطاقتها، دعا البيان رقم(٢٤)الصادر عن (ق. و. م) فى يوم ٢٢ / ٨ / ١٩٨٨م، إلى «إضرابات شاملة لأربعة أيام خلال أسبوع واحد، وكأنما هذه القيادة تريد إثبات سيطرتها على الشارع الفلسطينى»[١].

وصدر بيان رقم (٢٥) للقيادة الموحدة فى ٦ / ٩ / ١٩٨٨م، وقد خصص فقرة للهجوم على حماس معتبراً أن «محاولة فرض إضراب ٢١ / ٨، خطوة تتناقض مع البرنامج الوطنى... وأن أى مساس بوحدة الصف معناه تقديم خدمة جليلة للعدو وضرب الانتفاضة»[٢]، وبدأت القيادة الموحدة تدعو إلى إضرابات وهمية باسم «حماس» لإظهار فشلها وعدم تجاوب الشعب معها[٣].

وكانت المواجهة الثانية بين الطرفين يوم ٢٩ / ١١ / ١٩٨٨م حيث دعت حركة «حماس» إلى الإضراب الشامل بمناسبة ذكرى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، حيث اعتبرته حماس بمثابة إقرار شرعى بحق اليهود فى اغتصاب جزء من أرض فلسطين، أما (م. ت. ف) فقد اعترفت بقرار التقسيم، واعترفت بدولة إسرائيل، لذلك قامت (ق. و. م) بمحاولة إفشال إضراب «حماس»

---

(١) خالد عايد، ص٣٢.

(٢) جريدة (الوطن) الكويتية، عدد ٤٨٦٦ - ٧/ ٩/ ١٩٨٨م.

(٣) خالد عز الدين، ص١٨٨.

لأن نجاح الإضراب يعنى رفض سياسة (م. ت. ف) وقراراتها التى لم يمض عليها أسبوعان بعد، وقد قامت الصحف الإسرائيلية بمحاولة إذكاء الفتنة قبل موعد الإضراب وبعده[1].

وعلى الرغم من كل المحاولات، نجح الإضراب نجاحاً كبيراً، وذكرت مصادر حركة الجهاد: «أن حماس تمكنت من فرض الإضراب بعد اشتباك بالعصى والخناجر استمر أكثر من ساعتين فى مدينة نابلس»[2]، وقالت صحيفة دافار الإسرائيلية: «لقد تجاوب سكان المناطق مع المنظمات الإسلامية، وقاموا بإضراب شامل.. تقريباً.. وهذا الأمر بمثابة نجاح لـ«حماس» وفشل لقيادة المنظمة التابع لـ«فتح»»[3].

ولما لم يعد بالإمكان محاصرة قوة حماس وتجاهلها، كما أن القيادة الموحدة وجدت نفسها أنها هى التى تخسر على النطاق الجماهيرى من محاولات إفشال إضرابات «حماس» فى الضفة الغربية، فقد أصبح الأمر فى الضفة مثلما كان عليه فى قطاع غزة.

وبعد أن انتهت معضلة الإضرابات المنفردة، قامت بعض الحوادث المؤسفة هنا أو هناك إلى أن تفجرت مشكلة السجون والمعتقلات بإعلان بيان صادر عن معتقلى «حماس» فى أحد عشر سجناً من سجون الاحتلال موجه للرأى العام وإلى الأخ ياسر عرفات وإلى رئيس وأعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى وإلى الشعب الفلسطينى وأنصار «حماس» فى العالم وإلى المسلمين فى كل مكان، يتحدثون فيه عن الاعتداءات المتكررة عليهم من معتقلى حركة «فتح» وانتهاك حرمة الإسلام من بعض قياداتهم وعناصرهم وحرمان أفراد حركة «حماس» من كثير من الحقوق[4]، وقد ردت حركة «فتح» فى بيان لها على هذه الاتهامات، ووصفتها أنها جملة افتراءات متعمدة، وطعنت فى الدوافع وراء ذلك[5].

أما فى شهر سبتمبر ١٩٩٠م فتظهر بعض الصدامات مع الحزب الشيوعى فى مخيم جباليا وكذلك صدامات أخرى مع حركة «فتح» فى مخيم البريج بقطاع غزة، وصدامات أخرى فى قرية «جبع» بالضفة الغربية، وتقوم المساعى الحميدة بين ممثلى الطرفين فى الأردن حيث يتوصلون إلى عدة نقاط اتفاق يرسلونها للأرض المحتلة حيث تم تعديل وإضافة بعض النقاط إليها، وصدر بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٩٠م اتفاق موقع من حركة حماس وحركة «فتح»

---

(١) انظر، خالد عز الدين، ص ص ١٩٧ - ٢٠٠.

(٢) صالح عوض، ص٥٢.

(٣) خالد عز الدين، ص١٩٩.

(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج٣، ص١٢٣-١٢٥.

(٥) بيان موقع باسم حركة فتح فى ١٢ / ٤ / ١٩٩٠م، وبيان آخر باسم المعتقلين الفلسطينيين (ق. و. م) بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٩٠م.

أطلق عليه اسم «وثيقة الشرف».

لم يتعرض الاتفاق للمسائل السياسية وإنما ركز على وضع الأسس للعلاقة الحسنة بين الطرفين والتشديد على حق كل فصيل في الاجتهاد الفكرى والسياسى واعتماد الحوار البناء لفض المنازعات وفتح صفحة جديدة واحترام عقيدة الأمة وشعائرها ومساجدها وممتلكات المواطنين، وحق كل فصيل فى أداء فعالياته كاملة دون تعرض أى فصيل آخر له، وحل مشكلة السجون، وصرف مرتبات موظفى الجامعة الإسلامية[1]، وسوف تكشف الشهور والسنوات التالية مدى الالتزام بهذه الوثيقة.

وأخيراً فإننا نورد هذه الخلافات والصدامات هنا أو هناك لنوضح صورة العلاقة بين الطرفين لكن هذا لا يعنى تجاهل الصورة العامة التى طبعت علاقات كل الأطراف، والتى كانت فى غالبها التعاون والتسابق على مواجهة العدو من الاشتراك فى المظاهرات والصدامات ومساعدة المتضررين وزيارة الجرحى من كل الأطراف وتشييع الشهداء، فقد كان الفضل الأكبر دائماً للتنظيم الأكبر والأعظم الذى كان يتقدم الجميع، ألا وهو الشعب الفلسطينى الذى تقدم بعطائه غير المحدود واحتضن جميع الفصائل وساندها، وكان يقول للمسىء أسأت ويطالبه بالرجوع عن الخطأ.

المبحث الرابع
جدلية الداخل والخارج فى العمل الفلسطينى

ليس المقصود بهذه القضية أن نفصل بين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وإخوانهم خارجها فقد كان هذا هدفاً دائماً لأعداء الشعب الفلسطينى، لقد أثبت الفلسطينيون وخلال الأربعين سنة التى سبقت الانتفاضة، وعلى الرغم من اختلاف ظروفهم وتنوع معاناتهم فى كل الأماكن التى تواجدوا فيها، أنهم شعب واحد متكاتف متعاطف متكامل، تربطه آمال واحدة مشتركة، تتلخص فى تحرير فلسطين والعودة إلى الوطن، ولا توجد أسرة فى الأرض المحتلة غير مقسومة بين الداخل والخارج، وكان الشعب كله على استعداد دائم للتضحية وتسطير البطولات، من مقاومة الاحتلال فى الداخل إلى مهاجمة قواعده من الخارج، ولئن اختلفت أشكال المعاناة فإنها جميعاً كانت تدفع باتجاه العمل والأمل بتحرير فلسطين، ولقد

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية) ج٣ (نص وثيقة الشرف)، ص ص ١٤٢-١٤٤.

وقف أهل الداخل مع إخوانهم فى الخارج فى كل معاركهم، وفى مآسى الحصار التى عانوها، وتأتى الانتفاضة لتظهر وقوف الفلسطينيين جميعاً مع إخوانهم فى الداخل من خلال الدعم والمساندة والتعاطف والتأييد.

ولقد حاول الكيان الصهيونى مراراً وبإصرار أن يلعب لعبة الفصل بين الداخل والخارج، كما قام بخطوات عملية من أجل صنع قيادات بديلة فى الداخل، تكون قادرة على التفاوض معه باسم الفلسطينيين فى الأرض المحتلة، وتكون قادرة على حماية الاتفاقيات المأمولة لتكريس سيطرتها على فلسطين كاملة، مع منح المناطق المحتلة حكماً ذاتياً تحت الرعاية الإسرائيلية، وكانت (م. ت. ف) دائماً تشجب هذه المحاولات على اعتبار أنها تهدف لفصل الرأس عن الجسد، ودق إسفين الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

وظلت سياسة إسرائيل تعمل جاهدة ولمدة طويلة على تجاهل الفلسطينيين فى الخارج، أياً كانوا، متشددين أو معتدلين، ومهما تكن درجة التنازل التى يمكن أن يصلوا إليها، لأن الاعتراف بهم، يعنى الاقتراب من مشاكل لا تريد التعامل معها، مثل مشكلة اللاجئين وحق العودة، وبدلاً من ذلك كانت تصر دائماً ولاتزال على أن الفلسطينيين فى الخارج مشكلة عربية، وتوجب على الدول العربية استيعابهم.

أما هذا المبحث فإنه يتناول موضوع القيادة الوطنية - علمانية أو اسلامية - ومركز اتخاذ القرار، ومدى توزع حجمه بين الداخل والخارج، فالقيادات بلا شك، ودوافع قراراتها تختلف نظراً لاختلاف الظروف والمكونات الفكرية والثقافية والضغوطات التى تواجهها، ونوع المعاناة التى تقاسيها، وحجم الارتباطات بل والارتهان أحياناً لقوة أخرى، فالقيادات فى الخارج يمكن أن تجد نفسهامعلقة فى الهواء، فلا أرض تستند إليها، ولا شعب تحتمى به، أما فى الداخل مهما كانت الظروف القاسية والاعتقالات، فإن القيادات تظل تستند إلى أرضها وشعبها.

يقول أحد الكتاب الوطنيين: «الداخل يمثل مجتمعاً إنتاجياً متماسكاً» يعانى على أرضه وطأة الوجود الصهيونى يومياً، فى حين أن الخارج مشتت بين البلدان التى تتوزعه.. وفى حين تنمو القوى والمؤسسات والكوادر والقطاعات الشعبية الواسعة فى مناخ المواجهات الجريئة والصلابة النضالية وروح التمسك بالأرض والوطن، فإنها فى الخارج تنمو تحت وطأة الإفساد المعمم، والترهل الفكرى والسياسى والانفلات التنظيمى، وروح «القنص والارتزاق وعقلية الغيتو»[1].

(١) خالد عايد، مرجع سابق، ص١٢٨.

الحركات الفلسطينية بين الداخل والخارج:

كان قدر حركة المقاومة الفلسطينية وفصائلها العاملة و(م. ت. ف)، أن يكون ثقلها بمعظمه خارج الأرض المحتلة، وكانت هذه أبرز نقاط ضعفها، وقد حاولت جهدها كله من أجل المحافظة على استقلالية قرارها، حتى أنها خاضت الحروب من أجل ذلك وقدمت الضحايا التى يفوق عددها كثيراً ضحاياها فى المعركة الوطنية ضد الاحتلال... كما قامت مضطرة إلى مجاملة ونفاق عدد من الأنظمة. أدى بها إلى تقديم الكثير من التنازلات الشكلية والتى أوصلتها إلى التنازلات الجوهرية فى ظل الوضع العربى الذى يزداد سوءاً، والمتغيرات الدولية التى جعلتها مكشوفة فى العراء، فلا هى استطاعت المحافظة على استقلالية قرارها، ولا هى استطاعت توجيه الضربات الموجعة للاحتلال والتى تتناسب مع حجمها وإمكانياتها وخبرتها. ولما بدأ البعض يطرح فكرة نقل مركز الثقل إلى الداخل، كانت قيادات العمل المتواجدة فى الخارج لا تستطيع ذلك لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

جاءت الانتفاضة - متأخرة - لتعيد مركز الثقل إلى الداخل، جاءت قوية طموحة، فى وقت كانت فيه المنظمات فى الخارج ضعيفة يائسة تبحث عن حلول الدبلوماسية، نتيجة الإحباط والهزائم والحصار والضغط الذى مارسته الأنظمة العربية، وتجلى ذلك فى مؤتمر قمة عمان فى نوفمبر ١٩٨٧م الذى جعل حرب العراق وإيران قضية مركزية وفلسطين قضية ثانوية.

نجحت القيادات الوطنية العلمانية فى الداخل نجاحاً قليلاً فى البداية فى تأكيد دورها، إلا أن جهود قيادات الخارج الحثيثة نجحت فى السيطرة الكاملة على القرار السياسى، حتى أصبحت «القيادة الوطنية الموحدة» واجهة لمنظمة التحرير، مجهولة الأسماء، تقتصر وظيفتها على إدارة محلية لتنفيذ الإضرابات وتوزيع البيانات.

كان التيار الفلسطينى يختلف عن القوى الوطنية العلمانية، فقد نشأ بالكامل داخل الأرض المحتلة، قراراً وممارسة وقيادة، ولعل ذلك إلى جانب عقيدته الإسلامية هى أبرز نقاط قوته، فحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين نشأت وعملت سياسياً وعسكرياً من داخل الأرض المحتلة، وحتى حينما أبعد الكيان الصهيونى قياداتها الأولى إلى خارج الوطن، فإن هذه القيادات تظل تحمل صفة القيادات الداخلية، لمعرفتها الواسعة بدينامية المجتمع الفلسطينى فى الداخل والذى عايشته طويلاً، ولخبرتها الدقيقة بالقوى الفلسطينية الأخرى قيادات

ومناهج وتوجهات، ولمعرفتها بأساليب العدو المتنوعة، وسجونه، وهي فوق ذلك كله تعرف تنظيمها وعناصرها، قوة وضعفاً، وبذلك تكون عند اتخاذها للقرار أو التوجيهات للحركة في الداخل، قريبة من شعبها وعناصرها..

أما حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فهي الأخرى، كان قرار تأسيسها ومشاركتها السياسية والعسكرية قراراً داخلياً صرفاً، تحمّلت مسئوليته وقيادته قيادات الإخوان فى قطاع غزة، ثم فى الضفة الغربية، وما كان على شعبها وأنصارها فى الخارج وفى مقدمتهم الإخوان المسلمون إلا أن يسيروا خلفها مؤيدين داعمين.

وعلى الرغم من الحملة الضارية التى تعرضت لها حركة «حماس» بجميع الأشكال ومن مختلف الجهات، من اتهامات وتشويه وتجاهل من الحركات الفلسطينية والأنظمة العربية، وقمع واعتقالات وملاحقة إسرائيلية، لم يحدث مثلها لأى فصيل فلسطينى، إلا أنها ظلت تزداد قوة وانتشاراً، وتتصاعد جماهيريتها فى الداخل والخارج.

ولم يكن للإخوان الفلسطينيين فى الخارج أى دور فى إنشاء «حماس» ومبادرتها العملية، سوى الإمداد المالى، بالإضافة إلى تلقى البيانات والأخبار التى تأتى من الداخل، ومحاولة نشرها التى لم تتعد التوزيع الداخلى على الأعضاء وبعض المناصرين وخطباء المساجد، ثم نشرها فى المجلات القليلة التى يصدرها الإسلاميون هنا وهناك، ولم يستطيعوا أن يخرجوا من هذا الإطار إلا نادراً نظراً لانعدام علاقتهم مع القوى الأخرى ومع وسائل الإعلام، وكذلك لعدم وجود قيادة علنية فى الخارج يمكن الرجوع إليها.

إدارة حركة «حماس» من الخارج:

عملت قيادات حركة «حماس» فى الأرض المحتلة، ومنذ بداية الانتفاضة على نقل مركز اتخاذ القرار إلى الخارج، وأوكلت إلى قيادات الإخوان الفلسطينيين فى الخارج دور قيادة الحركة أو على الأقل إدارتها حسب ما يتوفر لديها من إمكانيات، وقد تم ذلك بالرضا الكامل ودون أدنى حساسية وذلك لأسباب ودوافع متعددة نذكر منها:

١ - الروح الأخوية التى تربط بين الإخوان جميعاً، وطبيعة الثقة الكاملة التى يشعر بها الإخوان وخاصة فى الأرض المحتلة، بإخوانهم فى كل مكان.

٢ - الاعتقالات المتكررة والتى تصل إلى كل قيادة جديدة، فكان لابد أن تكون هناك مرجعية آمنة من الاعتقال، تملك حرية الاتصال بجميع المناطق، فمهما تقطعت الخيوط، يظل

المركز سليماً حيث يستطيع استئناف ربط الخيوط فى كل مرة.

٣- معاناة الحركة في الداخل من الحصار الإعلامي والتعتيم على نشاطاتها وتحريف توجهاتها، كان يتطلب استنفار الإخوان فى الخارج، لعلهم يفكون طوق العزلة عن الحركة.

٤- قرب قيادات الخارج من القيادة الدولية للإخوان المسلمين وسهولة اتصالها بالتنظيمات الإسلامية القطرية.

٥- الظروف المتاحة لقيادات الخارج فى تمثيل الحركة وشرح مواقفها أو الاتفاق باسمها مع المنظمات الفلسطينية والعربية، بالإضافة إلى الاتصال مع الحكومات والشعوب.

٦- تمويل نشاطات الحركة كله تقريباً يأتى من خارج الأرض المحتلة.

٧- ولعل السبب الخفى والذى أراه فى تقديرى أهم الأسباب هو خوف قيادات الحركة من اندفاعة الحركة وشبابها وقيادات جديدة تأخذ الحركة بعيداً عن الإخوان المسلمين ومنطلقاتهم - وأكثرهم لازلوا يذكرون أن حركة فتح قامت على كوادرهم - فكان تفويض الإخوان فى الخارج ضمانة أساسية لاستمرار إخوانية الحركة.

وهكذا بدأت قيادات العمل الفلسطينى فى الخارج تلعب دورها - الموكل إليها من الداخل - شيئاً فشيئاً، وبالتدريج، يدفعها إلى ذلك الحماسة والرغبة، ويؤخرها عنه ويعرقل مسيرتها حذر شديد ورغبة فى عدم الظهور، بالإضافة إلى قلة الخبرة السياسية واختلاف المهمات التى ألقيت على عاتقها بقوة وبسرعة عن تلك المهمات التى كانت تؤديها خلال السنوات الطويلة الماضية، يضاف إلى ذلك عدم استيعاب أكثرية القيادة لما يجرى فى الداخل، فالكثيرون منهم لا يملكون تصوراً واضحاً وعميقاً عن طبيعة الأرض المحتلة وشرائحها الاجتماعية وقواها السياسية، وسياسة الاحتلال فيها.

وبدأت قيادات الخارج - وأكثرها من الشباب - تكسب الخبرة مع الوقت، ومع الاتصال بالأطراف الأخرى، وبدأت تظهر بعض الأسماء القليلة من الصفين الأول والثانى، والتى قبلت بهذا الدور بعد أزمة الكويت، واستمر عمل قيادات الخارج بصورة هى أقرب إلى «إدارة» العمل من قيادته، فلم تستطع أن تبرز زعامة حركية أو جماهيرية يكون لها أثرها على الشعب أو على الأطراف الأخرى التى تتم اللقاءات معها.

لذلك كانت انطباعات القادة الآخرين والشخصيات السياسية، عند لقائهم بمعظم قيادات «حماس» أو ممثليها فى الخارج هى أقرب إلى السلبية، على الرغم مما تمثله حركة «حماس» من قوة كبيرة وأثر واضح فى الساحة الفلسطينية، ظل الشيخ أحمد ياسين فى

سجنه هو القائد غير المنازع على مستوى الجميع وخاصة عناصر الحركة وقياداتها فى الداخل، وبقيت قيادات الداخل هى التى تمثل الوزن الثقيل فى التعبير عن الحركة وكانت أوضح ما تكون، فى الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى بما يتمتع به من صفات قيادية وتجربة صدامية طويلة مع الاحتلال وتفان منقطع النظير يجعله يعيش قضيته ليلاً نهاراً، وفى الدكتور محمود الزهار بما يتمتع به من ثقافة واسعة، وخبرة سياسية عميقة، وقدرة فائقة على الحوار، وفى الشيخ بسام جرار بما يتصف به من رؤى فكرية عميقة، وقدرة متميزة على التحليل والاستنباط، واستكشاف آفاق المستقبل.

وحتى داخل المعسكر الإسلامى، كان الكثيرون لا يرون فى قيادات الحركة وممثليها الكفاءة المناسبة لقيادة حركة بهذا الحجم وهذا الطموح ووسط كل هذه الأخطار، ولعل أبرز مثالين لذلك هما: القيادات الإسلامية السودانية وقيادات الإخوان السوريين وعلى الأخص الأستاذ عدنان سعد الدين، فهؤلاء إلى جانب خبرتهم السياسية العميقة، واحتكاكهم ومعرفتهم بجميع ألوان الطيف السياسى فى المنطقة، فإنهم على خلاف مع القيادة الدولية للإخوان المسلمين، مما لا يجعل معيار التقييم عندهم أن تكون أخاً مسلماً وكفى، بالإضافة إلى أنهم على علاقة طيبة مع (م. ت. ف) وخاصة رئيسها السيد ياسر عرفات.

ففى حوار أجرته مجلة «اليوم السابع» مع الأستاذ عدنان سعد الدين فى مارس ١٩٩٠م، وبعد أن يؤكد على دور (م. ت. ف) فى تمثيل الشعب الفلسطينى ودور حركة حماس كضمير لهذا الشعب يقول: «وشباب حماس الآن، وبعد أن قدموا تضحيات عظيمة، بدأوا يكتسبون خبرة سياسية، وأصبحوا أقرب من ذى قبل إلى الحوار البناء والتعاون حول القضايا المشتركة»[١].

طريقة التعامل مع بعض القضايا:

طرحت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وفى السنة الأولى من الانتفاضة بعض القضايا المحورية فى مسيرتها، ومع أن المسئولين فى الخارج لم يشعروا بالرضا عن تلك القضايا لأسباب مختلفة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً سوى الالتزام بما صدر عن الحركة.

ففى يوم ١١ / ٢ / ١٩٨٨م، أى فى بداية الشهر الثالث للانتفاضة أعلنت حركة «حماس» فى بيانها السادس أنها الساعد القوى لجماعة الإخوان المسلمين»[٢]، وكررت ذلك فى البيان

(١) مجلة (اليوم السابع)، عدد ٣٠٤، ٥/ ٣/ ١٩٩٠م.

(٢) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، ص ص ٣١، ٥٧، ١٤٣.

رقم (١٥) الصادر في ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٨٨م، ثم أكدت عليه في ميثاقها الصادر بتاريخ ١٨ / ٩ / ١٩٨٨م.

فبعد غياب المبرر الأمني الذي فرض عدم الإعلان عن الإخوان المسلمين في البداية، كان الجيل القديم من الإخوان في الأرض المحتلة حريصاً على إظهار اسم «الإخوان المسلمين» ليساهم في طمس الصورة المشوهة عن الإخوان، ولينتصر لماضيه القديم والقريب، كما كان الجيل الجديد - غير المثقل بعقدة الماضي - يحب أن يفتخر بانتمائه إلى حركة الإخوان التي ترفع الراية الإسلامية، وكانت أول من جاهد على أرض فلسطين، ولعلهم أيضاً يريدون دفع الحركة الإسلامية العالمية برمتها للانخراط في العمل المباشر لقضية فلسطين.

أما في الخارج فلعل معظم قيادات الإخوان - ومنهم الفلسطينيين أيضاً - لم يرحبوا في قرارة أنفسهم بهذا الإعلان، لما يمكن أن يسببه ذلك لهم من متاعب إضافية مع أنظمة الحكم والتي ازدادت حساسيتها تجاه العمل الإسلامي بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، ويجدر بنا هنا أن ننوه على أنه رغم المساندة التي قدمها الإخوان في الخارج لحركة «حماس»، فإن حركة الإخوان المسلمين استفادت أكثر من ذلك بكثير من انطلاقة «حماس»، وجهادها في فلسطين، مما رفع أسهم الإخوان الشعبية في الخارج، وكانت الجماعة في الأردن هي أكثر المستفيدين من ذلك، فلعل نسبة كبيرة من الأصوات التي حصلوا عليها في الانتخابات البرلمانية كانت بسبب حركة «حماس» وفاعليتها.

كانت قيادات العمل الفلسطيني في الخارج ترى أن الإعلان جاء متسرعاً، مما قد يؤثر على العمل التنظيمي في الداخل والخارج كما كانت ترى أن ذلك قد يعوق خطة حركة «حماس» لتكون تنظيم الإسلاميين الفلسطينيين جميعاً.

وفي ١٨ / ٨ / ١٩٨٨م فوجئ الجميع بتطور محوري آخر، حيث صدر في الأرض المحتلة - بصورة سرية طبعاً - ميثاق حركة المقاومة الإسلامية، وتم توزيعه في جميع المناطق وعلى وكالات الأنباء. وقد حظي الميثاق باهتمام كبير من وسائل الإعلام الدولية، وأثار الأجهزة الإسرائيلية، كما أثار أيضاً أجهزة (م. ت. ف) حيث دشن حركة «حماس» كحركة مقاومة جذرية وذات أهداف بعيدة، تعمل على تحرير كل فلسطين وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

ومع كل هذه الضجة التي أثارها الميثاق، فإن قيادات العمل الفلسطيني في الخارج، حبسته في الأدراج، بحجة أنه جاء متسرعاً ويتصف باللغة العاطفية والإنشائية ويفتقر إلى اللغة القانونية، وقد وزعت نسخ الميثاق على المختصين كي يقترحوا التعديلات المناسبة، لكن

«الميثاق» كان قد فرض نفسه وأصبح مرجعاً للكتابات الصحفية والبحثية عن حركة «حماس» وعلى ذلك فقد تمت طباعته بعد تأخير، وظل توزيعه محدوداً، وبعد ذلك بسنوات تنتهز قيادات الخارج فرصة وجود عدد كبير من قادة الحركة المبعدين في «مرج الزهور» ومن بينهم كاتب الميثاق لتعيد فكرة تعديل الميثاق، إلا أن الفكرة تموت في مهدها.

أما القضية الثالثة فكانت عندما شعر قادة الحركة في الأرض المحتلة، أن (م. ت. ف) تسير بخطى حثيثة في محاولة استثمار الانتفاضة لتحقيق أهدافها السياسية، ولما كانت الحركة في الداخل لا تستطيع مواجهة ذلك إلا بتصعيد الانتفاضة والعمل على الساحة النضالية في الداخل، فقد طلبت من قيادات الحركة في الخارج أن تبذل جهدها في هذا المجال، ولكن قيادات الخارج كانت عاجزة تماماً عن فعل أى شيء في هذا المجال، وذلك لأسباب أهمها، عدم وجود تصور واضح لما يجب عمله، وعدم وجود جماهير للحركة أو أنظمة يمكن الاعتماد عليها، كما أن حالة التجزئة التي تعيشها الأمة العربية وبروز النزعات القطرية قد تركت أثرها على التنظيم الأممي - الإخوان المسلمين - حتى أصبحت التنظيمات القطرية تضع حساباتها - ربما مضطرة - حسب الأحوال الداخلية لكل قطر، فلم تشأ التنظيمات الإخوانية القطرية أن ترمي بثقلها كله في معركة ضخمة وخطيرة، تؤلب عليها الجميع، فقد رأت في قضية فلسطين قضية بعيدة المدى، وأن الانتفاضة مرحلة تتبعها مراحل كثيرة، وهي لا تريد أن تخسر ما تحققه من إنجازات على المستوى القطري، بطرقها المختلفة حسب أوضاع كل قطر.

ولعل أهم تنظيمين في هذا المجال كان يمكن أن يبذلا جهداً ملموساً في مواجهة الاستثمار السياسي للانتفاضة، والحلول السلمية فيما بعد، هما إخوان مصر وإخوان الأردن، لما يمثله الإخوان في مصر من قوة وعراقة وقيادة للإخوان جميعاً، وما تمثله مصر نفسها من قوة ومكانة وتأثير، وكذلك الإخوان في الأردن بما يمثلون من قوة في الشارع الشعبي، وبما يتميز به الشعب الأردني بأصوله الفلسطينية والأردنية معًا، من تحمله للهم الفلسطيني أكثر من غيره، وكذلك فإن البلدين لهما حدودهما المشتركة مع الأرض المحتلة في قطاع غزة والضفة الغربية.

لكن الإخوان في البلدين كانوا قد اتخذوا منذ زمن سياسة العمل القانوني وعدم إغضاب السلطة، ومحاولة تحقيق الأهداف بصورة مرحلية وتدريجية وسلمية، وعليه فإنهم مستعدون لمساعدة حركة «حماس» وتأييدها إلى حدود لا تجعلهم يصطدمون بالسلطات المحلية.

وأخيراً ماذا يحمل المستقبل بالنسبة لمركز اتخاذ القرار في حركة «حماس»، وما هي

التطورات التى ستحدث على صعيد القيادة فى الخارج، وماذا سيكون أثر التطورات الجوهرية والسريعة على القضية برمتها من مفاوضات سلام إلى حكم ذاتى وانتخابات والدعوة لإنشاء أحزاب سياسية فى مناطق الحكم الذاتى ومعاهدات سلام أخرى مع الدول العربية، وتصعيد محتمل فى العمل المسلح فى مواجهة الدولة الصهيونية.

وهل فى المراحل المهمة ستستعيد القيادة الحقيقة - الداخل - دورها الذى أوكلت منه أجزاء مهمة إلى قيادات الخارج، وهل سيتم ذلك بالرضا الكامل كما حدث أول مرة. لعل السنوات القادمة ستحمل بذوراً غير واضحة لشكل المستقبل، وستظل هذه الأسئلة مفتوحة تبحث عن إجابة ●

الفصل الثاني
حركة «حماس» والإعلام

المبحث الأول
الإعلام الإسرائيلي وحركة «حماس»

تمتلك الدولة في «إسرائيل» مؤسستي الإذاعة والتليفزيون اللتين يتم توجيههما بذكاء لخدمة المخططات الصهيونية، فالإذاعة الإسرائيلية تبث برامجها باللغة العبرية واللغة الإنجليزية، كما تبث «دار الإذاعة الإسرائيلية» برامجها باللغة العربية.

أما الصحافة الإسرائيلية فهي «مملوكة للأحزاب والمؤسسات والجمعيات والشركات والأفراد، ويزيد مجموع ما يصدر في (إسرائيل) من صحف ومجلات ودوريات على ٢٦٠ نشرة»[١]، ويعود السبب إلى وجود هذا الفيض الهائل من الصحف في (إسرائيل) إلى تعدد الأحزاب والاتجاهات السياسية والتجمعات الاستيطانية ذات اللغات والمصادر المختلفة، وإلى سهولة الحصول على تراخيص لإصدار الصحف، بالإضافة إلى ما تتمتع به الصحافة الإسرائيلية من حرية في نطاق الأيديولوجية الصهيونية التي تلتزم بها أغلبية الأحزاب والاتجاهات السياسية.

يعتمد هذا المبحث بصورة كبيرة على كثير مما ورد في الصحف العبرية كما جاء في الدراسة القيمة التي وضعها خالد عز الدين بعنوان «الانتفاضة الفلسطينية في الصحافة العبرية»، حيث قام الباحث بجهد كبير في تتبع الصحافة العبرية والتعرف على مواقفها من الانتفاضة ومن حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

كما أنه من المفيد الإشارة إلى أهمية الإعلام لدى الحركة الصهيونية ومن بعدها دولة «إسرائيل»، فقد عبّر الحاخام اليهودي «راشورون» عن شدة اهتمام اليهود والحركة الصهيونية بالإعلام، ضمن خطاب ألقاه في مدينة براغ عام ١٩٦٩م فقال: «إذا كان الذهب قوتنا الأولى

(١) (الموسوعة الفلسطينية)، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، دمشق: ١٩٨٤م، ص١٨.

(٢) زياد أبو غنيمة، (السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية)، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٢، بدون تاريخ، ص٣٢.

للسيطرة على العالم، فإن الصحافة ينبغى أن تكون قوتنا الثانية»[٢]، أما عن دور الإعلام الصهيونى الحاسم فى إنشاء الدولة العبرية، فيقول دافيد بن غوريون أول رئيس لوزرائها: «لقد أقام الإعلام دولتنا على الخارطة، واستطاع أن يتحرك للحصول على مشروعيتها الدولية وجدارة وجودها قبل أن تصبح حقيقة واقعة على الأرض..»[١]

والإعلام الصهيونى يعتمد على العلم والتخطيط، وهو يعتمد على مزيج من الأفكار والنظريات التى أفرزها علم الاجتماع ممزوجة بالتراث الميثولوجي اليهودى القائم على العنصرية وتفوق الشعب اليهودى، ويتغير الخطاب الإعلامى الصهيونى بتغير الجمهور الذى يتوجه إليه، فهو يقوم بدراسة كل حالة على حدة، محللاً خصائصها السيكولوجية والثقافية والسياسية، واضعاً الاستراتيجية المناسبة للتعامل مع كل حالة، فهو فى خطابه للغرب الرأسمالى يركز على تأكيد أن مصلحة الغرب الاستراتيجية سياسياً واقتصادياً وثقافياً مرتبطة بدعم المشروع الإسرائيلى الصهيونى، وفى خطابه الموجه لليهود يثير فيهم روح الأخوة اليهودية والتميز عن الشعوب، كما يخوفهم من النزعات اللاسامية وإمكانية تكرار المذابح النازية وخطورة زوال إسرائيل على اليهود جميعاً، أما فى خطابه الموجه للعرب، فهو يهدف فى الأساس إلى زرع اليأس وتوهين العزائم وإشعال المشاكل بينهم والقضاء على روح المقاومة وإبراز وتضخيم السلبيات معتمداً على الاختلاق والكذب والإشاعة التى يظل يكررها حتى تصبح أمراً مفروغاً منه، «والإعلام الإسرائيلى الموجه للعرب، إعلام مرن وضليع فى فن الكلمة والاحتيال على عواطف المستمع، يتلون مع ألوان الواقع السياسى والوضع القائم من غير أن يفقد هدفه، كما أنه يطرح مقولته فى تواز مع العمل السياسى والعسكرى»[٢].

وقد استفاد الإعلام الإسرائيلى كثيراً من وضع الإعلام العربى الذى خسر ثقة الجمهور بتمجيده الدائم للحكام وحديثه المسهب عن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والديمقراطية التى يكذبها الواقع، فحاول الإعلام الإسرائيلى جاهداً أن يبنى مصداقية نسبية، وأن يسعى للحفاظ على ثقة المستمع والقارئ الفلسطينى فى الأرض المحتلة مشدوداً لمتابعة وسائل الإعلام الإسرائيلية.

«ولقد ساعدت الانتفاضة كثيراً على تعرية الإعلام الإسرائيلى وكشف أكاذيبه، فلقد

---

(١) خالد عز الدين، (الانتفاضة الفلسطينية فى الصحافة العبرية)، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والنشر، ١٩٩١م، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ص ١٤-١٥.

كانت الجماهير صانعة الأحداث في ساحة المواجهات مع المحتل تلمس وبسهولة البون الشاسع بين حقيقة ما جرى ويجرى على أرض الواقع وبين ما يطرحه الإعلام الإسرائيلي.. وبذلك تهاوى صرح المصداقية المزعومة التى عمل الإعلام الإسرائيلي سنيناً طويلة في سبيل بنائها»[1].

الحركة الإسلامية في الإعلام الإسرائيلي:

تقوم استراتيجية الدولة العبرية على استبعاد الإسلام من ساحة الصراع، والإبقاء على طبيعة الصراعات القومية أو الوطنية أو الاقتصادية أو السياسية أو نزاع الحدود، والتى تستطيع بذلك مع الوقت ومع الانتصارات المتتالية والاختراق النفسي للجبهة الفلسطينية والعربية، أن تتوصل إلى حلول تضمن لها بقاءها وتطورها ونفوذها، فهى تعلم مدى قوة الإسلام وقدرته على تعبئة العرب والمسلمين بصورة غير قابلة للمهادنة، فهى نفسها قد اعتمدت على بعث الأيديولوجية الدينية اليهودية كعامل محورى في تجميع اليهود وبناء الدولة، كأنها تدرك من درس التاريخ في المنطقة أن الإسلام قادر على هزيمه مخططاتها وإنهاء دولتها كما فعل بالصليبيين من قبلها، وهي بذلك قامت بالعمل على تشويه صورة الصحوة الإسلامية العالمية في إعلامها العبرى أو في الإعلام الدولي الغربي الذى تسيطر الصهيونية على معظم وسائله، كما عملت على استعداء الغرب لهذه الصحوة وتحريض الحكومات العربية والإسلامية وكذلك (م. ت. ف) على هذا الإسلام السياسى الذى يمثل خطراً قاتلاً على الجميع وليس على إسرائيل وحدها.

وقد أشارت صحيفة (يديعوت أحرونوت) إلى أبعاد هذه الاستراتيجية في مقال لها بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٨٧م عندما قالت: «إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة، هى جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هى أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً...»[2]، وفي تصريح لإسحق رابين يقول: «سأحاول أن أعمل كل ما في وسعى لفصل المسائل الدينية عن صراعنا مع الفلسطينيين»[3]، ويصرح رابين نفسه قبل الانتفاضة بأربعين يوماً «أنه يتعين على

---

(١) المرجع السابق، ص١٨.
(٢) زياد أبو غنيمة، (عداء اليهود للحركة الإسلامية)، عمان: بدون ناشر، ١٩٨٣م، ص٣٢.
(٣) مجلة (العالم)، عدد ٢٤٠، ١٧ / ٩ / ١٩٨٨م.

إسرائيل البحث عن كل سبيل ممكن لإبقاء المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية مقتصرة على المجال السياسي.. فكلما اتخذت هذه المواجهة طابع مواجهة سياسية دينية، فإن إسرائيل ستواجه مشكلات عويصة للغاية»[1] أما رئيس الأركان الإسرائيلى دان شمرون فيقول: «إن الشرق الأوسط يمر بمسار إضفاء الطابع الإسلامى، وفضلاً عن مخاطر إرهاب من هذا النوع، فإنه يمثل أيضاً تهديداً مباشراً للأنظمة والاستقرار فى الشرق الأوسط»[2]، وتمضى صحيفة دافار على نفس النهج من التأليب على الحركة الإسلامية واستعداء الأنظمة العربية عليها فتقول: «إن العدو الخطر والعنيد لإسرائيل ليس هو هذه الحركة (الوطنية) وإنما التعصب الإسلامى... الذى أوصل الخمينى إلى السلطة فى إيران، وأدى إلى قتل السادات فى القاهرة، وهو من زوّد الشيعة فى لبنان بالأسلحة القاتلة»[3].

وقد نشرت صحيفة (الجروزاليم بوست) الإسرائيلية والتى تصدر بالإنجليزية مقالاً للصحفى الفلسطينى عثمان الحلاق الذى يرأس تحرير صحيفة (النهار) المقدسية قال فيه: «ومع مرور الأيام بدأ الصراع يأخذ شكل حرب بين اليهودية والإسلام، ومادام الصراع بين حركات علمانية قومية فإنه يمكن حله بالتسامح فيه والتوصل إلى وفاق، أما حين يصبح الصراع حرباً دينية فسيكون قدرنا هو الإخفاق.. إن مستقبل المنطقة كلها فى خطر إذا تم التحول إلى مجال الصراع الدينى بين العرب واليهود»[4].

ولقد أوضح هذه الاستراتيجية الصهيونية بصورة جلية البروفيسور «يُحزقيل درور»، صاحب كتاب «استراتيجية شمولية لإسرائيل»، فهو يبدى تخوفه من أسلمة الصراع، ويقترح أن تكون إسرائيل حذرة تجاه الإسلام وعلاقتها به... وينصح بالتعامل مع الإسلام باحترام وتجنب الإساءة إليه».

وفى مقال له فى صحفية (دافار) يحدد أربعة عوامل أساسية للاستراتيجية السياسية والأمنية بالنسبة لإسرائيل أحدها أنه «يجب الامتناع عن التحرش بالإسلام، لأن مثل هذا التحرش قد يساهم فى بلورة اتجاهات دينية فى الشرق الأوسط تعبر عن ذاتها بمعسكر قوى جداً يجمع فى إطاره كافة الطاقات الإسلامية الموجهة ضد إسرائيل»[5].

---

(١) جريدة (القدس) المقدسية، ٢٦/١٠/١٩٨٧م.
(٢) خالد عز الدين، ص٥٤ عن جريدة «معاريف» ٩/٢/١٩٩٠م.
(٣) خالد عز الدين، ص٥٧.
(٤) المرجع السابق، ص ص ٥٦-٥٧.
(٥) المرجع السابق، ص٥٦.

حركة « حماس » فى الإعلام الإسرائيلى:

يلعب الإعلام الصهيونى دوراً مهماً فى تنفيذ الأهداف السياسية والأمنية، فهو يعمل على تحويل الأفكار والمشاريع السياسية إلى واقع مادى، وهو بذلك عمل جاهداً على إضعاف حركة «حماس» ومنع تمددها واتساعها معتمداً أساليب كثيرة، منها التشويه والافتراء المبرمج والمتكرر بحيث يصبح فكرة صحيحة يتناقلها كثير من الناس ويرددها الكتاب، ومنها محاولاته الدورية لزرع الفرقة والتناحر فى الجانب الفلسطينى، وبث المخاوف لدى الفصائل والتيارات الأخرى وتضخيم هذه المخاوف بصورة تزيد من التباعد بين هذين التيارين.

(أ) العمل على تشويه الحركة:

وكان أبرز هذه المقولات إشاعة الشبهة القديمة الجديدة، وهى أن السلطات الإسرائيلية شجعت التيار الإسلامى، وغضت الطرف عن نشاطاته، وسمحت له بتأسيس الجمعيات والمدارس، بهدف إضعاف نفوذ (م. ت. ف) فى الأراضى المحتلة[1]. ومن الملاحظات المؤسفة أن إعلام التيار الوطنى الفلسطينى قام بدوره فى نشر هذه المزاعم للنيل من حركة «حماس»، ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك هو ما قالته صحيفة «عل همشمار» العبرية : «إن رفع - حماس - راية الجهاد ضد إسرائيل كان السبب فى تغير مفاهيم «رابين» حول هذه الحركة... فقد بدأ رابين يفهم بأن - حماس - لن تقوده إلى الحسين بل إلى الخمينية..» كما تورد الصحيفة اعتراف رابين بأخطائه وتقديراته حول - حماس - ... كما تزعم الصحيفة وبصورة فجة «أن قيادة - حماس - لم تستطع الصمود على وعودها التى قطعتها على نفسها لرابين من أنها لن تشترك فى الكفاح ضد إسرائيل»[2].

ولم يقتصر الإعلام الإسرائيلى على هذا فى تشويه حركة «حماس» ، بل أضاف إليها أكاذيب أخرى تهدف إلى تشويه دوافع الحركة ومصداقيتها، «فالدافع وراء إنشاء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» كان الحرج الذى سببه ظهور حركة الجهاد الإسلامى، وتصعيد عملياتها العسكرية ضد إسرائيل، مما شكل ضغطاً على حركة الإخوان المسلمين للتحرك والصدام مع الاحتلال لتحافظ على قاعدتها الجماهيرية»[3]، وهكذا تجرد الصحيفة العبرية

---

(١) جرت مناقشة هذا الموضوع فى بحث الشبهات حول الحركة الإسلامية.

(٢) جريدة (على همشمار) العبرية، ٢٤ / ٤ / ١٩٨٩م، ص٨.

(٣) خالد عز الدين، ص٤٢ ، عن «دافار» العبرية، ٥ / ٥ / ١٩٨٩م.

أعمال حركة «حماس» من الدوافع الوطنية والإسلامية، بل وفي مواضع كثيرة تشكك في مصداقية «حماس» وتختلق الأكاذيب، فالصحفي الإسرائيلي (مخيال سيلع) يدّعي «أن الحركة قد ظهرت في شتاء ١٩٨٨م وأن رجال «حماس» بدأوا بإصدار منشورات خاصة بهم ابتداء من المنشور رقم (٤) وما بعد لكي لا يكونوا متخلفين عن المنشورات الصادرة عن القيادة الوطنية الموحدة»[١].

(ب) التبنّي المورط:

وهو اصطلاح أطلقه أحد الباحثين[٢]، للدلالة على أسلوب الإعلام الإسرائيلي أحياناً في تناوله لأخبار «حماس» بحيث يوحي للقارئ أن السلطات تحاول تكبير حجم «حماس» ودورها، فهذه صحيفة (الجروزاليم بوست) تقول: «إن الدور المركزي لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، مع الجهاد الإسلامي في الانتفاضة واضح ومعترف به منذ زمن طويل»[٣] ويندرج أيضاً تحت هذا العنوان التصريحات الكثيرة والتي مر بنا بعض منها لكبار المسئولين في الدولة العبرية عن دور الحركة الإسلامية في إشعال الانتفاضة وقيادتها. وتقول «يديعوت أحرونوت»: إن إسرائيل أخطأت في تقدير القوة الحقيقية لحركة «حماس»، فلا يوجد شك أن «حماس» هي القوة الرئيسية في قطاع غزة، وهي تحتل مركزاً قوياً في الضفة[٤]، وعند صدور ميثاق «حماس» فإن «الجروزاليم بوست» تصفه قائلة: «إنه دلالة على إحراز تقدم كبير للحركة.. وهو حصيلة العمل المشترك لقادة الحركة الذين يتمتعون بقدر عال من التعليم والثقافة»[٥].

(جـ) استعداء (م. ت. ف):

كان هذا الهدف واحداً من أهم أهداف الاحتلال في الأرض المحتلة، فهو يحاول تضخيم التناقضات داخل الصف الوطني لتنشغل التيارات السياسية ببعضها، بدلاً من أن تتوحد في مواجهة الاحتلال، وقد عملت أجهزة الأمن على تحقيق ذلك على الأرض بواسطة عملائها وبياناتها المزورة، كما عمل الإعلام الإسرائيلي في نفس الوقت على إيغار النفوس وزرع الحساسية والفرقة، فكثيراً ما كانت تشير وسائل الإعلام الصهيوني إلى أن «حماس» تهدد

---

(١) جريدة (النهار) المقدسية، عدد ٨٢٣ - ٢٨ / ٦ / ١٩٨٩م.
(٢) خالد عز الدين، ص٥٠.
(٣) جريدة (الجروزاليم بوست)، عدد ١٧٠٨٨، ٢ / ٣ / ١٩٨٩م.
(٤) خالد عز الدين، ص٥٩.
(٥) المرجع السابق، ص١٣٤.

وحدة الجمهور الفلسطيني، وتسعى إلى شق الصف الوطني وتنافس (م. ت. ف) في قيادة الشعب الفلسطيني بالإضافة إلى ما كانت تركز عليه في تناولها لبعض البيانات في الانتفاضة مثل بيان رقم (٣٤) «لحماس» والذى يهاجم المواقف الخيانية لبعض الفلسطينيين الذين يؤيدون التنازل عن أجزاء من فلسطين.

هذا بالإضافة إلى محاولات الاصطياد في الماء العكر حيث أجرى التليفزيون الإسرائيلي مقابلتين مع الشيخ أحمد ياسين محاولاً بكل الوسائل الحصول على تصريحات تساعده في توسيع الفجوة بين الحركة الإسلامية من جهة والفصائل الوطنية من جهة أخرى، لكن الشيخ دائماً بوعيه التام بأهداف الإعلام الإسرائيلي وبحرصه وقلة كلماته، كان يفشل مخططاتهم.

المبحث الثاني
الإعلام الغربي وحركة «حماس»

المرتكزات الفكرية للإعلام الغربي عن العرب والمسلمين:

يعكس الإعلام الغربي (الأوربي والأمريكي) في تناوله للقضايا العربية والإسلامية تلك الأفكار القديمة الجديدة عن الشرق، وخاصة الإسلام والعرب، والتي هي مزيج من العداء والخوف والاستعلاء، عداء موروث ضد العرب والمسلمين غذته وأوقدت ناره الحروب الصليبية، وخوف على مصالحهم الاقتصادية في المنطقة من صحوة العرب والمسلمين، واستعلاء يتأسس على نظرية الرجل الأبيض المتفوق والذى يحمل الحضارة للبدو المتخلفين.

فالصورة القاتمة التي وضعها بعض المستشرقين للعرب والمسلمين كونت أرضية فكرية للإنسان الغربي في نظرته المعادية والمتعالية للمنطقة[1] فالعرب شعب جاهل وبدائي ويؤمن بالخرافات كما أنه شعب مخادع، فولاؤه عبودية، وشجاعته عنف، ودينه خرافات، وحبه شهواني، وتقواه رياء.

وحتى الكتب المدرسية فقد قامت بتعليم الناشئة كل الأكاذيب والافتراءات على العرب والمسلمين، فالعرب مولعون بالقتال، ونشروا دينهم بالسيف، واتخذوا من الهلال رمزاً لأنه يشبه السيف، كما أنهم يقرون بالرق والعبودية واحتقار المرأة، وكتابهم القرآن كتبه محمد، أما الصورة

(١) حلمي خضر ساري، (صورة العرب في المنطقة في الصحافة البريطانية) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٨م، ص ص ٣٩-٥٨.

الثانية للعرب والمسلمين فهي صورة البدوي والجمل والصحراء، أما صورة اليهود فهي صورة الأمة الجديدة التي زرعت الصحراء وجاءت بالحضارة والديمقراطية في هذا العالم المتخلف[1].

ومن هذه القوالب الجاهزة الطافحة بالعداء والتشويه استمد الإعلام الغربي المعاصر أرضيته الفكرية، بل وساهم في تعزيز هذه الصور بما يبثه من أخبار وتعليقات وتحليلات تنسجم في النهاية مع التصور الغربي الموروث، وقد استخدم كل الوسائل الحديثة في تضخيم السلبيات وانتقاء الأحداث الملائمة من بين الكم الهائل من الأخبار.

والعرب في نظرهم متخلفون ومستبدون ومعادون للديمقراطية، وهم يعادون الغرب وحضارته يتحالفون مع العدو الشيوعي، فعبد الناصر يعادي الغرب خدمة للمصالح السوفيتية، ويعادي دولة إسرائيل لأنها تقوم على القيم الغربية من الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، والمنظمات الفلسطينية المقاتلة وما قامت به من عمليات عسكرية ضد العدوان الصهيوني إنما هي أعمال تخريبية نشأت من الحقد على الغرب وديمقراطيته ، وعلى الشعب اليهودي المتفوق الذي جعل الصحراء مزهرة وحمل الحضارة إلى هذا الركن المظلم من العالم، وأخيراً فإن هذا التيار الإسلامي الذي يتسع ويمتد منذ السبعينيات ما هو إلا محاولة للعودة إلى القرون الوسطى وهو خطر يهدد الغرب بأكمله في حضارته ومصالحه الاقتصادية والسياسية.

وبهذا نخلص إلى القول أن هذا التوافق الكبير بين المصالح الغربية والمصالح الصهيونية وتشابه الخطاب الإعلامي للطرفين، ليس سببه فقط لأن الصهيونيين يمتلكون معظم وسائل الإعلام الغربية، وإنما أيضاً لأن الغرب نفسه مهيأ ومستعد لتقبل هذه المقولات الجاهزة عن العالم العربي والإسلامي وعن الجهاد الفلسطيني، يساعد على ذلك حالة التخلف والظلم التي تسود العالم العربي.

وهكذا يقيم الإعلام الغربي الدنيا على مقتل جندي إسرائيلي وهو بكامل سلاحه، ويعتبر ذلك عملاً إرهابياً، بينما لا يقيم وزناً لقتل العشرات من المدنيين في الأرض المحتلة وجنوب لبنان في كل بضعة أسابيع.

الإعلام الغربي والحركة الإسلامية في فلسطين:

قلنا إن الإعلام الغربي في خطابه الموجه للرأي العام يستند على أحكام مسبقة ومفاهيم راسخة في الوجدان الأوربي والأمريكي عن الإسلام والمسلمين، وهو بدوره يركز عليها

(١) المرجع السابق، ص ص ٩٢-٩٣.

ويؤكدها من حين لآخر فمهاجمة بعض الإسلاميين لبعض المؤسسات العلمانية وحوانيت بيع الخمور وغيرها هى إشارة إلى همجيتهم وإرهابهم وتخلفهم الموروث وعدائهم للديمقراطية، والهجوم بالضرب على النساء المتبرجات إنما هو دليل على احتقار الإسلام للمرأة وعدم الاعتراف بحقوقها الاجتماعية والسياسية، كما أن رفض الحركات الإسلامية للسلام (المطروح)، هو تأكيد لصورة العنف والبداوة والقبائل التى يغزو بعضها بعضاً.

وحينما يحتفل الإعلام الغربى ويركز كثيراً على الشخصيات العلمانية المثقفة والمعتدلة وخصوصاً على النساء اللواتى يقمن بأدوار سياسية إنما يريد أن يؤكد على أن هؤلاء بفهمهم واستعدادهم للسلام توصلوا إلى ذلك بفعل ثقافتهم الغربية وبالتالى تجب مساندتهم لمواجهة تيار التخلف العريض، ومن أجل نشر النموذج الغربى للديمقراطية وحقوق الإنسان.

ومع أن العمل الإسلامى بدأ فى فلسطين موازياً للصحوة الإسلامية العامة منذ السبعينيات إلا أن الإعلام الغربى الذى ركز على الظاهرة الإسلامية فى كل مكان، تجاهل المد الإسلامى فى فلسطين، ولعله بذلك ينسجم مع الاستراتيجية الصهيونية والتى هى جزء أساسى ومكمل للاستراتيجية الغربية، فى محاولات إبعاد الخطر الإسلامى عن فلسطين حيث يقع المركز العاطفى والتاريخى والجغرافى للأمة الإسلامية، والذى بانفجاره يكون أكثر المراكز الإسلامية تأهيلاً لحشد قوى الإسلام كلها فى مواجهة إسرائيل والغرب معاً، ويؤكد الباحث الفرنسى، فرانسوا ليغران، صاحب الدراسات العميقة حول هذا الموضوع، أن «التيار الإسلامى فى فلسطين لم يحظ بتغطية إعلامية طيلة السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات» ويقول الكاتب: «إن الصحافة الدولية اهتمت بالمسلمين منذ خريف سنة ١٩٨٦م، بعد سلسلة من العمليات المذهلة التى وقعت ضد الإسرائيليين تحت اسم «الجهاد الإسلامى» وهكذا اكتشفت الصحافة بافتتان وذهول، وجود الإسلاميين فى المجتمع الفلسطينى»[١]. ويؤكد الكاتب فى المكان نفسه أنه ومنذ ١٩٨٠م لم تظهر إلا مقالات معدودة متفرقة أحصاها فى هامش دراسته[٢]، ولو تفحصنا هذه المقالات والدراسات لوجدنا أنها ومن عناوينها، تخدم الصورة الجاهزة فى العقل الأوربى وتعمل على استعداء الدول على الحركة الإسلامية، من التأكيد على عنفها ورفضها للثقافة الغربية وارتباطها بإيران، فمن مقال «الملتحون دخلوا المدينة» إلى «الخمينى فى غزة» إلى «فلسطين: التوسع الإسلامى» إلى «الإسلام المقاتل يتحدى إسرائيل»

---

(١) فرانسوا ليغران، مرجع سابق، ص٢.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٤١-٤٢.

إلى «صعود الإسلاميين فى غزة» وهكذا.

وعند اندلاع الانتفاضة فى نهايات عام ١٩٨٧م والتى لم يستطع أحد إنكار شعاراتها الإسلامية ودور المسجد فيها - والأهم من ذلك تلك الصورة الآسرة لشعب متحد مقاوم انتفض مطالباً بحريته مستخدماً أكثر الأسلحة بدائية - الحجر - فى مواجهة احتلال ظالم مدجج بجميع أنواع الأسلحة الغربية الحديثة، يهاجم الأطفال والنساء ويكسر العظام ويهدم البيوت، كانت هذه الصورة الملحمية لهذا الشعب تهدد بكشف زيف تلك الصور المغلوطة عن الشعب الفلسطينى الإرهابى الذى يريد القضاء على اليهود بدوافع الحقد والتخلف.

يقول ليغران أنه «وعند انطلاقة الانتفاضة وفى مرحلة أولى مالت الصحافة العالمية إلى تقدير الدور النشط للإسلاميين فيها، بل المهيمن عليها... وفى فترة ثانية عندما أظهرت (م. ت. ف) سيطرتها على الأحداث، عادت أخبار الإسلاميين إلى الاختفاء مجدداً من التحقيقات الصحفية»[١].

ويرى الباحث هنا أنه على الرغم مما شعر به بعض الإسلاميين من رضا حول هذه التغطية الإعلامية نظراً للتعتيم الشديد على أخبارهم، ولضعفهم الملحوظ فى الناحية الإعلامية، فتكفيهم هذه التغطية، مع ما فيها من دس وتشويهات، على أنها اعتراف بوجودهم الذى يعمل الكثيرون على إنكاره وتجاهله، كما أنه على الرغم من الحساسية الشديدة التى ولدها ذلك عند (م. ت. ف) الساعية دائماً إلى إثبات حصرية تمثيلها للشعب الفلسطينى، وإقناع الغرب وإسرائيل أنها هى القوة الوحيدة التى يتوجب التفاهم معها وإبرام الاتفاقات معها لا مع غيرها، ما جعل (م. ت. ف) بوسائل إعلامها وتصريحات قياداتها تتهم الإعلام الدولى بأنه وراء تضخيم الحركة الإسلامية فى فلسطين، على الأخص حركة «حماس» - أقول أنه على الرغم من ذلك كله فإن الهدف الحقيقى من وراء هذا السلوك الإعلامى الغربى فى بداية الانتفاضة إنما ينسجم فقط مع المفاهيم الغربية المتفقة مع المفاهيم الصهيونية، وتحاول أن تخدم مصالح الطرفين فى التخويف من الإسلام وخطره الذى يهدد الجميع.

فالانتفاضة الشعبية بكل ما فيها من زخم وقوة ورموز ودلالات تقترب من الأسطورة - والتى لم يكن بالاستطاعة تجاهلها - هى فضح وتكذيب لكل ما قام عليه الإعلام الغربى والصهيونى من تحريف لحقيقة الصراع على أرض فلسطين، فالفلسطينيون بانتفاضتهم يجبرون العالم على احترامهم والنظر إلى مطالبهم والتشكك بكل الصور المشوهة التى

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٢-٣.

نسجت عنهم، لهذا كان التركيز على إشعال الانتفاضة وقيادتها بواسطة الإسلاميين، مع ما يسببه ذلك من رضى نسبى لدى الإسلاميين، وغضب وسخط لدى (م. ت. ف)، كان يهدف فى حقيقته وهو الموجه فى الأساس إلى الرأى العام الغربى وصناع القرار فيه وأصحاب الأصوات فى الانتخابات، كان يهدف إلى امتصاص التعاطف العام المتوقع مع الانتفاضة ومع الشعب الفلسطينى ومطالبه، بربط الانتفاضة بالإسلام حيث يجرى التركيز وتذكير المواطن الغربى على أن الانتفاضة هى موجة عنف أخرى، كغيرها مما يحدث فى أنحاء من العالم الإسلامى، يقودها الإسلاميون المعادون للغرب وحضارته، الذين يريدون أن يهدموا كل شىء من مصالح اقتصادية وثقافية وليست انتفاضة شعب محتل قاسى أصناف العذاب تحت نير الاحتلال، ويعمل جاهداً على استعادة حقوقه فى الحرية وتقرير المصير.

وكأنها أيضاً بذلك تمهد الطريق للترحيب بالقوى العلمانية «المتنورة» التى ستحاول السيطرة على الانتفاضة أو على إعلامها، وتعمل على تشجيعها لاستثمار سياسى مقبول لهذه الانتفاضة يصل إلى مرحلة المفاوضات، كما تساهم فى التقريب بين هؤلاء الفلسطينيين المعتدلين من جهة والإسرائيليين من جهة أخرى لتحقيق التسوية التى تقطع الطريق على التيار الإسلامى المتصاعد.

المبحث الثالث
حركة «حماس» فى الإعلام العربى

الإعلام العربى الرسمى

علينا فى البداية أن نشير إلى أن الإعلام العربى يكاد يكون كله إعلاماً رسمياً، فمحطات الإذاعة والتليفزيون كلها مملوكة للدولة، وكذلك الصحف والمجلات، فهى إما مملوكة للدولة أو تعكس وجهة نظرها، اللهم إلا تلك الصحف القليلة التى تتمتع بحرية نسبية كتلك التى تصدر فى الكويت والإمارات - مع محدودية تأثيرها - وتلك التى تصدر من بيروت والتى تراجع تأثيرها كثيراً منذ بداية الحرب الأهلية فى لبنان، فالمواطن العربى عامة أسير الاحتكار الإعلامى الرسمى، والذى يمنع أيضاً دخول أية صحيفة خارجية تتعارض مع سياسته بالإضافة إلى ما يقوم به مقص الرقيب الإعلامى العربى أحياناً على الصحف المسموح بدخولها.

والإعلام العربى بالإضافة إلى ضعفه، وفقدانه للمصداقية بسبب تركيزه على مدح

الحاكم، وإهماله للمشاكل الحقيقية وعمله على تخدير الجماهير، فإنه أيضاً إعلام تابع مثله كمثل معظم أنظمة الحكم العربية، فهو يقوم بترديد ما يناسبه من وسائل الإعلام الغربية كما يعتمد على المواد الإعلامية المعلبة التى تأتيه من الغرب.

ولعل تعامل الإعلام العربى مع أحداث الانتفاضة، يعبر بصورة جلية عن الحالة التى وصلت إليها الأنظمة العربية، كما يشير بوضوح إلى موقف هذه الأنظمة من قضية الصراع مع الكيان الصهيونى، فبدلاً من تعبئة الجماهير العربية ضد الخطر الصهيونى وجرائمه تجاه الشعب العربى فى فلسطين وتجاه مقدساته الإسلامية، «وبدلاً من وضع خطة إعلامية تخاطب الرأى العام العالمى من أجل خلق رأى عام يساند القضية العربية العادلة، وإظهار الوجه القبيح لإسرائيل، والكشف عن ممارساتها الإرهابية ضد الشعب الفلسطينى»(١)، على افتراض أن هناك استراتيجية عربية لمواجهة إسرائيل ونصرة شعب فلسطين، فإن الإعلام العربى قد تعامل بحذر شديد مع الانتفاضة، فالدول العربية بعضها متصالح مع إسرائيل، وبعضها الآخر فى طريق الصلح، وأكثرها يتعامل مع الصحوة الإسلامية بحذر وخوف، أو متابعة وملاحقة وصدام، يضاف إلى ذلك أن معظم الدول العربية خشيت أن تنتقل عدوى الانتفاضة إلى شعوبها المقهورة، فتتحرك وتنتفض مطالبة بالتغيير وبالحياة الكريمة والعدالة وحرية الرأى الغائبة، كما فعلت الانتفاضة الشعبية الجزائرية فى أكتوبر ١٩٨٨م، والتى واجهها الجيش بالدبابات وأسفرت عن مئات القتلى فى يوم واحد، ولذلك لوحظت التغطية الضعيفة والمجتزأة لأحداث انتفاضة فلسطين فى الإعلام الرسمى العربى، أما بخصوص الطابع الإسلامى للانتفاضة ودور الحركة الإسلامية وخاصة دور حركة الجهاد الإسلامى فى التهيئة للانتفاضة والمشاركة فيها ودور حركة «حماس» فى تقويتها وانتشارها، فقد حاولت وسائل الإعلام العربية أن تخفيه بالكامل.

ولم تظهر أخبار الانتفاضة بصورة جيدة إلا فى إذاعة «القدس» التى تتوجه من سوريا إلى الأرض المحتلة بإشراف «الجبهة الشعبية - القيادة العامة»، وظهرت بصورة معقولة فى الصحف الأهلية التى تصدر فى الكويت والإمارات ولبنان وبعد ذلك فى الأردن، وكذلك أخبار حركة «حماس» والتى كانت غالباً ما تنقل عن وكالات الأنباء الغربية وتترجم عن الصحافة العالمية بما فى ذلك من دس وتشويه وقلب للحقائق واجتزاء لها فى أحيان كثيرة.

---

(١) محمد سعد أبو عامود، (الإعلام العربى والسياسة الخارجية العربية)، مجلة (المستقبل)، عدد ١٨٢، ٤ / ١٩٩٤م، ص٩٠.

وبعد انقضاء عدة شهور على الانتفاضة وشعور الكثير من الأنظمة بالأمان النسبي في عدم انتشار عدوى الانتفاضة، ومحاولة حصارها الكثيف بالمبادرات السلمية بالإضافة إلى نجاح (م. ت. ف) والقيادة الوطنية الموحدة في محاولة السيطرة على الانتفاضة وتوجيهها في المسارات التي تخدم تحرك المنظمة السياسي بما يتفق مع استراتيجية الأنظمة العربية المتجهة إلى إغلاق ملف الصراع مع إسرائيل، بدأت التغطية الإعلامية للانتفاضة وفعالياتها ومطالب (م. ت. ف) السياسية تأخذ حيزاً أكبر من ذى قبل، وسارعت الدول العربية ووسائل إعلامها ماعدا سوريا إلى الترحيب بالقرارات السياسية وإعلان دولة فلسطين وتصوير الموقف للمواطن العربي بأن الشعب الفلسطيني في طريقه لنيل حقوقه.

وعلى الرغم من أن بعض الإعلاميين الغربيين قاموا بتغطية جيدة للممارسات الإسرائيلية غير الإنسانية في الأراضي العربية المحتلة، إما بسبب تقاليد الإعلام الغربي وتنافسه على تحقيق السبق الإعلامي للأحداث الساخنة أو بسبب ذكائه ومحاولة إظهار مصادقيته لجذب القراء والمستمعين والمشاهدين إلا أنه من الطريف أن هؤلاء الإعلاميين الغربيين، لم يلقوا الاهتمام المناسب من جانب العرب لتشجيعهم على الاستمرار، فكان بعض ما يقدمونه يتعرض لمقص الرقيب الإعلامي العربي، تجنباً لإثارة مشاعر السخط لدى أبناء الأمة العربية[1]، ويضيف الكاتب في ملاحظة ذكية «أن الإعلام العربي اقتصر على نقل صور ضحايا الاحتلال الإسرائيلي، وصورة الإنسان العربي الفلسطيني الذى يواجه آلة الحرب الإسرائيلية الضخمة بالحجارة، الأمر الذى خلق شعوراً بالضعف والمهانة لدى الإنسان العربي وإحساسه بعدم القدرة على المواجهة مع العدو الصهيوني، بعبارة أخرى : وظف الإعلام العربي الرسمي أحداث الانتفاضة بما يخدم الأسلوب العربي في التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي»[2].

وبالنسبة للحركة الإسلامية في فلسطين فإن تعامل الإعلام العربي كان أكثر حذراً، «فالتليفزيون الأردني والإذاعة الأردنية وهما من الوسائل الإعلامية التي يشاهدها ويسمعها الفلسطينيون في الأرض المحتلة بوضوح، لم يذكر اسم «حماس» ولو لمرة واحدة فقط طوال سنتين من عمر الانتفاضة، وكانت المرة الأولى التي ذكر فيها اسم «حماس» هي عندما قدم الشيخ أحمد ياسين للمحاكمة بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٨٩م، حيث أشار التليفزيون الأردني

(١) المرجع السابق، ص٩١.
(٢) المرجع السابق.

للخبر نفسه بشكل سريع ومختصر»[1]، وفي مصر «صدرت تعليمات مشددة إلى جميع الصحف الحكومية المصرية - يومية وأسبوعية - بعدم الإشارة إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الأخبار والتحليلات الخاصة بانتفاضة الشعب الفلسطيني، ومن الغريب أن هذه الصحف تشير إلى جميع الأحداث التي تصنعها «حماس» والإضرابات التي تدعو إليها وتنسبها إلى القيادة الموحدة»[2].

ولما صدر ميثاق حركة «حماس» وأثار ضجة كبيرة في الإعلامين الصهيوني والدولي، فإن الإعلام العربي تجاهل ذلك كلية، اللهم إلا مجلة «الأسبوع العربي»، اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٨٨م، وجريدة «الوطن» الكويتية الصادرة يوم ٢٧ / ٩ / ١٩٨٨م، بغض النظر عن طريقة التناول.

ويبدو موقف الإعلام العربي واضحاً في قضية شيخ الانتفاضة ومرشدها - الشيخ أحمد ياسين - ذلك الرجل الذي كان له الدور الأكبر في قوة الانتفاضة واندفاعها وهو المشلول الجسد بصورة كلية تقريباً، فلم يعره الإعلام العربي أدنى اهتمام لا في دوره ولا اعتقاله ولا تعذيبه ولا محاكمته، فلو لم يكن الرجل إسلامياً، لكان من السهل جعله بطلاً قومياً ولأصبحت قضيته تطرق جميع الأسماع، ولم يكن هذا التجاهل قاصراً على وسائل الإعلام فقط، بل تعداه إلى جميع المؤسسات الرسمية، وللأسف، الشعبية أيضاً التي تسيطر عليها في العادة القوى التقدمية واليسارية والقومية في الوطن العربي، فلم يطرح قضية الشيخ أحمد ياسين السياسيون أو المنظمات النقابية والقانونية أو المحامون ولا حتى مؤسسة الأزهر الشريف.

صحافة الأرض المحتلة:

لقد سمحت السلطات الإسرائيلة ومنذ بداية الاحتلال بإصدار بعض الصحف العربية في القدس المحتلة والتي يتم توزيعها في الضفة الغربية وقطاع غزة، محاولة بذلك إعطاء إسرائيل صفة الاحتلال المتحضر والذي يسمح بحرية التعبير، «حيث صدرت صحيفة (القدس) بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٩٦٨م ثم (الفجر) في ١١ / ٤ / ١٩٧٢م فـ(الشعب) في ٢٠ / ٧ / ١٩٧٢م، و(الطليعة) في ٢٩ / ١ / ١٩٧٧م، وهي تنطق باسم الحزب الشيوعي الفلسطيني[1] كما

---

(١) خالد عز الدين، ص٢٤.

(٢) مجلة (لواء الإسلام)، المصرية ٧ / ٢ / ١٩٧٩م.

صدرت مجلات وصحف أخرى وآخرها (النهار) التي توصف بأنها تعبر عن وجهة نظر الأردن. وعموماً فإن أكثر هذه الصحف تعبر عن (م. ت. ف) وحركة فتح على وجه الخصوص، ولم توجد صحيفة واحدة إطلاقاً تعبر عن وجهة نظر الحركة الإسلامية.

المبحث الرابع
إعلام حركة «حماس»

اتصف إعلام حركة «حماس» في داخل الأرض المحتلة وخارجها على السواء - بالإضافة إلى محدوديته - بالضعف والبساطة كماً وكيفاً، كما اتصف بقلة تأثيره خاصة خارج أوساط الحركة ومؤيديها، فلم يكن للحركة جريدة أو مجلة تنطق باسمها في الداخل والخارج، اللهم إلا مجلة «فلسطين المسلمة» التي تصدر من لندن، والتي تطورت بالتدريج من مجلة طلابية ضعيفة المستوى التقني والفكري، ركيكة اللغة والأسلوب، بسيطة المحتوى، تتجه في العادة إلى الأنصار والمؤيدين إلى مجلة تعبر عن الحركة بصورة غير رسمية، وترتقي عن ذي قبل في بعض الأمور في الشكل والمحتوى.

ولم يتح لحركة «حماس» أن يكون معها نظام حكم في الخارج يتبنى أخبارها ونشاطها ويبث إعلامه أفكارها، وسط ذلك الكم الهائل من الإصدارات الإعلامية والتغطية الصحفية المحلية والعالمية، المعادية للحركة.. وقد قام الإعلام الدولي بتغطية جزئية لأخبار الحركة كلما كانت تفرض حضورها على الساحة السياسية والعسكرية، وكانت النتيجة الوحيدة لذلك هي إظهار قوة الحركة ونفوذها داخل الأرض المحتلة، دون أن يتعدى ذلك إلى التعريف بأفكارها وأهدافها، وإن كان قد حدث ذلك أحياناً فإنه يميل إلى التشويه والدس.

أما على الصعيد الذاتي للحركة الإسلامية في الداخل والخارج، فلم تتمتع الحركة بخبرة إعلامية مناسبة، فقد وجدت نفسها مضطرة وبسرعة للتعامل مع قضايا سياسية وجماهيرية، كانت بعيدة عنها سنوات طويلة، ويصدق هذا أكثر على الحركة في الخارج، لأن الإخوان في الداخل وفي العقد الذي سبق الانتفاضة كانت لهم تجاربهم الشعبية والسياسية، وكان احتكاكهم بالتيارات الأخرى يضيف إلى تجربتهم، أما الإخوان في الخارج، فلم يخرجوا من

---

(١) علي الخليلي، (الانتفاضة والصحافة المحلية)، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية، ١٩٨٩م، ص ص ٣٧-٣٨.

عزلتهم إلى العمل العلني والسياسي والجماهيري، اللهم إلا تجارب محدودة في الروابط الطلابية، فالذين أفرزوا للعمل الإعلامي كغيرهم ممن أفرزوا لغيره من الأعمال، كانت تجربتهم الماضية مكرسة للعمل التنظيمي الداخلي، والبرامج التربوية أو أنشطة المساجد وغيرها، ولم تستطع الحركة في الداخل أن تستفيد كما يجب من بعض الخبرات بسبب الظروف الأمنية الصعبة والاعتقالات المتكررة وعدم السماح بأي عمل إعلامي علني للحركة.

أما في الخارج فلم تستطع الحركة أيضاً الاستفادة من بعض الخبرات الإعلامية والسياسية أو غيرها هنا وهناك، لأسباب مختلفة، منها عدم وضوح التصور المستقبلي لدى قيادة الحركة، ومنها أن قيادات الحركة في الخارج عملت على احتكار كل خيوط العمل بين يديها، لدرجة أن كل واحد كان يحمل من الأعباء مالا يستطيعه عشرة أفراد، فلا هو بالقادر على إنجازها ولا هو بتارك بعضها لغيره، ولما كثرت الأعباء بصورة مستحيلة، اضطرت القيادات لإعطاء بعض أدوارها لآخرين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة من الولاء والطاعة والضعف بحيث لا يكونون قادرين على منافسة القيادة التي وجدت نفسها تدير عملاً أكبر منها في كل المستويات، فهي لم تعش مقدماته ولا أحداثه، يضاف إلى ذلك أن العمل الإعلامي كالعمل السياسي لا تدور عجلته إلا بشخصيات علنية معروفة، بينما كانت قيادات الخارج جميعها وحتى نهاية السنة الثالثة من الانتفاضة – أو بالتحديد أزمة الكويت – تحرص كل الحرص على عدم الظهور.

ولربما تكون أبرز سمات الإعلام الإخواني عامة أنه يتجه عادة إلى الأعضاء والمؤيدين، ولا يحسن إلا خطاباً واحداً يرضيه ويرضى أنصاره، ولعل ذلك بسبب العزلة التي عاشتها الحركة – وخاصة في الخارج – مما ولد عندها نفسية «الغيتو» والشعور بأن جميع الأطراف ضدها، فهي إذن يائسة من إقناع الآخرين لأنهم «معادون للإسلام؟» أو «كفار» أو «مرتبطون بالأجهزة الأجنبية والماسونية العالمية»... فلماذا توجه الخطاب لهم؟! كما أن شعوراً آخر يطبع سلوك الحركة، وهو شعور الاستعلاء – بالإيمان – على الآخرين، واحتكار الصواب، وبالتالي عدم أهمية الأطراف الأخرى، فلماذا أيضاً يوجه الخطاب إليهم؟!، يضاف إلى ذلك جهل الحركة وقياداتها – وخاصة في الخارج – بحقيقة أفكار الآخرين وبرامجهم وتاريخهم وتجاربهم، فكيف إذن يمكن أن يوجه الخطاب إليهم؟!

والغريب أن الحركة وهي تشكو من ظلم الآخرين والتعتيم عليها وإغفال دورها فإنها، هي أيضاً تمارس الدور نفسه مع الآخرين حيث تغفل دورهم ونضالهم وتضحياتهم، ولئن كان

ذلك السلوك يمكن للبعض تبريره فيما يخص الحركة الوطنية العلمانية، لكنه لا يمكن تبريره بخصوص الحركة الوطنية الإسلامية.

إعلام «حماس» داخل الأرض المحتلة:

وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يقال عن ضعف ذاتي في الإعلام، وصعوبة الظروف التي عاشتها الحركة في الداخل، فإنها بذلت جهداً كبيراً في محاولة التعريف بها وبأهدافها وفي استقطاب الجماهير لبرنامجها، واستخدمت كل ما يمكن استخدامه من توزيع البيانات الدورية، إلى بيانات أخرى لمناسبات أو قضايا طارئة، كما كان توزيع «الميثاق» في الداخل نجاحاً إعلامياً آخر للتعريف بالحركة ومنطلقاتها، وكانت الحركة أول من استخدم النشرات السرية، في الانتفاضة، كما استخدمت كغيرها أسلوب الشعارات التي تكتب على الجدران. أما المسجد فقد كان أهم منبر إعلامي استخدمته الحركة بنجاح على مستوى تعبئة الجماهير وتوضيح مواقف الحركة، يضاف إلى ذلك المقابلات الصحيفة التي أجريت مع الشيخ أحمد ياسين وغيره من رموز الحركة.

البيانات:

وزعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بيانات الانتفاضة الدورية، إلى جانب بيانات أخرى بسبب مناسبات أو لتوجيه نداءات إلى القادة العرب أو المجلس الوطني الفلسطيني أو غير ذلك، وقد أخذت البيانات الدورية وقتاً حتى استقر وضعها في الشكل والترقيم والتاريخ والتوقيع وربما كان مرد ذلك لأن الحركة كجميع الفصائل الأخرى - لم تكن تتوقع لهذه الانتفاضة أن تستمر لسنوات وأن تبلغ ما بلغته من القوة والتأثير، يضاف إلى ذلك قلة الخبرة السياسية بالمقارنة مع غيرها من الفصائل، وإهمال الإخوان المسلمين لموضوع التوثيق، فأكثر بيانات الحركة التي صدرت قبل الانتفاضة كانت بدون تاريخ، حتى أن مجلة (فلسطين المسلمة) ظلت تنشر بيانات حركة «حماس» مكتفية بذكر رقم البيان ولم تنتبه لكتابة تاريخ البيان إلا في النصف الثاني من العام ١٩٩٤م.

بالنسبة لتاريخ البيانات، لم يظهر التاريخ في نهاية البيانات محدداً باليوم والشهر إلا ابتداء من البيان الثامن بتاريخ ٢٣ / ٢ / ١٩٨٨م، وكانت البيانات الأول والثاني والرابع قد وزعت دون كتابة التاريخ مطلقاً، أما الثالث والخامس والسابع فقد ظهر الشهر والسنة فقط كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨م، وشباط (فبراير) ١٩٨٨م، وحده البيان السادس الذي حمل

تاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٨م[١]، أما من ناحية الترقيم فقد خلت البيانات العشرون الأولى من الترقيم، وبدأت الأرقام المتسلسلة تظهر ابتداء من البيان رقم (٢١) بتارخ ٢٧ / ٥ / ١٩٨٨م، أما من حيث التوقيع فقد ظهر في البيانين الأول والثاني اسم «حركة المقاومة الإسلامية»، وأضيفت كلمة فلسطين منذ البيان الثالث، كما أضيفت (ح . م . س) في البيانين الرابع والسادس واستقر التوقيع منذ البيان السابع في شباط (فبراير) ١٩٨٨م ليكون: حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، فلسطين.

«أما شكل البيان فقد استقر ابتداء من رقم (٢٦)، على شكل مميز، يبدأ بالبسملة وآية (هذا بلاغ للناس ولينذروا به)، ورقم البيان على يمين رأس الصفحة مستطيل يبرز منه سهم أسود في اتجاه اليسار»[٢].

وبالنسبة لمعدل توزيع البيانات الدورية وغير الدورية على الأيام فإنها تظهر في الجدول التالي[٣]:

	عدد البيانات الدورية	معدلها	عدد البيانات الأخرى	معدلها	مجموع البيانات	معدلها
السنة الأولى	٣٢	بيان كل: ٤ر١١ يوم	٥	بيان كل: ٧٣ يوم	٣٧	٨ر٩ يوم
السنة الثانية	١٧	٤ر٢١ يوم	١٣	٢٨ يوم	٣٠	١٢ يوم
السنة الثالثة	١٧	٤ر٢١ يوم	٤٣	٤ر٨ يوم	٦٠	٦ يوم
المجموع	٦٦	٥ر١٦ يوم	٦١	١٨ يوم	١٢٧	٦ر٨ يوم

ولقد كان صدور البيانات وتوزيعها بصورة مستمرة رغم كل الاعتقالات، دليلاً على قوة الحركة وحضورها المستمر وقد لاحظ أحد الكتاب «أن متابعة بيانات حماس تظهر تقدماً بيناً على لغة الخطاب الإخواني»[٤].

---

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، مرجع سابق.
(٢) صالح عبدالجواد، دراسة المصادر الأولية المكتوبة للانتفاضة، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، (بيروت)، عدد (٤) خريف ١٩٩٠م، ص١٦١.
(٣) البيانات مستمدة من (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، الأجزاء ١، ٢، ٣.
(٤) صالح عوض، مرجع سابق، ص٤٢.

كما لاحظ أحد أساتذة جامعة بيرزيت «أن بيانات حركة حماس تتميز عن بيانات (ق. و. م) بأنها صادرة عن قيادة مركزية لأغراض التوزيع على الصعيد الوطني العام، فيما عدا بعض البيانات المحدودة جداً والتي وزعت على صعيد محلي، الأمر الذي يسهل على الباحث مهمته» ويستطرد قائلاً : «إن هذه البيانات المركزية ساهمت في جعل وظيفة البيانات الإسرائيلية التي تنتحل اسم الحركة أكثر صعوبة»(١).

استطاعت البيانات أن تسد ثغرة كبيرة في الإعلام وخاصة في ساحة الأرض المحتلة، ولهذا لم تكتف البيانات بإدارة الانتفاضة وتحديد أيام الإضرابات والمواجهات، وتوجيه الجماهير وتحذيرها من مخططات العدو، بل قامت بتعبئة الجماهير وتشجيعها وشحنها بالمعاني الإسلامية، وفوق ذلك كله كانت توضح دائماً موقف الحركة من الصراع، ذلك الموقف المبنى على التصور الإسلامي الشامل، ومكانة فلسطين كاملة من البحر إلى النهر عند المسلمين جميعاً، وعليه فقد حددت مواقفها السياسية في رفض المشاريع المطروحة والاعتراف بالدولة الصهيونية.

الميثـــاق :

وزع الميثاق حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بصورة سرية داخل الأرض المحتلة، في ١٨ آب (أغسطس) ١٩٨٨م، وأرسلت منه نسخ إلى وكالات الأنباء العالمية في القدس، وقد كان بمثابة تصعيد لقوة حماس وبرنامجها في مواجهة الاحتلال، كما كان دافعاً أساسياً في تصعيد الحملة المضادة لحركة حماس، والتي أكدت بميثاقها أنها مصممة على مواصلة الطريق كما أكدت التناقضات الجذرية مع الدولة العبرية ومع الأفكار العلمانية العربية، وكان من الطبيعي أن يثير ذلك (م. ت. ف) والتي تقوم على أساس «الميثاق الوطني الفلسطيني»، وكأن ميثاق حركة «حماس» جاء لينسخ الميثاق الوطني ويكون بديلاً عنه.

وجاء الميثاق في ست وثلاثين مادة، موزعة على خمسة أبواب: تُعرِّف بالحركة ومنطلقاتها الفكرية وصلتها بجماعة الإخوان المسلمين، كما تُعرِّف بأهدافها ووسائلها وموقفها الداعي إلى تحرير كل فلسطين والرافض لكل الحلول والمؤتمرات الدولية المطروحة كما تبين موقفها من (م. ت. ف) والحكومات العربية والحركات الإسلامية وأهل الديانات الأخرى، كما تتحدث عن دور المرأة والفن الإسلامي. وقد استعان الميثاق في كل مواده بالاستشهاد بالآيات القرآنية التي تؤكد على المعاني الواردة فيه، كما أنه استشهد أحياناً بأبيات من الشعر.

---

(١) صالح عبدالجواد، مرجع سابق، ص١٦١.

جاء الميثاق ليرد على تساولات كثيرة عن مواقف «حماس» ورؤيتها، وقد استقبل برد فعل كبير في الإعلام الإسرائيلي والإعلام الدولي باعتبار أنه تطور كبير في مسيرة الحركة، يقول الدكتور رافي يسرائيل، المحاضر في الجامعة العبرية والخبير بشئون الشرق الأوسط: «إنه ميثاق ديني، صدر عن شيوخ وأئمة يقودون «حماس» حسب مبادئ الدين، وهو ليس كالميثاق الوطني قابل للتعديل، ففي كل فقرة توجد آية قرآنية تؤكد ما فيه.. وكأن كل شيء قد نزل من السماء»[1].

لقد تحفظت قيادات الحركة في الخارج في بادئ الأمر على أسلوب صياغة الميثاق، ولغته البيانية وافتقاره إلى اللغة القانونية المناسبة، وقد وصفه أحد أعضاء المجلس المركزي الفلسطيني بأنه «ليس سوى موعظة حسنة... لم أجد فيه برنامجاً للعمل يمكن المحاسبة بموجبه»[2]، وهناك كاتب شيوعي لم ير في الميثاق إيجابية واحدة، بل حاول أن يخرج باستنتاجات بعيدة، وصف الميثاق بأنه «جاء في لغة الدراويش، البعيدة، كل البعد عن اللغة السياسية»[3].

عموماً وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يقال، كان الميثاق عند إصداره، ضرورة إعلامية، بجانب ضرورته السياسية والفكرية وساهم في فك طوق العزلة والتعتيم حول الحركة.

النشرات:

وفي محاولة من الحركة لتعويض عدم وجود إعلام لها مقابل الإذاعات والصحف، ولعدم إمكانية البيانات في نشر كل ما تريده الحركة، فقد بدأت في الداخل في إصدار نشرات سرية يتم توزيعها على الأعضاء والمناصرين، وتعليقها في المساجد. وقد كانت نشرة «حماس» هي أول النشرات السرية في الانتفاضة حيث بدأت في الظهور من آذار (مارس) ١٩٨٨م أي بعد أربعة أشهر من الانتفاضة، ثم لحقتها بعد ذلك نشرات الفصائل والتنظيمات الأخرى[4].

وقد أصدرت الحركة في الداخل عدة نشرات سرية عن المكتب الإعلامي والأجهزة الأخرى، مثل: «أنصار حماس» و«الحصاد» و«الثبات» و«صوت الطلبة» و«السواعد الرامية» و«صوت الأقصى» وغيرها مما لم نستطع الاطلاع عليه[5].

---

(١) مجلة (البيادر السياسي) (القدس)، ٧/١٠/١٩٨٩م، عدد ٣٦٨، ص٤٤.
(٢) صالح البرغوثي، (جريدة العرب)، ١٤/١/١٩٩٠م.
(٣) عبدالقادر ياسين، (حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)، ص٥٧.
(٤) صالح عبدالجواد، ص١٦٩.
(٥) أرشيف الحركة.

وكانت هذه النشرات في مجموعها تورد تحليلاً سياسياً للأحداث، وتكتب عن قصص الشهداء وبطولات عناصر الحركة بالإضافة إلى القصائد الشعرية والمقالات الإيمانية التي تعظم الشهادة والشهداء والصبر والجهاد والتعاون، كما وزعت الحركة أحياناً نشرات خاصة كتلك التي تقدم النصائح للشباب في طريقة تصرفهم عند الاعتقال، وتكشف أساليب التحقيق في السجون.

الشعارات:

الكتابة على الجدران وسيلة مشهورة في التعبير عن الموقف السياسي استخدمتها شعوب كثيرة، كما استخدمتها التنظيمات الوطنية الفلسطينية طيلة العشرين سنة من الاحتلال التي سبقت اندلاع الانتفاضة، فكانت الشعارات الوطنية تظهر بين حين وآخر على الجدران تندد بالاحتلال وسياسته أو تعلن تأييدها لمنظمة التحرير وقيادتها.

أما في مرحلة الانتفاضة فقد «أصبحت الجدران في المدن والقرى والمخيمات لوحة وطنية تزدحم بالشعارات المتنوعة والتي تتعايش في ديمقراطية واضحة على اختلاف توجهاتها في مساحة واحدة»[1]، وقد انضمت حركة «حماس» إلى القوى الوطنية الأخرى في استخدام هذه الوسيلة التي أثبتت فاعليتها في التوجيه السريع للجماهير أو الإعلان عن مطلب أو تبني عملية عسكرية حيث إن توزيع البيان يحتاج إلى مجهود كبير واحتياطات أمنية أكبر.

ولم تكن كتابة الشعارات عملية سهلة، فقد عمل جنود الاحتلال على ملاحقة كتبة الشعارات وكثير من شهداء الانتفاضة سقطوا وهم يكتبون الشعارات على الجدران، كما أصبحت عملية إزالة الشعارات إحدى المهمات الرئيسية للدوريات الإسرائيلية التي تجبر السكان على عمل ذلك، وقد أصدرت أمراً عسكرياً يعاقب بالسجن خمس سنوات أو بغرامة مالية أو بالاثنين معاً، كل من يرفض الانصياع لأوامر الجنود بمسح الشعارات»[2].

أما عن شعارات حركة «حماس» فتقول مجلة اليوم السابع «ومن ناحية لغوية تبدو شعارات حماس، القصيرة والمركزة والتي تخاطب عواطف الناس ومن خلال استخدام السجع، الأكثر نجاعة وهي تكتب بشكل من السهل تذكرها وترديدها»[3].

---

(١) صالح عطا، (عندما تتكلم الجدران، الانتفاضة ومعركة الشعار السياسي) مجلة (اليوم السابع)، ٥/ ٦/ ١٩٨٩م، ص ص ١٠-١٣.

(٢) صالح عبدالجواد، ص١٦٤.

(٣) صالح عطار، مرجع سابق.

- «حماس وفية، للأرض والقضية» .
- نعم للحجر، لا للمؤتمر» .
- «أرضنا إسلامية، هذه هي الهوية» .
- «خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد بدأ يعود» .
- «٤٨ + ٦٧ = أرض فلسطين» .
- «٤٨ + ضفة وقطاع = أرض لن تباع».

وهكذا نلاحظ شعارات «حماس» وتأكيدها الدائم على ثوابتها الإسلامية.

المسجد:

كان المسجد دائماً عرين الحركة الإسلامية وبيتها، وكان منبرها الإعلامي الدائم قبل اندلاع الانتفاضة وبعدها، بما فيه من خطب الجمعة ودروس المسجد وجرائد الحائط، والمهرجانات الدينية التي تقام في المناسبات، ولم يكن من الممكن للاتجاهات الوطنية العلمانية، وأكثرها يسارية، أن تنافس الحركة على المساجد، حيث كان نفوذ الحركة يمتد إلى أكثر المساجد في الضفة الغربية وقطاع غزة، اللهم إلا بعض المساجد التي يسيطر عليها إسلاميون آخرون كالتيار السلفي أو جماعة التبليغ والدعوة أو حركة الجهاد الإسلامي في بعض المساجد في القطاع.

ولم تسلم المساجد من متابعة أجهزة أمن الاحتلال، فقد ظهر فيها ومنذ مرحلة ما قبل الانتفاضة العملاء والمخبرون الذين بدأوا يطلقون لحاهم ويتابعون أنشطة المساجد، كما قامت السلطات المحتلة باستدعاء الكثير من الخطباء قبل الانتفاضة وبعدها والتحقيق معهم واعتقال بعضهم وفرض الإقامة الجبرية على البعض الآخر، ومع ذلك كله ظل المسجد أهم المنابر الإعلامية للحركة الإسلامية في الداخل.

المقابلات الصحفية:

كان للمقابلات الصحفية التي أجرتها كثير من الصحف العالمية والعبرية والعربية والمحلية مع الشيخ أحمد ياسين، أثر كبير في توضيح موقف الحركة في كثير من القضايا المطروحة، ومع محاولات الصحف وخاصة العبرية منها، ومحاولات التليفزيون الإسرائيلي في استفزاز الشيخ، وتطويقه بالأسئلة لغرض واضح وهو تمزيق الصف الفلسطيني وتشويه موقفه، ولدفع الشيخ للهجوم على الأطراف الأخرى، ومع كل ما قامت به هذه الوسائل من تحريف وحذف واجتزاء، إلا أن موقف الشيخ ياسين ظل واضحاً لا غبار عليه، وذلك بسبب حرصه الشديد

وإدراكه لمرامي وسائل الإعلام وإجاباته المحدودة والمختصرة والمحسوبة.

وقد أكد الشيخ ياسين في معظم مقابلاته على إسلامية القضية الفلسطينية، ورفضه الاعتراف بالدولة اليهودية وبقرارات الأمم المتحدة وبالمؤتمر الدولي، وبالانتخابات في ظل الاحتلال، كما أكد على الوحدة الوطنية وأن المعركة هي مع اليهود، وأنه يحترم رأي غالبية الشعب الفلسطيني التي يعبر عنها في انتخابات حرة ونزيهة بعد زوال الاحتلال، كما أنه يتحفظ على علمانية (م. ت. ف) وتنازلاتها.

ففي تلك المقابلة المشهورة مع التليفزيون الإسرائيلي[1]:

سؤال: هل الجهاد الإسلامي وحماس هما نفس الشيء أم مختلفان؟

جواب: طبعاً لا، فهناك في الشارع منشورات لحماس ومنشورات أخرى للجهاد الإسلامي.

سؤال: من هي القوى المسيطرة في القطاع: الجهات الوطنية أو الجهات الإسلامية؟

جواب: لا تستطيع أن تقول من المسيطر، الكل موجود على الساحة، هذه الجهات جميعاً ليست في مجال صراع، حتى نعرف من المسيطر.

سؤال: يقال إنه كان هناك تنسيق في بداية الانتفاضة بين التيارات الوطنية والتيارات الإسلامية، هل حسب رأيك لازال التنسيق مستمراً؟

جواب: ليس عندي علم.

سؤال: هل هناك خلافات بين التيارات الوطنية في القطاع؟

جواب: لم أشعر أن هناك خلافات.

يتضح لنا من هذا الجزء المحاولات الحثيثة لأخذ تصريحات ضد حركة الجهاد الإسلامي والفصائل الوطنية، لكن الشيخ يرد بإجابات محسوبة لا تحقق للمقابلة أغراضها، كما يلاحظ أن الشيخ يتكلم كشخصية وطنية إسلامية، لا يريد أن يعطي دليلاً على ارتباطه التنظيمي بحركة «حماس». وفي جزء آخر من المقابلة نلاحظ إصرار المقدم على توريط الشيخ ياسين إما بقبول المفاوضات مع إسرائيل أو بتأكيد مقولة إن الإسلاميين متشددون ولا يقبلون بشيء.

سؤال: ما رأيك بالتفاوض مع (إسرائيل)؟

جواب: أصلاً (إسرائيل) لم تعلن موقفها بالنسبة للشعب الفلسطيني، ولم تعلن ماذا تريد أن تعطي الشعب الفلسطيني، الفلسطيني فقد كل شيء، ويتكلم الآن عن أشياء ليست

---

(١) مجلة (المجتمع) الكويتية، عدد ٨٨٤، ٢٧/ ٩/ ١٩٨٨م، ص٣١.

في يده، الأجدر أن تتكلم الآن (إسرائيل)، لا يتكلم الفلسطينيون الآن.

سؤال: يعني لازم إسرائيل تتكلم.

جواب: أن تعلن عن موقفها وعن حقوقنا، أما أن يتكلم الفلسطيني وإسرائيل لم تعلن عن موقفها فهذا خطأ كبير جداً.

سؤال: إذا تحدثت إسرائيل عن حقوق الفلسطينيين، فهل حسب رأيك يوجد مجال للحوار مع إسرائيل؟

جواب: لكل حادث حديث.

سؤال: من الناحية المبدئية.. هل الجهات الإسلامية مستعدة للتفاوض مع إسرائيل إذا وافقت على حقوق الشعب الفلسطيني.

جواب: لتعلن هي أولاً، وبعد ذلك يكون الحديث في هذه المواضيع.

ومن هنا تظهر الحنكة السياسية عند الشيخ ياسين الذى رد هجوم مقدم البرنامج الذى أراد أن يصف الحركة الإسلامية بالجمود والسلبية ورفض كل شيء، بهجوم واضح وصريح وعادل، ما هي الحقوق الفلسطينية التي تعترف بها دولة الاحتلال أولاً؟

وفي مقابلة مع جريدة (يديعوت أحرونوت) الصادرة بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٨م، ورداً على سؤال حول إعلان الاستقلال وإقامة حكومة في المنفى يرى الشيخ أنه، لا جدوى من اتخاذ خطوات كهذه ما لم تحرر أي جزء من فلسطين، وينبغي على إسرائيل أن تعيد الحقوق المسلوبة للشعب الفلسطيني وبعدها يمكن التحدث معها، أما عن الحكم الذاتي فيقول: إنه أمر سلبي، فالحكم الذاتي يعني أن اليهود سيحصلون على كل شيء، فيما لا يحصل الفلسطينيون على شيء. وفي رده على سؤال آخر هل يؤيد الجهاد «كوسيلة»؟ قال: ما هو الخيار الآخر المطروح أمام الذين لا يستطيعون استعادة حقوقهم بطرق سلمية ووسائل غير عنيفة؟ ![1].

وفي رده على أسئلة جريدة «البشير» التي تصدر من شيكاغو «والإصلاح» الصادرة في الإمارات، بواسطة التليفون في ١١ / ٢ / ١٩٨٨م، يوضح الشيخ الكثير من الشبهات والتحريفات، وقد أوضح أنه لا يقابل أية شخصية إسرائيلية، وإنما يستدعى لمقر الحكم العسكري كأي مواطن تحت الاحتلال، وعن رأيه في الكونفدرالية مع الأردن. أجاب الإسلام يدعو إلى الوحدة، ونحن لا نرفض أي وحدة، لكن على أساس سليم وأساس صحيح وأساس

---

(١) مجلة (البيادر السياسي)، ١ / ١٠ / ١٩٨٨م، عدد ٣١٩، ص٤٧، نقلاً عن (يديعوت أحرونوت) ١٦ / ٩ / ١٩٨٨م.

متكافئ[1]. عموماً قام الشيخ أحمد ياسين بدور إعلامي كبير في محاولة لتعويض النقص في الإعلام الإسلامي وسوف نعود إلى مقابلات الشيخ في الفصل القادم عند تناول المواقف السياسية للحركة.

إعلام «حماس» خارج الأرض المحتلة:

نشط الإخوان المسلمون في الخارج، وخاصة «الجهاز العام لفلسطين» في دعم ومساندة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وقد استطاع الجهاز بفروعه ومندوبيه المتواجدين في معظم الساحات نشر بيانات الحركة وتوزيعها على الإخوان والأنصار، كما نشط الجهاز أيضاً بالتعاون مع المؤسسات والروابط الإسلامية في تنظيم المهرجانات الخطابية في العديد من الأمكنة والتي تتبنى وجهة نظر حركة «حماس».

خطب المساجد:

كانت خطب الجمعة في الخارج أيضاً أهم المنابر الإعلامية لحركة «حماس» وذلك لضعف الإعلام الإسلامي عامة والإعلام الإسلامي الفلسطيني بوجه خاص، وقد نشط معظم خطباء الإخوان في تناول الانتفاضة «الإسلامية» المباركة على أرض الإسراء، وفي الحديث عن دور حركة «حماس» الريادي والقيادي في هذه الانتفاضة.

وقد برز من هؤلاء الشيخ عبدالمنعم أبو زنط، والدكتور أحمد نوفل في الأردن، والشيخ محرم العارفي في لبنان، والشيخ أحمد القطان في الكويت، وغيرهم في مختلف الأقطار وقد قام قسم فلسطين بتزويد الخطباء ببيانات «حماس» وقصص الشهداء وبطولات عناصر الحركة وبالقصائد الشعرية الحماسية.

المهرجانات والندوات:

نظم الإخوان المسلمون الكثير من المهرجانات المؤيدة للانتفاضة ولحركة «حماس» في الكثير من البلاد العربية والأجنبية عن طريق المؤسسات الإسلامية والاتحادات الطلابية التي يسيطر عليها الإخوان، كما نظموا أيضاً الندوات والأمسيات الشعرية ومهرجانات الأنشودة الإسلامية، حدث ذلك في الأردن ودول الخليج العربي وفي لبنان والجزائر والمغرب والهند وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومعظم الدول الأوروبية، وكانت هذه

---

(١) أحمد بن يوسف، (أحمد ياسين: الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي) ص٧٥.

المهرجانات تستقدم الخطباء والمفكرين والشعراء من كل مكان للمشاركة فى فعالياتها.

والملاحظ أن جميع المتحدثين عادة ما يكونون من الإخوان أو من القريبين منهم، ولم يحدث إلا فى حالات نادرة أن استضاف الإخوان وخاصة فى البلاد العربية متحدثاً من خارج الدائرة، كما حدث فى مهرجان خطابى أقيم فى «جمعية الإصلاح» الكويتية بتاريخ ٢٤ / ٦ / ١٩٨٩م، حيث تحدث فيه أبرز شيوخ التيار السلفى فى الكويت الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق.

المجلات الإسلامية:

قامت الحركة بتزويد المجلات الإسلامية بأخبارها وبياناتها وأنشطتها وكانت أبرز المجلات المتفاعلة مع الحركة هى «المجتمع» و«البلاغ» الكويتيين، و«الإصلاح» الإماراتية ثم «لواء الإسلام» المصرية، وكان أبرز النشاط الإعلامى يظهر فى المجلات الإسلامية التى يصدرها الفلسطينيون مثل المجلات التى تصدرها الروابط الإسلامية فى الباكستان وبعض الدول الأوربية بالإضافة إلى مجلتى «البشير» و«إلى فلسطين» اللتين تصدران فى الولايات المتحدة الأمريكية، بينما ظلت مجلة «فلسطين المسلمة» هى أكثر المجلات انتشاراً فى صفوف الحركة الإسلامية الفلسطينية فى الخارج.

الكتب والإصدارات:

وقامت الحركة فى الخارج وبعض من أعضائها أو مؤيديها بإخراج كتب ودراسات عن الانتفاضة وحركة حماس، فقد نشرت وثائقها وبياناتها فى سلسلة «من وثائق الانتفاضة المباركة»، كما نشرت الميثاق و«فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أى جزء من فلسطين»، إلى جانب بعض الكتب التى صدرت من الكويت وأخرى صدرت فى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها مما صدر فى الأردن.

وقد تميزت أكثر إصدارات السنوات الثلاث الأولى بالتسرع والمباشرة وتوجيه الخطاب إلى المؤيدين والمناصرين، فقد قامت بدور مهم فى تعبئة الأنصار وسد الفراغ فى مكتباتهم الخاصة، لكنها فى أغلب الحالات فشلت للوصول إلى الآخرين فى مقابل الإصدارات الكثيفة للاتجاهات الوطنية الأخرى ●

الفصل الثالث

مواقف الحركة الفكرية والسياسية

المبحث الأول

الموقف من الدولة الصهيونية فى فلسطين

المرتكزات الفكرية لموقف حركة «حماس»:

موقف حركة «حماس» من الدولة الصهيونية فى فلسطين موقف ثابت وواضح، باعتبارها دولة مصطنعة، قامت على الظلم والاغتصاب، فلا مكان لها على أرض فلسطين، لأن فلسطين كل لا يتجزأ، من البحر إلى النهر، أرض عربية إسلامية، فوجود الدولة العبرية وجود باطل، ولابد من اجتثاثه بالكامل، وإقامة الدولة الإسلامية فى كل فلسطين، حيث يعيش أهل الديانات جميعاً، ويتمتعون بحقوقهم فى ظل دولة الإسلام العادلة، ويتأسس هذا الموقف على مرتكزات دينية وتاريخية وقانونية.

(أ) المرتكزات الدينية:

تعتبر حركة «حماس» أرض فلسطين كلها أرضاً إسلامية، فهى أرض الإسراء، والقبلة الأولى والمسجد الأقصى المبارك، وهى كما جاء فى الميثاق: «أرض وقف إسلامى على جميع أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، ولا يصح التفريط بها أو بجزء منها، أو التنازل عنها، أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات وسواء كانت فلسطينية أو عربية»[1]، ويقول الميثاق فى نهاية هذه المادة: «وأى تصرف مخالف لشريعة الإسلام هذه بالنسبة لفلسطين، فهو تصرف باطل مردود على أصحابه».

لقد كانت آخر الكلمات فى بيان الحركة الأول بعد اندلاع الانتفاضة واضحة صريحة فى تحديد طبيعة الصراع مع الدولة الصهيونية، حيث يتوجه الخطاب إلى الاحتلال ويقول: «معركتنا معكم معركة عقيدة ووجود وحياة»[2].

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، الجزء الأول (السنة الأولى للانتفاضة)، ص١٤٨ (مادة ١١ من الميثاق).
(٢) المرجع السابق، ص١٨.

(ب) المرتكزات التاريخية:

ترى حركة «حماس» أن أرض فلسطين ظلت ملكاً للعرب وللمسلمين طيلة أكثر من ألفي عام، ولم يكن لليهود شيء فيها، اللهم إلا أقلية يهودية صغيرة تعيش فى فلسطين كغيرها من البلدان العربية والأجنبية، كما أن فلسطين كاملة «كل لا يتجزأ شمالها وجنوبها، ساحلها وجبلها، شجرها ونهرها، كل متكامل ذات منزلة باركها الله»[1]، ولأهمية فلسطين وموقعها، فقد كانت دائماً عرضة للغزوات الأجنبية، التى كان مصيرها الاندحار، «فلسطين صّرة الكرة الأرضية وملتقى القارات، ومحل طمع الطامعين منذ فجر التاريخ»[2].

فالغزوة الصهيونية الحديثة مثلها كمثل الغزوة الصليبية والمغولية، والتى وإن طال أمدها على أرض فلسطين فنهايتها الزوال والاندحار، «وتنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبى واستخلاص فلسطين منهم، وكذلك هزيمة التتار فى عين جالوت على يد قطز وبيبرس، نظرة جادة تستلهم منها الدروس والعبر.. فكما واجه المسلمون تلك الغزوات يمكنهم أن يواجهوا الغزوة الصهيونية ويهزموها»[3].

(جـ) المرتكزات القانونية:

وترى حركة «حماس» أن الدولة الصهيونية لا تستند فى قيامها على الحق والعدل، فهى دولة من المهاجرين الذين جاءوا من جميع البلدان ومن مختلف القارات، غزاة محتلين، طردوا أهل الأرض بالقوة والإرهاب، وأخذوا بيوتهم ومزارعهم ومدنهم وقراهم، حيث «اختلت الموازين، وتبدلت القيم، وساد الظلم، واغتصبت الأوطان، وغابت دولة الحق، وقامت دولة الباطل»[4].

كما أن قرارات الهيئات الدولية التى تسيطر عليها القوى الكبرى لا تغير هذه الحقيقة، «فالوجود اليهودى على أى جزء من أرضنا الفلسطينية المقدسة - سواء الذى احتل عام ١٩٤٨م أو عام ١٩٦٧م - هو وجود باطل ومرفوض، وأن كل القرارات الدولية أو التنازلات السياسية سوف لن تغير هذه الحقيقة»[5].

---

(١) المرجع السابق، ص٠٤ «البيان العاشر».
(٢) المرجع السابق، ص١٦٦، (مادة ٣٤ من الميثاق).
(٣) المرجع السابق، ص١٦٧، (المادة ٣٥ من الميثاق).
(٤) المرجع السابق، (المادة ٩ من الميثاق).
(٥) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج٢، ص١٣٢، من «وثيقة للتاريخ... من حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، إلى المؤتمر الخامس لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح)»، ١٩٨٩/٨/٣م.

وتتساءل حركة «حماس» عن الحق والعدل والقانون في الاعتراف لليهود بملكيتهم لبيت أو مزرعة أو حركة بينما أصحابها يعيشون في مخيمات اللاجئين هنا وهناك، فقد جاء في بيان الانتفاضة العاشر للحركة «أين العدل وهم لا يملكون شبراً على شاطىء حيفا وعكا؟... وصاحبه في أحد مخيمات اللاجئين في لبنان أو الضفة والقطاع أو الأردن»[١].

موقف حركة «حماس» من اليهود ودولتهم:

وعلى خلاف القوى الوطنية الفلسطينية الأخرى، فإن الحركة لم تفرق بين اليهود والصهاينة، فاليهود جميعاً - من وجهة نظرها - هم أعداء الله وقتلة الأنبياء، ومصاصو دماء البشر وسبب الفساد والإفساد في كل مكان، واليهود الذين يعيشون على أرض فلسطين كلهم أعداء مهما كانت انتماءاتهم الحزبية والفكرية لأنهم جميعاً يعيشون بالباطل على أرض غيرهم، «واليهودي مهما انتمى لأي حزب هو يهودي، لا يتنازل عن شيء إلى إذا واجه بأساً شديداً»[٢].

واليهود يقفون وراء التخريب الثقافي والأخلاقي في العالم كله، ويستخدمون في ذلك واجهات «وأسماء وأشكالاً كالماسونية، ونوادي الروتاري، وفرق التجسس وغير ذلك، وكلها أوكار للهدم والهدامين»[٣]. كما أنهم يقفون خلف الحروب والمآسي التي تطحن البشر، «فما من حرب تدور هنا أو هناك، إلا وأصابعهم من خلفها»[٤].

أما الدولة العبرية الصهيونية، فهي تهديد للأمة جميعاً، ولأقطارها جميعاً، فقد «قامت دولة الكيان الصهيوني في قلب أرضنا المباركة، وهدفها البعيد بناء الحضارة العبرانية على أنقاض الحضارة الإسلامية... إننا أمام استعمار استيطاني للأرض، إجلائي للسكان، يهدف إلى تخليص أرض فلسطين لليهود وحدهم»[٥] وتقول الحركة في موضع آخر: «فاليوم فلسطين وغداً قطر آخر أو أقطار أخرى، والمخطط الصهيوني لا حدود له»[٦].

---

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، ص٤١.
(٢) المرجع السابق، ص١٠٨، بيان رقم (٣٢).
(٣) المرجع السابق، ص١٥٣، (المادة ١٧ من الميثاق).
(٤) المرجع السابق، ص١٥٧، (المادة ٢٢ من الميثاق).
(٥) المرجع السابق، ص١٨٢، «نداء إلى المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر»، ١٠/١١/١٩٨٨م.
(٦) المرجع السابق، ص١٦٤ (المادة ٣٢ من الميثاق).

الحل عند حركة «حماس»:

وبناء على ما تقدم من اعتبار أرض فلسطين كلها أرضاً إسلامية لا يجوز التنازل عن شبر منها، وبالتالي اعتبار الدولة الصهيونية باطلة ديناً وتاريخاً وقانوناً، ومعرفة بطبائع اليهود، وطبيعة دولتهم وأهدافها، فإن حركة «حماس» رفضت فكرة التعايش بين دولتين على أرض فلسطين، ورأت أن حل المشكلة هو اقتلاع هذه الدولة من جذورها، وإقامة دولة إسلامية في كل فلسطين يعيش في ظلالها أهل الديانات جميعاً، فقد جاء في البيان رقم (٢٤): «إن فكرة التعايش بين شعبنا الفلسطيني وبين كيانهم الدخيل، قد أصبحت فكرة ميتة»[1]، وفي بيان رقم (٣٢) تقول «بددت الانتفاضة كل زعم بإمكانية الحياة المشتركة بين الشعبين أو حسن الجوار»[2]، ويرفض الشيخ أحمد ياسين أن يكون الحل دولتين تعيشان جنباً إلى جنب، ويقول «إن هذا الوضع سيكون مؤقتاً، فبعد فترة من الزمن سوف يستأنف الصراع بصورة أشد»[3].

فالحل إذن هو الجهاد لاقتلاع الدولة اليهودية من جذورها، فقد كانت أول كلمات الحركة في الانتفاضة «يا جماهيرنا المرابطة المسلمة: أنتم اليوم على موعد مع قدر الله النافذ في اليهود وأعوانهم، بل أنتم جزء من هذا القدر الذي سيقتلع جذور كيانهم إن آجلاً أو عاجلاً»[4]. وكررت الحركة ذلك في البيان الخامس، «إنه الطوفان يعم وجه الأرض المحتلة حتى يقتلع الاحتلال اليهودي من جذوره»[5]. وترى حركة «حماس» أن الدولة الإسلامية تقوم على أنقاض الكيان الصهيوني بالباطل، فالحركة «تعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين، ففي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً في أمن وأمان على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم»[6]، ولهذا فإن حركة حماس رفضت دائماً كل الحلول الدبلوماسية والسياسية وكل القرارات الدولية التي تعترف بالدولة اليهودية.

---

(١) المرجع السابق، ص٨١.
(٢) المرجع السابق، ص١٠٧.
(٣) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين، الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي)، دبي: دار الأمة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص٩٨.
(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، مرجع سابق، ص١٧. (البيان الأول).
(٥) المرجع السابق، ص٢٧.
(٦) المرجع السابق، ص١٤٥، (المادة ٦ من الميثاق).

الموقف من الحلول السلمية:

وعلى أساس ما تقدم، فإن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ترفض كل الحلول السياسية المطروحة منذ ١٩٤٧م وحتى الآن، لأن هذه الحلول تعطى شرعية للدولة المغتصبة القائمة على الظلم، كما ترفض الحركة كل القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الدولى والتى تعترف بوجود الدولة الصهيونية، فقد جاء فى المادة الثالثة عشرة من الميثاق «أن المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية، تتعارض مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط فى أى جزء من فلسطين تفريط فى جزء من الدين»[١].

وقد كررت حركة «حماس» رفضها لمعاهدة كامب ديفيد ومشروع الحكم الذاتى، ومشاريع شولتز وبيكر وغيرها فى معظم بياناتها وتصريحات الشيخ أحمد ياسين، فالمؤتمر الدولى فى رأى الشيخ أحمد ياسين «سراب يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً»[٢]، ويقول أيضاً: «إن الحكم الذاتى يعنى أن اليهود سيحصلون على كل شىء، فيما لا يحصل الفلسطينيون على شىء»[٣]، كما ترفض حركة «حماس» أن تكون المعاناة الشديدة سبباً للتنازل عن الحقوق، فقد جاء فى بيان رقم (٣٤): «ويشاع أن شعبنا قدم الكفاية وحان دور الحصاد»[٤]. ويقول الشيخ ياسين: «عندما يعجز الإنسان عن الحصول على حقه، لا يتنازل عنه»[٥].

المبحث الثانى
موقف حركة «حماس» من (م. ت. ف)

لا شك أن الشعب الفلسطينى كان دائماً يحلم بكيان يجسد هويته الوطنية المضيّعة، بين احتلال صهيونى لمعظم وطنه، وارتهان قسرى للبقية فى يد الدول العربية، تدرجت بين الضم أو الإدارة العسكرية... وكانت «حكومة عموم فلسطين» جزءاً من هذا الحلم، وكانت الروابط الطلابية والنقابات الوليدة خطوات على الطريق، وكانت منظمات تقوم هنا وهناك

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٩.
(٢) مجلة (إلى فلسطين)، (واشنطن)، العدد ٣٠، ٢٥/٣/١٩٨٨م، ص١٣.
(٣) أحمد بن يوسف، مرجع سابق، ص٩٨.
(٤) وثائق حركة المقاومة الإسلامية، ج٣. ص٢٠.
(٥) أحمد بن يوسف، ص١١٣.

- أبرزها حركة «فتح» - محاولات أخرى على هذا الطريق[1]. وكانت جميع فئات الشعب الفلسطيني وتياراته السياسية تتطلع إلى إيجاد كيان أو مؤسسة تمثل الفلسطينيين وتتحدث باسمهم بعيداً عن وصاية الأنظمة التي تسببت أصلاً في ضياع فلسطين.

أما (م. ت. ف) فقد كانت من حيث نشأتها والأهداف التي وضعت لها شيئاً مختلفاً.. فقد أنشأها النظام العربي لتخدم سياساته، ولتنفض الأنظمة العربية يدها من تحمل كامل المسئولية، وتلقيها شكلاً على الفلسطينيين، الذين توجب عليهم أن يباركوا ما تريد الأنظمة باسم شعب فلسطين، ولعل في أدبيات حركة «فتح» وحركة «القوميين العرب» وحزب «البعث العربي الاشتراكي» في تلك الفترة ما فيه الكفاية لتأكيد هذا الأمر[2]، ويؤكد هذا الفهم مصدر آخر لحركة «حماس» حينما يقول: «كانت انطلاقة (م. ت. ف) بقرار عربي... فالدول العربية هي الممول الرئيسي لمنظمة التحرير، ولابد لمنظمة التحرير من إرضاء أغلب تلك الأنظمة.. وهذه الأنظمة هي نفسها المسئولة عن ضياع فلسطين في الماضي، وهي نفسها التي حافظت على أمن إسرائيل في الحاضر، وهي التي تروض شعوبها، ومعها الشعب الفلسطيني لقبول الذل من اليهود وتوقيع اتفاقيات سلام جديدة... ولهذا فنحن نعتقد أن منظمة التحرير هي جزء من التركيبة السياسية لحكومات المنطقة»[3].

ولقد قامت الحركات الوطنية الفلسطينية، وكثير من الشخصيات الوطنية الفلسطينية بجهد كبير، في محاولة تكريس استقلالية القرار الفلسطيني، وتأكيد الهوية الوطنية الفلسطينية، والعمل على جعل (م. ت. ف) كياناً سياسياً يمثل الفلسطينيين ويعبر عن آمالهم، لكن الاختلال الشديد في موازين القوى بين الشعب الفلسطيني وممثليه من جهة وبين الأنظمة العربية التي تتحكم في الشعب الفلسطيني وفي منظمته، جعل الأمور محسومة لصالح النظام العربي الذي أنشأ المنظمة وحافظ عليها من أجل أن يتصالح مع العدو باسمها، ومما يدل على ذلك تلك التراجعات السياسية المتتالية في مسيرة منظمة التحرير حسب ما يتطلبه النظام العربي.

- فمن المطالبة بدولة فلسطين على كامل التراب الفلسطيني، إلى دولة علمانية تتعايش

---

(١) خالد أبو العمرين، الإسلاميون والعلاقة مع منظمة التحرير، (١ من ٢)، (مجلة فلسطين المسلمة)، (لندن)، حزيران (يونيو) ١٩٩٣م، ص٢٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحمد بن يوسف، (حركة المقاومة الإسلامية «حماس»: خلفيات النشأة وآفاق المسير)، شيكاغو: المركز العالمي للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م، ص٥٤.

فيها الديانات جميعاً، إلى دولة فى الضفة الغربية وقطاع غزة فقط، إلى كونفدرالية مع الأردن، إلى مفاوضات الحكم الذاتي.

- ومن رفض لجميع قرارات الأمم المتحدة، لظلمها وتحيزها، إلى الموافقة على جميع القرارات بما فى ذلك قرار ٢٤٢، إلى الموافقة على القرار المذكور، إلى الرضى بما هو أقل منه.

- ومن الكفاح المسلح كطريق وحيد للتحرير، إلى الكفاح المسلح كأهم وسيلة للتحرير، إلى الكفاح المسلح بجانب العمل السياسى، إلى العمل السياسى فقط وهجوم السلام[١].

نظرت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلى (م. ت. ف)، نظرة مزدوجة تتراوح بين التقارب والتنافر، فهناك الإيجابيات فى عمل المنظمة والتى تقرب حركة «حماس» منها، كالنضال الذى تواصل عدة سنوات وسقط فى طريقه آلاف الشهداء، مما أخرج قضية فلسطين من زوايا التجاهل عربياً ودولياً، كما أن المنظمة كإطار يمثل الشعب هى مكسب للجميع يتوجب المحافظة عليه، وكان أبرز عوامل التنافر هو العلمانية التى تتبناها (م. ت. ف) بالإضافة إلى برنامجها السياسى والذى تمثل فى الاعتراف بدولة إسرائيل وقبول الحلول السلمية غير المتكافئة وغير العادلة.

عوامل التقارب بين «حماس» والمنظمة:

جاء فى المادة السابعة والعشرين من ميثاق «حماس»: «منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه، فوطننا واحد ومصيرنا واحد وعدونا مشترك».

(أ) المنظمة كإطار يمثل الهوية الفلسطينية:

رأت حركة «حماس» أن (م. ت. ف) كإطار يجمع الفلسطينيين ويمثلهم، هو مكسب تجب المحافظة عليه، والعمل على إصلاح ما فيه من عيوب ليتمكن من تمثيل الفلسطينيين جميعاً والتعبير عن آمالهم فى استعادة حقوقهم، «لقد حرصت «حماس» على الحفاظ على المؤسسة الرسمية، وأحسنت القول إلى قادتها، بل كانت القيادة الإسلامية فى كل مكان تنظر باحترام لمنظمة التحرير وتكرم وفادة قيادتها، وتشد من أزرها وتنصح لها»[٢]، كما أن

---

(١) خالد أبو العمرين، مرجع سابق، ص ص ٢٢-٢٣.

(٢) جهاد صالح (إعداد)، (حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بين آلام الواقع وآمال المستقبل)، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٩١م، ص٢٩.

حركة «حماس» قد أكدت للجميع أنها لن تنافس الزعامة السياسية لمنظمة التحرير... «وأن هذا الوعاء سنحافظ عليه جميعاً، ما التزم بالثوابت الوطنية والدينية لهذا الشعب الفلسطيني المسلم»[1].

والحركة الإسلامية «لا ترفض (م. ت. ف)، ولا ترفض مبدأ المقاومة والتحرير، ولكنها ترفض النهج الذى قيدت منظمة التحرير به نفسها فالمنظمة كإطار وطنى يستوعب كافة أفراد الشعب الفلسطينى بمختلف اتجاهاتهم ويقودهم نحو التحرير الشامل والكامل لفلسطين حسب ما ورد فى الميثاق الوطنى الفلسطينى هى موضع اعتراف الجميع بمن فيهم حركة المقاومة الإسلامية «حماس»[2].

(ب) إنجازات (م. ت. ف):

وحركة المقاومة الإسلامية «حماس» لا تذكر تلك الإنجازات الكبيرة التى حققتها (م. ت. ف) والتضحيات والكفاح المتواصل للمنظمة، لكنها ترفض بشدة، أن يكون ذلك كله لتبرير عملية التخلى عن ثوابت المنظمة نفسها: «فمن إنجازاتها الهامة أنها حافظت على بنية وكيان الشعب الفلسطينى، مما فوت على العدو فرصة تحقيق حلمه فى تفتيت وحدة الشعب الفلسطينى الباسلة أمام العدو الصهيونى، وتحويل الشعب الفلسطينى من شعب لاجئ مشرد إلى شعب متمرس فى القتال والمواجهة مما أكسبها تعاطفاً عالمياً كبيراً»[3].

وقد عبرت الحركة عن ذلك فى بيانها الحادى عشر حينما احتفلت مع الشعب الفلسطينى كله بذكرى معركة «الكرامة» التى خاضتها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية فى مارس (آذار) عام ١٩٦٨م، قال بيان حماس: «تحيتنا هذه نزفها لشعبنا البطل فى ذكرى انتصار من انتصاراته على قوات العدو، ذلك هو يوم ٢١ آذار، يوم الكرامة... وستظل ملحمة الكرامة معلماً بارزاً من معالم شعبنا المقدام»[4].

وفى نشرة «أنصار حماس» وفى حديثها عن الانتفاضة فإن الحركة تؤكد على أن «العمر المديد من الكفاح المسلح والنضال الجماهيرى والثقافى والاجتماعى الذى خاضته (م. ت. ف) وكفاحها لبلورة الشخصية الفلسطينية وتجسيدها، كان له أعمق الأثر فى هذا الانفجار

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠.
(٢) خالد عز الدين، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠.
(٣) المرجع السابق، ص٢٣٢.
(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، ص٤٤.

الفلسطيني المبارك والباسل والرافض للاحتلال»[1]، وتستمر تلك النشرة الصادرة في يوليو (تموز) ١٩٩٠م، لتقول: «إن سلسلة النضالات الطويلة لكوادر فتح وقادتها وشهدائها، شهداء شعب فلسطين وما لاقاه شعبنا من إبادة ودمار في مخيمات لبنان . . . وكذلك استشهاد أبو جهاد، وجهاد ياسر عرفات . . . كل ذلك لا يعتبر ولا يجوز اعتباره مبرراً للمسيرة السياسية الحالية للمنظمة وقيادتها، ولا يصح أن نتخذ من الرصيد الكفاحي الضخم بطاقة دخول إلى مراحل التنازل والاستسلام»[2].

عوامل التنافر بين «حماس» والمنظمة:

وتتمحور هذه العوامل حول ثلاث قضايا أساسية هي: علمانية (م. ت. ف) والتنازلات السياسية لـ(م. ت. ف) وهيكلية (م. ت. ف) ومفهوم الديمقراطية في هذه الهياكل.

(أ) علمانية منظمة التحرير:

وجدت حركة «حماس» نفسها ومنذ البداية في افتراق أيديولوجي عن (م. ت. ف) فهي تعلن ومنذ البداية وكما جاء في المادة الأولى من ميثاقها أن «الإسلام منهجها، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها»[3]، ولأن (م. ت. ف) قد تبنت فكرة الدولة العلمانية، وحركة «حماس» ترى أن «الفكرة العلمانية، مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تُبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات»[4]. لذلك وجدت «حماس» نفسها مضطرة للعمل خارج إطار المنظمة، دون تقليل من دور المنظمة لأن «إسلامية فلسطين جزء من ديننا ومن فرط في دينه فقد خسر»، وقد كرر الشيخ أحمد ياسين هذا المفهوم في مرات عديدة، ومثال ذلك تصريحه لصحيفة «النهار» المقدسية، الذي يقول فيه: «إنني لست ضد المنظمة، ولكن ضد خطها الذي لا يتبنى الإسلام فهماً ودستوراً، وكلما اقتربت (م. ت. ف) من الإسلام والتزمت به، كلما ازداد التزامي بها».

(ب) التنازلات السياسية لـ(م. ت. ف):

لقد أبعدت المواقف السياسية الطرفين عن بعضهما كثيراً، فالمنظمة التي اختارت الحلول

---

(١) جهاد صالح، ص٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٧٥.

(٣) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، ص١٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٠، (المادة ٢٧ من الميثاق).

السلمية، وطالبت بعقد مؤتمر دولى للسلام، ثم أعلنت عن استعدادها للصلح مع إسرائيل والاعتراف بها، ثم فاوضت وصالحت واعترفت، قد ابتعدت كثيراً عن حركة «حماس» التى ظلت ترسل النداءات لمنظمة التحرير وللمجلس الوطنى الفلسطينى ولحركة «فتح» تطالبها بقطع الحوار مع أمريكا التى تبنى سياستها على التنازل التدريجى من طرف واحد، وتطالبها بعدم الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة التى تقر بشرعية الدولة اليهودية، وعدم الاشتراك فى المبادرات الأمريكية من «شولتز» إلى «بيكر» ، ورفض المشاركة فى المؤتمر الدولى، فكل الحلول السلمية مرفوضة عند حركة «حماس» لأنها لا تعطى للفلسطينيين شيئاً، طبقاً لما جاء فى المادة الثالثة عشرة من «الميثاق» والتى تنص على ما يلى: «تتعارض المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط فى أى جزء من فلسطين تفريط فى جزء من الدين، فوطنية حركة المقاومة الإسلامية جزء من دينها»[١]. ويرى الشيخ أحمد ياسين «أن الأخوة فى (م. ت. ف) أعطوا الكثير، وفى المقابل لم يأخذوا شيئاً من الجهات المقابلة»[٢].

ولهذا اعتبرت حركة «حماس» أن (م. ت. ف) هى أول من خرج على الثوابت والمبادئ والقوانين التى رسمت لتوجيه نضال الشعب الفلسطينى ضد دولة الاغتصاب الصهيونى على أرض فلسطين، وتوج هذا الأمر بإلغاء الميثاق الوطنى الذى حوى مجموعة من القواسم المشتركة التى يمكن أن يتم الالتقاء عليها»[٣].

(جـ) هيكلية منظمة التحرير:

كان يمكن لحركة «حماس» أن تفكر فى دخول مؤسسات المنظمة، لعلها تستطيع مع غيرها من المعارضين إيقاف سلسلة التراجعات السياسية، والعمل على تصليب الموقف الفلسطينى، لكن «حماس» وجدت فى تركيبة المؤسسات الفلسطينية، وآلية صنع القرار داخلها، عائقاً كبيراً أمامها، فالمجلس الوطنى الفلسطينى الذى لم يتم انتخابه مطلقاً، تتوزع مقاعده بين المنظمات والاتحادات الشعبية وكبار ضباط الجيش والمستقلين، حسب حصص يتفق عليها وتفرضها قيادة المنظمة، بحيث تكون قراراته - وكما أثبتت الوقائع - موافقة لما تريده القيادة، وكذلك أيضاً تركيب اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والذى لا يسمح

(١) وثائق الحركة، (ج١)، ص١٤٩.

(٢) أحمد بن يوسف، أحمد ياسين، ص٨٨.

(٣) جهاد صالح، ص٣٧، من نشرة، السواعد الرامية، العدد السادس، أغسطس ١٩٩٠م.

بقيادة جماعية فعلية، فالكل يشكو من تفرد القيادة فى اتخاذ قراراتها ومنذ زمن بعيد، وقد كانت اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى فى غالب الأحيان لا تتعدى كونها مراسم احتفالية تقر توجهات القيادة، وتعطيها الضوء الأخضر لتوجهات جديدة.

وقد رأت حركة «حماس» أن المنظمة ببنيتها القيادية القائمة، لا تمثل حقيقة القوى الفاعلة فى الشعب الفلسطينى، فهناك اتجاهات معينة تمثلها فصائل داخل المنظمة لها تمثيل كبير فى مختلف المستويات القيادية، وتوضع تحت تصرفها مخصصات مالية ضخمة فى حين ليس لها أى ثقل جماهيرى لا داخل فلسطين ولا خارجها، هذا فى حين ينعدم وجود تمثيل للحركة الإسلامية فى مختلف المستويات القيادية، ولا تتلقى أية مخصصات مالية مما يرد للمنظمة، رغم الثقل الكبير لهذه الحركة فى أوساط الفلسطينيين فى الداخل والخارج[١].

ولما فرضت «حماس» وجودها على الخريطة السياسية، وأصبح لزاماً على قيادة المنظمة، استيعاب وجود حماس لتأكيد تمثيل المنظمة لكل فئات الشعب الفلسطينى واتجاهاته، فقد أرسل الشيخ عبدالحميد السائح - رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى ورئيس اللجنة التحضيرية لإعادة تشكيل المجلس الوطنى - دعوة إلى حركة حماس للمشاركة فى أعمال اللجنة التحضيرية.. التى بدأت أعمالها فى ٧ / ٤ / ١٩٩٠م قامت «حماس» بدراسة الدعوة والظروف المحيطة بها، وتمشياً مع موقفها فقد اعتذرت عن المشاركة متمنية للجنة التحضيرية التوفيق فى عملها من أجل التمسك بحقوق الشعب وثوابته، كما أكدت حرصها على وحدة الشعب بكل اتجاهاته على أسس وثوابت واضحة، دون تفريط أو تنازل، وأرسلت بذلك مذكرة إلى الشيخ السائح بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٩٠م.

طالبت الحركة فى مذكرتها أن يراعى التشكيل الجديد عناصر أساسية هى أن الانتخاب وليس التعيين هو الوسيلة الأساسية لاختيار أعضاء المجلس، وإذا تعذر إجراء الانتخابات فيجب أن يعكس التشكيل أوزان القوى السياسية الموجودة على الساحة، كما طالبت بتخفيض عدد أعضاء المجلس الوطنى لاعتبارات سياسية وإدارية وأمنية ومالية، بالإضافة إلى تعديل الميثاق الوطنى الفلسطينى بما ينسجم مع الإسلام، وبالإضافة إلى هذه العناصر فقد وضعت عشرة مبادئ وشروط لدخولها المجلس كان من أهمها رفض التفريط بأى جزء من فلسطين من البحر إلى النهر، ورفض كل القرارات الدولية بما فيها ١٨١، ٢٤٢، ٣٣٨، والتأكيد على الخيار العسكرى واستمرار الانتفاضة وتصعيدها والتخلى عن كافة التراجعات

---

(١) خالد عز الدين، ص٢٣٠.

والتنازلات وآخرها قرارات الدورة التاسعة عشرة فى الجزائر نوفمبر ١٩٨٨م، كما طالبت بأن يكون تمثيل (حماس) فى المجلس بما يكافئ ثقلها فى الساحة والذى يتراوح بين ٤٠ - ٥٠٪ من مجموع أعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى[١].

وبذلك عبرت «حماس» عن استعدادها للدخول فى المجلس بالصورة التى تمكنها من فرض فكرها وبرنامجها السياسى، كما أنها بنسبة الأربعين فى المائة تستطيع إسقاط أى قرار مخالف لعقيدتها وبرنامجها السياسى، وكان هذا مستحيلاً لدى قيادة المنظمة التى لا يمكن أن تقبل بوجود إسلامى فاعل داخل مؤسساتها، بل إنها تسعى مقابل ذلك لإيجاد تمثيل إسلامى نسبى وشكلى داخل المجلس الوطنى والهيئات الأخرى يحقق لها الأغراض التالية[٢]:

١- تريد أن تثبت للشعب الفلسطينى وللقوى الأخرى أنها تمثل جميع القطاعات الشعبية، وأن القيادة تمثل الأغلبية ولا تضيق بما تسميه بالأقلية.

٢- تريد أن تجعل خيارها الوحيد المستجيب للضغوط العربية والدولية وكأنه خيار شرعى للشعب الفلسطينى.

٣- تريد أن تقول للنظام العربى والنظام الدولى والعدو الصهيونى أنها قادرة على تنفيذ ما تدخل فيه من اتفاقيات وترتيبات.

٤- تريد أن تقول لكل من أدار ظهره لبرامج المنظمة وسياساتها باحثاً عن أمل جديد وبرنامج جديد، ومنهج جديد، أن كل البرامج والمناهج موجودة داخل المؤسسة الرسمية الفلسطينية.

٥- تريد من اقترابها من قوى التغيير الإسلامية أن تتعرف عن قرب عما يجرى داخل هذا الإطار الإسلامى.

وهكذا أضيفت طبيعة تركيب مؤسسات المنظمة إلى عوامل الاختلاف الأيديولوجى، والاختلاف على الخطوات السياسية التى تقوم بها المنظمة لتباعد بين الطرفين.

(م. ت. ف) وتمثيل الشعب الفلسطينى

استطاعت قيادة (م. ت. ف) أن تنتزع اعترافاً عربياً ثم دولياً بأن المنظمة هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى، وخاضت من أجل ذلك الحروب، وبذلت الجهود

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج٣، ص ص ١٢٦ - ١٢٩.

(٢) خالد أبو العمرين، «الإسلاميون ومنظمة التحرير» (٢ من ٢)، (مجلة فلسطين المسلمة)، تموز (يوليو) ١٩٩٣م، ص٢٨.

الدبلوماسية المضنية، حتى تحقق لها ذلك، فهناك قوى إقليمية تنافسها على الشعب وعلى الأرض، وأخرى تنافسها على القرار الفلسطيني، يضاف إلى ذلك العدو الصهيوني والقوى الدولية المساندة والتي لا تريد للشعب الفلسطيني وجوداً ولا تمثيلاً.

وعلى مستوى الشعب الفلسطيني فإن قيادة (م. ت. ف) أكدت مراراً أن «بيت (م. ت. ف) هو بيت الوطن والكيان الفلسطيني، ومن هنا فإن أي افتعال لخصام مع منظمة التحرير الفلسطينية هو افتعال لخصام مع الوطن، فالمنظمة هي الدولة، لا حزباً في الدولة»[1]، وتستمر مجلة «فلسطين الثورة» في افتتاحيتها لتقول: «إن الاختلاف في الرأي وفي الاتجاه، لا يمكن - مبدأياً - أن يكون مع (م. ت. ف)، أي لا يمكن أن تكون أنت، في جهة، ومنظمة التحرير في الجهة الأخرى، وذلك بالمقدار نفسه أن يكون أي مواطن لأي دولة في جهة ووطنه في الجهة الأخرى، هو أمر غير معقول وغير ممكن، أو حينذاك يكون هذا المواطن قد أسقط عن نفسه هويته وجنسيته... لذا فلا يمكن أن يكون هناك خلاف أو خصام للفلسطيني مع المنظمة - الدولة - وإنما قد يكون الخلاف مشروعاً ومقبولاً في المنظمة، وداخل مؤسساتها»[2].

هذه الكلمات والافتتاحية الطويلة كلها كانت موجهة لحركة «حماس»، باعتبارها خارج إطار (م. ت. ف) فهي خارجة على الوطن وتخدم بذلك أعداء الوطن، لكن وكما لاحظت نشرة «السبيل»[3] أن كاتب المقال انطلق من اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الكيان والدولة دون إثبات لهذه الفرضية، وترى «السبيل» أن الواقع يعطي للمنظمة صفة الجبهة السياسية أو بين الوطن والحكومة.

والمواطن في أية دولة، وكذلك الحزب السياسي، يستطيع أن يرفض دخول البرلمان خصوصاً إذا كان له اعتراضات جوهرية على طريقة التعيين فيه، ويستطيع أن يعارض الحكومة دون أن يتهم أنه أصبح خارجاً على الدولة والكيان، والميثاق الوطني الفلسطيني يعتبر كل فلسطيني عضواً طبيعياً في (م. ت. ف) دون أن يقدم طلباً للعضوية، ودون أن يشترط عليه الموافقة على سياسة اللجنة التنفيذية.

---

(١) فلسطين الثورة، (المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية)، العدد ٨٠٤، السنة التاسعة عشرة، ٨ تموز (يوليو) ١٩٩٠م، ص١.

(٢) المرجع السابق، ص٢.

(٣) (السبيل) (شهرية تصدر من النرويج وتعبر عن اتجاه إسلامي)، العدد ١٧، أغسطس (آب) ١٩٩٠م.

وحركة «حماس» مع عدم إنكارها لدور (م. ت. ف) «فإنها تؤكد أن المنظمة بفصائلها لم تكن أول من قاتل على أرض فلسطين ولن تكون آخر من يقاتل»[1]، وهى لا تناقش إطار (م. ت. ف). وإنما تناقش وتختلف وتجادل قيادة المنظمة وسياساتها وتعتبر ذلك حقاً لها ولكل فلسطينى.

وتقول حركة «حماس» : «إننا نتحدى منظمة التحرير أن تقدم دليلاً واحداً على أن «حماس» طرحت نفسها بديلاً عن المنظمة وأنها تنازعها التمثيل»[2]. إن حماس تطرح الإسلام ولا تطرح نفسها، ولقد أعلنت فى ميثاقها أنه «يوم تتبنى (م. ت. ف) الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها ووقود نارها التى تحرق الأعداء»[3]، وكيف يتوجب على حركة «حماس» وأنصارها أن يؤدوا واجبهم تجاه المنظمة - الدولة، وهى وأنصارها محرومون من كل الحقوق المادية والمعنوية التى تتمتع بها جميع الفصائل المنضوية تحت لواء (م. ت. ف) الذى لا يذكر «حماس» مطلقاً، وإن ذكرها مرات قليلة فبالطعن والتجريح، وفى قطع رواتب العاملين فى الجامعة الإسلامية وفى إيقاف الدعم المالى عن كل نقابة أو مؤسسة يفوز الإسلاميون بإدارتها، وحتى فى المنح الجامعية للطلاب فى الجامعات العربية والأجنبية وغير ذلك كثير.

وترفض حركة «حماس» منطق الهيمنة والوصاية «فليس من حق أحد أن يُكره الآخرين على تبنى ما يراه هو وما يعتقده، فإن لم يوافق الآخرون ويخضعوا لإرادته فهم إذن يطرحون أنفسهم بديلاً، وهم حلفاء للاستعمار»[4]، والشيخ أحمد ياسين يؤكد موقف «حماس» من (م. ت. ف) فيقول: «إننى لست ضد المنظمة، ولكن ضد خطها الذى لا يتبنى الإسلام منهجاً ودستوراً»[5]، وعندما سئل هل يعترف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطينى، أجاب «نعترف مع تحفظ - فنحن نريد الدولة المنشودة إسلامية لا علمانية»[6].

وهكذا فإن حركة حماس «تشترط أساساً تبنى (م. ت. ف) للإسلام كمنهج وتطالبها بالتراجع عن التنازلات السياسية التى قدمتها، وحين ذلك فإنها ترتضى أن تكون جنوداً فى (م. ت. ف) ولما كانت الدلائل تشير إلى عكس ذلك، فإن المستقبل يحمل فى طياته تباعداً كبيراً بين الطرفين.

---

(١) جهاد صالح، ص٧٤، عن نشرة «أنصار حماس» أغسطس (آب) ١٩٩٠م.
(٢) المرجع السابق، ص٤٤.
(٣) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، ص١٦٠ (المادة ٢٧ من الميثاق).
(٤) جهاد صالح، ص٧٢.
(٥) (النهار) المقدسية، ٣٠ / ٤ / ١٩٨٩م، عدد ٧٩٧.
(٦) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين)...، ص١٢٣.

المبحث الثالث
موقف «حماس» من الوحدة الوطنية

حرص حركة «حماس» على الوحدة الوطنية:

لقد عبرت حركة «حماس» في جميع أدبياتها عن حرصها على الوحدة الوطنية التي تجعل الشعب الفلسطيني، صفاً واحداً في مواجهة العدو الصهيوني، واعتبرت أن الاختلاف في الرأى وهذا أمر طبيعي لا يمكن أن يكون مبرراً للتناحر والفرقة التي يستفيد منها العدو، لكنها أكدت في نفس الوقت أن ثوابتها الأساسية ليست مجالاً للمناورة.

وقد وضّح ميثاق الحركة رأى حماس في كل من الحركات الإسلامية الأخرى والحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية، فقد جاء في المادة (٢٢) أن حركة المقاومة الإسلامية تنظر إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي وإن اختلفت معها في جانب أو تصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات... وتعتبر تلك الحركات رصيداً لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لراية الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة)[١].

أما بالنسبة للحركات الوطنية فإنها «تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها، والعوامل المحيطة بها، والمؤثرة فيها، وتشد على يدها مادامت لا تعطى ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي... وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية، من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك، قولاً وعملاً، حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد توحد ولا تجزئ.. تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغى للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس، وكل ما يتعارض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة»[٢].

وهكذا فقد كانت حركة «حماس» أكثر الحركات الفلسطينية مسارعة إلى كشف زيف البيانات المزورة التي توزعها سلطات الاحتلال من أجل بث الفرقة والانقسام في صفوف الشعب، فقد حذرت من البيانات المدسوسة في بيانها السابع والسادس عشر والسابع عشر ووضعت في بيانها التاسع عشر معايير تلتزم بها وتطالب جميع الاتجاهات والفئات الالتزام بها حيث أكدت أن:

---

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج١، ص١٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٩، (المادة ٢٥ من الميثاق).

- كل بيان أو شعار على الجدران يهاجم فئة من فئات شعبنا فهو من العدو اليهودى.
- كل بيان أو شعار يدعو الناس إلى اليأس والتوهين فهو من اليهود.
- كل بيان أو شعار يحاول خلق الفتن والصدامات بين أبناء شعبنا فهو من اليهود[1].

وأكدت حركة «حماس» فى معظم بياناتها على معانى الوحدة الوطنية «فالوحدة ركن من أركان النصر، والخلاف والتمزق تكريس للهزيمة والاستسلام»[2] ولا يسعنا استعراض جميع ما جاء فى بيانات حماس عن الوحدة وضرورتها وأهميتها، ونختم ذلك بما جاء فى البيان رقم (٤٦) حيث تدعو «حماس» أبناء شعبنا إلى رصّ الصفوف ووحدة الكلمة... وتفصح عن حبها وودها لأبنائها، أبناء هذا الشعب وخاصة العاملين ضد الاحتلال بكافة توجهاتهم[3].

أما بالنسبة للتنسيق مع (القيادة الوطنية الموحدة)، فقد أعلنت حماس مراراً أنها مستعدة للتنسيق والتعاون، فقد جاء فى بيانها رقم (٥٣):

- إن «حماس» تمد يدها لكل الاتجاهات الوطنية للتنسيق من أجل خدمة الانتفاضة.
- لم تقف الحركة موقف العداء من أى اتجاه وطنى، ويشهد بذلك جميع بياناتها على الرغم مما كان يوجه لها من تهم وافتراءات.
- تؤكد حماس على أنها على استعداد كامل للتنسيق شريطة عدم التنازل عن ثوابتنا الفكرية والعقائدية[4].

وقد حددت الحركة فهمها للوحدة الوطنية على أنها وحدة جميع الشعب بكافة فئاته وتياراته فى مواجهة العدو، وليست هيمنة أو سيادة فكر أو توجهاً سياسياً لا يرتضى فكراً آخر أو توجهاً سياسياً مخالفاً. «ويعتمد منهج حماس على محاولة الاستفادة من كل جهد يهدف إلى توظيف كل طاقة حتى لو كان صاحب هذا الجهد أو هذه الطاقة يحمل مبدأ لا يتفق مع مبادئ الحركة الإسلامية، ومن هنا صاغت حماس شعارها: «شعب فلسطينى واحد، منهج حماس الرائد»، وهى لا تعتبر أن من يخالف أسلوبها فى التحرير يكون خارجاً على الوحدة الوطنية، كما لا تقبل أن يتهمها أحد بهذه التهمة، إن رفضت تبنى أسلوب الغير فى التعامل مع القضية الفلسطينية»[5].

---

(١) المرجع السابق، ص٨٦، (بيان رقم ١٩).
(٢) المرجع السابق، ص٩٢، (بيان رقم ٢٨).
(٣) مرجع سابق، ج٢، ص ص ٧٢-٧٣.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ٣١.
(٥) جهاد صالح، ص١١.

موقف حركة «حماس» من المسيحيين:

كانت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين علاقة متميزة، منذ أن فتح المسلمون بيت المقدس على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذى أمن المسيحيين على كنائسهم وممتلكاتهم، وظلوا يعيشون فى كنف الدولة الإسلامية فى خير وعدل وأمان، وفى العصر الحديث شارك مسيحيو فلسطين إخوانهم المسلمين فى كل نضالاتهم الوطنية جنباً إلى جنب، وانتموا إلى معظم الأحزاب السياسية الفلسطينية ابتداء من حزب المفتى، الحاج أمين الحسينى، الذى كان له مساعدوه الموثوقون من نصارى فلسطين. ولم يعرف تاريخ فلسطين الحديث أى صدام بين الطرفين، ولعل الفضل فى ذلك يعود إلى وطنية المسيحيين فى فلسطين وعدائهم للدولة اليهودية، كما أنه يعود أيضاً إلى حقد اليهود على نصارى فلسطين ومهاجمة أملاكهم والاعتداء على مقدساتهم.

والفلسطينيون جميعاً يسجلون فى صفحات تاريخ نضالهم المشرق بطولات وأبطال لمسيحيى فلسطين كالمطران «كبوتشى» الذى أمضى سنوات فى سجون الاحتلال، وكمال ناصر عضو اللجنة التنفيذية لـ (م. ت. ف) الذى اغتالته الأيدى الصهيونية الآثمة، ولا ينكر فلسطينى واحد وطنية الدكتور جورج حبش وكفاحه الطويل ضد الصهيونية.

وحينما برزت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» كحركة إسلامية جماهيرية واسعة الانتشار تزداد قوتها يوماً بعد يوم، حاولت القوى المعادية لها - وأولها سلطات الاحتلال - أن تستخدم الدعوة الطائفية من جملة الأساليب الكثيرة التى استخدمتها لإضعاف حماس وتشويه موقفها. وقد قامت المخابرات الإسرائيلية وأجهزة الإعلام الصهيونية بجهود كبيرة، حيث أعلن عن إنشاء «حركة المقاومة المسيحية حمام»، لتكون فى مواجهة حركة «حماس»، ورددت الصحف الصهيونية والإذاعة الإسرائيلية هذا الاختلاق، إلا أنه سرعان ما دفن نتيجة لوعى الجماهير ويقظتها، إسلامية كانت أو مسيحية.

وكانت الصحف الإسرائيلية تتناول العلاقة بين المسلمين والمسيحيين تناولاً يدعو إلى الاصطدام، مستخدمة الكذب والتزوير، ولعل مطالعتنا على سبيل المثال لعنوان مقال نشرته «هآرتس» العبرية يدلنا على أسلوب تأجيج الصراعات فهو يقول: «بين المطرقة اليهودية والسندان الإسلامى»، ويقصد المسيحيين، أما صحيفة «معاريف» فتعنون أحد مقالاتها بالعنوان التالى: «بيت لحم: النصارى يخافون الإسلام»[1]، وعندما حاصرت قوات الاحتلال

(١) جريدة «هآرتس» ١ / ١١ / ١٩٨٨م، ص١٥، (معاريف)، ١٧ / ٣ / ١٩٨٩م، ص٢.

مدينة بيت ساحور بالضفة الغربية - والتي يكثر المسيحيون فيها - في أشرس حملة لجمع الضرائب استمرت ستة عشر يوماً قامت السلطات الإسرائيلية بتوزيع بيان مزور باسم حركة «حماس» يهاجم أهالي بيت ساحور.

لكن كل هذه الأساليب باءت بالفشل، ليقظة الشعب كله وخاصة المسيحيين وحركة «حماس» فبعض المسيحيين في مدينة غزة على سبيل المثال كانوا قد سلموا أنفسهم وسياراتهم للمسجد، ليكونوا تحت تصرف الشباب المسلم في خدمة الناس ونجدتهم[1]، وقد حذر المطران لطفي لحام، مطران طائفة الروم الأرثوذكس في الديار المقدسة المحتلة الطوائف المسيحية من الأكاذيب والدسائس التي تحاول سلطات الاحتلال الإسرائيلي من خلالها إحداث فتنة طائفية لصرف الشعب الفلسطيني عن مقاومة الاحتلال وضرب وحدته الوطنية[2]، أما البطريرك ميشيل صباح فقد أكد على انتماء المسيحيين إلى حضارة الإسلام حينما قال: «إن الوجود المسيحي هو جزء لا يتجزأ من العالم العربي المسلم»[3].

ولقد عبرت حركة «حماس» عن موقفها بالقول والفعل عدة مرات، فقد جاء في كتيب «حركة حماس بين آلام الواقع وآمال المستقبل»، الذي وزعته الحركة في الأرض المحتلة «أن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» جماهيرية الطرح، فهي حركة تستغرق كافة أبناء الشعب الفلسطيني، نظراً لأن أبناء هذا الشعب جميعهم مسلمون، إما تديناً وإما حضارة، وينسحب هذا المفهوم على غير المسلمين كالنصارى الذين عاشوا على هذه الأرض جنباً إلى جنب مع بقية أبناء الشعب المسلم... ونصارى فلسطين لا ينتمون إلى نصارى الغرب في تاريخهم وأطوار حياتهم، ومعالم حضارتهم، وإن كانوا يشتركون معهم في الدين والمعتقد، فقد تعرض نصارى فلسطين كما تعرض المسلمون إلى مؤامرات الغرب وغزواته»[4].

وأكدت الحركة في بيانها رقم (٤٩) «أنها حركة الجماهير الفلسطينية مسلمين ومسيحيين»[5]، أما من الناحية العملية فقد ذهب كبار رجال الحركة الإسلامية وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين لزيارة آل الطرزي في غزة لتقديم العزاء حينما قام جنود الاحتلال بإطلاق

---

(١) خالد عز الدين، ص٢١٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) (النهار) المقدسية، ٢٨ / ١١ /١٩٨٨م، عدد ٦٤٢.

(٤) جهاد صالح، ص ٩-١٠.

(٥) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج٢، ص ١٩٨٦م.

الرصاص على الشاب المسيحى خضر الطرزى فى الشهور الأولى من الانتفاضة. كما أن بعض مسيحيى غزة جاءوا للشيخ أحمد ياسين للقيام بحل نزاعاتهم المالية والعقارية كما يفعل المسلمون.

وقد عبرت حركة «حماس» عن احترامها للمسحيين وأعيادهم، ففى بيانها رقم (٦٧) المؤرخ فى ٣ / ١٢ / ١٩٩٠م أعلنت اعتبار أيام عيد ميلاد المسيح عليه السلام أياماً تتوافد فيها جموع المسلمين على بيوت المسيحيين مهنئين بالعيد مباركين وحدة أبناء شعبنا وتلاحمهم.

وكانت حركة «حماس» قد دعت إلى إضراب شامل يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٩م بمناسبة مرور شهر على اغتيال الدكتور عبدالله عزام.، ولما صادف موعد الإضراب يوم عيد لبعض الطوائف المسيحية، قامت «حماس» بنشر وتوزيع استدراك كملحق لبيانها رقم (٥١) أعلنت فيه تأجيل موعد إضرابها إلى إشعار آخر.

وحينما احتل المستوطنون اليهود فندق «مار يوحنا» واعتدوا على أملاك كنيسة الروم الأرثوذكس، قامت «حماس» باستنكار هذا العدوان، فقد جاء فى بيان المكتب الإعلامى لحركة «حماس» المؤرخ فى ١٣ / ٤ / ١٩٩٠م «تستنكر «حماس» هذا العدوان، الهمجى ضد المسيحيين من أبناء شعبنا الفلسطينى، وتؤكد للعالم أجمع أن دولة الاحتلال الإسرائيلى دولة عنصرية تعادى العقائد الدينية سواء كانت إسلامية أم مسيحية»[١].

وعندما قامت سلطات الاحتلال بعرض البضائع المصادرة من مدينة «بيت ساحور» - وأكثر تجارها من المسيحيين - لبيعها فى المزاد العلنى بهدف إحداث فتنة بين الناس، أفتى علماء المسلمين، وعلماء حركة «حماس» بحرمة شراء هذه البضائع والممتلكات[٢].

يتضح لنا من كل ما سبق الحرص الشديد الذى أبدته الحركة الإسلامية على الوحدة الوطنية، بين كافة الفئات والاتجاهات السياسية، والمعتقدات الدينية، وكان هذا - إلى جانب كونه متمشياً مع فكرة الحركة وبرنامجها السياسى - منسجماً مع طبيعة الشعب الفلسطينى وتاريخه الذى ينفر من كل دعوة للانقسام أو الطائفية.

---

(١) مرجع سابق، ج٣، ص١٧٠.

(٢) خالد عز الدين، ص٢٢١.

المبحث الرابع
الموقف من الدول والحكومات والهيئات

موقف حركة «حماس» من الحكومات العربية:

اتسم خطاب حركة «حماس» في السنوت الثلاث الأولى من عمر الانتفاضة بالنقد اللاذع للحكام العرب والأنظمة العربية، وموقفها المتخاذل من قضية فلسطين والانتفاضة، فكانت البيانات الصادرة من الأرض المحتلة تحمل المسئولية الكبيرة للحكام العرب، فلم تكن للحركة طيلة تلك الفترة أية اتصالات أو لقاءات مع الدول والحكومات، ولم يكن لها أى مكتب سياسى أو إعلامى معلن أو شبه معلن في أية دولة عربية أو إسلامية، كما لم يكن لها قيادات معلنة في الخارج.

وقد شددت الحركة هجومها في معظم بياناتها على الحكومات العربية مجتمعة وعلى حكومات دول المواجهة، فالحكام العرب - حسب بيانات حماس - هم صنائع للأعداء، سلموا فلسطين لليهود على دفعتين: الأولى عام ١٩٤٨م والثانية عام ١٩٦٧م، وهم متخاذلون، منشغلون بالحلول السلمية لإجهاض الانتفاضة، كما أنهم يبطشون بشعوبهم من أجل المحافظة على كراسي الحكم، إلى آخر ذلك من اتهامات، ففي البيان الثالث تقول حركة «حماس»: «في غفلة من شعبنا الممزق إلى دويلات متناحرة، نصب الأعداء على عرشوها حكاماً، لهم جنود أوفياء وحراس أمناء... وقد تم تسليم القسم الأول من فلسطين الغالية سنة ١٩٤٨م.. وتم تسليم بقية فلسطين سنة ١٩٦٧م» ثم يصفهم البيان نفسه بأنهم «الحكام الأقزام»[1]، ويعود البيان نفسه ليخاطب الحكام بقوله: «أيها الحكام العرب المنشغلون ببذل الجهود من أجل تحقيق السلام المزعوم.. تتظاهرون بالتصفيق للانتفاضة وأنتم في النوم غارقون» ويتهم البيان العاشر الإعلام العربى بأنه «يستمتع بعرض أشرطة جراحنا وجنازاتنا وكسر عظامنا ومطاردة نسائنا وأطفالنا.. على أيدى الصهاينة وهم بهم يجتمعون ولهم يخلصون وحولهم يحرسون»[2]، أما البيان العشرون فيتهمهم بالتواطؤ، والبيان الحادى والعشرون يتهمهم بالتخاذل وفي البيان الثاني والعشرين هم: «أصنام عربية تسخر الدنيا منهم لأنهم أقزام مهازيل أو أطفال مجاهيل»[3]، وفي البيان رقم (٤٩) يتهم الأنظمة العربية

---

(١) (وثائق حركة المقاومة)، ج١. ص ص ٢١-٢٢.
(٢) المرجع السابق، ص٤١.
(٣) المرجع السابق، ص ص ٦٩-٧٤.

بالعمالة: «الجيش (الإسرائيلي) الذى هزم الأنظمة العميلة كلها في ست ساعات لا ستة أيام»[1].

واتهمت بيانات الحركة الدول العربية بأنها عملت على حماية إسرائيل، فقد جاء في البيان رقم (٢٢) أن «الأنظمة العربية التى كانت سوراً أمنياً على إسرائيل، فأعطتها الفرصة لتعزيز قوتها، والحكام مشغولون بتوافه الأمور، وإلقاء الخطب الرنانة»[2]، ويؤكد البيان رقم (٢٨) أن الحكام العرب منعوا المجاهدين من القتال، وظلت (دول المواجهة) عشرين عاماً تحرس الكيان الصهيونى حتى كانت المؤامرة الأخرى سنة ١٩٦٧م على بقية فلسطين، ولم تكتف بيانات الحركة بهذا، بل تحدثت عن دكتاتورية الحكومات وقمعها للشعوب العربية وطالبت الجماهير العربية بإسقاطها، ففى البيان رقم (٢٧) تتحدث عن «الأمة العربية، التى يستأسد حكامها على شعوبهم قتلاً وتشريداً وبطشاً»، والبيان رقم (٣٢) يتحدث عن محاربة الحكام للإسلام لأنه الوحيد الكفيل بفضح الأنظمة وسحب البساط من تحت أرجل الظالمين[3]. أما بيان رقم (٥١) فإنه يدعو الجماهير العربية والإسلامية لكسر قيد الذل، والاستفادة من الانتفاضة، فقد تحركت شعوب المعسكر الشرقى نحو الحرية[4].

وفى نهاية تلك الفترة أى الشهور الأخيرة من السنة الثالثة للانتفاضة، نلاحظ تعديلات على لغة الخطاب السياسى للحركة الموجه للدول والحكومات العربية، فقد أصبح الخطاب يتخذ أسلوباً أكثر دبلوماسية، وبدأت الحركة توجه الرسائل إلى الرؤساء والملوك والأمراء أنفسهم وإلى مؤتمر القمة العربى، ولعل ذلك كان تمهيداً لخطة الحركة فى التحرك السياسى فى الخارج، وترتيب لقاءات مع بعض الأنظمة، وافتتاح المكاتب فى الدول التى توافق على ذلك.

يضاف إلى ذلك أن الحركة وخلال السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة ومن عمر الحركة، تحققت لها المكانة السياسية فى أوساط الشعب الفلسطينى فى الداخل والخارج، وألقيت عليها مسئوليات كبيرة، تجعلها تحسب خطواتها وكلماتها وعلاقاتها، فلم تعد كما كانت فى البداية، ذلك الصوت المثالى الذى يهمه فقط أن يقول الحقيقة ويحكم على السياسات والمواقف معبراً عن ضمير الأمة، إنما أصبحت الحركة بالإضافة إلى ذلك تأخذ دور

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٧٣.
(٢) المرجع السابق، ج١، ص٨٣.
(٣) المرجع السابق، ص٨٩، وص ١٠٨.
(٤) المرجع السابق، ج٣، ص٢١.

المشارك فى قيادة الشعب، وتحمل مسئوليته، وبالتالى تعمل على استمرار وجودها، ودراسة التوازنات السياسية فى المنطقة، مستفيدة من تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية بإيجابياتها وسلبياتها وبالتالى اتخذت منهجاً ثابتاً بتركيز عدوانها على العدو الصهيونى فقط عاملة على تحييد كل من يمكن تحييده.

وبدأت اللهجة تعتدل تدريجياً ابتداء من الرسالة التى وجهتها الحركة إلى مؤتمر القمة العربى الطارئ الذى عقد فى بغداد فى مايو سنة ١٩٨٩م: «إننا إذ نخاطب فيكم بصيرة القائد، ونخوة العربى الأبى، وغيرة المسلم، نحب أن نذكركم أن أرض فلسطين من البحر إلى النهر هى أرض عربية إسلامية، لا تقبل التقسيم ولا التجزئة»، كما طالبت المؤتمرين بتعبئة الأمة وفتح الحدود أمام المجاهدين، ودعم الانتفاضة، ورفض التنازل أو التفريط بأى جزء من فلسطين، ورفض كافة مشاريع التسوية[١].

وبعد سنة كاملة من ذلك التاريخ وجهت الحركة رسائل إلى كل الزعماء والقادة العرب طالبتهم فيها بالعمل على الاستقلال الاقتصادى عبر التكامل الاقتصادى العربى، والاستقلال العسكرى، عبر تطوير التصنيع الحربى الحديث والاستقلال السياسى أيضاً، كما طالبتهم بمقاطعة البضائع الأمريكية[٢]. وفى ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٩م وجهت الحركة رسالة إلى الرئيس صدام حسين تهنئه فيها بإطلاق الصاروخ الفضائى «العابد»[٣].

وكانت أبرز دلالات ذلك التحول التدريجى فى خطاب «حماس» تلك الرسالة التى وجهتها الحركة للشيخ جابر الأحمد - أمير دولة الكويت - بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٩م بوصفه رئيساً لمنظمة المؤتمر الإسلامى حينئذ حيث نقتطف منها ما يلى: «ولاتزال ترن فى آذاننا كلماتكم الطيبة التى تحدثتم بها عن انتفاضتنا وثورتنا الإسلامية المظفرة فى وجه العدو الصهيونى.. وإننا وثقة منا بصدق مشاعركم وقناعتكم، نبعث لكم بهذا النداء الأخوى من قلوب أخوة لكم...» وطالب النداء أن تتبنى «منظمة المؤتمر الإسلامى» قضية المعتقلين. وخاصة الشيخ أحمد ياسين، وتقديم العون العاجل لأسر الشهداء والجرحى والمعتقلين.. واختتم النداء كلماته بالتنويه بدور كويت الخير والعطاء قائلاً: «إننا ونحن نتابع مواقفكم الشجاعة من قضيتنا، ليحدونا أمل كبير بالاستجابة العاجلة لمطالبنا هذه»[٤].

---

(١) المرجع السابق، ج٢ ص ص ١٤٢-١٤٦.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص١٤٦، رسالة بتاريخ ١٩ / ٥ / ١٩٩٠م.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٨.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص١٥٦.

وهكذا بدأت «حماس» سياستها في التعامل مع الحكومات العربية على اعتبار أنها لا تهدد أي نظام، ولن تكون طرفاً في محور ضد محور آخر، وأنها ستركز جهودها كلها ضد العدو الصهيوني داخل فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨م أو التي احتلت سنة ١٩٦٧م، وأن وجودها في الدول العربية أو غيرها لن يتعدى الوجود السياسي والإعلامي المساند للعمل في الأرض المحتلة، وكان من الطبيعي أن تركز الحركة على الكويت ودول الخليج الأخرى، وذلك لتواجد أكثر قيادات الخارج فيها من جهة، ولحصولها على تبرعات شعبية جيدة في هذه الدول من جهة أخرى.

الموقف من الدول الكبرى:

لم تميز حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في موقفها من الدول الكبرى الثلاث: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وبريطانيا، فالدول الثلاث تصطف في معسكر الأعداء، فهي التي ساعدت الكيان الصهيوني من إنشائه إلى دعمه وتقويته بالعتاد والمال والرجال، ويختلف هذا الموقف عن نظرة (م. ت. ف) والفصائل الوطنية واليسارية والتي اعتبرت الاتحاد السوفيتي دائماً صديقاً للشعب الفلسطيني وحليفاً استراتيجياً لقواه المناضلة، وكما جاء في المادة الثانية والعشرين من الميثاق فإن «القوى الاستعمارية في الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي، تدعم العدو بكل ما أوتيت من قوة، مادياً وبشرياً، وهي تتبادل الأدوار، ويوم يظهر الإسلام تتحد في مواجهته قوى الكفر، فملة الكفر واحدة»[1].

ولعل الولايات المتحدة الأمريكية تحظى بالنصيب الأكبر من موقف «حماس» العدائي، وذلك لدورها الأكبر في مساندة إسرائيل والعمل على تركيع الأنظمة والمنظمات من أجل حل سلمي يضمن للكيان الصهيوني شرعيته وتفوقه، فقد طالبت الحركة (م. ت. ف) عدة مرات بإيقاف الحوار مع أمريكا، كما طالبت في بيانها الثامن بالإضراب الشامل في وجه المؤامرة الأمريكية الجديدة (مشروع شولتز)، فأمريكا حسب البيان «تمد إسرائيل بالمال والسلاح وضدنا في كل شيء»، كما طالب البيان «بالوقوف معاً» يداً واحدة ضد السياسة الأمريكية في المنطقة»[2]، أما البيان الثاني عشر فهو يتحدث عن دعم اليهود في فلسطين «من الدول الصليبية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا بالرعاية الاقتصادية والسياسية

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص١٥٧ (المادة ٢٢ من الميثاق).
(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٥-٣٦.

والعسكرية، ودول الإلحاد وفي مقدمتها روسيا الحمراء التي تغذى (إسرائيل) بالمهاجرين اليهود»[1]، ويعتبر البيان رقم (٤٩) أمريكا وبريطانيا شريكين كاملين للكيان الصهيونى فى كل جرائمه، وبالتالى فهما عند حركة حماس في درجة واحدة من العداء[2].

الموقف من الهيئات العربية والدولية:

وقد توجهت حركة «حماس» فى نداءاتها أيضاً إلى الأمة العربية والأمة الإسلامية والحركة الإسلامية فى العالم، كما وجهت نداءاتها إلى المنظمات الإنسانية والهيئات الدولية.

الهيئات العربية والإسلامية وجموع المسلمين:

وإيماناً من الحركة بأن قضية فلسطين هى قضية كل مسلم وأن على كل مسلم أن يقوم بدوره في مواجهة اليهود، فإنها تتوجه بالتهنئة بالعيد باسم المسجد الأقصى الأسير إلى جميع المسلمين فى العالم الإسلامى كما جاء فى البيان السابع عشر[3]، كما تحث المسلمين والعرب جميعاً على مساندة الانتفاضة حيث تتوجه بالتحية «لكل صوت يعين على استمرار الانتفاضة فى الداخل والخارج»[4]. كما أنها فى بيان رقم (٣٠) تطالب أنصار الإسلام فى أرجاء البلاد وفى الخارج ليكونوا ألسنة «حماس» الإعلامية تكفيراً عن التعتيم الإعلامى محلياً وعالمياً، وفى مناسبة الإسراء والمعراج يطالب البيان رقم (٣٧) بإلقاء الخطب والندوات فى العالم كله عن أرض الإسراء والمعراج وإفساد اليهود فيها.

وتبدأ بيانات الحركة ابتداء من البيان رقم (٣٩) الصادر بتاريخ ٥ / ٤ / ١٩٨٩م بتحديد مطالبها على الصعيد الخارجى، مثلما تحدد مطالبها على الصعيد الداخلى، وهى فى البيان نفسه تدعو الحركة الإسلامية العالمية إلى تكثيف جهودها الإعلامية عن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى الخارج لكسر حاجز التعتيم الإعلامى، وعلى سبيل المثال فإن الحركة تطالب المسلمين فى الخارج أيضاً بصوم يوم الاثنين ٣ / ٧ / ١٩٨٩م وتنظيم الإفطارات الجماعية وشرح القضية الفلسطينية»[5].

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦.
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٨٥.
(٣) (وثائق حركة المقاومة)، ج١، ص٦٤.
(٤) المرجع السابق، ج١، ص٧٦، البيان رقم (٢١).
(٥) المرجع السابق، ج٢، ص٦٠، بيان (٤٣).

كما قامت الحركة بإرسال تهنئة للشيخ عباس مدنى بمناسبة فوز «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» فى الانتخابات البلدية الجزائرية بتاريخ ١٨ / ٦ / ١٩٩٠م[١]، كما أرسلت برسالة تعزية إلى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية بضحايا الزلزال، ودعت المسلمين فى جميع أنحاء العالم لأداء صلاة الغائب على أرواح الشعب الإيرانى وذلك فى يوم الجمعة ٢٩ / ٦ / ١٩٩٠م[٢]، كما طالبت المسلمين بترتيبات عملية لنصرة قضية فلسطين، ففى البيان رقم (٥٠) ومع بداية العام الثالث للانتفاضة دعت، «حماس» الاتجاهات الإسلامية فى كل بلد عربى أو إسلامى، وكل تجمع إسلامى فى الخارج إلى تشكيل جهاز خاص لدعم الانتفاضة والوقوف مع أهلها[٣].

الهيئات والمنظمات الدولية:

أما بالنسبة للمنظمات الإنسانية والهيئات الدولية فإن حركة «حماس» - على عكس القيادة الوطنية الموحدة - ظلت حوالى عشرين شهراً لا توجه أية كلمة إلى هذه المنظمات، وربما كان ذلك بسبب قناعات الحركة فى الداخل بعدم جدوى هذه الهيئات الغربية.

وقد ظهر ذلك لأول مرة فى البيان رقم (٤٤) حيث ناشدت الحركة العالم أجمع ومنظماته الإنسانية وهيئاته الدولية، أن تتخذ خطوات عملية لرفع المعاناة عن الشعب الفلسطينى، وقد تكررت هذه المناشدة فى بيان رقم (٤٦) وبيان رقم (٤٨) وبيان رقم (٥١) حيث طالبتها أيضاً للتدخل من أجل المعتقلين، ويبدو أن هذا التوجه الجديد جاء بناء على اقتراحات من قيادات الحركة فى الخارج، والتى كان يعيش جزء مهم منها فى دول الغرب، وبالتالى فهم يدركون لغته وطرق تفكيره ●

---

(١) المرجع السابق، ج٣، ص١٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج٣، ص ص ١٦٣-١٦٤.
(٣) المرجع السابق، ج٣، ص١٦.

الفصل الرابع
الهيكل التنظيمي

المبحث الأول
تطور الهياكل التنظيمية

تطور الهيكل التنظيمي داخل الأرض المحتلة:

ورثت حركة «حماس» الهياكل التنظيمية للإخوان المسلمين والتي تتميز بالسرية والتماسك والتنظيم الهرمي، كما أضافت ومنذ البداية بعض الأطر الجديدة التي تتناسب مع المرحلة الجديدة، فأنشأت جهازاً خاصاً بفعاليات الانتفاضة، ثم أعادت ترتيب العمل الإعلامي على مستوى يشمل الضفة الغربية وقطاع غزة[1].

كان على الحركة أن تستجيب وبسرعة للمتغيرات السريعة والمتلاحقة، فأحداث الانتفاضة تتسارع وتتسع، والمناصرون يتزايدون ولابد من استيعابهم، وحملات الاعتقالات الضخمة تفصل بين كل واحدة وأخرى عدة شهور، بالإضافة إلى الاعتقالات المستمرة لبعض العناصر أو القيادات أو المؤيدين، في محاولات جادة من أجهزة الأمن لهدم كل ما تبنيه الحركة من هياكل وأطر.

كانت الحركة مضطرة إلى أن توائم بين نشاطاتها وأهدافها من جهة، وبين الأسلوب التنظيمي الذي يخدم هذه الأنشطة والأهداف من جهة أخرى، مستفيدة من أخطاء التجربة والظروف الصعبة التي تعمل فيها، ومن هنا فقد تم تعديل الهيكل التنظيمي أكثر من مرة، وفي كل تعديل تجري التحسينات هنا وهناك.

وعموماً فإننا نستطيع تقسيم تطور الهيكل التنظيمي للحركة إلى أربع مراحل أساسية مستندين في ذلك إلى ما كشفته ملفات التحقيق الصهيونية مع بعض المعتقلين، بالإضافة إلى إيضاحات بعض المسئولين عبر المقابلات الشخصية.

---

(١) المعلومات مستمدة من مجموع اللقاءات مع قيادات الحركة من المبعدين في «مرج الزهور» بجنوب لبنان في العشرة أيام الأولى من شهر يونيو (حزيران)، ١٩٩٣م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرحلة الأولى - هياكل الإخوان المسلمين:

قلنا إن حركة «حماس» ورثت هياكل الإخوان المسلمين، وتتصف تنظيمات الإخوان المسلمين عادة بالسرية الشديدة في كل الساحات وفي جميع الأحوال مهما تدرجت أحوال الرخاء أو الشدة، فالتنظيم وأعماله وأخباره مغلقة تماماً على من هم خارج التنظيم، أما أعضاء التنظيم فلا يعرفون ولا يتحدثون إلا في الدائرة التي يعملون فيها، فالأخ المسلم يمكن أن يعرف فلاناً من الإخوان المسلمين بسبب مشاركته في الأنشطة الاجتماعية والدعوية أو المهرجانات أو غير ذلك، لكنه لا يعرف موقعه التنظيمي أو طبيعة عمله، فقط القيادة العليا هي التي تعرف مواقع الجميع وطبيعة أعمالهم، حيث اتخذ الإخوان لهيكلهم شكل التنظيم الهرمي.

وحينما اندلعت الانتفاضة وتأسست حركة «حماس»، فإن الهيئة القيادية للتنظيم في قطاع غزة «مكتب غزة» والمكونة من سبعة قادة، بعدد المناطق التي كان يقسم إليها القطاع، أصبحوا هم القادة السبعة المؤسسين للحركة وظلت الأطر التنظيمية السابقة التي للإخوان المسلمين كما هي، من هيئات للمناطق ومجالس شورى ومسئولي قطاعات، وأصبحت الهيئات الإدارية في كل مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية هي القيادات لحركة حماس، وظلت أعمال الإخوان الدعوية والتربوية تسير جنباً إلى جنب مع الأعمال السياسية والإعلامية دون فصل بين الإخوان و«حماس»[1].

تم استخدام جهاز خاص بفعاليات الانتفاضة منذ أيامها الأولى سمي في غزة بجهاز «الأحداث» وفي الضفة الغربية جهاز «الطوارئ»، وكان هذا الجهاز يقوم بتوزيع المنشورات وتنظيم المظاهرات والإضرابات وكتابة الشعارات وإغلاق الطرق ومنع العمال من التوجه إلى المصانع اليهودية، وكان أوائل المصابين والشهداء في الحركة من عناصر هذا الجهاز، كما كانوا أول المعتقلين على خلفية أعمال شعبية يشارك الشعب كله فيها، وبالتالي ينكرون صلتهم بأي تنظيم، ويؤكدون للمحقق أنهم يفعلون ذلك بمبادرة شخصية.

وكان من أبرز إضافات هذه المرحلة إنشاء المكتب الإعلامي الذي يمثل جميع مناطق الأرض المحتلة، «فقد تأسس المكتب الإعلامي في نيسان «أبريل» ١٩٨٨م في الضفة الغربية عندما اتصل الشيخ جميل الحمامي المنسق بين الضفة وغزة، بمحمود محمد مصلح في رام الله وكلفه بمسئولية المكتب، وطلب منه إصدار نشرة «حماس»»[2] وذلك كان بطلب من الشيخ

---

(١) قيادات نابلس، مقابلة شخصية، مخيم مرج الزهور، ٤/٦/١٩٩٣م.

(٢) محمود محمد مصلح، محاضر التحقيق مع بعض معتقلي حماس، سجن «جنين»، ٣١/١٢/١٩٩٠م.

أحمد ياسين الذى وجد فى الضفة الغربية ظروفاً أفضل للعمل الإعلامى لسهولة اتصالها بالخارج وبالقدس ووكالات الأنباء من جهة، ولتخفيف العبء عن قطاع غزة المحاصر، والذى تدهمه الاعتقالات يوماً بعد يوم، «فقد كانت بيانات الانتفاضة فى البداية تكتب فى غزة وترسل إلى جميع الجهات ثم فى فترة لاحقة بدأ يتم التشاور فى مادتها بين القطاع والضفة»[1]، ثم بعد ذلك أصبحت البيانات تكتب فى الضفة الغربية حيث يقوم المكتب الإعلامى بصياغتها بناء على ما يصله من توجيهات من قطاع غزة أو من نشيطى «حماس» فى الولايات المتحدة»[2]. وقد تأسس المكتب الإعلامى منذ البداية على أسس مناسبة للظروف الأمنية، فتكون من أربعة أعضاء يمثلون المناطق الرئيسية فى الأرض المحتلة: من نابلس ورام الله والخليل وغزة ومن بينهم المسئول الأول.

المرحلة الثانية – تعديل الهياكل:

بعد حملة الاعتقالات الأولى والثانية وضرب هيكلية التنظيم، واعتقالات القادة فى الضربة الأولى، ثم اعتقال الشيخ أحمد ياسين فى الضربة الثانية – مايو ١٩٨٩م – كان لابد من إعادة النظر فى الهيكل التنظيمى ليصبح أكثر متانة «فقد أبعد هيكل التنظيم معظم الشخصيات العامة المعروفة، واتخذ التنظيم عدة ترتيبات للمحافظة على سريته، وبدأ استخدام النقاط الميتة فى الاتصالات، ففى قطاع غزة قسم القطاع إلى أربع مناطق تنظيمية بدلاً من سبعة وأصبحت كما يلى:

١– مدينة غزة بجميع أحيائهاومعها مخيم الشاطئ للاجئين.

٢– المنطقة الشمالية وتضم القرى والمخيمات الواقعة شمالى مدينة غزة، وهى جباليا وبيت حانون وبيت لاهيا.

٣– المنطقة الوسطى، وتضم دير البلح والزوايدة ومخيمات النصيرات والبريج والمغزى.

٤– المنطقة الجنوبية، وتضم مدينتى خان يونس ورفح ومخيماتهما وقرى خان يونس الشرقية.

وأصبحت قيادة الحركة فى قطاع غزة تتكون من خمسة أعضاء، المسئول الأول والمسئولين عن المناطق الأربعة، ويرتبط بهذه القيادة ثلاثة أجهزة رئيسية هى:

– جهاز الأمن.

– الجهاز العسكرى.

---

(١) د. عبدالعزيز الرنتيسى، مرجع سابق.

(٢) محمود محمد مصلح، مرجع سابق.

بالإضافة إلى لجان أخرى تتبع القيادة مباشرة وهى: «لجنة الدعوة، لجنة التعليم، واللجنة الاجتماعية، واللجنة المسئولة عن أسر المعتقلين»(١).

أما الضفة الغربية فقد قسمت إلى ثلاث مناطق رئيسية كما يلى:

١- مكتب الشمال: ويضم مناطق نابلس وجنين وطولكرم وقراها ومخيماتها.

٢- مكتب الوسط: ويضم مناطق القدس وبيت لحم ورام الله وقراها ومخيماتها.

٣- مكتب الجنوب: ويضم منطقة الخليل وقراها ومخيماتها(٢).

أصبح منذ بداية عام ١٩٨٩م هناك هيئة قيادية واحدة لجميع الضفة الغربية تكونت من ثلاثة أفراد يمثلون المكاتب الثلاثة ومن بينهم المسئول الأول.

المرحلة الثالثة - مرحلة فصل الأجهزة:

استفادت الحركة من نتائج الضربات السابقة، وكان من أهم الدروس المستفادة أن تداخل الأجهزة كان من أهم أسباب اتساع رقعة الاعتقالات، فكان الكثير من الأعضاء، وخاصة المسئولين منهم، فى عدة لجان أو أجهزة أو مسئولين لبعض المناطق، فكان مثل هؤلاء عرضة للاعتقال من عدة طرق، إذا تم اعتقال العاملين معهم فى لجنة أو جهاز أو إدارة، كما أن اعتقال مثل هذا العضو يهدد فى نفس الوقت لجاناً وأجهزة وإدارات لم يكشف عن عملها بعد، وهذا ما تم فعلاً فى حالات متعددة.

ولذلك توصلت الحركة إلى نظام يفصل فصلاً تاماً بين الأجهزة واللجان والإدارات، بحيث يصبح كل إطار تنظيمى قائماً بذاته وليس له أية صلة بالأجهزة الأخرى لا فى النشاطات ولا فى الأعضاء، وكان كل جهاز على حدة يرتبط بالقيادة المركزية فى قطاع غزة أو الضفة الغربية، وهذا جعل الخطورة كلها تتركز عند القيادة المركزية أوالمسئول الأول بالتحديد، ولهذا وعندما كشف أمر المسئول الأول للحركة فى الضفة الغربية كلها - محمد كاظم - بسبب اعتقالات شملت بعض العاملين معه، استطاع أن يتخفى عن الأنظار قبل أن يتمكن من مغادرة الأرض المحتلة، محتفظاً بجميع الأسرار بعيداً عن متناول أجهزة الاحتلال الأمنية.

المرحلة الرابعة - فصل الأجهزة تماماً واتصالها بقيادات الخارج:

فى هذه المرحلة الأخيرة واستفادة من جميع الضربات التى وجهت للحركة وآخرها كان فى تلك الفترة ضربة ١٩٩٠م، توصلت الحركة إلى أسلوب جديد، يجعل الخيوط التنظيمية

(١) ملفات التحقيق، معتقلون من غزة.

(٢) ملفات التحقيق، معتقلون من الضفة.

المركزية فى منأى عن الملاحقة والضرب، حيث أصبح كل جهاز من أجهزة الحركة السياسية والإعلامية والمالية وغيرها، يتصل بلجنة مشابهة موجودة خارج الأرض المحتلة، تعمل على ترتيب عمله، ويتم التنسيق الأعلى بين عمل الأجهزة فى الخارج أيضاً. وبالإضافة إلى الفوائد الأمنية لهذه الطريقة فإنها جاءت أيضاً فى مرحلة صعدت فيها إلى قيادة العمل فى الداخل عناصر شابة، لعل بعضها تنقصه الخبرة والبعض الآخر لم يختبر، فكان الاتصال بالخارج يعوض أحياناً مثل هذا النقص، ومع ذلك فقد أثبت الكثيرون من القيادات الشابة الجديدة نجاحاً متميزاً فى العمل.

وقد كشف عن هذا الترتيب فى لقاء تليفزيونى أجراه التليفزيون الإسرائيلى من السجن مع أحد المعتقلين من القيادات الشابة فى قطاع غزة فى برنامج «حماس ٩١»، حيث قال: «إنه بعد الضربة الأخيرة وتفكك الخيوط التنظيمية، وصل إلى الأرض المحتلة أحد نشطاء حركة «حماس» فى الخارج وقام بتوصيل الخيوط التى انقطعت، وعمل على إعادة هيكلة التنظيم بحيث يتصل كل جهاز فى الداخل بجهاز نظير له فى الخارج[(١)].

يقول الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى إنه ليس له علم بذلك، فقد سمع ذلك لأول مرة فى اللقاء التليفزيونى المذكور، وربما كان ذلك صحيحاً، وربما أخذت هذه الأقوال من ذلك الشاب بالقوة، وربما لا أساس لها من الصحة، ويظل المصدر تليفزيون العدو الذى لابد أنه يرمى إلى أهداف معنية من مثل هذا اللقاء[(٢)]. والواقع أن تلك المقابلة التليفزيونية حددت الأردن كمكان لهذه القيادات، ذكرت أسماء وهياكل، ولعل السلطات الصهيونية فعلت هذا من قبيل الضغط على الحكومة الأردنية.

عموماً استفادت الحركة كثيراً من تجاربها فى السنوات الثلاث الأولى للانتفاضة فى ابتداع أشكال تنظيمية، قللت من حجم الاعتقالات والخسائر، ولعل الحركة لم تتلق بعد عام ١٩٩٠م ضربات موجعة كثيرة، لأن معظم الاعتقالات بعد ذلك - وإن كثرت أعداد المعتقلين - جاءت فى الأغلب استناداً على كشوف مسبقة بأسماء نشيطى «حماس» بناء على الاعتقالات السابقة والاعترافات القديمة، ولم تكن فى أكثرها بناء على معلومات جديدة.

---

(١) عماد الفالوجى، التليفزيون الإسرائيلى، «برنامج» حماس ١٩٩١م»، (الشريط موجود فى أرشيف الحركة).

(٢) الرنتيسى، مرجع سابق.

العمل العسكرى: من المجاهدين إلى كتائب القسام:

تأسس الجهاز العسكرى لحركة «حماس» قبل تأسيس الحركة نفسها بخمسة سنوات، حيث أسس الشيخ أحمد ياسين هذا الجهاز عام ١٩٨٢م تحت اسم «المجاهدون الفلسطينيون».

(أ) المجاهدون الفلسطينيون:

اعتمد العمل العسكرى منذ بدايته على السرية التامة، فبعد أن خرج الشيخ أحمد ياسين من السجن عام ١٩٨٥م، فى عملية تبادل للأسرى، عمل على إعادة تكوين الجهاز العسكرى وأوكل مهمة قيادته للأخ صلاح شحادة من قيادات الجيل الثانى فى الإخوان المسلمين، ومن مواليد ١٩٥١م وهو واحد من أقرب المقربين للشيخ، اعتقل مع الشيخ عام ١٩٨٤م وأبدى صلابة منقطعة النظير، وهو مسئول المنطقة الشمالية فى قطاع غزة ويمتاز بالدماثة والقوة والصلابة والسرية.

بدأ صلاح شحادة مع بداية ١٩٨٦م فى تشكيل المجموعات العسكرية وبإشراف مباشر من الشيخ أحمد ياسين دون علم باقى القيادات بذلك العمل، واعتمد الجهاز من بداية عمله نظام النقاط الميتة فى الاتصالات واستخدام الأرقام لأعضائه بدلاً من الأسماء الحقيقية أو الأسماء المستعارة، وقد كان مفصولاً تماماً عن الجسم التنظيمى وبقية الأجهزة. «كون الجهاز بعد بداية الانتفاضة، أربع مجموعات عسكرية، اثنان منها فى الشمال واثنتان فى الجنوب وواحدة فى خان يونس والأخرى فى رفح»[١].

وكانت تنتقى لهذه المجموعات العناصر المناسبة من حيث الخبرة والصلابة والسرية التامة، والتمويه حتى على الإخوان، لدرجة أن الإخوان فى بعض المناطق تحفظوا فى علاقاتهم مع بعض أعضاء هذه المجموعات العسكرية ظناً منهم أنهم تركوا الحركة، ولعل من أبرز درجات التمويه التى استخدمت هو ما فعله «محمد نصار» حيث تخصص فى سرقة السيارات الإسرائيلة داخل فلسطين المحتلة، واعتقل عدة مرات على قضايا مدنية، مما أبعد عنه الشكوك من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية خاصة وأنه واحد من المحررين فى تبادل الأسرى عام ١٩٨٥م[٢].

وفى اعتقالات ١٩٨٨م، اعتقل صلاح شحادة قائد الجهاز العسكرى «المجاهدون

---

(١) (ف. خ)، أحد أعضاء الجهاز، مقابلة شخصية، «مرج الزهور»، ٦/٦/١٩٩٣م.

(٢) محمد نصار، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

الفلسطينيون» على قضايا غير عسكرية مع باقي القيادات المؤسسة لحركة (حماس)، وفي اعتقالات مايو ١٩٨٩م، اعتقل الشيخ أحمد ياسين، والشيخ نزار عوض الله القائد الثاني للجهاز العسكري، كما اعتقل محمد يوسف الشراتحة مسئول واحدة من المجموعتين العسكريتين في منطقة الشمال، تلك المجموعة التي اختطفت الجنديين الإسرائيليين، واعتقل بعض أعضاء الجهاز العسكري الذي انكشف في تحقيقات ١٩٨٩م، واستطاعت مجموعة نصار - المبحوح - أبو خوصة مغادرة الأراضي المحتلة بعد فترة ثلاثة أشهر من الاختفاء عن العيون.

جاء منتصف عام ١٩٨٩م، والجهاز العسكري لحماس «المجاهدون»، يكاد يكون مشلولاً، ولم تبق منه إلا مجموعة خان يونس ومجموعة رفح، التي لم تصلها الاعتقالات، وبقيت تراقب الأوضاع تنتظر ما تسفر عنه الأحداث وما قد يجيئها من تعليمات.

(ب) كتائب «عز الدين القسام»:

في بداية عام ١٩٩٠م، قررت الحركة إنشاء الجهاز العسكري من جديد وتفعيل دوره، كما قررت إنشاءه على أسس جديدة مستفيدة من تجارب الماضي، كما قررت أيضاً تغيير اسم الجهاز لأسباب أمنية وأخرى سياسية وفكرية.

اعتمد الجهاز الجديد في البداية على مجموعتي خان يونس ورفح، اللتين استطاعتا الاحتفاظ بسرية العمل طيلة الشهور الماضية، وكان من أبرز رجال هاتين المجموعتين «ياسر النمروطي» من مخيم خان يونس للاجئين، الذي قاد الجهاز الجديد بكفاءة وحنكة إلى أن استشهد في معركة كبيرة مع عدد كبير من جنود الاحتلال.

استطاع النمروطي أن ينتقي عناصر جديدة من منطقتي خان يونس ورفح، كما امتد الجهاز الجديد إلى منطقة المخيمات الوسطى التي لم يسبق لها أن شاركت في الجهاز العسكري السابق، ليضم إلى الجهاز عدداً مناسباً من الشباب المجاهد مثل الشهيدين طارق عبدالفتاح دخان، وياسر حماد الحسنات، أبناء أبرز قيادات الإخوان في المنطقة الوسطى، كما نظمت مجموعات عسكرية في منطقة غزة والمنطقة الشمالية كان منها الشهيد عماد عقل[1].

أطلقت الحركة على الجهاز الجديد الذي تكون في الشهور الأولى من عام ١٩٩٠م اسم «كتائب عز الدين القسام»، وكانت الحركة وخاصة في بداية تأسيس الجهاز، تريد أن تسبب إرباكاً للأجهزة الأمنية الصهيونية، فالشيخ عز الدين القسام، تلك الشخصية العظيمة في

---

(١) (ف. خ)، مرجع سابق،

تاريخ الكفاح الفلسطيني، تجتمع عليه كل الفصائل الفلسطينية، إسلامية وغير إسلامية، ولا يمكن للمخابرات الإسرائيلية أن تتوقع أن الكتائب هذه تتبع أي تنظيم فلسطيني، وكان أبرز من تبنى الشيخ القسام هي حركة «الجهاد الإسلامي في فلسطين»، جاعلة منه الرمز لامتزاج الإسلام بالوطنية، وأطلقت اسم القسام على المسجد الذي يخطب فيه مرشد الحركة الروحي - الشيخ عبدالعزيز عودة.

كما أن حركة حماس أرادت أن تقول إنها الوريث الشرعي لجهاد شعب فلسطين، وخاصة لجهاد القسام وإخوانه، وأنها الضمانة لاستمرار هذا الجهاد، وكما أن كتائب القسام برزت في الفترة التي بدأت تضعف فيها حركة الجهاد الإسلامي لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

بدأت كتائب القسام - دون أن تعلن عن نفسها - بملاحقة العملاء والجواسيس، على اعتبار أن تنظيف الساحة منهم هو أهم ضمانة لاستمرار العمل ضد اليهود والحفاظ على سريته، وازداد عدد العملاء القتلى، دون أن تعلن الكتائب عن اسمها ومسئوليتها. فقد كانت أول مرة تعلن الكتائب عن اسمها ومسئوليتها في بداية ١٩٩١م عندما ذهبت مجموعة لتصفية أحد أكبر العملاء، في اعتقادها، في منطقة جباليا، وكان مسلحاً ومحصناً، فأطلق النار على المجموعة حيث أصاب «غسان أبو ندى» إصابات بليغة، استشهد على إثرها في المستشفى الأهلي العربي، فقد ظهرت شعارات كتائب القسام على الجدران تحيي شهيدها أبو ندى[1].

ثم بدأت كتائب «عزالدين القسام» عملها في مهاجمة الجنود والمستوطنين، وقد اتخذت أساليب عدة في المحافظة على سرية العمل، أهمها عدم السماح باعتقال أعضائها، فقد تبين من تجربة سنتين من الانتفاضة، أن الحديث عن صلابة وإصرار وعناد المعتقل، وعدم اعترافه بأي معلومات، هو حديث مثالي، كذبه الواقع، فالعدد القليل جداً هو القادر على ذلك، أما أكثر الناس، فلا يستطيعون مقاومة التعذيب الجسدي العنيف، والتهديدات النفسية، وغير ذلك.

لذلك كانت عناصر «كتائب القسام» إذا اشتبكت مع جنود الاحتلال، إما أن تضرب ضربتها وتنسحب بسلام، أو تقاوم حتى الموت إذا أحكم الحصار حولها فلا تستلم أبداً، وفي حالة انكشاف أحد العناصر أو أكثر لسبب أو لآخر، فإنهم يصبحون مطاردين ينامون في أماكن سرية، ويعيشون حياة صعبة للغاية، ويمارسون الأعمال العسكرية من حين لآخر، وقد

---

(١) المرجع السابق.

يغادر البعض الأراضي المحتلة، مما قلل حجم المعلومات التي تمتلكها سلطات الاحتلال عن «كتائب القسام»، وجعل ضرباتها للأهداف الصهيونية أكثر إيلاماً، وجعل وجودها أكثر قوة، وعناصرها تزداد ولا تنقص. ولهذا سيكون لـ «كتائب القسام»، في السنوات المقبلة دور مهم وخطير في مجمل الصراع مع الاحتلال.

الهياكل في الخارج

أعلنت قيادات الحركة في الخارج، وفي مناسبات كثيرة، أن تنظيم حركة «حماس» وقيادته وجسمه ونشاطه كله موجود في داخل الأرض المحتلة، وأن ممثلي الحركة في الخارج يقومون بالأدوار السياسية والإعلامية للتعبير عن الحركة في الداخل وتوضيح مواقفها، ونسج علاقاتها السياسية مع الأطراف الأخرى من دول أو تنظيمات وغيرها، أي أنه لا يوجد في خارج الأرض المحتلة تنظيم لحركة حماس، ولا هياكل تنظيمية تكون امتداداً للتنظيم في الداخل.

وكان من أهم ما أكدته الحركة والتزمت به، أنها لا تعمل في الساحات العربية والأجنبية، ولا تنوي ذلك، وبالتالي فهي لا تهدد الأمن والاستقرار في أي مكان، فعملها كله منصب داخل الأرض المحتلة وضد العدو الصهيوني، وأنها ستركز هجماتها العسكرية في الداخل فقط مستهدفة العسكريين والمستوطنين. وهي مستفيدة من تجربة الثورة الفلسطينية الطويلة، لا تريد أن تستعدي أطرافاً أخرى غير العدو، وخاصة أنها تمثل حركة إسلامية في مرحلة ترى معظم الحكومات العربية والغربية في الحركات الإسلامية عدواً وخطراً يهددها جميعاً.

كان «الجهاز العام لفلسطين»، قد بدأ عمله قبل الانتفاضة بسنتين، ممثلاً في لجنة قيادية، وبعض اللجان الأساسية الأخرى كالإعلامية والسياسية والمالية ولجنة الأرض المحتلة وغيرها، ومع اندلاع الانتفاضة وتأسيس حركة «حماس»، ثم تنامي قوتها ودورها لتسبق الجهاز العام الذي أصبح يركض خلفها، وتصبح الحركة أكبر من الجهاز بكثير، فلم يعد من الممكن أو من المعقول أن تظل حركة حماس وفعالياتها تتبع إحدى لجان الجهاز العام - لجنة الأرض المحتلة -.

كانت الأحداث وتسارعها تفرض على قيادات الخارج إعادة النظر في هياكلها وأسلوبها، إلا أن هذا التطور لم يحدث بالصورة المناسبة ولا بالسرعة المناسبة لأسباب متعددة، منها أن القيادات في الخارج لم تواجه الخطر، ولم تتعرض للملاحقة أو الاعتقال، وكانت تبذل أقصى الجهود للمحافظة على سريتها، فلم تحدث تغييرات إجبارية في الهياكل القيادية، اللهم إلا

تعديلات طفيفة لا تكاد تذكر في استعفاء البعض أو دخول البعض الآخر إلى المواقع القيادية بصورة طبيعية.

لم تتعرض الحركة في الخارج إلا لملاحقات هامشية، شملت عدداً قليلاً لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة في إحدى دول الخليج العربي[1]، ولم تؤثر مطلقاً على هيكلية القيادة فلم يكن يقيم في هذه الدولة الخليجية أي عضو من أعضاء الهيئة القيادية للجهاز، ولعل الخسارة الوحيدة هي ما يحتمل أن تكون الاعترافات قد كشفته عن بعض القيادات وأسمائها والتي ظلت سرية وغير معروفة، كما حدثت بعض الاعتقالات في صفوف الحركة في إحدى الدول العربية المحيطة بفلسطين، كانت أكثر عدداً وأبعد أثراً، واستهدفت جهازاً واحداً بصورة أساسية، ولعل هذه الاعتقالات وتحقيقات أخرى جرت مع البعض الآخر، أدت إلى تكشف معلومات إضافية ومهمة عن تركيب الحركة وقياداتها في الخارج، ظلت في ملفات الأجهزة المختصة ولاستعمالهما الخاص، وكانت هذه المعلومات التي تكتشف لبعض أجهزة المخابرات في المنطقة العربية دافعاً أساسياً إلى جانب دوافع سياسية أخرى إلا إعلان الحركة في الخارج عن أسماء بعض قياداتها وممثليها.

ولم يبرز من قيادات الحركة في الخارج إلا الناطق الرسمي إبراهيم غوشة ثم بعض الممثلين في بعض الدول التي سمحت بذلك، وكان أكثرهم محمد نزال ممثل الحركة في الأردن، وأخيراً أعلن عن وجود مكتب سياسي للحركة، كضرورة ملحة لتسهيل الاتصال بالآخرين وتمثيل الحركة مع الدول والمنظمات، ولم يعرف سوى اسم رئيس المكتب السياسي موسى أبو مرزوق الذي اعتقل في الولايات المتحدة عام ١٩٩٥م وعين بدلاً منه خالد مشعل، وأصبح المكتب السياسي يتكون من ستة أعضاء، أربعة منهم كانوا من الإخوان الفلسطينيين في الكويت وعماد العلمي المبعد من قطاع غزة بالإضافة إلى أبو مرزوق من الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة والذي كان من تنظيم الطلاب في الجامعات المصرية في فترة السبعينيات.

كما عرف للحركة فيما بعد ممثلين في كل من الأردن وإيران وسوريا ولبنان والسودان واليمن في النصف الأول من التسعينيات، أربعة منهم أيضاً من التنظيم الإخواني في الكويت بالإضافة إلى ممثلي الحركة في كل من سوريا ولبنان : مصطفى القانوع ومصطفى اللداوي المبعدين من قطاع غزة.

---

(١) لقاء مع أحد المعتقلين في هذه الدولة الخليجية، الخرطوم، ٢٠/ ٥/ ١٩٩٢م.

المبحث الثاني
القيـــــادات

القيادات في الأرض المحتلة:

استطاعت الحركة الإسلامية في الأرض المحتلة أن تبرز قيادات سياسية وجماهيرية لها وزن ومشهود لها بالقيادة والكفاءة، وذلك من خلال عمل متواصل في فترة ما قبل الانتفاضة تمثل في المؤسسات والجمعيات والانتخابات النقابية، وجاءت الانتفاضة لتكرس ذلك وتضيف أبعاداً جديدة لتلك الشخصيات القيادية، تمثلت في تضحياتها وصمودها وصلابتها، ويمكننا تصنيف قيادات حركة «حماس» في الداخل إلى ثلاث مستويات:

القيادات الأولى - المؤسسون:

تحملت قيادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة مسئولية إنشاء حركة «حماس» وشاركهم قياديو الإخوان في الضفة الغربية في رعاية الحركة ووضع خططها واستراتيجيتها وتعبيد الطريق لها، ودفعت هذه القيادات ثمناً لذلك بالتعرض للاعتقال والتعذيب القاسي والإبعاد.

ولما أشيع عن موت الشيخ أحمد ياسين في السجن اضطرت السلطات الصهيونية، لإجراء لقاء تليفزيوني مع الشيخ في سجنه لتدحض هذه الإشاعات وتستبق الغضبة الجماهيرية المتوقعة، وانتهز الشيخ أحمد ياسين هذا اللقاء ليعلن أسماء مؤسسي الحركة وقادتها والذين كانوا معه في السجون، ليربط الشعب بهم في المستقبل، وقد برز من هؤلاء المؤسسين ومن غيرهم قيادات أولى تملك المؤهلات القيادية والقدرة على تمثيل الحركة.

القيادات الثانية:

بعد حملتي الاعتقالات الأولى والثانية سنتي ١٩٨٨م و١٩٨٩م، واعتقال قيادات الحركة، بدأ صف جديد من القيادات يتسلم المسئولية ويدير أعمال الحركة. واستطاعت هذه القيادات الجديدة أن تدير العمل التنظيمي بصورة أفضل ممن سبقها نظراً للاستفادة من التجارب الماضية، ولأن الكثيرين منهم لم يكونوا شخصيات عامة ومعروفة، وبالتالي استطاعوا أن يبتعدوا عن أعين المخابرات بصورة أفضل، وقد كان المسئول في هذه الفترة «سيد أبو مسامح» في قطاع غزة و«محمد كاظم» في الضفة الغربية.

القيادات الشابة :

وفى المرحلة الثالثة برزت قيادات شبابية للتنظيم، نظراً لكثرة الاعتقالات فى صفوف الحركة، ولحرص الحركة على إبعاد الشخصيات القيادية المعروفة عن الأطر التنظيمية حفاظاً على سرية التنظيم، وحفاظاً على هذه القيادات التاريخية فى نفس الوقت، وفى هذه الفترة تعمقت اتصالات الداخل بقيادات الخارج، مما ساعد أحياناً فى استدراك نقص الخبرة لدى بعض هذه القيادات، عموماً كانت تجربة مفيدة وناجحة حيث ساهمت فى إبراز القدرات القيادية لدى بعض الشباب والذين يمكن أن يكون لهم دور جوهرى فى المستقبل.

ومع قسوة ظروف العمل وكثافة الاعتقالات فقد ظلت القيادات التنظيمية فى حالة تغير، وتلك القيادات التى تشرف على تنفيذ أعمال الحركة، أما القيادات التاريخية للحركة فى السجون أو خارجها فقد ظل أكثرها بعيداً عن إدارة العمل وتفاصيله، ولكنها ظلت دائماً وفى مختلف الظروف هى القيادات المعبرة عن مواقف الحركة وعلاقاتها مع الأطراف الأخرى وظل الشيخ أحمد ياسين – فى سجنه – هو القائد الأول للحركة دون منازع، يعبر عنها ويحظى بولاء واحترام وطاعة الجميع، حتى أن السلطات الصهيونية اعترفت بذلك وتعاملت مع الشيخ على هذا الأساس، حيث كانت تتوجه للشيخ فى سجنه فى كل الحالات الصعبة التى تواجهها مثل اختطاف جندى إسرائيلى، طالبة من الشيخ توجيه كلمة للخاطفين، أو عندما تريد أن تتعرف على رأى الحركة وخياراتها فى بعض المسائل المطروحة مثل الانتخابات أو المفاوضات أو غير ذلك.

كما برزت للحركة قيادات أخرى بعد الشيخ أحمد ياسين، قيادات معترف بها ولها احترامها ومكانها محفوظ وذلك بفضل قدراتها وتضحياتها وتجاربها، بالإضافة إلى اعتراف جميع عناصر الحركة وقياداتها بدورها وسابقتها، وكان من أبرز القيادات التى ظهرت للحركة الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى والدكتور محمود الزهار، اللذان كانا يمثلان الحركة فى لقاءات المصالحة مع حركة فتح فى قطاع غزة فى موضوع المشاكل والصدامات بين الطرفين.

كما برز للحركة أيضاً قائد عسكرى وسياسى معترف به هو الشيخ «صلاح شحادة» الموجود فى السجن منذ بداية الانتفاضة، وبرز ممثل آخر للحركة فى الضفة الغربية هو الشيخ جميل الحمامى، كما برز مفكر للحركة يعبر عنها أحسن تعبير وهو الأستاذ بسام جرار والذى لعله لم يرتبط مطلقاً بأية أطر تنظيمية، كما برز من قادة الحركة الشيخ إبراهيم أبو سالم وجمال سليم وأحمد بحر وإسماعيل هنية وجمال منصور.

القيادات خارج الأرض المحتلة:

لم تستطع تجربة الخارج - نسبياً - إبراز شخصيات قيادية تلتف الجماهير من حولها، نظراً لاختلاف الظروف، وحرص هذه القيادات على عدم الظهور العلنى، ولغياب المعاناة والنضال والسجون وبالتالى غياب معيار الامتحان والتجربة.

وكان أبرز من ظهر من قيادات الحركة فى الخارج، بل أول من ظهر، هو المهندس إبراهيم غوشة، المولود فى مدينة القدس، والذى قام بالدور وحيداً لفترة ليست قصيرة، كناطق رسمى باسم الحركة، وهو من الجيل الأول الذى عايش تجربة الإخوان المسلمين لعشرات السنين، كما عايش تجربة «رابطة طلاب فلسطين» فى القاهرة وفى نفس الفترة التى كان فيها ياسر عرفات وصلاح خلف وكمال عدوان وغيرهم، وهو من الجيل العقائدى الذى يحسب حساباً كبيراً للمبادئ والقيم والتشدد فى الإخلاص للفكرة التى يحملها.

كما برز من الأسماء المعلنة محمد نزال ممثل الحركة فى الأردن، والذى استطاع فى فترة زمنية وجيزة أن يصبح معبراً عن مواقف الحركة بصورة جيدة، نظراً لتمتعه بخلفية سياسية جيدة، ثم برز فيما بعد د. موسى أبو مرزوق والذى أعلن كرئيس للمكتب السياسى للحركة، وهو من جيل التنظيم الطلابى فى القاهرة فى السبعينيات، ثم عمل فى الإمارات العربية ثم فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يمتلك تجربة فى القيادة التنظيمية فى الساحات الثلاث.

وبرز عماد العلمى كممثل للحركة فى طهران، وهو من الجيل الذى تربى على يد الشيخ أحمد ياسين فى غزة، وشارك فى فعاليات الانتفاضة وعاش تجربة الاعتقال داخل الأرض المحتلة، وقد أبعدته السلطات المحتلة إلى خارج الأرض المحتلة.

كما برز فيما بعد اسم خالد مشعل كعضو المكتب السياسى ثم نائب الرئيس إلى أن تسلم رئاسة المكتب السياسى بعد اعتقال موسى أبو مرزوق، ومشعل الذى تعرض لمحاولة اغتيال فى وسط مدينة عمان فى صيف ١٩٩٧م، كانت هى المحاولة الأولى التى استهدفت فيها الأجهزة الإسرائيلية أحد قيادات حماس فى الخارج - وهو رئيس التنظيم الطلابى فى الكويت وأكثر أعضاء الجهاز العام لفلسطين نفوذاً ونشاطاً.

عموماً، لم تستطع القيادات فى الخارج أن تتبوأ مكانة جماهيرية وحضوراً سياسياً إذا قورنت بالقيادات داخل الأرض المحتلة، اللهم سوى ذلك الحضور الإعلامى الذى مثله كل من إبراهيم غوشة ومحمد نزال.

المبحث الثالث
الاعتقالات وأثرها على الهيكل التنظيمي

على الرغم من قسوة الضربات وكثرتها، التي تلقتها حركة «حماس» من أجهزة الاحتلال الأمنية، وما سببه ذلك من انعكاسات سلبية وقتية على مسار العمل، حيث كانت حملات الاعتقال تحصد المئات من عناصر الحركة وقياداتها، وتتعدى الألف معتقل في مرات أخرى، مما يربك الهيكل التنظيمي للحركة، إلا أن الفوائد والدروس المستفادة من هذه التجارب كانت أكثر بكثير من الخسائر وأبعد أثراً، وأعمق نتيجة، لما يضيفه ذلك كله من تجربة تنفع الحركة وتهيئها لمسيرة طويلة، ويمكننا أن نقول - بناء على الوقائع - أنه حتى هذه الانعكاسات السلبية الوقتية، لم توقف العمل، ولم تضعفه، وظل حضور حركة «حماس» في ساحة الانتفاضة حضوراً قوياً متزايداً مع الأيام.

وكانت أهم العوامل التي ساهمت في قوة الحركة، وتجاوزها للضربات القاسية، أن الشعب الفلسطيني كعادته دائماً إذا لمس الصدق والإخلاص في العمل لمواجهة العدو الغاصب، فإنه يرفد الحركة المقاتلة بأفضل الشباب، فإذا ما ضرب العشرات من عناصر الحركة، تقدم لنصرتها المئات، وإذا ضرب المئات، تقدم لنصرتها الألوف، فلم تعد الحركة، حركة دينية مصطفاة، وإنما أصبحت حركة الشعب ترفع شعاراته في التحرير والعودة. ونستطيع أن نورد هنا أهم الدروس والفوائد التي اكتسبتها الحركة من هذه الاعتقالات:

(أ) المحن والابتلاء والمعاناة أمر لابد منه لأية حركة مجاهدة:

إن المحن والسجون والتعذيب تكشف كلها عن معادن الرجال، فيصمد الصادقون والأقوياء وتزداد صلابتهم، ويتخلصون من أسباب الخوف، كما تزداد أهلية وصلابة البعض الآخر بينما يسقط الضعفاء وغير المؤهلين لهذه الأدوار، وفي المحن لا يتقدم للحركة إلا المؤمنون بمبادئها والمستعدون للتضحية، فلا يتقدم لصفوفها ذو المصالح ومحبو السلطة والجاه.. والحركة التي تعيش في أمان وفي منأى عن احتمالات السجون والتعذيب والقتل، لا تستطيع أن تتخلص بالكامل من ذوي النفوس الضعيفة والانتهازيين ومحبي السلطة أو المال، مهما كانت دقة برامجها التربوية.

(ب) المحن والابتلاء تساعد في اتساع جماهيرية الحركة وشعبيتها :

فالمحن والابتلاءات دليل واضح لمصداقية الحركة وقياداتها وعناصرها وهي تدحض كل الافتراءات والشبهات التي يثيرها أعداء الحركة أو خصومها ، ولعل ما حدث مع الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي في المعتقل يظهر هذه الحقيقة عندما اعترف له بعض عناصر منظمة يسارية أنهم حاولوا اغتياله في السابق ، وعبروا عن ندمهم الشديد واستحالة التشكيك في وطنيته ووطنية حركته[١] .

(جـ) السجن دورة تدريبية في مدرسة سيدنا «يوسف» :

أطلق معتقلو حركة «حماس» على السجن «مدرسة يوسف» عليه السلام ، لما مثله السجن لقيادتها وعناصرها من استراحة المحارب وإعادة تأهيله ، فقد كان شباب الحركة ومناصروها يدخلون السجن شباباً عاديين ، ويخرجون منه بعد شهور أو أكثر كوادر تنظيمية متقدمة ، يحسنون فنون الاستقطاب ، ويجيدون التعبير عن فكرتهم للآخرين ، ويجادلون بالتي هي أحسن ، تعلموا من تجاربهم وتجارب من حولهم أساليب العدو عامة ، واستخلصوا من تجاربهم وتجارب غيرهم أفضل الأساليب في الاتصالات وسرية العمل ، وعقدوا العزم في نفوسهم على مواصلة الطريق بصورة أفضل ، وأضاف الشباب إلى حصيلتهم حفظ الكثير من سور القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة والأصول الفقهية وخاصة في الجهاد ، وكثيرون منهم أكملوا حفظ القرآن الكريم داخل السجن ، كما تعرفوا على تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ حركتهم ومبادئها وأفكارها ، ولقد كان السجن فرصة للقاء خبرات وقيادات لم يكن اللقاء معها ممكناً في مكان آخر .

أما بالنسبة للقيادات فكان السجن فرصة لاسترجاع التجربة والتعرف على سلبياتها وإيجابياتها ، والتفكير في وسائل وطرق جديدة للعمل بها بعد الخروج من السجن ، أو ليعمل بها بعض من يخرج قبلهم من الأعضاء ، كما كان السجن فرصة أفضل للاحتكاك بأفراد وقيادات التنظيمات الأخرى والتعرف على أفكارها ومنطلقاتها والبحث عن جسور يمكن أن تصل الحركة بغيرها من التنظيمات ، وقد أصدرت قيادات الحركة في السجون دراسات متعددة في مختلف الموضوعات الفكرية والسياسية والتنظيمية والأمنية شكلت منهجاً متكاملاً للأعضاء داخل السجن كما استطاعوا تهريبها خارج السجن لتتم الاستفادة منها ، وقد حصل الباحث على كثير منها .

---

(١) د . عبدالعزيز الرنتيسي ، مرجع سابق .

(د) كانت الاعتقالات حافزاً لتطوير الهياكل التنظيمية:

فقد كان أعضاء الحركة المعتقلون أو الذين سلموا من الاعتقال، يضعون أيديهم فى كل مرة على أساب الاعتقال، ونقاط الضعف فى الهيكل التنظيمى التى أدت إلى كشف البعض، أو أدت إلى كشف أعداد أكثر من اللازم، وكانوا يقومون فى كل مرة بمحاولة سد الثغرات وتغيير الهياكل.

فالاعتقالات كانت سبباً فى تقليص القيادة من سباعية إلى خماسية إلى رباعية إلى ثلاثية، وكانت سبباً فى تطوير الاتصالات التنظيمية من اتصالات عادية إلى اتصالات بالأسماء المستعارة، ثم اتصالات عبر النقاط الميتة، كما كانت أيضاً سبباً فى تغيير أسلوب العضوية فى اللجان والأجهزة العاملة، حيث منع نهائياً أن يعمل العنصر أو المسئول فى أكثر من لجنة أو هيئة أو جهاز كما كان فى البداية.

(هـ) دروس المعتقل:

اكتشفت الحركة وخاصة بعد الضربة الثالثة عام ١٩٩٠م أنها لم تستفد كما يجب من الاعتقالات السابقة، فقليل من الذين اعتقلوا سابقاً كتبوا تجربتهم، وقليل مما كتب وجد طريقه للتوزيع على الآخرين، فبدأت الحركة محاولتها الجادة لتسطير تجربة الاعتقال والتحقيق والتعذيب، ووسائل المحققين وطريقة التخلص من حيلهم وألاعيبهم، وتوزيع ذلك على العاملين معها، حتى يكونوا على بينة بما قد يحدث معهم.

كما اكتشفت الحركة أن تربية الأعضاء على مبدأ عدم الاعتراف بأى شىء مهما كان الثمن لا يكون مفيداً فى جميع الأحوال، وعلى العاملين أن يتفقوا مسبقاً على أشياء بسيطة ومحددة ليغلقوا الدائرة أمام المحقق، بحيث لا تضر الهيكل التنظيمى وتحافظ على سرية الأعمال الأخرى.

كما وجدت الحركة أنها فى حاجة ماسة «لأسلمة» التجارب الأخرى، للاستفادة من تجارب التنظيمات الأخرى فى المعتقل، والتى عايشت هذه التجربة منذ بداية الاحتلال ولأكثر من عشرين عاماً[١].

---

(١) المعلومات مأخوذة من بعض مخطوطات السجون، (أرشيف الحركة).

المبحث الرابع
التمـويـــــل

أهمية التمويل

أدركت حركة «حماس» ومنذ وقت مبكر، أهمية التمويل وحساسيته في وقت واحد، ونظرت إلى تجربة (م. ت. ف) والفصائل الفلسطينية كلها نظرة جادة، حتى تستفيد منها، وتتجاوز السلبيات قبل وقوعها، وكان الأمر ملحاً في نقطتين أساسيتين:

الأولى: إن توفر الأموال أمر ضروري جداً، لقيام الحركة بدورها وواجباتها، وأن هذا الدور وهذه الواجبات تتزايد يوماً بعد يوم، وبالتالي تتزايد المصروفات معها، كما أن الحركة يصعب عليها التراجع عن أي مستوى من الالتزامات المالية تصل إليه، وخاصة أنها تقوم غالباً بالتمويل في الحد الأدنى.

الثانية: أن مصادر التمويل أمر في غاية الأهمية، ولابد أن تكون هذه المصادر مأمونة حتى لا تؤثر في قرار الحركة السياسي، كما حدث لغيرها، ومع الأخذ في الاعتبار أنه لا يوجد أي نظام حكم عربي أو غير عربي مستعد لتمويل الحركة بصورة مبدئية لمخالفتها للأنظمة السائدة، فإنه يمكن الافتراض أن نظاماً ما يمكن أن يعمل على تمويل جزئي للحركة في مرحلة ما من أجل أن يسلبها قرارها المستقل.

قلة مصروفات الحركة نسبة إلى غيرها:

وعلى الرغم من الإشاعات الكثيرة والمتكررة عن كثرة أموال الحركة، بقصد الغمز في مصادرها، والطعن في استقلالية قرارها، إلا أن الذي يبدو لنا أن أموال الحركة قليلة نسبياً، لكن الذي أفادها هو قلة مصروفاتها، وذلك بسبب جملة من العوامل أهمها:

١- أن جميع العاملين للحركة في الأرض المحتلة متطوعون ولا يتقاضى أي واحد منهم راتباً شهرياً أو مخصصات مالية، بل إن له وظيفته أو حرفته أو أملاكه التي يعيش منها، وكثير منهم يدفعون من أموالهم الشخصية لتمويل أعمال الحركة فوق ما يدفعونه من اشتراكات إلزامية، وبالتالي فإن الأموال التي ترسل للأرض المحتلة من الحركة تكون عادة لتمويل تكاليف العمل من مواصلات واتصالات وطباعة وأسلحة وغير ذلك[1].

٢- عندما اضطرت الحركة لإعانة من فقدوا وظائفهم بسبب الاعتقال أو الاستشهاد أو

(١) قيادات الداخل، مجموعة مقابلات، «مرج الزهور»، يونيو ١٩٩٣م.

الطرد من الوظيفة، أو مطاردى كتائب عز الدين القسام، فقد كانت هذه الإعانات تذهب للمحتاجين فقط، أما الكثيرون ممن يستطيعون الاعتماد على أنفسهم فإنهم كانوا يرفضون هذه الإعانات، يضاف إلى ذلك أن أكثر هذه الإعانات تقدم عن طريق الجمعيات الخيرية، فى الداخل والخارج وليس من ميزانية الحركة.

٣- لم تكن على حركة «حماس» التزامات مالية كتلك الالتزامات الضخمة على (م. ت. ف) أو الفصائل الوطنية الأخرى، فالمنظمة تتلقى الأموال الكثيرة من الحكومات العربية وغير العربية ومن الفلسطينيين العاملين فى الخارج لتصرف على متطلبات كثيرة داخل الأرض المحتلة وخارجها، كرواتب جيش التحرير الفلسطينى ورواتب جيش كبير من المدنيين والإداريين العاملين فى أجهزة المنظمة المختلفة، بالإضافة إلى المكاتب والسفارات الكثيرة ووسائل الإعلام وغيرها.

٤- إن جميع العاملين للحركة تقريباً فى الخارج، وحتى نهاية العام الثالث للانتفاضة، هم متطوعون أيضاً، يعتمدون فى تمويلهم الشخصى على وظائفهم الجيدة التى لم يفرطوا فيها، أو تجارتهم، أو ممتلكاتهم، بل ويقدمون من أموالهم التبرعات الجيدة للحركة، فعندما قامت العراق باحتلال الكويت فى آب (أغسطس) ١٩٩٠م، كان عدد المتفرغين للحركة فى الخارج، والذين يتقاضون رواتبهم من ميزانية الحركة، لا يزيدون بأية حال عن عشرة أفراد فى جميع البلاد العربية والأجنبية.

٥- وتجدر الإشارة هنا إلى ما أكده زياد أبو عمرو: «حركة حماس قيادة وأعضاء، تتسم بالتواضع فى أساليب إنفاقها، وهى أبعد ما تكون عن مظاهر البذخ أو الإسراف أو الفساد المالى»[1] وهذا ما لاحظه داخل الأرض المحتلة.

بعد أزمة الكويت ازدادت مصاريف الحركة بصورة كبيرة بازدياد أعداد المتفرغين وبافتتاح المكاتب فى الخارج، لكن دخل الحركة أيضاً تزايد بتضخم التبرعات والمعونات من أطراف جديدة، كما بدأت محاولات أولية للتدقيق فى الميزانيات والمخصصات المالية.

مصادر التمويل

١- الأموال التى تجمعها الحركة من أعضائها فى الداخل والخارج، كاشتراكات تنظيمية شهرية ملزمة، تجمع من الأعضاء بما يتناسب مع دخل كل منهم.

٢- التبرعات والصدقات التى يدفعها الأعضاء بصورة اعتيادية وأحياناً عند الطلب.

---

(١) زياد أبو عمرو، «حماس: خلفية تاريخية سياسية»، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، ص٩٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣- الأموال التى تجمعها الحركة من الأنصار والمؤيدين والمتعاطفين معها من الموسرين داخل الأرض المحتلة وخارجها وفى جميع أنحاء العالم من فلسطينيين أو عرب مسلمين.

٤- الدعم المالى الذى تقدمه الحركة الإسلامية (الأم) فى جميع أنحاء العالم وخاصة تلك التى تمتلك ميزانيات معقولة.

٥- الأموال التى تتلقاها الحركة من مصادر غير رسمية خارج فلسطين فى بعض الدول العربية والإسلامية وفى الدول الغربية، كما تقوم مؤسسات وهيئات وصناديق إسلامية فى دول عدة بتقديم أشكال من الدعم المادى للمسلمين فى فلسطين عبر حركة «حماس»[1]، وتشير بعض المصادر إلى تلقى الحركة مساعدات مالية من بعض الأنظمة العربية والإسلامية إلا أن شيئاً من هذا لم يثبت، كما أن الحركة نفت ذلك أكثر من مرة.

عموماً فإن مصادر التمويل هذه فيها كثير من المصادر غير الثابتة، ومصادر أخرى يمكن التضييق عليها فى الدول العربية والأجنبية، كما أن المتغيرات السياسية يمكن أن تؤثر فيها إلى حد بعيد، فأزمة الكويت أغلقت واحداً من أهم مصادر التمويل، وهى التبرعات الشعبية الكويتية وتبرعات الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون فى الكويت قبل طردهم، حيث كانوا أربعمائة ألف فلسطينى يتمتع معظمهم بأحوال مالية جيدة، كما أضعفت الأزمة المصادر الأخرى فى السعودية ودول الخليج.

وفى حالات نادرة جداً أعربت دولة أو دولتان عن استعدادها لمساعدة الحركة مالياً، فكانت الحركة تقدم لها كشفاً بأسماء الشهداء أو المعتقلين أو الذين تهدمت بيوتهم، أو بعض المؤسسات الدينية فى الداخل كدور تحفيظ القرآن الكريم والجمعيات الخيرية والجامعة الإسلامية.. أردات الحركة من ذلك أن تكون المساعدات للشعب ومؤسساته وضحاياه حتى لا يستطيع النظام أن يمن على الحركة أو يؤثر فى سياستها. وكانت هذه الاستعدادات فى أغلب الأحيان وعوداً معسولة لم تعرف أكثرها طريقها للتنفيذ[2]. عموماً فإن تمويل الحركة هو من أكثر الموضوعات سرية وهو محصور فى عدد قليل جداً من قيادات الخارج.

وهكذا فإن هذا الموضوع مهم وخطير وهو واحد من العوامل التى تحدد قوة الحركة ومستقبلها ولابد للحركة من البحث عن وسائل أفضل تكون مضمونة ومستقرة، وقد طرح موضوع الاستثمارات فى مناقشات الحركة منذ زمن بعيد، لكن يبدو أن مشروعات كهذه لم تأخذ طريقها للوجود بسبب كثير من العوامل الذاتية والموضوعية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أحد أعضاء المكتب السياسى لحماس، مقابلة، الخرطوم، ٢٠/٨/١٩٩٣م.

الخاتمة

ملخص البحث

تناول البحث الحركة الإسلامية فى فلسطين منذ إرهاصاتها الأولى عام ١٩٣٥م وحتى عام ١٩٩٠م، وحاول الباحث أن يغطى أحداث المرحلة كلها، فى أول عمل من نوعه موثقاً ذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية وخاصة المقابلات العديدة مع صناع الحدث، وقد كشف البحث النقاب عن مراحل كثيرة لم يكتب عنها من قبل، كما قام بدراسة وتحليل كثير من القضايا والمشكلات التى لم تعالج من قبل.

عالج البحث نشأة الإخوان المسلمين فى فلسطين وتأسيس شُعبهم، ومشاركتهم فى القتال فى حرب ١٩٤٨م، ثم مسيرة التنظيم فى كل من قطاع غزة والضفة الغربية والأردن، وبين أسباب قوة الإخوان المسلمين فى تلك الفترة (١٩٤٧ - ١٩٥٧) وأوضح اختلاف التجربتين فى قطاع غزة، والضفة الغربية، وركز على أسباب عدم اصطدام الإخوان المسلمين بالحكم فى الأردن، كما تناول التجربة الغنية للإخوان فى قطاع غزة فى تلك الفترة من العمل العلنى إلى العمل السرى، ومن العمل الاجتماعى والسياسى والنقابى إلى العمل العسكرى، وناقش البحث علاقة الإخوان المسلمين بالأطراف الأخرى.

أما فى تناوله للفترة من (١٩٥٧ - ١٩٦٧) والتى كانت أسوأ الفترات التى مرت على الإخوان المسلمين، فقد بين البحث أسباب هذاالضعف والتى كان أهمها قوة المد القومى وشعبية عبدالناصر، ثم إنشاء حركة «فتح» التى أخذت غالبية قياداتها من الإخوان المسلمين، ثم إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية والتى لم نسمع للإخوان فيها رأياً أو بياناً.

وجاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧م لتضعف نفوذ عبدالناصر، وتشير إلى فشل المشروع القومى الاشتراكى فى مواجهة (إسرائيل)، مما يمهد الطريق للإخوان المسلمين، ليستعيدوا نشاطهم وعافيتهم، إلا أنهم ظلوا يعانون من الضعف طيلة العقد الأول من الاحتلال بسبب التفاف الجماهير الفلسطينية حول المقاومة الفدائية ومنظمة التحرير الفلسطينية، ولأنهم لم يطرحوا الموضوع الفلسطينى واقتصروا على العمل التربوى والدينى، ويأتى العقد الثانى لتنتعش الحركة الإسلامية بسبب الصحوة الإسلامية التى شملت العالم الإسلامى كله.

يلقى الباحث الضوء ولأول مرة على عمل الإخوان الفلسطينيين فى الخارج ويركز على الساحة الطلابية فى مصر (١٩٧٠ - ١٩٨٠) وتنظيم الطلاب فى الكويت (١٩٧٣ - ١٩٨٤)، حيث سيصبح هؤلاء الشباب فى المستقبل مسئولى حماس فى الخارج، كما يتابع

بدايات العمل السياسي لفلسطين الممثلة بتأسيس «الجهاز العام لفلسطين» عام ١٩٨٦م خارج الأرض المحتلة والذى وضع خطة من عشرة أعوام لنقل الجماعة إلى العمل السياسي لفلسطين.

ويركز البحث كثيراً على ساحة الأرض المحتلة للتجربة الغنية التى عاشها الإخوان المسلمون وخاصة فى الفترة (١٩٧٧ - ١٩٨٧) وهى مرحلة المؤسسات والجميعات والعمل الاجتماعى والدعوة العلنية والكتل الطلابية فى الجامعات، كما أن هذه التجربة كانت الأساس لانطلاقة حركة «حماس» مع بداية الانتفاضة، وليختصر إخوان الداخل العشرة أعوام التى افترضها «الجهاز العام لفلسطين» إلى عشرة شهور.

ويستعرض البحث علاقات الإخوان فى الداخل مع القوى السياسية الأخرى والتى اتسمت بالصراع والصدامات فى فترة ما قبل الانتفاضة ويثبت أن جميع الأطراف تتحمل مسئولية هذه الصراعات.

وتدخل حركة حماس الانتفاضة منذ بدايتها، ويحلل البحث كثيراً من القضايا المطروحة عن مشاركة حماس فى الانتفاضة وعلاقتها بقوى منظمة التحرير الفلسطينية وموقفها من الدولة اليهودية والحكومات العربية.

نتائج البحث

توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها:

١- أن مسيرة الحركة الإسلامية فى فلسطين تراوحت بين مراحل الضعف والقوة، وأن أهم العوامل المؤثرة فى ذلك كان دائماً هوالمدى الذى تنخرط فيه الحركة الإسلامية فى العمل لقضية فلسطين، وفى مواجهة العدوان الصهيونى على الأرض والهوية، فكلما ساهمت الحركة بجهدها ونضالها وتضحياتها قويت وازدادت شعبيتها، وكلما ابتعدت وانزوت عن العمل الوطنى الفلسطينى ضعفت وانعزلت عن الجماهير، وأثيرت حولها الشبهات، ويؤكد ذلك مشاركتها فى حرب ١٩٤٨م والتى جعلتها لعشر سنوات أكبر قوة سياسية فى قطاع غزة والأردن، وعزز ذلك مشاركتها فى الأعمال الفدائية فى النصف الأول من الخمسينيات، وقيادتها للعمل السياسى فى مواجهة مشاريع التوطين عام ١٩٥٥م، ولعل غيابهما عن ساحة العمل الفلسطينى فى الفترة (١٩٥٧ - ١٩٦٧)، كان من أهم أسباب ضعفها وابتعاد الجماهير عنها، كما ظلت تعانى من الضعف طيلة العقد الذى أعقب هزيمة يونيو (١٩٦٧ - ١٩٧٧)، أما قوتها ونشاطها فى العقد الذى يليه (١٩٧٧ - ١٩٨٧) فكانت بسبب الصحوة الإسلامية التى عمّت العالم الإسلامى بالإضافة إلى الأسباب الخاصة بقدسية فلسطين والتعصب الدينى وانتهاك الأماكن المقدسة، لكنها ظلت قوة محدودة بجمهورها المتدين إذا ما قيست بقوتها بعد الانتفاضة والتى اكتسبتها من مواجهة الاحتلال، فأصبحت قوة سياسية

كبيرة تتخطى جمهور المتدينين إلى جماهير الشعب عامة.

٢- وأن العمل العلني والتوجه إلى الشعب عن طريق المؤسسات والنقابات والكتل الطلابية في الجامعات يساهم في جعل الحركة الإسلامية جزءاً من الشعب، لا طائفة منعزلة عنه، وأن ذلك يعود بفوائد كبيرة على الحركة من حيث الجماهيرية والنفوذ، كما يعود بالفائدة الجوهرية على بنائها الداخلى من حيث تجنب الكثير من الأمراض التنظيمية التى تنمو فى عتمة السرية والغرف المغلقة، ومن حيث توظيف طاقات شبابها، واستقطاب المؤيدين، واختبار الكفاءات والقيادات، وقد اكتشف البحث نظرية الشيخ أحمد ياسين فى العمل التنظيمى، «الماء الراكد والماء الجارى»، فالحركة التى تشارك فى الأحداث تكون كالماء الجارى متجددة تلفظ أمراضها، أما التنظيم الجامد يكون كالماء الراكد يأسن ويتعفن وتكثر فيه الأمراض.

٣- وأنّ حركة المقاومة الإسلامية «حماس» نتاج لتغيرات جوهرية فى تركيب الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة، فقد انضمت للحركة أجيال جديدة من الشباب، الذى يمثل الاحتلال بالنسبة لهم المؤثر الأكبر على فكرهم وموقفهم، والذين لا يحملون عقدة «عبدالناصر» وتآمر القوى الأخرى، والذين هم وطنيون إسلاميون، فقد أثبت الباحث أن انطلاقة حماس كانت بقرار تنظيمى داخلى، وبالتحديد فى «مكتب غزة»، ومن ثم لحق بهم الإخوان فى الضفة الغربية ثم فى الخارج، ومع تزايد التضحيات ودخول العمل العسكرى واندفاع الجماهير حول حماس ودخول شباب جدد، أصبحت حركة «حماس» فى جوهرها حركة مقاومة إسلامية وليست حركة إخوانية، فإذا ماتطورت الأوضاع السياسية سيكون صعباً تأطير هذه الحركة داخل المنهجية الإخوانية.

٤- وأن علاقة الحركة الإسلامية كانت دائماً سيئة مع جميع الأطراف والقوى السياسية الفلسطينية، مما جعل جميع القوى السياسية على الرغم من تنافسها تتحد فى حالات كثيرة لمواجهة الإخوان المسلمين فى الانتخابات أو غيرها، ولم يجرب الإخوان المسلمون التحالف مع الأطراف الأخرى إلا فى حالات معدودة وقصيرة العمر، حيث تحالفوا مع الشيوعيين عام ١٩٥٥م فى المظاهرات العارمة التى شملت قطاع غزة لإسقاط مشروع توطين اللاجئين فى سيناء، كما تحالفوا مع البعثيين لتأسيس «جبهة المقاومة الشعبية» فى فترة الاحتلال الإسرائيلى لقطاع غزة فى أعقاب العدوان الثلاثى لعام ١٩٥٦م وتحالفوا مع حركة «فتح» فى انتخابات الهلال الأحمر الفلسطينى فى غزة عام ١٩٧٩م، وكلها كانت تحالفات مؤقتة سرعان ما انقلبت إلى عداوة وخصام، لتأتى تجربة تحالف التسعينيات مع القوى الرافضة للصلح مع إسرائيل والتى سميت «تحالف الفصائل العشرة».

٥- وأن تجربة الإخوان المسلمين الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة تختلف فى أمور جوهرية عن تجربة إخوانهم داخل الأرض المحتلة، من حيث الخبرة والمعاناة والمؤثرات، فالإخوان المسلمون عموماً إذا عملوا بمنهجهم التقليدى من الاهتمام بالعمل التربوى والتثقيف الدينى والارتقاء بالمستوى الروحى للأفراد والتكافل الاجتماعى وغير ذلك، فإنه سيتشابه ومواجهة النظام الدولى والعلاقات مع الأطراف الأخرى، والذى تمثله الآن حركة «حماس» فإن النظرة ستختلف بسبب اختلاف الظروف والمؤثرات، وطالما أن الحركة لا تواجه مفترق طرق رئيسى، فستظل الأخوة فى الله عن بُعد هى التى تحكم العلاقة بين الفريقين، وطالما أنه لا يوجد احتكاك فعلى وعملى بين الفريقين بسبب الظروف، فستظل الأمور تسير بصورة طبيعية، مع الأخذ فى الاعتبار إمكانية التصادم الجزئى كلما احتك البعض القليل من فريق بالفريق الآخر، ولعل الباحث هنا ينبه إلى ضرورة تفهم هذا الإشكال ووضع الحلول له قبل أن يقع خصوصاً إذا جعلت الظروف السياسية المستقبلية الداخل كله يحتك بالخارج كله.

٦- وأن من أكبر عيوب الحركة الإسلامية الفلسطينية، أنها لم تكن حركة واحدة مستقلة، إلا فى الفترة (١٩٦٣ - ١٩٧٨)، أى فى أكثر مراحلها ضعفاً، وهى الآن تحتاج إلى هذه الوحدة وهذا الاستقلال، كما تحتاج إلى تقوية صفها الداخلى بإيجاد الهياكل والمؤسسات الشورية وتوسيع دائرة صنع القرار والمشاركة فيه، فإنه من التناقضات غير المقبولة لحركة مهمة ومؤثرة وتعمل فى ساحة من أخطر الساحات، أنها لم تعقد مؤتمراً تنظيمياً واحداً، ولم تنتخب لها قيادة، فقد نقلت وسائل الإعلام أن هناك مكتباً سياسياً، لكننا لم نعثر على أية إشارة إلى وجود مجلس شورى أو انتخابات أو غير ذلك.

وبعد هذه الدراسة الشاملة لجذور الحركة ونشأتها وأفكارها وعلاقاتها، هذه الدراسة التى تكشف الكثير من المعلومات التى تظهر لأول مرة فإن الكتاب القادم سيتوسع فى الدور السياسى لحركة حماس وعلاقاتها الفلسطينية مع فصائل المعارضة ومع السلطة الوطنية الفلسطينية، وعلاقاتها مع الدول العربية وخصوصاً الأردن والسودان وسوريا، وليبيا ومصر والعراق ودول الخليج، وعلاقاتها مع القوى الدولية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية.

كما سيتوسع الكتاب فى العمل العسكرى لحماس وأطره وهياكله وفلسفته وآثاره على الحركة من جهة والقضية الفلسطينية من جهة أخرى.

كما سيعطى الكتاب صورة دقيقة وعميقة لإشكالية الداخل والخارج فى قيادات حماس وآلية صنع القرار وما يمكن أن يؤدى إليه.

وبناء على ذلك كله وغيره ستحاول الدراسة القادمة أن تتنبأ بمستقبل الحركة وعلاقاتها بالسلطة الوطنية الفلسطينية من جهة وعلاقتها التنظيمية والفكرية بالإخوان المسلمين فى العالم ●

قائمة المراجع

أولاً - المراجع العربية:

(١) الوثائق:

١- البعث والقضية الفلسطينية: بيانات ومواقف ١٩٤٥م - ١٩٦٥م، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥م.

٢- «تقرير أبو جهاد - نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية - إلى المجلس المركزى الفلسطينى المنعقد فى بغداد، يناير ١٩٨٨م» - (أرشيف حماس).

٣- «تقرير من حركة فتح فى سجن «جنيد» الصهيونى إلى جهاز الوطن المحتل فى عمان» بتاريخ ١ / ١ / ١٩٩١م، (أرشيف حركة حماس).

٤- الجامعة الإسلامية - رسالة ومسيرة، غزة: بدون ناشر وبدون تاريخ.

٥- الجمعية الإسلامية فى عامها العاشر، غزة: بدون ناشر، ١٩٨٦م.

٦- حرب فلسطين ١٩٤٧م - ١٩٤٨م، الرواية الرسمية الإسرائيلية، ترجمة: أحمد خليفة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١م.

٧- «شبهات وردود»، إصدار الكتلة الإسلامية فى جامعة النجاح الوطنية، نابلس: تموز ١٩٩٢م.

٨- فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أى جزء من فلسطين، عمان: دار الفرقان، ط٣، ١٩٩٠م.

٩- لوائح اتهام النيابة العسكرية الإسرائيلية ضد معتقلين من حركة حماس، (أرشيف الحركة):

- أحمد إسماعيل حسن ياسين، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٥٢٥، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- إسماعيل حسن محمد أبو شنب، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٥٢٦، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- إسماعيل عبدالسميع هنية، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٩٣، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- عزالدين عبدالرحمن عطية المصرى، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٨٦، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- فرج محمود حسين الغول، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٩٣، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- نزار محمد محمود عوض الله، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٥٢٦، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- مجدى محمد حسن عقيل، ملف المحكمة ٨٩ / ١٢٤٢، ملف الادعاء ٨٨ / ١٢٧٨.
- عماد خالد نامق العلمى، ملف المحكمة ٨٩ / ١٢٤٢، ملف الادعاء ٨٨ / ١٢٧٨.
- محمد يوسف حسن شراتحة، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٨٤، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.

١٠- المجمع الإسلامى فى قطاع غزة، غزة: مطبعة النصر، بدون تاريخ.

١١- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، بيروت: المؤسسة الإسلامية للطباعة، ط٢، بدون تاريخ.

١٢- «محاضر تحقيق مع بعض معتقلى حماس»، (أرشيف الحركة).

- تيسير عمران، نابلس.
- جميل عبدالرحيم حمامى، سجن جنين ٧ / ١ / ١٩٩١م.

- حسنى محمد أحمد البوريني، سجن جنين ٢٧ / ١٢ / ١٩٩١م.
- عنان عبدالقادر عبدالرازق غزال، سجن عزة ٢ / ١ / ١٩٩١م.
- محمد حسن خليل شمعة، سجن غزة ٣٠ / ٩ / ١٩٩١م.
- محمد تحسين عبدالرحيم ناجى شاور، سجن الخليل.
- محمود محمد مصلح، سجن جنين، ٣١ / ١٢ / ١٩٩٠م.

١٣- ميثاق حركة المقاومة الإسلامية - حماس، بدون ناشر وبدون تاريخ.

١٤- وثائق حركة المقاومة الإسلامية، أربعة أجزاء، إصدار المكتب الإعلامى للحركة، بدون ناشر أو تاريخ.

(٢) الوثائق غير المنشورة:

١٥- أبو العز القترى وآخرون، «تجربة السجون وتاريخ الجماعة الإسلامية»، مرج الزهور، يونيو ١٩٩٣م.

١٦- إسماعيل هنية، «الجامعة الإسلامية فى عزة».

١٧- «التجربة الاعتقالية»، كتبه معتقلو حماس، سجن النقب، ١٩٩٠م.

١٨- تقارير عن بعض المناطق، كتبها قيادات لكثير من المناطق: رام الله، نابلس والخليل وعدد من القرى - مرج الزهور.

١٩- «تقرير سجن جنيد»، كتبه قيادات حماس فى السجن عن تجارب الاعتقال والتحقيق.

٢٠- «جامعة بيرزيت»، كتبه أحد قادة الكتلة الإسلامية فى الجامعة، مرجع الزهور، يونيو ١٩٩٣م.

٢١- جمال منصور، «جامعة النجاح الوطنية»، مرج الزهور، يونيو ١٩٩٣م.

٢٢- «الجمعية الخيرية الإسلامية بالخليل»، قادة الخليل.

٢٣- حسن يوسف داود، «دور القرآن الكريم فى الضفة الغربية»، مرج الزهور.

٢٤- حماد الحسنات، «الإخوان المسلمون من ١٩٤٨م - ١٩٨٧م»، مرج الزهور، ١٩٩٣م.

٢٥- «حماس بين الحقيقة والوجود»، حركة حماس - سجن عسقلان، ١ / ٤ / ١٩٩٠م.

٢٦- «ظاهرة العملاء»، حركة حماس، سجن غزة المركزى، ١٨ / ١١ / ١٩٩١م.

(٣) المذكرات واليوميات:

٢٧- أحمد الشقيرى. أربعون عاماً فى الحياة العربية والدولية، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٦٩م.

٢٨- حسن البنا. مذكرات الدعوة والداعية، بيروت المكتب الإسلامى، ١٩٨٣م.

٢٩- صلاح خلف. فلسطينى بلا هوية، الكويت: شركة كاظمة، بدون تاريخ.

٣٠- صلاح شادى. صفحات من التاريخ، حصاد العمر، الكويت: شركة الشعاع، ١٩٨٠م.

٣١- عباس السيسى. فى قافلة الإخوان المسلمين، الإسكندرية: دار اقرأ، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٢- د. عبدالله أبو عزة. مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية، الكويت: دار القلم، ١٩٨٦م.

٣٣- غسان حمدان. الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد، الكويت: مكتبة الفلاح ١٩٨٨م.

٣٤- د. محمد يوسف. أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله، صفاقس (تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٩م).

(٤) المقابلات الشخصية:

٣٥- إبراهيم أبو سالم (أحد قادة الإخوان المسلمين فى الضفة الغربية، من أبرز شيوخ رام الله، وأحد مبعدى مرج الزهور) مقابلة، مرج الزهور، جنوب لبنان، ٥ / ٦ / ١٩٩٣م.
٣٦- أبو العز القترى (من مؤسسى الجماعة الإسلامية فى السجون)، مرج الزهور، ٩ / ٦ / ١٩٩٣م.
٣٧- أحمد الحاج على (أحد قادة الإخوان فى نابلس). مقابلتان، مرج الزهور، ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.
٣٨- إسماعيل هنية (أحد مسئولى حماس الإسلامية فى غزة وأحد الناطقين بلسانها)، مرج الزهور، ٥ / ٦ / ١٩٩٣م.
٣٩- بسام جرار (من أهم الشخصيات الإسلامية فى الأرض المحتلة، مفكر، محاضر، كاتب) مرج الزهور، ٨ / ١١ / ١٩٩١م.
٤٠- جبر عمار (عميد فى جيش التحرير الفلسطينى، مؤسس وقائد الجماعة الإسلامية فى السجون)، الخرطوم، ٧ / ١١ / ١٩٩٣م.
٤١- جمال سليم (من قيادات نابلس)، مرج الزهور، ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.
٤٢- جمال منصور (من قيادات نابلس ومن مؤسسى الكتلة الإسلامية فى جامعة النجاح الوطنية)، مرج الزهور، ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.
٤٣- جميل الدلو (أحد مؤسسى الكتلة الإسلامية فى جامعة بيرزيت)، مقابلتان، هيوستن (الولايات المتحدة) ٢، ٣ / ٧ / ١٩٩٠م.
٤٤- حسين الثوابتة (من قيادات الإخوان فى قطاع غزة ١٩٥٠م - ١٩٥٤م)، الكويت، ٢٠ / ٥ / ١٩٨٤م.
٤٥- حماد الحسنات (من قادة الإخوان فى قطاع غزة ١٩٥٠م - ١٩٨٧م)، مرج الزهور، ٤ / ٦ / ١٩٩٣م.
٤٦- خليل الخالدى (عمل فى صفوف الإخوان فى القطاع منذ الخمسينيات، وعاش تجربة «رابطة طلبة فلسطين» فى القاهرة فى النصف الثانى من الخمسينيات)، صنعاء، ١٧ / ٤ / ١٩٩٤م.
٤٧- خليل القوقا (أول معتقل من قيادات حماس وأول مبعدى الحركة، شغل منصب الأمين العام للجمعية الإسلامية فى غزة قبل إبعاده)، الكويت، ١١ / ٨ / ١٩٨٨م.
٤٨- سليمان حمد (مسئول تنظيم الإخوان المسلمين الفلسطينيين فى الكويت ١٩٧٥م - ١٩٩٠م)، عدة مقابلات، الكويت فى فبراير ١٩٨٣م، ٢٦ / ٦ / ١٩٩٣م.
٤٩- د. عبدالعزيز الرنتيسى (أحد أبرز قادة حماس، وأحد السبعة المؤسسين، الناطق الرسمى للمبعدين فى مرج الزهور)، مرج الزهور ٩ / ٦ / ١٩٩٣م.
٥٠- عبدالعزيز على (مصرى، شارك مع الإخوان فى حرب ١٩٤٨، وكان من قادة ومدربى الإخوان فى معسكرات الشيوخ التابعة لحركة فتح فى أغوار الأردن ١٩٦٩م - ١٩٧٠م) الخرطوم، مارس ١٩٩٢م.
٥١- عبدالفتاح دخان (أحد السبعة المؤسسين لحركة حماس وكاتب ميثاق الحركة)، مرج الزهور ٣ / ٦ / ١٩٩٣م.
٥٢- د. على مفلح (من قدامى الإخوان فى الضفة الغربية، ومن مؤسسى جبهة تحرير فلسطين)، لندن، ١٦ / ٣ / ١٩٩٣م.

٥٣- فوزى جبر (من قدامى الإخوان فى قطاع غزة، وعمل مع خليل الوزير فى العمل العسكرى للإخوان)، الكويت، ١٤/ ١٠/ ١٩٨٥م.

٥٤- ف. خ. (من أعضاء الجهاز العسكرى «المجاهدون الفلسطينيون»)، مرج الزهور، ٦/ ٦/ ١٩٩٣م.

٥٥- محمد أبو دية (من قدامى الإخوان فى غزة، اعتقل أيام احتلال غزة ١٩٥٦)، الكويت، ١٢/ ٣/ ١٩٨٤م.

٥٦- محمد أبو سيدو (من أوائل من انضموا إلى الإخوان فى قطاع غزة عام ١٩٤٨م وعمل مسئولاً للجهاز العسكرى)، الكويت، ١٢/ ٤/ ١٩٨٥م.

٥٧- محمد الحانوتى (من قدامى الإخوان الفلسطينيين فى العراق، صديق مقرب لصالح سرية وقد أسسا معاً (م. ت. ف)، واشنطن، ١/ ٧/ ١٩٨٩م.

٥٨- محمد حسن شمعة (أحد السبعة المؤسسين لحركة حماس)، مرج الزهور، ٣/ ٦/ ١٩٩٣م.

٥٩- محمد نصار (مختطف الجنديين الإسرائيليين فى سسبورتاس وإيلان سعدون)، ٧/ ٣/ ١٩٩١م، الخرطوم.

٦٠- ف. (من مسئولى التنظيم الطلابى فى الكويت)، صنعاء، ٢٢/ ٥/ ١٩٩٤م.

٦١- م. أ. (أحد قادة الإخوان الفلسطينيين فى الكويت حتى عام ١٩٩٠م)، صنعاء ٩/ ٦/ ١٩٩٤م.

٦٢- د. م. م. (من التنظيم الطلابى الفلسطينى للإخوان فى مصر ١٩٧٤م - ١٩٨٠م)، لندن، ١٢/ ٧/ ١٩٨٩م.

٦٣- د. محمود الزهار (أحد أبرز قادة حماس)، مرج الزهور، ٥/ ٦/ ١٩٩٣م.

٦٤- نبيل البشتاوى (مسئول الإخوان المسلمين فى نابلس حتى ١٩٨٨م)، مرج الزهور ٤/ ٦/ ١٩٩٣م.

(٥) الرسائل العلمية:

٦٥- أمين حسن عمر، الصراع بين العلمانية والإسلام فى الشرق الأوسط (ماجستير)، ترجمة أسامة حسن عمر، الخرطوم: بيت المعرفة، ١٩٩٠م.

٦٦- بيان نويهض الحوت. القيادات والمؤسسات السياسية فى فلسطين ١٩١٧م - ١٩٤٨م. (دكتوراه) بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١م.

٦٧- حلمة خضر سارى. صورة العرب فى الصحافة البريطانية (دكتوراه)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م.

٦٨- فلاح خالد على. الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨م - ١٩٤٩م وتأسيس إسرائيل، (دكتوراه) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بدون تاريخ.

٦٩- كامل خلة. فلسطين والانتداب البريطانى ١٩٢٢م - ١٩٣٩م (دكتوراه)، طرابلس (ليبيا): المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٢م.

٧٠- ماهر الشريف. الأمية الشيوعية وفلسطين ١٩١٩ - ١٩٢٩م (دكتوراه)، بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٠م.

٧١- محسن محمد صالح. التيار الإسلامى فى فلسطين وأثره فى حركة الجهاد ١٩١٧ - ١٩٤٨م، (ماجستير)، الكويت: دار الفلاح، ١٩٨٨م.

(٦) المراجع (الكتب):

٧٢- إبراهيم سربل. حركة الجهاد الإسلامي، عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
٧٣- إبراهيم محمد. الأذان الحزين: المسجد في ظل الانتفاضة والاعتداءات الصهيونية، لندن: مركز الدراسات المعاصرة، ١٩٩٠م.
٧٤- أحمد الشقيرى. من القمة إلى الهزيمة، بيروت: دار العودة، ١٩٧١م.
٧٥- أحمد عادل كمال. النقاط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص، القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٧م.
٧٦- أحمد كمال أبو المجد. حوار لا مواجهة: دراسة حول الإسلام والعصر، الكويت: كتاب العربى، العدد السابع، ١٩٨٥م.
٧٧- أحمد بن يوسف. حركة المقاومة الإسلامية - حماس - حدث عابر أم بديل دائم، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م.
٧٩- أحمد بن يوسف. حركة المقاومة الإسلامية - حماس - خلفيات النشأة وآفاق المسير، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م.
٨٠- الإسلام والمستقبل. الكويت: إصدار اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامية الخامس، ١٩٨٧م.
٨١- الانتفاضة: فجر الإسلام فى فلسطين، بيروت: من منشورات حركة الجهاد الإسلامى، ١٩٨٨م.
٨٢- أنور الجندى. المد الإسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى، القاهرة: دار الاعتصام، بدون تاريخ.
٨٣- إياد برغوثى. الأسلمة والسياسة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث والنشر، ١٩٩٠م.
٨٤- بيان نويهض الحوت. الشيخ المجاهد عز الدين القسام فى تاريخ فلسطين، بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.
٨٥- توماس ماير. صحوة المسلمين فى إسرائيل، ترجمة عبدالفتاح زحالقة، الناصرة: المطبعة الشعبية، ١٩٨٦م.
٨٦- جان فرانسوا ليغران. الإسلاميون الفلسطينيون، ترجمة مركز التخطيط (م. ت. ف)، تونس: ١٩٨٩م.
٨٧- جهاد صالح (إعداد). حركة المقاومة الإسلامية - بين آلام الواقع وآمال المستقبل، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٩١م.
٨٨- جهاد محمد جهاد. الانتفاضة المباركة ومستقبلها، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
٨٩- الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م.
٩٠- حسين أدهم جرار. الحاج أمين الحسينى، رائد جهاد وبطل قضية، عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
٩١- حسن أبو النمل. قطاع غزة ١٩٤٨م - ١٩٦٧م، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف) ١٩٧٩م.
٩٢- حسن محمد أحمد حمودة. أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، القاهرة: الزهراء للطباعة والنشر، ط٣. ١٩٨٩م.
٩٣- حلمى محمد قاعود. ثورة المساجد، القاهرة: دار الاعتصام، بدون تاريخ.
٩٤- الحوار القومى الدينى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م.

٩٥- خالد حسن. الانتفاضة الفلسطينية: الثورة الشعبية، متى ولماذا؟ إلى أين؟، سلسلة دراسات صامد الاقتصادى، أوراق سياسية رقم (١٢)، بدون تاريخ.

٩٦- خالد عايد. الانتفاضة الثورية فى فلسطين - الأبعاد الداخلية، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع والدراسات، ١٩٩١م.

٩٧- خالد عز الدين. الانتفاضة الفلسطينية فى الصحافة العبرية، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للبحوث والدراسات، ١٩٩١م.

٩٨- راشد الغنوشي. محاور إسلامية، الخرطوم: بيت المعرفة، ١٩٨٩م.

٩٩- روجيه جارودى. الأصوليات المعاصرة: أسبابها وظواهرها، تعريب د. خليل أحمد خليل، باريس: دار عام ألفين، ١٩٩٢م.

١٠٠- رودولف بيترز. الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث، القاهرة: دار شهدى للنشر، ١٩٨٥م.

١٠١- رونالد نيتلر. تجارب الماضى ومحن الحاضر، نظرة الإسلام الأصولى لليهود، ترجمة ماهر عبدالله، وجلال جاد الله، لندن: مركز الدراسات المعاصرة، ١٩٩١م.

١٠٢- ريتشاد ميتشل. الإخوان المسلمون، ترجمة د. محمد أبو السعود، انديانا بوليس (الولايات المتحدة): دار النشر الأمريكية، ١٩٨٠م.

١٠٣- زكى نجيب محمود. تجديد الفكر العربى، بيروت: دار الشروق، ط٧، ١٩٨٢م.

١٠٤- زئيف شيف وأهود ميعارى. الانتفاضة الفلسطينية الجبهة الإسرائيلية الثالثة، ترجمة دافيد شجيف، القدس: دار شوكن، ١٩٩٠م.

١٠٥- زياد أبو عمرو. أصول الحركات السياسية فى قطاع غزة ١٩٤٨م - ١٩٦٧م عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧م.

١٠٦- الحركة الإسلامية فى الضفة العربية وقطاع غزة، عكا، دار الأسوار، ١٩٨٩م.

١٠٧- زياد أبو غنيمة. الحركة الإسلامية وقضية فلسطين، عمان: دار الفرقان، ١٩٨٩م.

١٠٨- سليمان موسى. أيام لا تنسى: الأردن فى حرب ١٩٤٨م، عمان: مطبعة القوات المسلحة الأردنية، ١٩٨٢م.

١٠٩- سميح حمودة. الوعى والثورة: دراسة فى حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام، عمان: دار الشروق للنشر، والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦م.

١١٠- صادق جلال العظم. النقد الذاتي بعد الهزيمة، بيروت: دار الطليعة، بدون تاريخ.

١١١- صالح عوض. الانتفاضة الثورة: دراسة من الداخل، تونس: الزيتونة للإعلام والنشر ١٩٨٩م.

١١٢- صبحي ياسين. الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٣٩م، القاهرة: دار الكتاب العربى، ١٩٦٧م.

١١٣- حرب العصابات فى فلسطين، القاهرة: دار الكتاب العربى، بدون تاريخ.

١١٤- عارف العارف. النكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، (جزآن)، صيدا: المكتبة العصرية ١٩٥٤م.

١١٥- عباس مراد. الدور السياسى للجيش الأردنى ١٩٢١ - ١٩٧٣م، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف) ١٩٧٣م.

١١٦- عبدالستار قاسم. الشيخ المجاهد عز الدين القسام، بيروت: دار الأمة، ١٩٨٤م.

١١٧- عبدالقادر ياسين. أزمة فتح، جذورها، أبعادها ومستقبلها، دمشق: دار الجرمق، ط٣. ١٩٨٥م.

١١٨- حماس - حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين، القاهرة: دار سينا، ١٩٩٠م.
١١٩- شبهات حول الثورة الفلسطينية، بيروت: دار ابن رشد، بدون تاريخ.
١٢٠- عبدالله التل. كارثة فلسطين، القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٩٥م.
١٢١- عبدالله عزام. حماس: الجذور التاريخية والميثاق، بيشاور، ١٩٩٠م.
١٢٢- عبدالله النفيسى (تحرير وتقديم). الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية - أوراق من النقد الذاتى، القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٨٩م.
١٢٣- عبدالوهاب الكيالى. تاريخ فلسطين الحديث، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣م.
١٢٤- عجاج نويهض. رجال من فلسطين، بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١م.
١٢٥- على الجرباوى. الانتفاضة والقيادات السياسية فى الضفة الغربية وقطاع غزة - بحث فى النخبة السياسية، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
١٢٦- على حسين خلف. تجربة الشيخ عز الدين القسام، عمان: دار ابن رشد، ١٩٨٤م.
١٢٧- على الخليلى. الانتفاضة والصحافة المحلية، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية، ١٩٨٩م.
١٢٨- على محافظة. الفكر السياسى فى فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، عمان: مركز الكتاب الأردنى، ١٩٨٩م.
١٢٩- عواطف عبدالرحمن. مصر وفلسطين، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ط٢، ١٩٨٥م.
١٣٠- عونى جدوع العبيدى. جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن وفلسطين ١٩٤٥م - ١٩٧٠م، عمان: بدون ناشر، ١٩٩١م.
١٣١- ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها فى الكفاح الفلسطينى، الزرقاء (الأردن): مكتبة المنار، بدون تاريخ.
١٣٢- عيسى الشعيبى. الكيانية الفلسطينية، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف) ١٩٧٩م.
١٣٣- فتحى عبدالعزيز (فتحى إبراهيم الشقاقى). الخمينى: الحل الإسلامى والبديل، القاهرة، المختار الإسلامى، ١٩٧٩م.
١٣٤- فتحى إبراهيم (الشقاقى). مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الإسلامى المعاصر المنهج، بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٨٩م.
١٣٥- فؤاد زكريا. الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦م.
١٣٦- فؤاد مطر. حكيم الثورة. قصة حياة الدكتور جورج حبش، لندن: هانى لايت، ١٩٨٤م.
١٣٧- كامل الشريف. الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين، القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٧م.
١٣٨- كمال عدوان. فتح: الميلاد والمسيرة، دمشق: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤م.
١٣٩- لطفى الخولى. الانتفاضة والدولة الفلسطينية، القاهرة: مركز الأهرام، ١٩٨٩م.
١٤٠- محمد أحمد سليمان محافظة. العلاقات الأردنية الفلسطينية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٣٩ - ١٩٥١م، عمان الفرقان ودار عمار، ١٩٨٣م.
١٤١- محمد الحسن. الإخوان المسلمون فى سطور، عمان: دار الفرقان، ١٩٩٠م.
١٤٢- محمد عزة دروزة. القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها، (جزآن)، دمشق: دار الجاحظ للطباعة، ط٣، ١٩٨٤م.

١٤٣- مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين، بيروت: بيت المقدس للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
١٤٤- مصطفى السباعى. الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين، القاهرة. دار النذير، ١٩٨٥م.
١٤٥- معركة بيروت: التجربة الفلسطينية من منظور إسلامى، سلسلة الدراسات الفلسطينية، رقم (٣) الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٣م.
١٤٦- معين بسيسو. دفاتر فلسطينية، بيروت: دار الفارابى، ١٩٧٨م.
١٤٧- منير شفيق. الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ط٢، منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٥م.
١٤٩- هارون هاشم رشيد. غزة، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بدون تاريخ.
١٥٠- يوسف رضيعى. ثورة ١٩٣٦ فى فلسطين: دراسة عسكرية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢م.
١٥١- يوسف القرضاوى. أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة، بدون ناشر، ١٩٩٠م.
١٥٢- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الدوحة: كتاب الأمة، بدون تاريخ.

(٧) الدوريات:

١٥٣- إبراهيم الشيخ خليل. «رسالة من مجاهد قديم»، شئون فلسطينية، العدد ٧، فبراير ١٩٧٢م.
١٥٤- «الإخوان فى الداخل - ممارسات مشبوهة ودعم متعدد الجهات»، مجلة الطليعة الكويتية، عدد ٧٩٩، ٢٩/٦/١٩٨٣م.
١٥٥- جاد الكريم الجباعى «القومية العربية والإسلام السياسى»، الوحدة، السنة الخامسة، العدد ٥٣، يناير، ١٩٨٩م.
١٥٦- جمال الدين عطية. «نظرة إلى الإنجازات الإيجابية للحركة الإسلامية المعاصرة»، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١، يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٧٧م.
١٥٧- جمال الراشد. «الحركة الإسلامية تشق طريقها واليساريون يكشفون أوراقهم»، مجلة المجتمع الكويتية، عدد ٦٣٧، ١٣/٩/١٩٨٣م.
١٥٨- جيل كيبل (أبرز المختصين الفرنسيين فى الحركات الأصولية). مقابلة، مجلة معلومات، ملف خاص بالأصولية فى العالم العربى، بيروت: المركز العربى للمعلومات، عدد ٣، مايو / أيار ١٩٩٣م.
١٥٩- حسن البنا. «الإسلام سياسة وحكم» جريدة الإخوان المسلمون، ١٦/٤/١٩٤٦م.
١٦٠- خليل الوزير. «مذكرات أبو جهاد»، مجلة المجلة السعودية، الحلقة الرابعة ٢٥/٥/٩٩ و٨٨.
١٦١- راشد الغنوشى. «أية حداثة؟ ليس مشكلنا مع الحداثة»، قراءات سياسية، فلوريدا، السنة الثانية - العدد الرابع، خريف ١٩٩٢م.
١٦٢- ربعى المدهون. «الحركة الإسلامية فى فلسطين ١٩٢٨م - ١٩٨٧م»، شئون فلسطينية، العدد ١٧٨، أكتوبر ١٩٨٧م.
١٦٣- «ستة شهور فى الاتجاه الصحيح»، شئون فلسطينية، عدد ١٨٤، تموز/ يوليو ١٩٨٨م.
١٦٤- رضوان السيد «البيئات الأيديولوجية والاجتماعية لحركات الإسلام السياسى المعاصرة»، مجلة معلومات.
١٦٥- زكريا محمد. «الانتفاضة والإصلاح التنظيمى فى م. ت. ف»، مجلة الفكر الديمقراطى (نيقوسيا) عدد ٥، شتاء ١٩٨٩م.

١٦٦- زياد أبو عمرو. «حماس : خلفية تاريخية سياسية»، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٣، شتاء ١٩٩٣م.

١٦٧- سعيد الغزالي. «الحركة الإسلامية في مواجهة حركة التحرير الوطني: تعاون أم حالة حرب»، الفجر المقدسية ٦/٨/١٩٨٧م.

١٦٨- سلامة أمين. «الاتجاهات الدينية ودورها في العمل الوطني الفلسطيني»، طريق الانتصار، العدد ١١٩، ١/٥/١٩٨٨.

١٦٩- صالح البرغوتي (عضو المجلس المركزي الفلسطيني). «حركة حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية»، العرب، ٤/١/١٩٩٠م.

١٧٠- صالح عبدالجواد. «دراسة للمصادر الأولية المكتوبة للانتفاضة»، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عدد ٤، خريف ١٩٩٠م.

١٧١- صالح عطا. «عندما تتكلم الجدران، الانتفاضة ومعركة الشعار السياسي»، اليوم السابع (باريس)، ٥/٧/١٩٨٩م.

١٧٢- صلاح خلف. مقابلة، الأسبوع العربي، عدد ١٥٤٠، ١٧/٤/١٩٨٩م.

١٧٣- مقابلة، المصور المصرية، ١٧/٢/١٩٨٩م.

١٧٤- مقابلة، الوطن العربي، ٢/١٢/١٩٨٨م.

١٧٥- مقابلة، الوطن العربي، ٢١/٤/١٩٨٩م.

١٧٦- فايز سارة. «الحركة الإسلامية في فلسطين: وحدة الأيديولوجيا وانقسامات السياسة»، المستقبل العربي، عدد ١٢٤ - ٦/١٩٨٩م.

١٧٧- فرد هاليداي. «نحو تصحيح المفاهيم التاريخية عن الإسلام والحركات السياسية»، مجلة المعلومات، ملف الأصولية.

١٧٨- فهمي هويدي. «الهستيريا تتفاعل: بيان تنصيب العدو الأصولي»، مجلة معلومات.

١٧٩- عبدالقادر ياسين. «عز الدين القسام بين جمهورية فرحات وبؤرة جيفارا»، مجلة قضايا عربية، السنة السادسة، العدد السابع، تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٩م.

١٨٠- علي الجرباوي. «حماس - مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية»، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٣.

١٨١- عوزي محنايمي. «جهاد الآن»، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ١١، السنة ١٤، نوفمبر ١٩٨٧م.

١٨٢- «لكي لا تضيع الحقيقة: ردنا على الحماسيين»، فلسطين الثورة (المجلة المركزية لـ (م. ت. ف)، الافتتاحية، السنة ١٩/ العدد ٨٠٤، ٨/٧/١٩٩٠.

١٨٣- لماذا تأخرت؟ ولماذا تحاول تقدم الصفوف؟ .. حركة «حماس» فكراً وممارسة، الاستقلال (نيقوسيا)، عدد صفر، ٢٢/٢/١٩٨٩م.

١٨٤- لويس كانتوري. «المحافظة والتقدم في مصر: الإحياء الإسلامي»، قراءات سياسية، السنة الثالثة، العدد الثاني، ربيع ١٩٩٣م.

١٨٥- «م. ت. ف. من محنة إلى محنة»، المنطلق، عدد ١٦، تشرين ثانى/ نوفمبر ١٩٨٦م.
١٨٦- محمد الحداد. «التراث العربى فى السياسة»، الوحدة، عدد ٥٢، يناير ١٩٨٩م.
١٨٧- محمد حسين فضل الله. مقابلة مجلة معلومات.
١٨٨- مقابلة، مجلة اليسار العربى (باريس)، عدد ٧١، أبريل ١٩٨٥م.
١٨٩- محمد سعد أبو عامود. «الإعلام العربى والسياسة الخارجية العربية»، المستقبل العربى، عدد ١٨٢، ٤/١٩٩٤م.
١٩٠- محمد عابد الجابرى. «الإعلام العربى والسياسة الخارجية العربية»، المستقبل العربى، عدد ١٧٤، ٨/١٩٩٣م.
١٩١- محمود الزهار. «الحركة الإسلامية - حقائق وأرقام»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣.
١٩٢- مخيل سيلع. «إرهاب إسلامى - رعاية إسرائيلية»، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية العدد ١١. لسنة ١٤، نوفمبر ١٩٨٧م.
١٩٣- ناصيف نصار. «إشارات تمهيدية فى نقد الأصولية»، مجلة معلومات، ص ص ١٢ - ١٣.
١٩٤- هانى الحسن. مقابلة، جريدة الحياة اللندنية، ١٣/ ١٢/ ١٩٨٩م.
١٩٥- مقابلة، مجلة اليوم السابع (باريس)، عدد ٢٩٦، ٨/ ١/ ١٩٩٠.

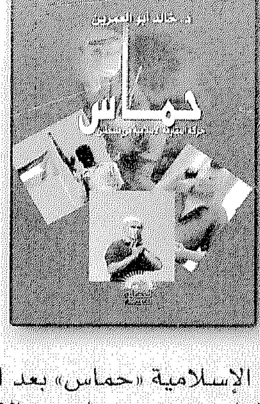
ثانياً - المراجع الأجنبية:

1. Ayubi Nazih. Political Islam: Religion and Politics in the Arab world, London: Routledge, 1991.
2. Cohem, Amnon. Political Parties in the West Bank Under The Jordanian Regime 1949-1967. London: Cornal University Press, 1982.
3. Cohen. S. Khomenism in Gaza, New Outlook, March 1980. 1. p.p.6-9.
4. Haddad, Y. Yazbak., Contemporary Islam and the Challenge of History, New York: State University Press, 1982.
5. Hart, Alan, ARAFAT, Terrorist or Peacemaker? London: Sidgwick & Jackson, 1987.
6. Hunter, Robert F. The Palestinian Uprising: A War bgy Other Means. Berkley University of California Press, 1991.
7. Lockman, Zachary and Jad Beinin, eds. Intifada: The Palestinian Uprising Against Israel Occupation. Boston: South End Press, 1989.
8. McDowall, Darid, Palestine and Israel: The Uprising and Beyond, London: B.B. Tauris, 1990.
9. Sahiyeh, Emile. In Search of leadership. West Bank Politiecs since 1967, Washington D.C., The Brookings Instiution, 1988.
10. Shadid, Mohammed, The Muslim Brotherhood Movement in the West Bankn and Gaza, Third Workd Quarterly, Vol. 10, No. 2, April 1988. pp.658-682.

فهرس الكتاب







برزت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بعد اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، ولم تمض سنة واحدة من عمرها وعمر الانتفاضة حتى ازدادت قوتها وظهر تأثيرها واكتسبت شعبية واسعة بين الفلسطينيين فى الأرض المحتلة وفى المنافى والمهاجر، وكذلك بين العرب والمسلمين. وكان لنضالها الإسلامى ضد الاحتلال الصهيونى ودفاعاً عن الأرض والمقدسات أثره البالغ فى إعطاء صورة متميزة للعمل الإسلامى الذى يحظى بالقبول والإجماع، بخلاف العمل الإسلامى المنتشر فى كثير من البلاد العربية الإسلامية، كما أبرزت هذه المواجهة للعدوان الصهيونى قادة ورموزاً يحظون بالاحترام والتقدير حتى عند من يختلف معهم فى الرأى، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين الذى يتمتع بصفات قلما يجتمع بعضها لكثير من القادة الإسلاميين أو غيرهم، فهو إلى جانب وعيه العميق وحنكته السياسية يتصف بالإصرار والتجرد وبالحس الوطنى الذى يعلو على كل انتماء، شديد على الأعداء، رحيم بأبناء شعبه وأمته، وأبرزت هذه المواجهة أيضاً الشهيد يحيى عياش الذى خرجت فلسطين كلها فى جنازته.

وكان للعمليات العسكرية التى نفذتها «كتائب عز الدين القسام» الجناح العسكرى لحماس من خطف للجنود أو تفجيرات فى القدس وتل أبيب، أثرها الحاسم فى ازدياد أهمية الحركة.

إن دراسة حركة حماس تأخذ أهميتها القصوى من حيث إنها تعالج الظاهرة فى أكثر مواقعها سخونة، ففى فلسطين يبدو الصراع صريحاً بين الشرق كله والغرب كله، صراعاً حضارياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً شاملاً.

وتأتى أهمية هذا الكتاب لكونه أول دراسة شاملة للإخوان الفلسطينيين فى مختلف المراحل التاريخية والأماكن الجغرافية التى تواجد فيها الفلسطينيون، كما يسلط الضوء على جوانب كثيرة ظلت خافية وغير منشورة، معتمداً على التوثيق العلمى وعلى مقابلات مع صناع الحدث، كما يبرز الكتاب ولأول مرة نشاط الإخوان فى الخارج وتأسيس «الجهاز العام لفلسطين» الذى أصبح يعرف باسم قيادات حماس فى الخارج، عموماً فإن الكتاب يزخر بالمعلومات الجديدة والموثقة.

وكان أكثر ما ساعد المؤلف على إعطاء الصورة الشاملة والمتكاملة والموضوعية هو تجربته الشخصية فى صفوف الإخوان المسلمين ابتداء من عام ١٩٨٠، وتدرجه فى مختلف المستويات التنظيمية.

